3 8534 01044 9415
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

Scomp
PJ
7755
T8
L337
1888
V.2

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak

Hadhā Kitāb al-Ghayth al-musajam

(فهرست الجزء الثانى من شرح العلامة الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

٢ الكلام على قول المصنف لعل المسامة بالجزع البيت
٢ حكاية ظريفة فى الدبيب ومقاطيع تناسب ذلك
٥ فى الكلام على الفاعل
٦ حكايه الاصمعى فى انتحال المعانى وما يناسب ذلك
٨ الكلام على قوله لا اكره الطعنة النجلاء الى آخر البيت
٩ الكلام فى اقتحام الاخطار فى الحب
١٠ الكلام فى التغزل فى العيون
١٢ الكلام على قوله ولا اهاب الصفاح الخ
١٢ فى ذكر الجمع بين الساكنين
١٣ اشكال وقع فى قول ابن الرومى ومن العجائب ان عضوا واحدا الخ
١٤ سؤالات رفعت للعلامة ابن تيمية
١٥ سؤال خنثى رفع الى القاضى شريح ورفعه الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب
١٦ الكلام فى الاستخدام
١٩ الكلام فى الحماسة فى صورة الغزل
٢٠ الكلام على قوله ولا أخل بغزلان الخ وفيه الكلام على لو
٢٣ عدم نسيان المحبوب عند الاخطار
٢٦ الكلام على قوله حب السلامة الخ
٢٧ الكلام فى الخمول
٢٨ فى السعى والكدو الجدو الكدح
٢٩ الكلام على قوله فان جنحت اليه الخ وفيه الكلام على المنزلة
٣٢ الكلام على ان
٣٤ الكلام على أو
٣٥ الكلام على قوله ودع غمار العلى الخ
٣٦ الكلام فى قوله تعالى أتدعون بعلا
٣٩ فى نوابغ من الكلم وما يناسب ذلك
٤٠ الكلام على قوله رضى الذليل الخ
٤١ الكلام على عند
٤٢ الكلام فى عدم الرضى بالذل
٤٣ أبيات ورسائل تتعلق بالنيل
٤٥ الكلام على قوله فادر أبها الخ وفيه الكلام على مثنى وثلاث ورباع وأحاد وسداس
٤٨ الكلام على قوله ان العلى حدثتنى الخ

صحيفة

٤٩ في الحث على الانتقال والحركة
٥٠ الكلام فيما يتعلق بالشطرنج وفيه فوائد وأشكال
٥٦ في الاعتراض والحشو
٥٩ الكلام في الرد على من تغزل في المشايخ والكلام على قوله لو أن في شرف المأوى الخ
٦٠ الكلام على المنازل والبروج
٦١ في ذكر أشياء اشتهرت بين الادباء
٦٢ فيما له شهرة بين المحدثين وذوي الاخبار
٦٥ قاعدة في ان كل سابع يخلع وتمام الكلام على السعي والحركة
٦٩ الكلام على قوله أهبت بالحظ الخ
٧٠ الكلام فيما يتعلق بالحظوظ وأنها لا تعلل الخ ما قال نظما ونثرا
٧٧ حكاية عن بعض المطربين
٧٧ الكلام في أن الزمان مولع بخمول الادباء نظما ونثرا
٨٠ الكلام على قوله لعله ان بدا فضلي الخ وفيه الكلام في تصريف بدا وغير ذلك
٨٢ في انتباه الزمان للفضلاء بعد رقاده وفيه مسائل
٨٤ في أشياء تتعلق بالتصحيف
٨٥ الكلام على قوله اعلل النفس بالآمال الخ وفيه الكلام على النفس
٨٨ الكلام في فعل التعجب
٨٨ الكلام على لولا
٩٠ الكلام على الأمل والتمني نظما ونثرا
١٠٠ الكلام على قوله لم ارتض العيش والايام مقبلة الخ
١٠٢ الكلام على العيش والشباب والمشيب نظما ونثرا
١٠٥ الكلام على قوله غالى بنفسي عرفاني الخ
١٠٧ الكلام فيمن تكبر ويليه أشعار تناسبه
١٠٨ الكلام على قوله وعادة النصل الخ وفيه الكلام على العادة في عرف الكتاب
١٠٩ الكلام على أن
١١١ الكلام على المثنى وبين التثنية
١١٢ الكلام فيما يتعلق بالسيف نظما ونثرا
١١٦ الكلام على قوله ما كنت أوثر الخ وفيه الكلام على ما كان فيما يناسبه قول الناظم ما كنت أوثر الخ من الاشعار
١٢١ الكلام على قوله تقدمتني أناس الخ
١٢٤ فيما يتعلق بزرقاء اليمامه
١٢٦ في أشياء يمتحن بها الاذهان في الحساب

صحيفة

١٢٨ على قوله هـذا جزاء امرئ الخ وفيه اشكال وجواب فى قول الشاعر الشمس طالعة ليست بكاسفة الخ

١٢٨ الكلام على الاجل وغاية العمر

١٢٩ الكلام فيما يناسب بيت الناظم نظما ونثرا

١٣١ فيما يتعلق بالشؤم والطيرة والعدوى

١٣٦ فيما يتعلق بالتأسف على الماضين

١٣٨ حكايات وأشعار فى المجون

١٤٣ الكلام على قوله وان علانى من دونى فلا عجب الخ

١٤٥ الكلام على الشمس وزحل والقمر وسبب الكسوف والخسوف

١٤٧ صورة الافلاك والعناصر

١٤٩ صورة كسوف الشمس

١٥٠ صورة خسوف القمر

١٥٧ فى مخالفة ابن الرومى وعكسه القياس والرد عليه وما قيل فى الورد والنرجس نظما ونثرا

١٥٩ فى نبذة من محاسن ابن سناء الملك ونبذة من شعر ابن بسام

١٦٣ فى غرائب ابن الرومى ويليه حكايات مستعذبة

١٦٥ الكلام على ما فى زحل من المحاسن والفوائد

١٦٦ فى رفع الناقص وخفض الكامل وما قيل فيه من الاشعار

١٦٦ مسئلة فى رؤية الاشياء القائمة على الانهار وفيه شكل لذلك

١٧١ الكلام على قوله فاصبر لها غير محتال الخ

١٧٢ فى الصبر على حوادث الدهر

١٧٤ نبذة من التأسف على ما جرى للمعتمد بن عباد وذكر أبيات له

١٧٦ نبذة فى قوله تعالى ان مع العسر يسرا وفيه رجوع الى الصبر

١٧٩ نبذة تتعلق بمن صلب

١٨١ فى التمطى وما قيل فيه من المجون ويليه بقية من الكلام على الصبر

١٨٢ الكلام على قوله أعدى عدوك أدنى من وثقت به الخ

١٨٣ الكلام فى صيغة أفعل التفضيل

١٨٤ الكلام فيما يتعلق بالاحتراس من الناس وفيه نبذة وحكايات أشعب الطماع

١٨٨ الكلام فيما يتعلق بالعميان والتغزل فيهم والدبيب وغير ذلك

١٩٣ الكلام على قوله فانما رجل الدنيا وواحدها الخ وفيه الكلام على انما

١٩٥ الكلام على قوله وحسن ظنك بالايام معجزة الخ

١٩٧ حكايات واشعار تناسب بيت الناظم

صحيفة

١٩٨ الكلام فيما يتعلق بفساد الزمان نظما ونثرا
١٩٩ فيما قيل فى حسن الظن
٢٠٠ الكلام على قوله غاض الوفاء وفاض الغدر الخ
٢٠١ نبذة فيما قيل فى الغدر والوفاء من نظم وغيره
٢٠٦ الكلام على قوله وشان صدقك عند الناس كذبهم الخ وفيه ذكر المنافقين
٢٠٧ نبذة فيما قيل فى حسن التعليل
٢٠٨ الكلام فى عدم المطابقة
٢١٠ الكلام على قوله ان كان ينجع شئ فى ثباتهم الخ وعلى قولهم سبق السيف العذل
٢١١ الكلام فى مراعاة العهود وفى العذل وما يناسب ذلك من الحكايات وفيه نبذة تتعلق باسماء الشهور وغير ذلك
٢١٧ الكلام على قوله يا وارد اسؤر عيش كله كدر الخ وفى الكلام على كل والكليات الخمس
٢١٨ نبذة فيما قيل فى الكدر وغير ذلك
٢٢٠ فى المنادى ويليه نبذة فى التجريد
٢٢١ فى الصفو أيام الشباب والاعتذار عن شيب الحبيب
٢٢٤ فيما يناسب قول الناظم يا وارد الخ
٢٢٦ الكلام على قوله فيم اقتحامك لج البحر البيت
٢٢٧ فى الرضى باليسير من الدنيا ويليه حكايات واشعار لائقة بذلك
٢٢٩ الكلام على قوله ملك القناعة لا يخشى عليه البيت وفيه الكلام على الاقصار
٢٣٠ فى القناعة وما فيها من الجدوى
٢٣٧ الكلام على قوله ترجو البقاء بدار لا ثبات لها البيت
٢٣٧ نبذة تتعلق بالظل
٢٣٨ الكلام فيما يتعلق بالنسيان وفيه نبذة من المجون
٢٤٠ نبذة فى اسباب خراب دار الدنيا
٢٤٥ مراسلة بين القاضى الفاضل وابن سناء الملك
٢٤٦ رجوع الى قول الناظم فهل سمعت بظل غير منتقل
٢٤٧ الكلام على قوله ويا خبيرا على الاسرار الخ
٢٤٨ ما قيل فى كتمان السر من النظم وغيره
٢٥٠ الكلام على الصمت وذم الكلام وفيه حكاية قتل الشهاب السهروردى
٢٥٣ أشعار للسراج الوراق وما وقع له مع أبى الحسين الجزار
٢٥٣ رجوع الى قتل الشهاب السهروردى ويليها حكايات عمن فضحه كلامه
٢٥٤ الكلام على قوله قد رشحوك لامران فطنت له الخ

٢٥٦ فى مقاطيع ظاهرها التكرار وفى الكلام على الايطاء وتحصيل الحاصل وعلى مايتعلق بالصدى وغير ذلك من المحاسن
٢٥٩ استطراد فى رؤية الهلال وفيه مبحث لطيف يتعلق بتاريخ وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم
٢٦٠ الكلام فى التحذير من الاعداء
٢٦٢ الكلام فى هجر الحبيب
٢٦٣ الكلام فى قلب بعض الالفاظ
٢٦٦ الكلام فيما يشاكل قول ابن سكرة فى الكافات ويليه أبيات للشارح فى ذلك
٢٦٨ نبذة فى لطائف من الجناس وغيره للشارح وغيره وهى خاتمة الكتاب

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)

١٦ ترجمة الامام مالك رضى الله عنه
٢٥ ترجمة الخليل بن أحمد
٤٢ ترجمة أبى الاسود الدئلى
٤٧ ترجمة مانى الثنوى
٥١ ترجمة غيلان القدرى
٥٥ ترجمة الجعد بن درهم
٥٦ ترجمة خالد القشيرى
٦٠ ترجمة بشار بن برد
٧٧ ترجمة أبى نواس
٨٧ ترجمة ابى تمام
٩٨ ترجمة امرئ القيس
١١٠ ترجمة الفضل اللهبى
١١٢ ترجمة الهاشمى
١١٧ ترجمة مجنون ليلى
١٢٣ ترجمة ابن أبى ربيعة
١٣١ ترجمة دريد بن الصمة
١٣٥ ترجمة النعمان بن المنذر
١٤٩ ترجمة باقل بن عمرو
١٥١ ترجمة هبنقة
١٥٤ ترجمة طويس
١٦٢ ترجمة الفرزدق
١٧٠ قصة وافد البراجم
١٧١ ترجمة المتلمس
١٧٤ ترجمة عقيل بن علفة
١٧٩ الكلام على ابنة الخس
١٨٧ ترجمة الاعشى الاكبر
١٩٧ ذكر العرندس
٢٠٠ ذكر الخنساء
٢٠٦ ذكر محرق
٢١١ ذكر قرطى مارية
٢١٢ ذكر عمرو بن معديكرب
٢٢٠ ذكر الصمصامة
٢٢٤ ذكر الحطيئة
٢٣٣ ذكر أبى العتاهية
٢٤٤ حديث براقش
٢٦٣ ذكر عامر بن الظرب أحد حكام العرب المشهورين

(تم)

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

الجزء الثانى من كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدى الاريب الشاعر المنشى
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال فى كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن على فخر الكتاب العميد الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٠ فى وصف حاله وشكاية زمانة واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوّله الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٣٩ ذكر فيه ان الصفدى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوى وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) الطبرى وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وسماه نشر العلم فى شرح لامية العجم (وحسين الكفوى) جمعه من الشروح كشرح الصفدى (والقاضى) جلال الدين المدنى (وجلال الدين) خضر الحنفى الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربيعى البغدادى (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسى وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصرى جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجرى)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)

٨١٠,٩
طغرائي. لامية
ج ٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(لعل المامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى على)*

(اللغة) لعل كلمة ترج وسيأتى الكلام عليها فى الاعراب وفيها لغات لعل وعل ولعنّ وعنّ ولان بفتح النون وأن ورعنّ ورغنّ بالغين المعجمة ولغن باللام والغين المعجمة والنون ولعلت بزيادة التاء فى آخر لعل (الالمام) النزول وقد ألم به أى نزل وغلام ملم قارب البلوغ وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أى يقرب من ذلك (الجزع) منعطف الوادى (دب) على الارض يدب دبيبا وكل ماش على الارض دابة ودبيب هذا وضع اللغة وقولهم أكذب من دب ودرج معناه أكذب الاحياء والاموات ودبت العقرب اذا سرحت من جحرها ليلا وما أحلى قول القائل

— كم دب كالعقرب ليلا وكم * قد قتلوه قتلة العقرب

قال على بن بسام البغدادى كنت أعشق غلاما لخالى أحمد بن حمدون فنمت ليلة عنده وقت لأدب عليه فلسعتنى عقرب فقلت آه فانتبه خالى وقال ما أتى بك ههنا فقلت قتلنى لا أبول فقال صدقت ولكن فى است غلامى فخطر لى اذ ذاك هذه الابيات

— ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها انها * دابة دبت على دباب

(وعمرو بن بحر مستملى)

هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بابى عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقى والاول أشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذى ملأت الآفاق أخباره وفوائده حتى قيل مما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بسياسته والحسن البصرى بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبى اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتامل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ومما تفرد به القول بان المعرفة طبائع وهى مع ذلك فعل العباد على الحقيقة وكان يقول فى سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعا

48956

وقيل

وقيل ان صاحب الغلام أنشد

وداري اذا نام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم * فان عقارب بنا تضرب

وقال أبو نواس

اذا هجع النيام فضل عني * وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وقال أبو حكيمة راشد بن عبد القدوس

ومنتبه بين الندامى رأيته * وقد رقد الندمان دب على الساقي
فأولج فيه مثل أسود سالخ * عظيم من الحيات ليس له راقي
فلما انتحى فيه تحرك واتكا * وأطرق عند الزهز أحسن اطراق
فقلت له لا تلفين مقصرا * ولا مشفقا في غير موضع اشفاق
أجد تحت خصييه فان سكوته * سكوت امرئ صاب الى النيك مشتاق
فلولم يكن يقظان ما قام ايره * ولا لف عند النيك ساقا على ساق

وأخذه النور الاسعردي فقال

دببت وفي قلبي بأنك نائم * وما كنت الا ساهر الطرف يقظانا
والافلم أبديت غنجك بعدما انـ * ـقلبت الى جنب وكان الذي كانا

وقال أيضا

وريم يزيد غرامي به * وأشجان قلبي به دائمه
بسفر لوجنته قد قرأ * تسطر به مهجتي هائمه
وعاطيته خمرة مزة * فنام وما صبوتي نائمه
دببت من الردف في ربوة * فأبصرتها برزة ناعمه

وقد أدمج في أثناء هذه الابيات أسماء منارة في غوطة دمشق وهي مشهورة وقال أيضا

كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا نحو تسل ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهرة ورد * بقضيب عند الهبوب رطيب

وقال أبو جعفر أحمد بن الأبار

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا
رشأ راش لي سهام المنايا * من جفون يصمي بهن القلوبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطها كؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما أن نام من تتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد أن تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد ذكرت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التي تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية * فاما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل وكان منقطعا الى الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب في التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن أكون ثاني اثنين اذهما في التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معدنا للمساوي في كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الامر على خير من أن يكون لي عليك ولا أن أسيء

فتحسن أحسن فى الاحدوثة عنك من أن أحسن فتسىء ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى فقال ابن أبى دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره فى مجلسه ثم أقبل عليه فقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدأ أمره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة * وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت الى جارية سندية فقلت قولى لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولى الحدقى فقالت أقول الحلقى فقلت لا تقولى شيأ ورجعت وقال ما أخجلنى أحد مثل امرأتين رأيت احداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلى كلى معنا فقالت أصعد أنت حتى ترى الدنيا

فهل أبصرت أو سمعت بصب * نالك محبوبه ونالك الرقيبا

ومما فتح هذا الباب الا أبو نواس حيث قال

نكتار سول عنان * والرأى فيما فعلنا
فكان خبزا بملح * قبل الشواء أكلنا

ومما نظمته وفيه تضمين

أقول وقد نامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام دبيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الىّ وان لم آته لحبيب

وما أحسن ما اعتذر به القائل عن ترك الدبيب فى قوله

قالوا وقد بصروا بأيرى نائما * عند الدبيب اليه رخوا المفصل
ماذا عراه فقلت سارى ليله * عرف المحل فبات دون المنزل

وسأل بعضهم شيخا من أهل الفسوق فقال كنت البارحة فى مجلس قوم وفيهم أمرد مثل القمر فلما ناموا حاولت الدبيب عليه فلم أصل اليه وأصبحنا ولم يتفق لى نيكه فقال له الشيخ لك فيتك فقد حسبت لك فسقة ومن هذا قول النور الاسعردى

ولى صاحب قد قال نلت المنى * بمن هو دون الورى منيتى
فقلت أتى زائرا قال لا * ولكن جلدت ولى نيتى

وقيل ان بعضهم كان نائما فى مجلس قوم فما شعر بنفسه الا وقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه منكرا فقال الدباب يا أخى لك المعذرة فانه قد قام على ولم يكن الى جانبى غيرك فقال له كنت اجلد عميرة فقال والله ما يسعه خفى فكيف كفى قال أفبهذا الزب تدب وقد جمع آلات الدب على ما هو مشهور بين أهل المجون ابن دانيال فى قوله

فلما بت فى السماعات الا * لقبونى باللائط الدباب
ولعمرى قد كنت أقتحم الدب وآلاته مع فى جراب
مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

ومما اتفق لى نظمه أيضا

حضرت مجلس قوم * وفيه ظبى مهفهف
قاموا له وحيوه * منى وقالوا تعفف
دنوا وذبوا ودبوا * فلم يفتهم مصحف

وكنت قد نظمت قديما فى سنة سبعمائة وثمان عشر معنى خطر لى فى العذار وهو

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا ودب عليه

فوقفت على المعنى بعينه للمولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنشدنيه من لفظه فيما بعد سنة تسع عشرة وسبعمائة

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فنظمت أنا عند ما وقفت عليهما سنة سبعمائة وعشرين

عذارك والطرف ياقاتلى * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(رجع) النسيم الريح اللينة يقال نسمت الريح نسيما ونسما ونسم الريح أولها حين تقبل لينة قبل أن تشتد وفى الحديث بعثت فى نسم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت (البرء) مصدر برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصح فلان بارئا من مرضه وأبرأه الله (العلل جمع) علة وهى المرض (الاعراب * لعل) من أخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تقدم الكلام على تعليل هذا العمل فى قوله

انى اريد طروق الحى من اضم * البيت ومعناها الترجى ولا يترجى بها الا ما هو مشكوك فيه فلا تقول لعل الميت يعود ولكن تقول لعل المسافر يؤوب وقد تكون حرف جر فى لغة بنى عقيل قال الشاعر

لعل الله فضلكم علينا * بشئ أن أمكم شريم

كما تكون متى حرف جر فى لغة بنى هذيل يقولون أخرجها متى كمه (المامة) منصوب على انه اسم لعل (بالجزع) الباء هنا للالصاق وهى متعلقة بالمامة لانه مصدر (ثانية) صفة لالمامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم (منها) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية وقد تكون بمعنى الباء كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله والارجح أن تكون على أصلها ويكون الجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول لاجله كما فى قوله تعالى أطعمهم من جوع (نسيم) فاعل يدب والجملة فى موضع رفع خبر لعل * ولا بأس بالكلام على الفاعل قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس الفاعل أصل المرفوعات وباقيها محمول عليه خلافا لابن السراج وأبى على ومن رأى رأيهما والدليل على ذلك أن المعنى الذى دخل الاعراب الكلام لاجله وهو رفع اللبس يوجد فى الفاعل أكثر من المبتدا لان الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ولا كذلك المبتدا فكان الفاعل أصلا فى الرفع وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه وفعله فانه قال واعلم ان الاسم أول أحواله الابتداء فنص هنا على أن المبتدا قبل الفاعل وقدم فى ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدا اه (قلت) وانما اختص الفاعل بالرفع لاوليته وقوته وقلته واختص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته ولذلك قالوا رجل ضحكة بالتحريك للذى يضحك من غيره كثيرا وقالوا رجل ضحكة بالسكون للذى يضحك منه فحركوا الفاعل لقوته وسكنوا المفعول لضعفه وانما قلت لاوليته لانه الذى يوجد الفعل قبل أن يكون مفعولا وانما قلت وقوته لانه الذى يصدر منه الفعل والمفعول يقع عليه الفعل وانما قلت وقلته لان الفاعل الواحد يريد مفاعيل كثيرة تقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا فزيد فاعل وعمرا مفعول به ويوم الجمعة ظرف زمان وداخل داره ظرف مكان وضربا شديدا مفعول مطلق وتأديبا مفعول لأجله ومن هذه الأدلة يظهر عكسها فى النصب ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أن الرفع أثقل الحركات لانه لا يتم الا بضم الشفتين وذلك لا يتم الا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرف الشفة والجر يكفى فى تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة والفتح يكفى فيه العمل الضعيف لتلك العضلة فلذلك أعطوا الاثقل للاقل وأعطوا الاخف للاكثر ولا شك فى أن المرفوعات

وأما الاخرى فانها أتتنى وأنا على باب دارى فقالت لى اليك حاجة وأريد ان تمشى معى فقمت معها الى أن أتت بى الى صائغ يهودى فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها اتت الى بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت ياستى ما رأيت الشيطان فاتت بك وقالت ماسمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يجلى عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طروزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فاردت الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الى وقال حسبك الله * وقال قلت يوما لعبيد الكلابى أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لا أحب اللؤم بشئ قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قلت أخزى الله من أطاعه قلت نبينا الله محمد واسمعيل كانا ابنى أمة قال لا يقول هذا

أقل من المنصوبات وقال بعض النحاة من أهل الكوفة ان الفاعل يقدم على فعله وضعا كما يقدم طبعا يقولون فى مثل زيد قام انه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدا والخبر وهو دليل لا بأس به والصحيح أن الفعل مقدم على الفاعل بمعنى ماذكروه لان الفعل هو أثر الرفع فى الفاعل والمؤثر مقدم على المتأثر طبعا فليقدم وضعا فاذا وقع فى الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل الى باب المبتدا والخبر واعرب مبتدا وقام فعل ماض وفاعله ضمير يرجع الى المبتدا والجملة خبر والا لزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أن لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره وأن يقال الزيدان قام والزيدون قام ولما قيل الزيدان قاما والزيدون قاموا علم أن ذلك مبتدا وأن الضمير هو الفاعل وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية (البرء) مجرور بالاضافة المقدرة باللام (فى علالى) جار ومجرور ومضاف ففى حرف جر وهى ظرفية متعلقة بيدب وعلالى مجرور بها والياء فى موضع جر بالاضافة (المنى) أترجى المسامة بمكان الحى من الجزع يحصل لى بسببها دبيب نسيم البرء فى علالى التى أكابدها من الاشواق وليس الترجى مما ينجى ولكنها طماعية النفوس وطباعها ومكابرتها فى الباطل ونزاعها ولله در القائل

لعل وما تغنى لعل وانها * علالة صب واستراحة هائم

وقال آخر

أتمنى تلك الليالى المنيرا * وجهد المحب أن يتمنى

وقال جمال الدين أبو الدر ياقوت الرومى

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى أن نتمناها

ومثله قول الآخر

أحبتنا لم يبق من طيب وصلكم * على البعد الا أننا نتمناه

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى

يا كاتم الشوق ان الدمع مبديه * حتى يعيد زمان الوصل مبديه
أصبو الى البان لما بان ساكنه * تعللا بليالى وصلنا فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(وحكى) الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدث بعدنا يا أبا نواس قال يا أمير المؤمنين ولوفى الخمر قال قاتلك الله ولوفى الخمر فانشده

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر يا أبا سعيد الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت وأى معنى سرق قال قوله فتمشت فى مفاصلهم فقلت وأى شئ قلت فقال قلت

الا قدرى قلت وما القدرى
قال لا أدرى الا انه رجل سوء
وقال أتانى بعض الثقلاء
فقال سمعت أن لك ألف
جواب مسكت فعلمنى منها
فقلت نعم فقال اذا قال لى
شخص يا زوج القحبة يا ثقيل
الروح أى شئ أقول له قلت
قل له صدقت وقال أنشدت
أبا شعيب الفلال شعر الابى
نواس فقال هذا شعر لو نثر
لطف فقلت ويلك ما تفارق
الجرار والخذف حيث كنت
واشترى خصيا أسود فقيل
له فى ذلك فقال أخذته اسود
لئلا يتهم بى وخصيا لئلا أتهم
به واجتمع فى البصرة بالجماز
فى مجلس فقال له الجماز كم
نار فى اللغة فقال نار الحرب
ونار الشجر ونار الجباحب
ونار المعدة والنار المعروفة
قال تركت أبلغ النيران قال
وما هى قال نار حر أمك التى
كلما ألقى فيها فوج سألهم
خزنتها فقال الجاحظ أما نار حر
أمى فقد قضيت ان لها حدا
فما الشأن فى نار حر أمك التى
يقال لها هل امتلأت فتقول
هل من مزيد وسأله شخص
اكتبا الى بعض أصحابه بالوصية
فكتب له رقعة وختمها فلما
خرج الرجل من عنده فضها
فاذا فيها كتابى اليك مع
من لا أعرف ولا أوجب حقه
فان قضيت حاجته لم أحمدك

غـراء فى فرعها الـيـل على قـر * على قضيب على دعص النقا الدهس
أذكى من المسك أنفاسا وبهجتها * أرق دينا جـــة من رقة النفس
كأن قلـبى وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجـــرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

فقلت وممن سرقت أنت هـذا المعنى قال لا أعـلم اننى أخذته من أحـد فقلت بلى أخـذته من عمرو بن أبى ربيعة حيث يقول

أما والراقصات بذات عرق * ورب الركن والبيت العتيق
وزمزم والطواف ومشعريها * ومشـــتاق يحنّ الى مشوق
لقـد دب الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العـروق

فقال وممن سرق عمر بن أبى ربيعة هذا المعنى (قلت) من بعض العذريين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها ومشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب
ودب هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى الملسوع سم العـقارب

فقال لى وممن أخذ هذا العذرى قلت لا أعلم قال من أسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمـراء صافية * وغروبها صـفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

انتهى ما حكاه الاصمعى (قلت) وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض الهذليين يصـف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى حيث يقول

فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الفحم

فان بعض الروايات عن أبى نواس على هذا النص وهى أصح الروايات لانها آخر ما استقرت عليه الحال وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن أبى ربيعة بلفظه فقال

أما وحمـرة كاس * من المـدام العتيق
وعقـد نحر بنحر * ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب منى * مجرى دمى فى عروقى

وأخذه أبو الطيب فقال

جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فاصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن هند

رب هم على الفؤاد جثوم * أزعجتـه عنى بنات الكروم
فتمشت فى قلبى المهموم * كتمشى الترياق فى المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بن محصن بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

وقد بت أسقاها سلافا مدامة * لها فى عظام الشاربين دبيب

وقال أبو الطيب فى وصف الخيل

من بنات الخيـل تمشى بنا فى الـبيد مشى الايام فى الآجال

وهو ماخوذ من قول مسلم بن الوليد

وان رددته لم أذمك فرجع اليـه الرجـل فقال الحاحظ كأنك فضضت الورقـة قال نـعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامـة لى اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليـك ولعنك فقـال ما هـذا قاله علامة لى اذا أردت أن أشكر شخصـا وقال نزلت عـلى صـديق لى فلم آكل عنده لحما فعرضت له فقـال انى لأكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخى انما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكى) أن أباطاهـر قال صرت الى الحاحظ ومعى جماعة وقد أسنّ واعتـل فى آخر عمره وهو فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره فقـرعنا الباب فـلم يفتح لنا وأشرف من المنظـرة فقال الا أنى قـد حوقلت وحملت رميح أبى سـعد وسـقت الغنم فما تصنعون بى سلموا سـلام الوداع فسـلمنا وانصرفنا قوله حوقلت أكثرت من قولى لا حول ولا قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رميح أبى سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعـل ذلك فقيـل

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كانه أجل يسعى الى أمل

وقال آخر

وفى الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو باعطاف كسلان الخطا ثمل
ظبى مشى الورد من لحظى بوجنته * مشى اللواحظ من عينيه فى أجلى

وقول الطغرائى يشبه قول أبى الطيب

وربيع يضاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالى
نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا فى ميت الآمال

وأما الاسترواح بأنفاس الديار وتلقى النسمات من أرض الحبيب فقد أكثر الشعراء فيه وطلبوا الحياة والشفاء بالقرب من أماكن المعشوق قال ابن الفارض

ياساكنى البطحاء هل من عودة * أحيا بها ياساكنى البطحاء
واذا أدى ألم الهجـــــتى * فشذا اعيشاب الحجاز دوائى

*(لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل)*

(اللغة) كرهت الشئ أكرهه كراهة وكراهية فهو كريه ومكروه ومعناه المشقة وعدم الملايمة (الطعنة) من طعنه بالرمح شكله وطعن فى السن يطعن بالضم طعنا وطعن فيه بالقول يطعن أيضا طعنا وطعنانا وذكرت هنا لى بيتين وهما

أفديه من أهيف بدت لى * من حسنه المنتقى غرائب
أسمر كالرمح فى اعتدال * لاطعن فى قده لعائب

(النجلاء) الطعنة الواسعة ومنه العيون النجل وسنان منجل واسع الطعنة ويقال نجله أى شقه لما طعنه ونجلت الاهاب اذا شققت عرقوبيه جميعا ثم سلخته (شفعت) الشفع فى اللغة الزوج والوتر الفرد تقول كان وترا فشفعته ومعناه هنا قد ثنيت (برشقة) الرشق الرمى وقد رشقته بالنبل أرشقه رشقا بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وما أحسن قول محيى الدين بن قرناص

أتى الحبيب مائسا * والردف قد أقلقه
يرشق ثم ينثنى * لله ما أرشقه

(نبال) جمع نبل وهى السهام العربية اسم جمع لا واحد له من لفظه وهى مؤنثة وجمعت على نبال والنبال صاحب (النبل) والوجه أن يقال نابل مثل لابن وتامر والنابل الذى يعمل النبال والفعل النبالة النجل بالتحريك سعة شق العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل (الاعراب *لا) حرف نفى (أكره) فعل مضارع من كره يكره وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره لا أكره أنا (الطعنة) مفعول به (النجلاء) صفة للطعنة فهى منصوبة (قد شفعت) تقدم الكلام على قد وشفع فعل ماض مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة التأنيث نائب الفاعل وهو ضمير مستتر فيه تقديره قد شفعت هى يرجع للطعنة والجملة فى موضع النصب على الحال تقديره لا أكره الطعنة النجلاء مشفوعة (برشقة) الباء حرف جر ويجوز أن تكون للمصاحبة وأن تكون للاستعانة (من نبال) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (الأعين) مضاف الى نبال والاضافة معنوية بمعنى اللام (النجل) مجرور على انه صفة للاعين تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) لا أكره الطعنة

العظيمة

لكل من شاخ أخذ ميح
أبى سعد وقوله سقت الغنم
هو عند العرب كناية عن
الهرم لان سائق الغنم
يطأ من رأسه * وكان سبب
علة الجاحظ أنه حضر مائدة
ابن أبى دواد وفى الطعام
سمك ولبن وكان ابن
بختيشوع الطبيب حاضرا
فنهاه عن الجمع بينهما فقال
الجاحظ ان السمك ان كان
مضادا اللبن فانى اذا أكلتهما
دفع كل منهما ضرر الآخر
وان كانا متساويين فكأنى
أكلت شيا واحدا فقال ابن
بختيشوع أنا لا أحسن
الكلام ولكن ان شئت
أن تجرب فكل فأكل
فاصابه فالج عظيم ونقرس
حتى دخل عليه بعض أصحابه
فقال له كيف حالك فقال
اصطلحت على الاعلال لو خرج
شقى الايمن ما حسست به
من الفالج ولو مرت على شقى
الايسر ذبابة أوجعتنى وأشد
ما أشكو التسعون (وحكى)
بعض أبناء البرامكة قال
تقلدت السند وحصل لى
ماشاء الله ثم صرفت عنها
وكنت قد اكتسبت بها
ثلاثين ألف دينار فصغتها
عشرة آلاف اهليلجة وجاء
الصارف فركبت البحر
وانحدرت الى البصرة فخبرت
أن الجاحظ بها وأنه عليل

العظيمة الواسعة التي تنالني وقد ثنيت برشقة من سهام العيون المتسعة لان الالم اذا جاء في أثناء اللذة لاعتباريه كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة فهو يقول أنا لا أكره مع ظفري برؤية هذه الفتيات الحسان وقوع الطعنات لان ذلك رخيص اذا تهيأ لي ومن هذا قولهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل وقول القائل

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن رام العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وقول أبي الطيب

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

وما زال المحبون يقتحمون الاخطار ويركبون الاهوال حتى ينال أحدهم لمحة أو اشارة سلام ويبذلون الجليل من نفوسهم في بلوغ القليل من المحبوب قال تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قال وهب اتخذت مائدة ودعت أربعين امرأة واعدت لهن أترجا وموزا وقال غيره أترجا وعسلا وكن يقطعن بالسكين ويأكلن الاترج بالعسل فلما رأينه أكبرنه قال ابن عباس أي حضن من الفرح أو من الدهش قال مجاهد ما أحسن الا بالدم وما وجدن لايديهن ألما قال وهب وبلغني أن نساء فتن به في ذلك المجلس وقلن حاش لله ما هذا بشرا قال محمد بن علي أردن ما هذا أهل لأن يدعى للمباشرة بل مثله ينزه عن الشهوة وقيل ان أهل مصر فتنوا به من النظر الى وجهه حتى كانوا اذا جاءوا اشتغلوا بالنظر اليه وقرئ ما هذا بشرى أي بكسر الباء والشين أي مملوك وأنكر الزجاج هذه القراءة لانها تخالف رسم المصحف لانه بالالف وأنكر تفسير أكبرنه بالحيض لانه عداه الى الضمير فهذا ما وقع في الخارج من أمر النسوة لما رأين يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن وما شعرن بالالم بعد غوص السكاكين في أكفهن لذة بالنظر اليه وشغلا عن جراحتهن بما وجدنه من اللذة ولم يتقدم لهن به شغل قلب ولا فكر ولا وسواس بل رأينه بغتة فكيف بمن هو مشتغل برؤية محبوبه وقد أعمل المطي اليه وقطع القفار ليلا ونهارا كما قال الآخر

وما صبابة مشتاق الى أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

ان لم أزر ربعكم سعيا على الحدق * فان ودي منسوب الى الملق
تبت يدي ان ثنتني عن زيارتكم * بيض الصفاح ولو سدت بها طرقي

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الفزاري

ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل * فواحيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا * لاسيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا مامت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل

بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الي خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فاذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدني شيأ فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما
مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه
فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث الي منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمي له وبعثت

فاستغفر الى وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
راش الفتور له سهما فأخطأه * حتى أتيح له سهم من الكحل
وللعيون اللواتى هن من أسد * الى القلوب سهام هن من ثعل
فالجرح منهن لذات بلا ألم * والطعن عند محبيهن كالقبل

وقال ابن الساعاتى

فاضح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا خاف سطا * نظرة لاذ بطرف من ثعل

وقال أبو دلف العجلى

كم فى بنى الروم من أعجوبة مثل * تبقى وفى العرب من ذى نجدة بطل
انا باسيافنا نعلوا أكابرهم * قهرا وتقتلنا الولدان بالمقل
اذا رجعنا باسرى من سراتهم * نالوا التراث بلحظ الاعين النجل

وقال أبو فراس يصف نساء الصبى

وخريدة كرمت على آبائها * وعلى بوادر خلقنا لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت * كرها وكان مذاقها للقسم
راحت وصاحبها برسن حاضر * يرضى الاله وأهلها فى مأتم

وقال ابن سناء الملك

فلم يبق الا من سبى الجيش منهم * وان كان يسبى الجيش بالحدق النجل

قال ابن جبارة أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبى الطيب

فلم يبق الا من حماها من الظبى * لمى شفتيها والثدى النواهد

قلت لو استحضر ابن جبارة أبيات أبى دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها اذ نسبة السرقة اليه أكمل لانها بالمعنى واللفظ وقد أولع الشعراء المتقدمون بالغزل فى العيون النجل قال أبو الطيب

مثلث عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء

وقد قال ابن وكيع قوله فتشابها كان يجب أن يقول فتشابهتا ولكن العين تأنيثها غير حقيقى ولو استعمل القياس على قوله لقال فكلاهما أنجل أو فتشابهتا فكلتاهما نجلاء وقد سلك أبو الطيب فى وصف جراح الممدوح مسلكا غريبا فقال

اذا ما ضربت القرن ثم أجزته * فكل ذهبا لى مرة منه بالكلم

وهذا معنى غريب لكنه غث الالفاظ والشاهد على الغزل فى العين النجلاء كثير وما أحسن قول سيف الدين بن المشد

ان أنكرت نجل العيون جراحتى * فدليل قتلى انها نجلاء

وهذا من قول أبى الطيب ولكنه أسلس فى تركيبه وقول الارجانى

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

وأما المتأخرون فانهم تغزلوا فى العيون الضيقة وهى عيون الاتراك وما ألطف قول القائل وقد أنشدنيه غير واحد لعلاء الدين الجوينى صاحب الديوان وليس له

له منه شيأ * ومن كلامه فى رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فما صان وجه الاحرار سواك ولا أخذ الملهوف مظلمته فى دهر الا بعدواك * وكتب الى قليب المغربى والله يا قليب لولا أن كبدى فى هواك مقروحه وروحى بك مجروحه لساجلتك هذه القطيعة ومادتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبرى من جفائك فيردك الى مودتى وأنف القلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبى داود يستعطفه ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة

أبادية الاعراب عنى فاننى * بحاضرة الاتراك نيطت علائقى
وأهلك يا نجلا العيون فانني * فتنت بهذا الناظر المتضايق

أقول نعم فان فى الخمر معنى ليس فى العنب وما أحق المتاخرين بقول القائل كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال أيضا

بى ضيق العين وان أطنبوا * فى الحدق النجل وان أوسعوا

وقال أيضا

من بنى الترك لين العطف قاسى القلب سهل القياد صعب المراس
ضيق العين وهو من صفة البخل فان جاد كان ضد القياس

ومن قول ابن النبيه الاول أخذ محيي الدين بن قرناص فقال

علقته تتريا * يشجى القلوب بلينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال شهاب الدين الشاغورى

تناسى صحبتى وذمام عهدى * وعند الترك ما يرعى الذمام
بضيق جفونه وسعت عذرى * فزال العزل عنى والملام

وما أحسن قول الارجانى

ياغلاما أضحى دليل وجود الـ * ـخصر منه وجود عقد القباء
كلما شد طعنة فى فؤادى * قال خذها نجلاء من حوصاء

وقال محمد بن أحمد الافريقى المتيم

قد أكثر الناس فى الصفات وقد * قالوا وزادوا فى الاعين النجل
وعين مولاى مثل موعده * ضيقة عن موارد الكحل

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وخاطر عنت الاشواق يعجبه * جاذر الترك لا زى الاعاريب
من كل أغيد ضاقت عينه فتنى * يجود لى من تلافيه بمطلوب

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضا

بهت العذول وقد رأى ألحاظها * تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذى مضائق لست أدخل فيها

ونقل هذا المعنى الى غيره القاضى علم الدين سليمان بن ابراهيم متولى دمشق وأنشد فيه من لفظه

قالوا تخل عن النساء ومل الى * حب الشباب فذا بلطفك أجمل
فاجبتهم شاورت ايرى قال لا * هذى مضائق لست فيها أدخل

(رجع) وأنشدنى اجازة لنفسه المولى صفى الدين بن عبد العزيز الحلى ومن خطه نقلت

لم تترك الاتراك بعد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يعشق

ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر فى الآخرة وطيب الذكر فى الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تتكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفاء ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح * ومن كلامه فى المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى فى الظلم ومن

جذبوا القسى الى قسى حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نشروا الشعور فكل قد منهم * لدن عليه من الذؤابة صنجق
لى منهم رشاء اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

مفزع للقلوب ينهبها * فهو لعمرى البطال والبطل
من فتية خالفوا المقول فكم * ضاقت عيون لهم وما بخلوا

وقلت أنا

اترك هوى الاتراك ان شئت أن * لا تبتلى فيهم بهم وضير
ولا ترج الجود من وصلهم * ما ضاقت الا عين منهم لخير

وقلت أيضا

أحببت من ترك الخطا ذا قامة * فضحت غصون البان لما أن خطا
اياكم وجفونه فأنا الذى * سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت أيضا

ياقلب لا تقدم على * سحر العيون اذا سطا
ومن العجائب أنه * أضحى يصح مع الخطا

وقلت أيضا

غزال من الاتراك ما ضاق لحظه * لحظى الا كى تضيق مذاهبى
كان الحشا طير وكاسر جفنه * تصيده من هدبه بمخالب

وقلت أيضا

ياشادنا أبدا أرى نفسى له * دون البرية لا تفارق شيقه
والله ما اتسعت هموم فى الدجى * حتى بليت بمقلتيك الضيقه

*(ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل)*

(اللغة) أهاب أخاف تهيبت الشئ وتهيبنى أى تخوفنى وتخوفته والهيبة والمهابة الاجلال والخوف الصفاح جمع صفيحة وهى السيف العريض لانها صفحت تسعدنى الاسعاد الاعانة باللمح لمحه وألمحه لمحا اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة خلل الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال وقرئ فترى الودق يخرج من خلاله وخلله الاستار جمع ستر والسترة ما يستتر به كائنا ما كان وكذا الستارة الكلل جمع كلة وهى الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق (الاعراب ولا) الواو عاطفة لا حرف نفى (أهاب) فعل مضارع تقول هابه يهابه والامر هب الاصل هاب سقطت الالف لاجتماع الساكنين واذا أخبرت عن نفسك قلت هبت وأصله هيبت فلما سكنت الياء سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت كسرتها الى ما قبلها وذكرت بالجمع بين ساكنين قول محمد بن شرف القيروانى فى رجل عجز عن اقتضاض عرسه

كم ذكر فى الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين

لم يفرق بين الاسافل والاعالى والادانى والاقاصى فقد قصر والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدى الى سرف الهوى فاظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول فحاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وأنت روح كما أنت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا أن التاثر فى الرقاق أسرع وضده فى الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك اشتد جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر فى علته وفى سبب اخراجه الى معدنه الذى منه نجم وعشه الذى منه درج والى جهة صاحبه فى التسرع والثبات والى حلمه عند التعرض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الفيض فى المقادير أو من طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به فى حقه مؤخر عن رتبته أو كان مبلغا عنه مكذوبا عليه أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا

أرى الليالى أتت بالحين * لجمعها بين ساكنين

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

بكيت وما يجدى البكاء عن الفانى * وألف تشتيت الاحبة أشجانى

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين باوطانى

وقول الآخر

زمانى ساكن وسكنت قالوا * تحرك لالتقاء الساكنين

فقلت هنالك التحريك كسر * وقبل كسرت أكسر مرتين

وقول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى

لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

قلت هذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين فيه وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له ويقارب هذا الاشكال ما دار بينى وبين المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة فى الجامع الاموى بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فانه أنشدنى قول ابن الرومى فيما أظن

ومن العجائب أن عضوا واحدا * هو منك سهم وهو منى مقتل

فقلت له هذا ليس بعجيب اذا تركنا ظاهره اللهم الا ان فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز فقال لاى شئ قلت لان عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا أما انهما من جنس واحد فسلم وهذا مثل قولك يا عجبا من انسان يقتل انسانا أو من فرس يعلو فرسا وليس هذا من العجيب فى شئ وأما اذا كان على ما تبادر الى ذهنك من أن العضو الواحد هو سهم ومقتل معا فى حالة واحدة فنعم وليس كذلك بل عين العاشق غير عين المعشوق بدليل اضافة كل منهما الى شخص معين على حدته فأخذ فى التصميم على ذلك فقلت له سلمت لك أن العضو الواحد منهما هو سهم ومقتل معا من أين لك أن العين مقتل وانما المقتل القلب على عادة الشعراء المألوفة فى ذلك قال الارجانى

أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال الآخر

عوقب قلبى وجفنى ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقال أبو الطيب

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

فانظر الى أبى الطيب كيف ادعى أن العين هى السبب فى اجتلاب المنية فالذنب عند الشعراء كلهم للعين لكونها سببا بنظرها الى هلاك الفؤاد والدواوين ملأى بهذا المعنى وهو أشهر من أن يزاد له بينة من الشواهد عليه فقال أليس أنها السبب فى القتل قلت له قد تقدم انه لابد من تأويل فى البيت وتقدير المجاز فيه كأنه قال ومن العجائب أن عضوا واحدا هو منك سهم وهو منى سبب مقتلى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو كثير انتهى والمليح فى

ينظر فيها حليم ولست اسميه
بكثرة معروفه كريما حتى
يكون عقله غامرا لعلمه
وعلمه غالبا على طباعه كما
لا اسميه بكف العقاب
حكيما حتى يكون عارفا
بمقدار ما أخذ وترك ومتى
وجدت الذنب بعد ذلك
لا سبب له الا البغض المحض
والنفار الغالب فلو لم ترض
اصاحبه بعقاب دون قعر
جهنم لعذرك كثير من
العقلاء وصوب رأيك عالم
من الاشراف والاناة أقرب
من الحمد وأبعد من الذم
وأنأى من خوف العجلة وقد
قال الاول عليك بالاناة فانك
على ايقاع ما تتوقعه أقدر
منك على رد ما قد أوقعته
وليس يصارع الغضب أيام
شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه
قبل انتهائه الا قهره وانما
يحتال له قبل هيجه فمتى
تمكن واستفحل وأذكى ناره
وأشعل ثم لاقى من صاحبه
قدرة ومن أعوانه سمعا
وطاعة فلو استبطنته بالتوراة
وأوجرته بالانجيل ولددته
بالزبور وأفرغت على رأسه
القرآن افراغا وأتيته بآدم
شفيعا لما قصر دون أقصى
قوته ولن يسكن غضب
العبد الا ذكره غضب الرب
فلا تقف حفظك الله بعد
مضيك فى عتابى التماسا

هذا المعنى قول ابن سهل المغربى فى أول موشحه

بالحظات للفتن * فى كرها أوفى نصيب
ترمى وكلى مقتل * وكلها سهم مصيب

وقول ابن سناء الملك

مالحظها سهم وقلبى مقتل * بل كلها سهم وكلى مقتل

وسألت الشيخ الامام العلامة تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وثمانية عشر أو سنة سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى وأخر متشابهات فقلت المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الوصف فقال كذا هو فقلت ما مفرد متشابهات فقال متشابهة فقلت كيف تكون الآية الواحدة فى نفسها متشابهة وانما يقع التشابه بين الاثنين وكذا قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بى من الجواب الى الشكر وقال هذا ذهن جيد ولو لازمتنى سنة انتفعت وسألته فى ذلك المجلس قبل هذا السؤال مسئلة فى الواجب والممكن وذكرت له اشكالا كان على ذهنى فى تعريفهما عند المتكلمين فازاله وقرر ما قالوه وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله فتعالى الله عما يشركون فاجاب بما قاله المفسرون فى الجواب وهو وآدم وحواء وان حواء لما أثقلت بالحمل أتاها ابليس فى صورة رجل وقال أخاف من هذا الذى فى بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل فى هم حتى أتاها ثانيا وقال سألت الله أن يجعله بشرا سويا وان كان كذلك فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقلت له هذا فاسد من وجوه الاول انه تعالى قال فى الآية الثانية فتعالى الله عما يشركون فهذا يدل على أن القصة فى حق جماعة الثانى انه ليس لابليس فى الكلام ذكر الثالث أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها فلا بد وانه كان يعلم أن الحرث اسم لابليس الرابع أنه تعالى قال أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون وهذا يدل على أن المراد به الاصنام لأن مالا يعقل ولو كان ابليس لقال من التى هى لمن يعقل فقال الشيخ تقى الدين قد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بهذا قصى لانه سمى أولاده الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى يشركون له ولاعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الاسماء وأمثالها قلت وهذا أيضا فاسد لانه تعالى قال خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وليس كذلك الا آدم لان الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية فما رأيت التطويل معه وأما الجواب عن متشابهات فهو أن العرب نطقت بهذه الصيغة أشياء ولم ترد بها المفاعلة كقولهم طابقت النعل وعاقبت اللص وخاترت الحب وان قلت ان الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب ان التشابه لا يكون الا بين اثنين فما فوقهما واذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فلما لم يصح التشابه الا فى حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لان كل واحد من مفرداته يشابه الآخر وعلى ذكر خلق حواء من ضلع آدم قد نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته وعن شريح انه تقدمت اليه امرأة فقالت أيها

القاضى

للعفو عنى ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بى ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرام أعداء يعمك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل ولعقلك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك ويرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسى فى مكاتباتى وكنت عند نفسى فى عداد الموتى وفى حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم فى معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أنى قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو ثقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب

القاضي انى جئتك مخاصمة فقال أين خصمك قالت أنت فأخلى لها المجلس وقال تكلمى فقالت أية امرأة لها احليل وفرج فقال قد كان فى هذا الامير المؤمنين قصة وورث من حيث جاء البول وكان شريح قاضى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالت انه يجئ منهما جميعا فقال لها من أين يسبق البول فقالت ليس شئ منهما يسبق به بل يخرجانه فى وقت ويقطعانه فى وقت فقال انك لتخبرينى بعجيب فقالت أقول أعجب من ذلك تزوجنى ابن عم لى وأخذ منى خادما فوطئتها فأولدتها وانى جئتك لما أولدتها فقام شريح من مجلس القضاء ودخل على على رضى الله عنه وأخبره بما قالت المرأة فأمر بها على فادخلت فسألها عما قال القاضى فقالت يا أمير المؤمنين هو الذى قال فأحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا أمير المؤمنين قال أفعلمت ما كان قال نعم أخذ منها خادما فوطئتها فاولدتها ووطئتها بعد ذلك قال له على لانت أجسر من الاسد جيئونى بدينار الخادم وكان معدلا وامرأتين فقال خذوا هذه المرأة وأدخلوها الى بيت فردوها من ثيابها والبسوها ثيابا وعدوا اضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم خرجوا اليه فقالوا يا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد أضلاع الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعا الحجام وأخذ شعرها وأعطاها حذاء وردائه والحقها بالرجال فقال الرجل يا أمير المؤمنين امرأتى وابنة عمى ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية فقال له على انى ورثتها من أبى آدم ان حوّاء أمنا خلقت من آدم فاضلاع الرجال أقل من اضلاع النساء وعدد أضلاعها أضلاع رجل فاخرجوا انتهى (قلت) قال الامام فخر الدين فى مفاتح الغيب الذى يقول ان عدد أضلاع الجانب الايسر من الذكر أنقص من أضلاع الجانب الايمن منه بواحدة مشى على خلاف الحس والتشريح بقى أن يقال اذا لم نقل بذلك فما المراد من كلمة من فى قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا أن الاشارة الى الشئ تارة تكون بحسب شخصه وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام فى يوم عاشوراء هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص وقال تعالى فى قصة آدم عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة والمراد النوع لا الشخص فكذا هنا قوله تعالى وخلق منها زوجها أى من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى جعل زوج آدم عليه السلام انسانا مثله انتهى (قلت) قد ورد التفسير بذلك عن ابن عباس وهو حبر الامة الذى دعا له النبى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان يسمى البحر لعلومه والذى قاله الامام متوجه فما بقى الا أن يقال ان ذلك كان خاصا بآدم عليه السلام ولم يطرد ذلك فى الذرية وأيضا فلفظ ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن فيه تصريح بان ذلك مطرد فى جميع الرجال من ذريته وانما قال وخلق منها زوجها وهى حوا خلقها الله سبحانه وتعالى من ضلع آدم من غير أذى فليس فى هذا دلالة على انه كان عليه السلام ناقصا بل قال من ضلعه فلعل ذلك من جزء يسير منه لان من للتبعيض ولهذا قال من غير أذى ولكن هذا قد استفاض وانتشر والتحقيق ما ذكرته فى ذلك من التاويل والله أعلم بالصواب (رجع الصفاخ) مفعول به لاهاب والالف واللام هنا للجنس (البيض) منصوب على الصفة للصفاح (تسعدنى) فعل مضارع من أسعد وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع

فى تدبيره وظن أن رحمته
فوق رحمة الله جل ثناؤه
والناس لا يصلحون الا على
الثواب والعقاب وقال من
رسالة من العدل المحض أن
تحط عن الحاسد نصف عقابه
لان ألم حسده لك قد كفاك
شر مؤنة غيظه عليك وقال
لما مسخ الانسان قردا أنزل
فيه مشابه من الانسان ولما
مسخ زمانا لم ينزل فيه مشابه
من الازمان * ومن شعره
يقول
يطيب العيش ان تلقى حكيما
غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل
جهل
وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب
ومنه
ان حال لون الرأس عن حاله
فى خضاب المرء مستمع
هب أن من شاب له حيلة
فما الذى تجنى له الاضلع
ومنه
وكم كان من أصدقاء له
وأعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤس الردى
فمات الصديق ومات العدو
وله من أبيات يمتدح بها
بدى حين أثرى باخوانه
يقلل عندهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان
فبادر قبل انتقال النعم

فقد خصه الله بالمكرمات

فمازج منه الحيا بالكرم

وعما أوردناه الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بنى هلال

قد عجلت الى بالسؤال

مالى أراك فانى السبال

كأنما كرعت فى جريال

تنح عن فكرى وعن خيالى

(ومالك بن أنس مستفتيك)

(هو مالك بن أنس بن مالك ابن أبى عامر التميمى) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام فى بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعنى نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجلس وهو أول من صنف فى الفقه كتابا فوقع الموطأ كذا قال العسكرى فى الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فمن رفع صوته

نصب والفاعل ضمير مستتر يرجع الى الصفاح (باللمع) الباء هنا للاستعانة وهى متعلقة بتسعدنى (من خلل) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية (الاستار) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الذهنى أى أستار تلك الفتيات الحسان اللاتى تقدم ذكرهن (والكلل) الواو عاطفة والكلل مجرور بالعطف على الاستار وجملة تسعدنى وما بعدها فى موضع الحال كأنه قال ولا أهاب الصفاح البيض فى حال اسعادها اياى باللمع من خلل الاستار فوضعها النصب (المعنى) هذا البيت كالبيت الذى تقدم ومعناه انى لا أخاف السيوف البيض اذا كانت تساعدنى بالتماحها من خلل الاستار وما أرق قول ابن ميادة

فنظرن من خلل الحجال بأعين * مرضى يخالطها السقام صحاح

وأرشن حين أردن أن يرمينى * نبلا بلا ريش ولا بقداح

وقول الارجانى

وفى الحى كل كليل اللحاظ * يطالعنا من خصاص الكلل

يذيب الفؤاد بتعذيبه * وأيسر أمر الهوى ما قتل

هذا قول أبى الطيب بعينه أحيى وأيسر مالاقيت ما قتلا وبعضهم رواه أحيى وأيسر بضم همزة أحيى كأنه يستفهم عن حياته وأيسر ما قاساه الذى قتل والذى فتح الهمزة أراد أفعل التفضيل معناه أفضل حياة وأقرب شئ قاسيته الذى قتل وفى بيت الطغرائى من البديع الاستخدام وهو أن يكون للكلمة معنيان فيؤتى بعدها بكلمتين أو يكتنفانها فيستخدم فى كل واحدة منهما معنى من ذينك المعنيين ومثل أرباب البديع فى هذا يقول أبى الطيب

برغم شجيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه * عدولك قيسى وأنت يمانى

فيمانى له معنيان أحدهما السيف والآخر ضد قيس ولم تزل العداوة بين قيس وأهل اليمن ويقول الآخر

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

وبأشياء أخر غير هذا قال الشيخ بدر الدين بن النحوى فى أسفار الصباح له والتمثيل بجميع ذلك غلط لانه من باب التورية لا من باب الاستخدام اما ما وقع به الكلمتان فكقول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فاستخدم فى قوله والساكنيه أحد مفهوميه وفى قوله شبوه مفهوميه الآخر لان الاول أراد به المكان والثانى أراد به الحطب وأما ما اكتنفه كلمتان فهو كقول الآخر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذ السماء تستعمل للمطر والنبات فاستخدم فى قوله نزل المطر واستخدم فى قوله رعيناه النبات وهذا وان كان حقيقة ومجازا لانه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك ومن هذا قول الطغرائى لانه ذكر الصفاح وهى هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازا وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك فقال ولا أهاب الصفاح البيض فهو الى هنا فى الحقيقة اللغوية والسامع يظنه

فى ذكرها ثم ترك المفهوم الاول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال تسعدنى بالملح من خلل الاستار والكلل فاستعمل الصفاح فى العيون وهى الحقيقة العرفية وهذا فى غاية الغزل لانه يقول أنا لا أهاب السيوف ووقعها اذا كانت تسعدنى على جراحى بالملح من فروج الاستار أى ما السيوف غيرها وما أحسن قول ابن التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاكلة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وان كان أخذه من أبى الطيب فى قوله

ولذا اسم أغطية العيون جفونها * من أنها عمل السيوف عوامل

فانه تناوله خبث حديد واعاده قلادة جيد ولم يكف أبا الطيب بشاعة اللفظ فى قوله أغطية العيون حتى هجنه بتقديم ترتيبه وتأخيره والتقدير من انها عوامل عمل السيوف وأبلغ ما سمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردى وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين فاستخدم هو أربعة فقال

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
نصبت لها شباكا من * نضار ثم صدناها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فأكحلها * بطلعتها ومجراها

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذلت الذهب فاكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطأ لهذه المعانى فى الابيات المتقدمة وأتى بالبيت الرابع فتنزل جملة على ما تفصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما أعرف لغيره هذه العدة فى هذا الوزن القصير وأنشدت لرشيد الدين الفارقى

ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لى من غضه سهـ * ـما ففى قلبى منه

وهذا أيضا فيه أربعة ولكن تعود الى شيئين لان قوله من غضه فيه معنيان أحدهما غض الطرف وهو كسره الى أسفل والثانى من الغضاضة وهى الطراوة فالاول للعين والثانى للنرجس وقوله سهما فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى تمناه والثانى الذى يرشق به من النبل وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه وهذا وان كان بديعا الا انه أربعة لاثنين والاول أربعة لواحد وهو لفظة العين فكان أكمل وقد وضعت كتيبا وسميته بفض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده وأما قول الطغرائى فى هذا البيت واخراجه الحماسة فى صورة الغزل فهو من قول أبى الطيب اذ ليس لاحد معه فى هذا الباب دخول لانه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل ألا ترى قوله

تعود أن لا تقضم الحب خيله * اذا الهام لم ترفع جيوب العلائق
ولا ترد الغدران الا وماؤها * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وأخذه ابن عنين فقال

عند حديثه فكأنما رفعه
عند صوته وقال زيد بن
داود رأيت فى المنام كأن القبر
انفرج واذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاعد والناس
مصفوفون فصاح صائح أين
مالك بن أنس فجاء مالك
حتى انتهى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعطاه
شيأ فقال فرقه على الناس
فاذا هو مسك وقال الشافعى
رحمه الله تعالى قال لى محمد
ابن الحسن أيهما أعلم صاحبنا
أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة
ومالكا رضى الله تعالى عنهما
فقلت على الانصاف قال نعم
فقلت ناشدتك الله من أعلم
بالقرآن قال اللهم صاحبكم
قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم
صاحبكم قلت فمن أعلم
بأقاويل الصحابة قال اللهم
صاحبكم قلت فلم يبق الا
القياس والقياس لا يكون
الا على هذه الاشياء فعلى أى
شئ تقيس وقال وهب سمعت
منادا ينادى ألا لا يفتى الناس
الا مالك بن أنس وابن أبى
ذؤيب وقال محمد بن جعفر
لما دعى مالك وأشار وقيل
منه حسده الناس وبغوه بكل
شئ فلما ولى جعفر بن سليمان
سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى
ايمان بيعتكم هذه بشئ
وهو يأخذ بحديث رواه
الاحنف فى طلاق المكره أنه

وتعاف خيلهم الورود بمنهل * مالم يكن بدم الوقائع احمرا

وقول أبي الطيب

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا * فى الخط واللفظ والهيجاء فرسانا
كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت * على رماحهم فى الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمأ * وينشقون من الخطى ريحانا

وقوله أيضا

انك من معشر اذا وهبوا * مادون أعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم فى مضاءما امتشقوا * قاماتهم فى تمام ما اعتقلوا

وقوله أيضا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له فى قتله أربا

وقوله أيضا

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صنعت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤاد

وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أما كن منها قول منصور النميرى

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أونعاس الهاجع

ومنها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما أناخ بجفن العين يغفيها
بلهذم من هموم النفس صيغته * فليس ينفك يجرى فى مجاريها

ومنها قول ابن المعتز

أين الرماح التى غذيتها مهجا * مذمت ماوردت قلبا ولا كبدا

ومنها قول الآخر

كأن سنان زابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب

ومنها قول أبي تمام

كأنه كان ترب الحب مذ زمن * فليس يعجزه قلب ولا كبد

وهذا جملة ماوعدوه فى ذلك (قلت) وليس فى جميعه مايقال له طيب غير قول أبي الطيب

* وأين فضل الطل من الوابل الصيب * وقد أخذه بعد ذلك الشريف الرضى فقال

كأن سيفك ضيف الشيب ليس له * اذا أتى عن ورود الرأس منصرف

والارجانى فقال

كان سيوف الهند فيها كواكب * مع الصبح فى هام الكماة تغود

وهذا أيضا من قول ابن المعتز

متردیا نصلا اذا * لاقى المنية لم يراقب
فكأنه فى الحرب شمس * والرؤس له مغارب

وقال ابن الساعاتى

أمن الهجر سيفه فهولاين * فلك مذكان قاطعا بتارا

لايجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله مازال مالك بعد ذلك فى رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كأنما كانت تلك السياط التى ضرب بها حليا حلى به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموى الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد فى سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وجمع أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفى رضى الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن اخباره ماحكى الشافعى رضى الله عنه قال رأيت على باب مالك رضى الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فلما رأيت مثله فقلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية منى اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ماتركبه فقال أنا أستحيى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

أم من الحب رمحه فهو لا يأ * لف الا القلوب والافكارا

وقال أيضا

من معشر يجل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كان زرق رماحهم * سر يحل سواد قلب العسكر

والاول من الاول والثانى من الثانى بديعان خصوصا قوله قلب العسكر وقال ابن عبدون

كأن عداه فى الهيجا ذنوب * وصار مه دعاء مستجاب

وقال القاضى الفاضل

يبش من هون لاقدارهم * والسيف فى الروع يرى هشا
كأنما أسيافه فى الوغى * طير ترى الهام لها عشا

ولم أر لاحد من الشعراء غزلا فى وعظ مثل قول أبى الطيب

زودينا من حسن وجهك مادا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنـ * ـيا فان المقام فيها قليل

وأخذه ابن سناء الملك فقال

صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

(رجع) الى ذكر الحماسة فى صورة الغزل قال البحترى

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقال أبو تمام

يستعذبون منايا هم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقال ابن قلاقس

تخاله واهتزاز الرمح فى يده * ليثا يلاعب يمناه بثعبان
هل الرماح غصون بات يغرسها * من الصدور طعانا فوق كثبان

وقال ابن الساعاتى فى فتح القدس يمدح صلاح الدين بن أيوب من أبيات

فقد أصبحت تجلى العيون بأرضها * مخافة هند الظبى تنكر السقما
وأصبح ذاك الثغر جذلان باسما * وألسنة الاغماد توسعه لثما
وكانت سيوف الهند سرا غمودها * فهاهى سر لا تطيق له كتما
ينم على فتكاته زهر القنا * كذاك حديث الزهر يحلو اذا نما
ويخلو مع الخطى من كلف به * ويحسبه قدا فيوسعه ضما

وهذا مأخوذ من قول عنترة

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن قول أبى الحسن بن القبطرية البطليوسى

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبى كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقدمان نحوى فعانقتها

وقال ابن الساعاتى

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف * والسيف فى وجناته توريد

وسلم بحافر دابته * ووجه الرشيد الى مالك رضى الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يأتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فاتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا العلم فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكى أن أبا يوسف القاضى حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جلة كلام الانسان تارة يخطى وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبى يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية (وحكى) ابن حمدون فى تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى فى شعر ذى يزن وأقول

مابال قومك يا رباب
حذرا كأنهم غضاب
فاذا كوة قد فتحت واذا
وجه قد بدا منها تتبعه لحية

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

وقال أبو بحر صفوان المرسى

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا * لان خرصانها من فوقها مقل

وقال أبو عبد الله بن عثمان الحداد الاندلسى

انى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

وقال المعتمد بن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سماء من العنبر

وقال أبو بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وجمع معنى هذين المقطوعين المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر فيما أنشدنى من لفظه بحلب سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة

ما لاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر
الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

ومن قول الرصافى قول ابن سناء الملك

وقام من الدرع فى منهل * ويمناه بالسيف فى جدول

وقال ابن خفاجة

يعللنى منه بموعد رشفه * خيال له يغرى بطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة مران

وقال آخر

كثير نجوم البيض ليل قتامه * طويل وجفن السيف فيه مسهد
وأضحوا وكل بات من سكرة الردى * يقبل خد الارض وهو مورد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

ونحن معاشر نأبى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا
نعانق من رماح الخط بانا * ونشتق من سيوف الهند وردا

وقلت أنا

وسيوف اذا مضت فى جراح * قلت هذا بنفسج فى شقيق
ينشد الجسم روحه من ظباها * ودماه بين النقا والعقيق

*(ولا أخل بغزلان أغازلها * ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل)*

(اللغة) أخل يقال أخل الرجل بمركزه اذا تركه واختل الى الشئ احتاج اليه الغزلان جمع غزال ويجمع على غزلة مثل غلمان وغلمة ويقال للشادن غزال حين يتحرك وقد أغزلت

جرا فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بى الى ما ترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه

*ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وأنك الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر برهه يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى

الظبية أغازلها أحادثها مغازلة ومغازلة النساء محادثتهن وقد تقدم فى قوله حلو الفكاهة دهتنى دهته الداهية أصابته ودواهى الدهر مايصيب الناس من عظيم نوبه أسود تقدم الكلام عليها فى قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة الغيل الاجمة وهو موضع الاسد والغيل مثل خيس لايدخلها الهاء والجمع غيول وقال الاصمعى الغيل الشجر الملتف يقال منه تغيل الشجر بالغيل الغوائل الدواهى وفلان قليل الغائلة أى الشر (الاعراب ولا) الواو حرف عطف لا حرف نفى (أخل) فعل مضارع مرفوع خلا من ناصب وجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره ولا أخل أنا (بغزلان) جار ومجرور والباء هنا للتعدية (أغازلها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم والهاء والالف ضمير الغزلان وهو فى موضع نصب بالمفعولية والجملة فى موضع جر صفة لغزلان تقديره مغازلة لى (ولو) قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رحمه الله لو فى الكلام على ضربين مصدرية وشرطية أما المصدرية فهى التى يحسن فى موضعها أن وأكثر ما تقع بعد ود أو ما فى معناها كقوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وأما الشرطية فهى للتعليق فى الماضى كما أن ان فى المستقبل ومن ضرورة كون التعليق فى الماضى أن يكون شرطها منفى الوقوع لانه لو كان ثابتا لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق فى البين بل ايجاب لايجاب لكن لو للتعليق لا للايجاب فلابد من كون شرطها منفيا وأما جوابها فان كان مساويا للشرط فى العموم كما فى قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فلابد من انتفائه أيضا وان كان أعم من الشرط كما فى قولك لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجودا فلابد من انتفاء القدر المساوى منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون لو حرف يمتنع به الشئ لامتناع غيره أى يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع الجواب مطلقا لتخلفه فى نحو لو ترك العبد سؤال ربه لاعطاه وانما يريدون أنها تدل على انتفاء المساوى من جوابها للشرط والاولى أن يقال لو حرف شرط يقتضى نفى مايلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على انها تقتضى لزوم شئ لشئ وكون الملزوم منفيا ولا يتعرض لنفى اللازم مطلقا ولا لثبوته لانه غير لازم من معناها انتهى * (مسئلة) * قوله تعالى ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال الشيخ شهاب الدين أحمد ابن ادريس القرافى قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين وعلى نفى وثبوت فالنفى ثبوت والثبوت نفى تقول لو جاءنى لاكرمته فهما ثبوتان فما جاءك ولا أكرمته ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل واذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك لان لو دخلت على ثبوت أولا ونفى آخرا فيكون الاول نفيا وهو كذلك فان الشجرة ليست أقلاما ويلزم أن يكون النفى الاخير ثبوتا فتكون نفدت وليس كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اذ يقتضى أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنبا لكن الحديث سبق فى المدح وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيرا أما الآية فقليل من يتقطن لها وقد ذكروا فى الحديث وجوها وأما الآية فلم أر لاحد فيها شيأ ويمكن تخريجها على ماقالوه فى الحديث غير انه ظهر لى جواب عن الحديث والآية جميعا وسأذكره بعد وقال ابن عصفور لو فى الحديث بمعنى ان لمطلق

الصدق أبد الاحالة ودلالة تقتضى الكذب أبدا ودلالة الى الصدق أقرب ودلالة الى الكذب أقرب ودلالة هى اليهما سواء وقال بعض الحكماء مبادى البرهان خمس الاوليات والمشاهدات والمتواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقينا وينقسم الى برهان انى وبرهان لمى وأمثلته معروفة وقد ذكرت ان أول من حرر كتب المنطق ارسطاليس وقد تقدم ذكره (والقوانين) واحدها قانون وهو لفظ رومى ومعناه عند المنطقيين صورة كلية تتعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها

* (وحد الماهية وبين الكيفية والكمية) *

ماهية الشئ تصوره فى الفكر ومعرفة ماهو وأوجز حدوده فى المنطق قولهم ماهية الشئ مايحصل فى الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف المشخصات عنه ان كان جزئيا وهى أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ماو علم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهى والذى يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعى والذى

يطلب منه كميات الاشياء هو
الرياضي والكمية والكيفية
النسبة الى كم وكيف
وكم عبارة عن العدد ومن
النحاة من يجعله اسما ناقصا
مبنيا على السكون والنسبة
اليه الكمية بالتخفيف ومنهم
من يجعله اسما تاما فشدد
آخره وصرفه فقال أكثرت
من الكم والنسبة اليه
الكمية بالتشديد وهو عند
المنطقيين قسم من أقسام
العرض وهو نوعان منفصل
ومتصل فان لم يكن بين أجزائه
حد مشترك فهو الكم المتصل
وان كان بين أجزائه حد
مشترك فهو الكم المنفصل
وهو ان كان قار الذات فهو
المقدار وان لم يكن قار الذات
فهو الزمان وكيف اسم مبهم
غير متمكن وانما حرك آخره
لالتقاء الساكنين وبني على
الفتح دون الكسر لمكان
الياء قال الراغب يسأل به
عما يصح أن يقال شبته وغير
شبته كالاسود والابيض
والصحيح والسقيم ولهذا
لا يصح أن يقال في الله عز
وجل كيف وقال بعض
الحكماء هو كل هيئة قارة في
جسم لا تقتضي قسمة ولا
نسبة فقولنا قارة يخرج
الزمان وقسمة يخرج الكم
ونسبة تخرج المقولات في
العرض والله تعالى بكل شئ

الربط وأن لا يكون نفيها ثبوتا ولا ثبوتها نفيا فيندفع الاشكال وقال الشيخ شمس الدين الخسر
وشاهي ان لو في أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفيا وبالعكس
والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة وقال الشيخ ابن عبد السلام الشئ الواحد قد يكون له
سبب واحد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لان السبب
الثاني يخلف الاول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا لورث أي بالتعصيب فانهما
سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر وكذلك ههنا اذ الناس في الغالب انما لم يعصوا
لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن
صهيبا رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن
وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ويدل على ذلك قوله لم
يعصه وهذه الاجوبة تتأتى في الآية غير الثالث فان عدم نفود كلمات الله تعالى وانها غير
متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلل بالاسباب فتأمل ذلك هذا كلام الفضلاء
الذي اتصل بي والذي ظهر لي أن لو اصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم ثم انها
أيضا تستعمل لقطع الرابط فتكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع فيه ربط فتقطعه أنت
لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجا لم يرث فتقول أنت لو لم يكن
زوجا لم يحرم تريد أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فقصودك
قطع ربط كلامه لا ربط كلامه وتقول لو لم يكن زيد عالما لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام
فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لان ذلك غير
مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك الا على عدم الربط فكذلك الحديث لما
كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى وان ذلك في الاوهام قطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه وكذلك لما كان
الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها اذا صارت أقلاما والبحر المحبر مع غيره يكتب به الجميع
والوهم يقول ما يكتب بهذا شئ الا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط وقال ما نفدت
الخ وهذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين
وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس
مخالفا لعرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره في تلك الموارد ونعم هذا
الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب
رضي الله عنه انتهى كلام شهاب الدين (رجع دهتني) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث
الفاعل والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهو المتكلم (أسود) جمع أسد وهو مرفوع
على انه فاعل دهت (الغيل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام والالف واللام للجنس
(بالغيل) جار ومجرور والباء للاستعانة أو التعدية وهو متعلق بدهتني (المعنى الكلام في هذا
البيت كالكلام في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ومعناه لو دهتني أسود الغيل
بالغيل ما أخلت بغزلان أغازلها فكيف وما دهتني فعدم اخلالي بالطريق الاولى فالاخلال
مرتبط بدهاء الاسود له وتخريجه على ما قاله القرافي ان الغالب على الاوهام أن الانسان يخيل

بمعادته من يحادثه اذا دهته الاسود باغتيالها فقطع الشاعر هذا الربط وقال ما أخذ بمعادته
هذه الغزلان مع وجود دهاء الاسود لى واغتيالها ايای وهذه مبالغة عظيمة فى الاشتغال
بالمحبوب والانس به عن كل ما يذهل النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله
ولقد بالغ أبو الحسن على بن رشيق فى قوله

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى غارة * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى ألذ تناجى

والاصل فى هذا المعنى قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال الارجانى

وانى لأرعاكم على القرب والنوى * وأذكركم بين القنا والقنابل

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ألا من يبلغ المحبوب أنى * وقفت وللظبا حولى صليل
وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

وقال الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح

أرسلتها والعوالى فى الطلا ترد * فى موقف فيه ينسى الوالد الولد
وما نسيتك والارواح سائلة * على السيوف ونار الحرب تتقد

قلت ليس فى نسيان الولد لوالده كبير أمر ولا مبالغة ولو عكس كان أبلغ فان اشفاق الوالد على الولد أكثر وحنوه أكبر قيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب أولادنا ومايحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم وقيل لآخر ذلك فقال لان آدم لم يكن له أب قال الشاعر

وانما اولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

فاذا ذهل الولد عن الوالد ماخرج عن العادة المألوفة وانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع أشد اشفاقا وأكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو فنى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهو لم جراشيمتى * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

وقال الشريف البياضى

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه * لتضيق منه برحبها الاقطار

عليم وناظر فى الجوهر والعرض وميزا الصحة من المرض قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست باجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لا يتجزأ ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا للحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند اكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة

ونقلت من خط ابن القيسرانى له

ذكرتك فى حسينة والروابى * ملفعة المناكب بالرياض
ورعن الكثيب مخضر المجانى * على الغدران مترعة الحياض
وقد سئمت من السير المطايا * ومل قتودها حنق العضاض
وضاقت ساحة الاخلاق حتى * نبا الخلق الكريم عن التغاضى
وعندك انني مع ما الاقى * نسيتك لا وأعينك المراض

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن من شفق الدووع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مستقر اماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز الحلى

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل فى جندل * منا وبين معفر فى مغفر
فظننت أنى فى صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

وأنشدنى أيضا له اجازة

ولقد ذكرتك والسيوف مواطر * كالسحب من وبل النجيع وطله
فوجدت انسا عند ذكرك كاملا * فى موقف يخشى الفتى من ظله

وأنشدنى لنفسه اجازة أيضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام فى أفق الجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتارنى من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت انى فى مجالس لذتى * والراح تجلى والكوس تدور

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
فى ليلة أسدلت جلباب ظلمتها * وغاب كوكبها عن أعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة * والبرق يستل أسيافا من الشرر
والفلك فى وسط الماءين تحسبها * عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدرى فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك فى خلدى * وفى فؤادى وفى سمعى وفى بصرى

وكلفت أنا فى سنة سبعمائة وعشرين نظم شئ فى هذه المادة فقلت

ولقد ذكرتكم وحرب يلتظى * عن بأسها الليث الهزبر الاغلب

وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهى الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهى الكون وتشتمل على اربعة اشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هى وجود الاعتدال الخالص بالانسان وتستعار لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذى حرر صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذى نظر فى هذه العلوم واظهرها

والصافنات

والصافنات بركضها قد أنشأت * ليلا وكل سنا سنان كوكب
والبيض تنثر كلما نظم القنا * والنبل يشكل والعجاج يترب
وحشاشة الابطال قد تلفت ظما * ودم الفوارس مستهل صيب
والنفس قد سالت على حد الظبا * وأنا بذكرك وأميل وأطرب

وقلت أيضا في هذه المادة على غير هذا النحو

ذكرتكموو كاسات الندامى * تدور على بدور مثل شمس
واضواء الشموع نجوم أفق * قضت بالانس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثانى * علت ولها خفضنا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى * يكاد يفوت لطفا كل لمس
وقد رمت الجفون سهام سحر * يلاقيها المحب بغير ترس
وقد غنى النديم عن الحميا * بكأس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما أنا فيه ذكرى * لكم فضى السرور وغاب أنسى

وكل هذه الحالات يمكن فيها ذكر المحبوب وأما ما روى عن ابراهيم عليه السلام فلا يقع ذلك الامن مثله صلوات الله وسلامه عليه فانه لما رماه نمرود من المنجنيق التى رماه منها فى النار المضرمة وصار فى الهواء اعترضه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما قصة ليلى الاخيلية مع توبة بن الحمير فهى مشهورة بين أهل الادب وهى أنها لما ماتت مع زوجها بقبر توبة قال لها هذا قبر الكذاب الذى يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا ما دنوت منه وسلمت عليه فأبيت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك فنفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقد أفرط توبة فى استحضار ذكرها وبالغ الى أن خرج عن حيز الامكان لان الحالات المتقدمة تحتمل ذكر المحبوب اذا كان الانسان متمكنا من ذاكرته اذا أرادها عرضت عليه ما فى خزانتها وأما من يفقدها جملة ويغيب الذاكر ويدخل فى العدم فهذا غير ممكن وقال عثمان بن ابراهيم حججت أنا وأصحابى فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن ابى ربيعة قد نسك وترك الغزل وقول الشعر فقال بعضنا لبعض هل لكم فيه فلنا اليه فسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا فقال له بعضنا أيعجبك قول القزارى يا أبا الخطاب

سرت لعينك سعدى بعد مغفاها * فبت مستلها من بعد مسراها

حتى أتى على آخر الابيات فلم يهش لذلك فقال آخر أيعجبك قول العذرى

لو خر بالسيف رأسى فى مودتها * لمر يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ما دمت فى الناس

فتحرك وقال ويحك أبعد ما يخر رأسه يميل اليها ثم انثنى يحدثنا

(وفك المعمى)

عمى الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد ههنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون فى هذه الرسالة فما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيئا من نوادره اذ لابد فى ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها *والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء ويسمى الخبب ووصل الامر الى ابى نصر الجوهرى

فاوضحه اعنى العروض واختصره أحسن اختصار واوّل ماخالفه فيه أن الخليل جعل الاحرف التى يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهرى منها جزء مفعولات وأقام الدليل على انه مقول فى مستفع لن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم أن مفعولات لو كان جزأ صحيحا لركب من مفرده بحر كما يركب من سائر الاجزاء يريد انه ليس فى الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر فى قسم منه ثم استخرج المعمى وهو أيضا أول من نظر فيه وذلك ان بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلاه شهرا حتى فهمه فقيل له فى ذلك فقال علمت انه لا بد وأن يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشئ قد كان كيسان مستملى أبى عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى

*(حب السلامة يثنى هم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل)*

(اللغة) الحب العشق وقد تقدم الكلام عليه فى قوله يقتلن انضاء حب البت السلامة الرفاهية والنجاة من الخوف يثنى يعطف ويكف ثنيت الشئ عطفته وكففته وثنيته بالتشديد جعلته اثنين هم الهم العزم والارادة هممت بالشئ أهم هما وهو المراد هنا والهم أيضا الحزن المعالى تقدم الكلام عليها الاغراء أن تولع الانسان بشئ وتهيجه وتحثه عليه والقصيدة المغربية التى أولها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا

مشهورة لا فائدة فى سردها المرء الرجل تقول هذا مرؤ ورأيت مرأ ومررت بمرئ وضم الميم لغة وهما مرآن ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة بترك الهمزة وفتح الراء فان جئت بالف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال فان صغرت أسقطت ألف الوصل فقلت مرئ ومرئية الكسل التثاقل عن الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالضم فى الكاف والفتح وان شئت كسرت اللام كما فى الصحارى وامرأة مكسال لا تكاد تخرج عن محلها وهذا مدح مثل نؤوم الضحى قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وما سمع فى الكسل أبلغ من قول القائل

دعوت الله يجمعنى بسلمى * ويطرحها ويلقينى عليها
وأرزق من يحركنى بلطف * وينزلنى اذا أنزلت فيها
ويأتى بعد ذاك سحاب غيث * يطهرنى ولا أسعى اليها

(الاعراب حب) مبتدا (السلامة) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام لتعريف الحقيقة (يثنى) فعل مضارع من ثنى يثنى فهو ثلاثى وهو مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الياء لانه معتل بالياء تقول هو يثنى ولن يثنى ولم يثن وهو فى موضع رفع لانه خبر المبتدا (هم) منصوب على أنه مفعول يثنى (صاحبه) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى حب (عن المعالى) جار ومجرور وعن معناها التجاوز والجار والمجرور يتعلق بيثنى (ويغرى) الواو عطفت الفعل على الفعل يغرى فعل مضارع مرفوع كما قلت فى يثنى وهو خبر ثان للمبتدا (المرء) منصوب على أنه مفعول والفاعل ضمير تحمله يغرى وهو يرجع الى حب والالف واللام للجنس (بالكسل) الباء هنا للتعدية والجار والمجرور متعلق بيغرى (المعنى) يقول لصاحبه حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالى ويغرى الانسان بالكسل كأنه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحى الذى وصفه وجده متثاقلا عن مرافقته غير قابل للتوجه معه الى ذلك الحى والمشاركة له فى المشاق والاخطار فاخذ يعظه بمثل هذا الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه فهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه كأن الانسان يجرد من نفسه مخاطبا اقامة للواجهة بالقول وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد

الله القشيرى من الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

الابيات ولعمرى ان السلامة فى الخمول خير من العطب فى المعالى فما بقى الوصل بالصدود قال الشاعر

ان مدحت الخمول نبهت قوما * غفلا عنه سابقونى اليه
هو قد دلنى على لذة العيش فما لى أدل غيرى عليه

وقال أبو العلاء المعرى

ولو جرت النباهة فى طريق الخمول الى لاخترت الخمولا

قد رضى بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين فى العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم وأخلوا الدسوت من تصديرهم منهم مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية فى غريب الحديث وغيرهما فانه اتصل بعد خدم كثيرة بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى أن مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظى عنده وتوفرت حرمته لديه فلم يزل الى أن عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا فانقطع فى منزله وكان الاكابر يغشونه ويترددون اليه فحضر اليه من التزم بعلاجه وافاقه من مرضه فلما طبه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض الى سبيلك فلاموه على ذلك فقال لخواصه متى عوفيت طلبت وألزمت بالخدمة وذا أحب الى فانى توفرت على نفسى ومطالعة ما أختاره من العلم وأنا مرعى الجانب عندهم لا أشاركهم فى سلطانهم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه فأختار العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفى هذه الحالة جمع جامع الاصول وغيره وابن طلحة كان وزيرا الملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وهو كتاب مفيد وله الدائرة المعروفة به بين أرباب هذا الشان ترك منصب الوزارة وخرج فقيرا وهذا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال لمعاوية ان على دينا فأوفوه عنى وأنتم فى حل من الخلافة فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان وقال بعض العارفين آخر ما ينزع الله من رؤس الصديقين حب الرياسة وقال أبو اسحق ابراهيم الغزى

المجد سهل والطريق اليه بالاجماع وعر

وقال ابن وكيع

لقد رضيت هستى بالخمول * ولم ترض بالرتب العاليه
وما جهلت طيب طعم العلى * ولكنها تطلب العافيه

وقال آخر

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه
وكن فى مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلك فى عافيه

وهذا يشبه قول ابن رشيق

تنازعنى النفس أعلا الامور * وليس من العجز لا أنشط
ولكن بمقدار قرب المكان * تكون سلامة من يسقط

وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما بلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنا عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التى يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع فى الشطرنج جملين فى طرفى الرقعة لعب بهما زمانا ثم تركت ثم أراد ان يخترع شيأ فى الحساب فقال أريد أن أقرر نوعا من الحساب تمضى الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره فى ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها لفكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء الزهاد

واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف

وقال الأرجانى

أنا صائن عرضى وان صفرت يدى * كم من أغر ولا يكون مجملا
أنا عـــلى غض الزمان لمعشر * من دون ماء وجوههم ماء الطلا

وقال شهاب الدين بن مسعود السنبلى

لذ خـولى وحـلا مره * اذ صانتنى عن كل مخلوق
نفسى معشوقى ولى غيرة * تمنعنى عن بذل معشوقى

وعلى الجملة فالزهـد أمر تمسك العقلا بعروته الوثقى ولهذا أفتى الفقهاء بأنه لو أوصى بثلث ماله لاعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة كنز مفتاحه الزهد وكل ما تراه عينك رهن الزوال ومقدمات نتيجتها العدم ولله در ابن الشبلى البغدادى اذ يقول

صحة المرء للسـقام طـريق * وطـريق الفناء هـذا البقاء
بالذى نفتـدى نموت ونحيا * أقتـل الداء للنفـوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخـذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب * كرعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسـترد المساء
ليت شعرى جلما تمرّبه الأيـــام أم ليس تعـقل الأشـياء
من فساد يكون فى عالم الكو * ن فما للنفوس منـه انقـاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسـم ففـيم الشـقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشـقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نالم الفقـد فايجـادنا علينا بـلاء

وهى طويلة وقال الآخر

هذه الدنيا وهذا شأنها * أتعب الناس بها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا انها * حلم يفضى بها يقظانها

وما أحسن قوله وذوو الأحلام ههنا ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى أرسل اليه بعض الخلفاء فأتاه الرسول وهو يبل كسرة بماء ويأكل منها فقال له أجب أمير المؤمنين فقال مالى اليه حاجة فقال انه يغنيك قال مادمت أجد هذين فانى لا أحتاج اليه وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل فى خص من خصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال وأخبار الزهاد فى اعراضهم عن الدنيا مشهورة وهذا الذى تقدم كله يخالف مراد الطغرائى فى البيت فان رأيه السعى والكدو الجدو الكدح والانتصاب لتلقى الأهوال فى تحصيل المعالى والترقى الى منازل العز وكسب المجد بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الامانى وبلوغ الاوطار قال بعضهم

فما قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه
وغاية المفرط فى سلمه * كغاية المفرط فى حربه

ومن الكلم النوابغ صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان وقال بعض الشعراء

رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكى أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لى الى سليمان وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل يو ماقطع هذا البيت
آذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ماتستطيع
ففهم الرجل التعريض ولم يعد * ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض افتح عينيك فان أبو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماداء أخيك الا من كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم أك أهوا
ك فرأسى فى حرامى

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا * ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من

أما تريني على شأن العلاء لأعـ * ـباء العنا حمولا دائم النصب
فما استوى شرف الا على كلف * ولا صفا ذهب الا على لهب

وقال ابن نباتة السعدى

لحى الله ملآن الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة لا يشمر
يلاحظها حتى يفوت طلابها * ويصبح فى ادبارها يتدبر

وقال أيضا

ومن طلب النجوم أطال صبرا * على بعد المسافة والمنال
وتثمر حاجة المحتاج نجحا * اذا ما كان فيها ذا احتيال

ومما ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه

كد كد العبد ان آ * ثرت أن تصبح حرا
لا تقل ذا مكسب يز * رى سؤال الناس ازرى

وقد ظرف السراج الوراق فى قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحة

وما أحسن ما استخدم الراحة هنا فى معنييها الاوّل الراحة من الاستراحة والثانى الراحة من اليد وكذا فعل أبو الحسين الجزار فى قول أبى نواس لما ضمنه فى ما قاله يوم نيروز وكتبه الى بعض أصحابه

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من ابطاله ما تمارس
وعندى رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جر الرفاق على القفا * وأضغاث انطاع جنى ويابس

فانظر الى هذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكأس المصوّرة فى الابيات السينية المشهورة حتى كأن هذا البيت لم يقله أبو نواس الا فى وصف الصفاع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد وقد ذكرت لهذا نظائر فى كتابى المسمى بفض الختام (عن التورية والاستخدام فمن أراد الوقوف على ما يهز عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هناك ومن هذا النوع ما كتبته على مجلد قديم مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

فنقلته من التجلد الى التخليد وقلت مضمنا

قل للرقيب يسترح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

نقلت الحد من الغاية فى الأصل الى حد السيف وانتهى من النهاية والكمال الى الانتهاء والارعواء

*(فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجوّ فاعتزل)*

استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحوّل المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لا بدّ من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله
من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة
والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

ان الذى شق فمى ضامن
للرزق حتى يتوفانى
أحرمتنى خيرا قليلا فما
زادك فى مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا

يا زلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لرفد زل من يده
فالكوكب النحس يسقى
الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة
وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحا بنفسى انى لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت فى علم النجوم فهجت منه على ما لزمنى تركه فقلت منشدا اذ ذاك

بلغا عنى المنجم أنى
كافر بالذى قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا
ن قضاه من المهين واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى)

الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذى ذكر به المعرف ويقال اسم وسم وسما واختلف فى تقدير أصله والمسمى هو المعنى الذى وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة فى معنى الاسم والمسمى فنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذى يراد به التسمية كقولك للرجل عرفنى ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان

(اللغة) جنح يجنح جنوحا بفتح النون ويجنح بكسرها أيضا اذا مال واجتنح مثله وأجنحه غيره نفقا النفق سرب فى الأرض له مخلص الى مكان وفى المثل ضل دريص نفقه أى جحره والنفقة احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرفقه فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج والجمع النوافق السلم الذى يرتقى عليه وجمعه سلاليم والجوّ ما بين السماء والارض فاعتزل اطلب العزلة اعتزله وتعزله بمعنى والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وأن القرآن مخلوق محدث وليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وأن المؤمن اذا ارتكب ذنبا مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وأن اعجاز القرآن فى الصرفة عنه لا أنه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وأن المعدوم شئ وأن الحسن والقبيح يثبتان بالعقل وأن الله تعالى حى بذاته عالم بذاته قادر بذاته لا بحياة ولا علم ولا قدرة وأن من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكبى الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة وهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويسمون الاشاعرة مجبرة وليس الامر كما ادعوه لان الاشاعرة لا يعتقدون الجبر بل يقولون ما قاله على بن أبى طالب كرم الله وجهه الامر بين أمرين لا جبر ولا تفويض وانما الاشاعرة يحثون مع المعتزلة فى خلق الافعال الى أن يلتزموا بالجبر فاذا ثبت الجبر نقلوا البحث مع الجبر من الجبر الى مذهب الاشاعرة وهو أن للعبد مشيئة ما وكسبا ما وذلك أن الاشعرى يقول للمعتزلى أنت توافق على انه اذا حصلت القدرة والداعى تعين وجود الفعل وأنا أقول ان القدرة هى سلامة الاعضاء والداعى ان كان من الانسان احتاج الى داع آخر يبعثه ويحركه فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول بأن الداعى من العبد فلم يبق الا أن الداعى أمر يوقعه الله فى نفس العبد يبعثه على وجود الفعل مع سلامة الاعضاء فيتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه فيضطر المعتزلى الى الاعتراف بذلك اذ لا محيد له عنه حتى قال أبو الحسين البصرى منهم لولا مسئلة الداعى والقدرة تم دست الاعتزال فاذا تقرر أن سلامة الاعضاء من الله تعالى والداعى من الله تعالى كان الفعل كله مخلوقا لله تعالى وهذا هو الاجبار ويحتاج الاشعرى من هنا أن يبحث مع المجبر على أن الاجبار ليس بصحيح فيقول ان الاجبار هو مثل حركة المرتعش الذى لا يجد محيصا ولا محيدا عن حركة يده كالسفة فى الريح أو الريش الطافى على وجه النهر فهذا هو الجبر فى الحركة وأما الانسان فقادر على مديده الى الكأس أو الى السبحة وعلى أن تكون الحركة الى المسجد أو الى خافة السبيل والحانة فلكون العبد متمكنا من نفسه فى كل حركة علم أنه غير مجبر وله مشيئة ما فى الفعل وكسب ما وعلى تلك الدقيقة حسن الثواب والعقاب وخلصنا من شناع المعتزلى فى انه اذا كان الفعل مخلوقا لله تعالى ففيم العقاب والثواب

والذم والمدح ومع ذلك فلا بد لمشيئة العبد أن تقارن مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما فأثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولهذا قال الامام الشافعي

ما شئت كان وان لم أشأ * وما شئت ان لم تشالم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

وبلغني أن الامام فخر الدين شرح هذه الابيات في مجلدة ولم أرها الى الآن وهذه المسئلة من أعظم مسائلهم قال الامام فخر الدين اذا ناظرت المعتزلي في خلق الافعال فلا تنس مسئلة الداعي والقدرة ولم يزل مذهب الاعتزال يمد وشيأ فشيأ الى أيام الرشيد وظهور بشر المريسي واحضار الشافعي مكبلا في الحديد وسؤال بشر له بقوله ما تقول يا قرشي في القرآن فقال اياي تعني قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وواقعته بين يدي الرشيد مشهورة ولما أحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وأن الفتنة ستشتد في اظهار القول بخلق القرآن هرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله تعالى بخلق القرآن وكان الامر بين الاخذ والترك الى أن ولي المامون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس الى ذلك الى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي أحمد رضي الله عنه محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فاحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فذكر بعضهم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال أفيكون غير مخلوق فقال أحمد قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولام وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين ان الله خلق الذكر فقال هذا خطأ حدثنا غير واحد أن الله كتب الذكر وذكر بعضهم حديث بن مسعود ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي فقال انما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والارض ولم يقع على القرآن ولم يزل في جدال معهم الى بعد ثلاثة أيام فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ونخسه عجيب بالسيف ورمي على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم يقل بخلق القرآن وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة بعد ذلك والجماعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال لاحمد بن حنبل لا تجتمع اليك أحدا ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل عليهم جارية الى أن مات المتوكل وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة فلم يزالوا أعني المعتزلة في قوة وعلاء الى أيام المتوكل فخمدوا ولم يكن في هذه الملة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والحائطية والمعمرية والمزدارية والثمامية

الاسم ههنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيأ وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لا بمعنى أن العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس الاسامعين وتقوم عند الغيبة مقامها الوشاهدوها فلما ناب الاسم من هذا مناب المسمى في التصوير جاز أن يقال ان الاسم هو المسمى الثاني أن أكثر ما يتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا ترى أن الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له حي واذا بطل أن يقال له حي بطل أن يكون به حياة فيجوز من هذا ان يقال ان الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا مسمى زيد اي هذا المسمى

بهذه اللفظة التى هى الزاى والياء والدال و يقولون فى هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجىء فى كلامهم على ضربين الاول ماصرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذى الرمة يصف بذلك خشفا

مايرفع الطرف الاما تخونه
داع ينادیه باسم الماء مبغوم

يعنى ان هذا الخشف لاينتبه من النعاس الا اذا تفقدته امه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان ابو عبيدة يذهب فى تأويل هذا اللفظ الى ان الاسم زائد والتقدير ينادیه بالماء وابو على الفارسى يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير ينادیه باسم معنى والثانى مالم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشئ الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوى الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التى يعبر بها عن المعانى كجوهر وعرض ورجل

والهشامية والجاحظية والبشرية والخاطية والجبائية وهم البهشمية ومن مشاهيرهم الفضلاء الاعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد ابن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار ويلقب براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمرو الفوطى وأبو الحسين بن أبى عمرو الخياط أستاذ الكعبى وأبو على الجبائى أستاذ الشيخ أبى الحسن الأشعرى أولا وابنه أبو هاشم عبد السلام وهؤلاء رؤساء مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف فى مسائل معروفة بين أصحاب الكلام ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار والرمانى النحوى وأبو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى الشافعى وهذا غريب فان الغالب فى الشافعية أشاعرة والغالب فى الحنفية معتزلة والغالب فى المالكية قدرية والغالب فى الحنابلة حشوية ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف والفراء النحوى والسيرافى وما أظرف قول ابن سناء الملك

رب علق قال لى عاتبا * ياهاجرى ظلما ولم أهجر
معتزلى صرت فقلت اتئد * واعتب على مبعرك الاشعر (ى)

ولغيره

قلت وقد لج فى معاتبتى * وظن أن الملال من قبلى
حسنك مازال شافعى أبدا * ياما لكى كيف صرت معتزلى
خدك ذا الاشعرى حنفنى * وكان من أحمد المذاهب لى

(الاعراب فان) ان حرف شرط اذا دخلت فى الكلام اقتضت جملتين تسمى الاولى شرطا والثانية جزاء وجوابا أيضا وحق الجملتين أن تكونا فعليتين ويجب ذلك فى الشرط دون الجزاء لان الجزاء قد يكون جملة فعلية وقد يكون اسمية واذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكونا فعلاهما مضارعين وهو الأصل وان يكونا ماضيين لفظا وان يكون الشرط ماضيا (والجواب) مضارعا وبالعكس فالمضارعان نحو وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله والماضيان نحو وان عدتم عدنا والماضى والمضارع نحو من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها والمضارع والماضى نحو قول الشاعر

ان تصرمونا وصلنا كم وان تصلوا * ملأتموا نفس الاعداء ارهابا

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأكثر النحاة يخصون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل مارواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وقول عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك يرق انتهى وانما اقتضت الجزم فى عملها لانها دخلت على جملتين فلطول ما اقتضته ناسب أن يكون جزما لانه أقل من الحركات فناسب الاختصار ليقابل الطول *(فائدة) نص النحاة والاصوليون على أن ان لا يعلق عليها الا مشكوك فيه فلا تقول ان غربت الشمس آتك بل اذا غربت آتك وان اذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء فى القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا والشك على الله تعالى محال والجواب أن الخصائص الالهية لاتدخل فى أوضاع العربية بل هى مبنية

على خصائص الخلق وهذا منزل منزلة كلامهم فيما بينهم كأنه قيل ان العادة بين الناس الشك في أمر الاله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن الا بعد النظر وقيام الادلة فلهذا ورد القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهذا مما لا شك فيه والتعليق جائز ولا يرده راد فقد علق عليها أمر قطعي والجواب ان هذه أمور مفروضة في الذهن دون غيره والفروض والتقديرات يحتمل أن تقع وأن لا تقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه فلهذا حسن تعليقه بان وذكرت بالتعليق هنا ما حدث به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بدمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة من أنه وقع ببغداد فتيا صورتها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عندان فانت طالق فقرأها جميع من أفتى فيها ان ثم وقف عبدان وكتبوا تحتها ان ثم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف القاضي ابن البيضاوي عليها علم أن التصحيف قد وقع على المفتين فيها وأن بعضهم قلد البعض في قراءتها فقال الصحيح انها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عندان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسئلة فوجد كما قال ابن البيضاوي رحمه الله وأما المسئلة السريجية المنسوبة الى ابن سريج رحمه الله في الطلاق فهي اذا قال الرجل لزوجته ان طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثا فطلقها وقع المنجز على الراجح ولا يقع معه المعلق للدور لانه لو وقع المعلق وهو الطلاق الثلاث لم يقع المنجز لانه زائد على عدد الطلاق واذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فأدى وقوعه الى عدم وقوعه وقيل لا يقع شئ لان وقوع المنجز يقتضي وقوع المعلق ووقوع المعلق يقتضي عدم وقوع المنجز وجرى عليه كثير لكن الاول هو الصحيح وقال بعضهم لا يجوز في ذلك التقليد لما قيل من أن ابن سريج برئ مما نسب اليه فيها (رجع جنحت) فعل ماض ومعناه الاستقبال وهو في موضع جزم بالشرط والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (اليه) جار ومجرور وقد تقدم الكلام على الى في شرح قوله فسر بنا في ذمام الليل البيت (فاتخذ) الفاء جواب الشرط اتخذ فعل أمر والفاعل مستتر فيه تقديره أنت وقاعدة جميع أفعال الامر فاعلها يجب استتاره فيها ولا وجه لابرازه الا ان قصد التوكيد أو العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه في قولهم الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعل المستتر في الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به وأجيب بأن المراد باللفظ ما كان بالقوة أو بالفعل فالضمائر المستترة في الاوامر كلها لفظ بالقوة أي في قوة المنطوق به ولهذا قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في التسهيل الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوى معه كذلك وقال ولده محمد بدر الدين الكلمة لفظ بالقوة أو الفعل مستقل دال بجملته على معنى بالوضع (رجع نفقا) منصوب على انه مفعول به (في الارض) جار ومجرور والالف واللام لتعريف الحقيقة (أو سلما) أو حرف عطف وتكون لمعان منها التخيير نحو خذ هذا أو ذاك والاباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والفرق بين التخيير والاباحة ان الاباحة لا تنافي الجمع والتخيير يأباه والتقسيم كقولك العدد زوج أو فرد والابهام كقولك أنت في هدى أو ضلال وشك المتكلم كقولك قام زيد أو عمرو والاضراب نحو قولك أنا أخرج ثم يبدو لك فتقول أو أقيم وانشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجيئها للاضراب قول جرير

وفرس وزيد وعمرو ففي كل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذي فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذي تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحي فانك تجد الانسان الذي هو الواسطة بين زيد والحي مسمى اذ اكان يقال على الحي واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا في انهما مسميان للحي اذا كان الحي يقال على كل واحد منهما وتجد الحي الذي هو اسم الانسان والانسان الذي هو مسمى قد تساويا في انهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض في هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم) لم أتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين فسألت عنهما بعض علماء الاسلام فقال الصرف نوع من المعاوضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعني الذهب والفضة وقوله وقسم كأنه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف أن المال

ماذا ترى فى عيال قد برمت بهم * لم أحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادى

(وحكى) الفراء اذهب الى زيد أودع ذلك فلا تبرح اليوم وقد تجىء بمعنى الواو كقول امرئ القيس

فظل طهاة القوم مابين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

وقول الآخر

قوم اذا سمعوا الصريخ وجدتهم * مابين ملجم مهره أو سافع

(مسئلة) قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ذهب كثير الى انها بمعنى الواو وقال قوم بل هى بمعنى بل لان الشك فى كلام الله تعالى محال قال المبرد فى كتاب الازمنة قول المتكلفين للتفسير بغير معرفة ان معنى أو يزيدون بل يزيدون يقال لهم بل للاضراب والاضراب اما للغلط أو للنسيان ولكن يجوز أن يكون ذلك النبى صلوات الله عليه افترض عليه ربه وألزمه الرسالة الى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك فيكون الى مائة ألف معدودين معلومين عنده لابد منهم أو يزيدون ان شاء ذلك النبى وهذا كلام بين صحيح ويجوز أن يكون أرسله الى عالم لم يقع عليهم عدد عاد الا الذى خلقهم فقال الى مائة ألف أو يزيدون عندكم هذا ملخص كلام المبرد وأو فى البيت للتخيير وسلما منصوب على انه مفعول اتخذ (فى الجو) فى هنا للظرف والجو مجرور بفى والالف واللام لتعريف الحقيقة والجار والمجرور متعلق باتخذ (فاعتزل) الفاء للعطف وهى مرتبة واعتزل فعل أمر والامر مبنى على السكون وانما حركه للضرورة فى القافية على ماتقدم (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فادخل فى نفق فى الارض أو اصعد فى سلم فى الجولان السلامة متعذرة عليك مادمت بين الناس ولا سبيل الى النزول فى النفق ولا الى الصعود فى سلم فى الجو اذ لابد لك من الناس والسلامة منهم عزيزة وفى هذا تحريض على الحركة والسعى والاجتهاد فى احراز المعالى لان السلامة ممتنعة فالاولى بالانسان الحركة والطلب وقد قال أبو العلاء المعرى فى وصف النوع الانسانى بالاذى وانه لا يسلم من أذاه حيوان بحرى ولا حيوان جوى

أتعبتم السابح فى لجة * ورعتم فى الجوذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى * فكيف لو خلدتم يا قباح

وطلب السلامة بالتحرز والتوقى ممنوع لان القضاء والقدر لا محيص عن وقوعه ـ ما قال ابن الرومى فيما أظن

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وأخذه أبو اسحق الغزى فقال

كل يفر من الردى ليفوته * وله الى ما فر منه مصير

وقال آخر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

ويحسن أن ينشد فى هذه المادة قول جميل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة فى الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولابد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية تقوم البستان فى الاول ثم تعدل الاجزاء باعتبار ذلك فتجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل فى أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال)

(الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون فى أقوالهم وقسموه فى كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه تفعنى وضربنى ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهى معرب ومبنى وظاهر ومكنى ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربى وأعجمى وذكر وأنثى ومقصور

وقول

وقول أبي العتاهية ومن الاول أخذ

كأن بعيني في حيثما * نظرت من الارض تمثالها

وأخذه العباس بن الاحنف أيضا فقال

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها * فانظر الا مثلت حيث أنظر

وحكي أن كثيرا أتى الفرزدق فقال الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول اريد لانسى ذكرها البيت فقال كثير وأنت أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

والبيتان لجميل وكان كثير سرق الاول والفرزدق سرق الثاني فقال له ما أشبه شعرك بشعري أو كانت أمك أتت الى البصرة فقال لا ولكن كان كثيرا ما يزورها أبي وينزل في بني دارم الجواب لكثير وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح وبعضهم يسميه الاقتباس وهو نوع من التضمين ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملا وان لم يأت كاملا فهو الاقتباس والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل النفق والسلم في قوله وكذلك فتوحات هذه الايام مفتاحها سبقها وسمة مهابتها فيلقها ودم الاعداء امدادها واعلام النصر ورقها ولا يعادي سيفها من الاعداء الا عنقها واذا سيقت الى أرض كادت الارض بالعجاج تسبقها وان ابتغت الاعداء نفقا في الارض أو سلما في السماء فالجزع سلمها والقبر نفقها انتهى

وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

وكم قلعة فوق السماء أساسها * وعامرها أسلاف عاد وجرهم

رقى سلما للعز أوصد له لها * فقد نال أسباب السماء بسلم

واتفق لي استعمال السلم والنفق فقلت

كن في الخمول آمنا * واخش المعالي واتق

كم نافق في سلم * وسالم في نفق

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي

ولا تقف بظلول الكتب تسألها * فلست تحظى بغير الهم والحزن

وكن اذا التقت الارماح سافلة * فربما اندق صدر العامل اليزني

وقال ابن التعاويذي

وقالوا الغنى عرض للخطوب * فكيف تعرض للعدم

وقالوا السلامة تحت الخمول * فما لي خملت ولم أسلم

ودخل القاضي المنازي على أبي العلاء المعري فأخذ أبو العلاء يشكو اليه طعن الناس فيه وثلبهم لعرضه وأذاهم له وقال ياقاضي أيفعلون بي هذا كله وقد تركت لهم دنياهم فقال القاضي المنازي والله واخراهم فقال ياقاضي وأنت تقول مثل هذا وجعل يكرر هذا القول

ط (ودع غمار العلى للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل) ط

(اللغة) دع معناه اترك أوذر وقد جاء في كلام العرب فعلان لا ماضي لهما ولا مصدر ولا اسم

ومحدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود في كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافي وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدي وسمعت أبا حفص الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذي يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين في سيصلى لم يكن المعنى الا في الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلى لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلى دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان ويقول لو صح هذا الصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أي ما يكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدئهما فقيل

له أيضا هذا كما قاله من
خالفته وأنت فى ذلك أجهل
من هرة فانها تمشى على حافة
الجدار غير متمكنة من سمته
وتربع مع ذلك مكانا آخر
للفضل الذى يلوح لها وهى
لا تمسك نفسها ولا ترسلها فما
ظنك يا أبا حفص بشبهة
تكشفها هرة * والافعال
تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة
كالماضى والمضارع والامر
والمتعدى الى واحد واثنين
وثلاثة وغير المتعدى والتام
والناقص وما سمى فاعله وما
لم يسم فاعله وأفعال القلوب
وغيرها * وأفعال المقاربة
وأفعال التعجب وغيرها
وأفعال المدح والذم وغيرها
وأول من وضع علم النحو أبو
الاسود الديلى واسمه ظالم
ابن عمرو بن سفيان وكان من
فقهاء البصرة وعلمائهم
وفصحائهم وشيعة أمير
المؤمنين على بن أبى طالب
كرم الله وجهه وولاه البصرة
وسبب وضعه لذلك انه
دخل على ابنته بالبصرة
فقالت له يا أبت ما
أشد الحر فقال شهر
اذار فقالت يا أبت انما
أخبرتك ولم أسألك وكان
مرادها التعجب فاتى أمير
المؤمنين على ابن أبى طالب
كرم الله وجهه فقال يا أمير
المؤمنين ذهبت لغة العرب

فاعل ولا اسم مفعول وانما استعمل منهما فعل الامر والمضارع خاصة وهما مادع وذر ولا يقال
ودعه الا ما جاء فى ضرورة الشعر كقوله

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه

وقرئ فى الشاذ ما ودعك ربك وما قلى بتخفيف الدال ولا يقال وادع بل تارك وكذا ذر وما
تصرف منه يقال ترك فهو تارك غمار يقال بحر غمر وبحار غمار والغمرة الشدة
والزحمة فى الماء والناس والجمع غمار ودخلت فى غمار الناس بكسر الغين وضمها وفتحها
العلى تقدم الكلام عليه فى شرح قوله أريد بسطة كف البيت المقدمين اسم فاعل من أقدم
يقدم فهو مقدم وهم مقدمون والاقدام الشجاعة والدخول فى الاخطار من غير تروّ ولا فكر
اقتنع افتعل أمر بالقناعة البلل النداوة اليسيرة وما أحسن قول أبى الطيب

الهجر أقتل لى مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفى من البلل

وتضمين الآخر أحسن منه حيث قال

عاتبت فى نيكه ايرى وقلت له * يا ايرخف سلحه وادخل على مهل
فظل يوسعه رهزا وينشدنى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

(الاعراب ودع) الواو للعطف عطفت هذا الامر على قوله فاعتزل ودع فعل أمر وقد تقدم
الكلام عليه فى اللغة وذكرت هنا قوله تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قالوا
ما الحكمة فى العدول عن أن يقول أتدعون بعلا وتدعون الى ما أتى به لفظ القرآن مع أن
المعنى واحد فان يدع مثل يذر ويكون فى اللفظ زيادة الجناس وهو من أنواع البديع الذى هو
احد أثافى البلاغة وأجيب بانه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف فى اللفظ ويقال
بالعكس أى أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين بتحريك الدال من الاول وسكونها من
الثانى هذا الذى ذكروه قلت هذا الجواب ليس بشئ لان سياق الكلام وقرينة اللفظ والحال
يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف لانه انكار على من دعا الصنم وترك الله وقوله
أحسن الخالقين قرينة توجه الانكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين والجواب
أن لفظ القرآن الكريم أعذب فى السمع وأخف على اللسان فان تكرار الحروف على اللسان
بالثقل والخفة أعقد ويحتاج الى احضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالاول كالثانى
وعكسه فان قلت هذا يرد على باب الجناس كله وهو معدود من البديع قلت الجناس وان
كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل كقول ابن الفارض من قصيدة

أمالك عن صد أمالك عن صدى * لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

ومنها

فرحن بحزن جازعات بعيدما * فرحن بحزن الجزع بى لشبيبتى

فانظر الى استثقال البيت الاول لما فيه من جناس التحريف فى صدو صد الاول من الصدود
والثانى صداى عطشان وفى ظلم وظلم الاول الظلم بالفتح وهو الريق والثانى بالضم وهو الجور
مع التقديم والتأخير الذى يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم والتقدير
فيه أمالك ميل لعطفة عن صد أمالك ظلما منك عن صد لظلمك فأمالك الاولى مركبة من
همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب وأمالك الثانية مركبة من فعل ماض
من الامالة وكاف الخطاب وأما البيت الثانى ففيه فرحن مرتين الاولى الفاء فاء العطف

ورحن فعل ماض من الرواح لجماعة الاناث والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الاناث أيضا والراء فى الاولى مضمومة وفى الثانية مكسورة وفيه الحزن مرتين الاولى بضم الحاء ضدّ الفرح والثانية بفتح الحاء من الارض ضد السهل ولهذه الالفاظ التى عقدها عقد الميزان لأجل الجناس صار كلامه وحشيا من العوام بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا فى الادب وقل ان تجد لديوانه نسخة صحيحة وأكثر ما يساعد الافاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر كما فى قوله صدّ وصد الاولى مشدّدة والثانية مخففة وكما فى قوله

واذا أذى ألم ألمّ بهجتى * فشذا أعيشاب الحجاز دوائى

فانظر الى هذا لم يستقم الكلام الا بمراعاة الوزن فانه يضطر الواقف عليه الى أن يجعل الاوّل من الألم والثانى من الالمام ولهذا حاء جناس العماد الكاتب فى الشعر أخف منه فى النثر لان الوزن يضع كل كلمة فى مكانها ومن الجناس المستثقل جناس التصحيف كقوله أيضا

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهبا * فواحيرتى ان لم تكن فيك خيرتى

ومنها وجذ بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

فان فى البيت الاوّل احترت من الحيرة واخترت الثانية من الاختيار وفى الثانى تجد الاول من الجود والثانية من الوجدان وهذه الاشياء لا يخفى على ذى الذوق السليم ما فيها من الاستثقال ولم أقل هذا الكلام جهلا بمقدار الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله وانه لم يكن من الفصحاء ألا ترى قصائده التى أخلاها من الجناس مثل الميمتين والجيمية واللامية والمهموزة وغيرها فما أرقها وأحلاها والجناس اذا كثر فى الكلام مل اللهم الا أن يكون سهل التركيب ليس على المتكلم فيه كلفة كما حكى عن بعض جوارى المعتمد بن عباد أنها قالت له وهما فى سجن اغمات يا مولاى لقد هنا هنا فقال المعتمد

قالت لقد هناهنا * مولاى أين جاهنا

قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وكما حكى عن جارية من جوارى القاضى الفاضل انها قالت له وقد تعبت فى بعض مرضاته والله ياسيدى ما لنا قدرة على مرضاتك فى مرضاتك وكقول القائل

دهرنا أمسى ضنينا * باللقا حتى ضنينا

يالياتى الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا

وهما للشيخ زين الدين عمر بن الوردى أنشدنيهما لنفسه اجازة ومن خطه نقلت (رجع غمار) منصوب على أنه مفعول به (العلى) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام ولم يظهر فيه الجر لانه مقصور (للقدمين) جار ومجرور وعلامة الجر الياء لانه جمع مذكر سالم صفة لعاقلين ومتى اجتمعت هذه الشروط أعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وبنون مفتوحة فى الاحوال الثلاث وضم ما قبل الواو فى الرفع وكسر ما قبل الياء فى النصب والجر الا أن يكون جمع مقصور مثل أعلى ومصطفى فان ما قبل حرف الاعراب يكون مفتوحا قال الله تعالى وأنتم الاعلون وقال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقد تكسر نون الجمع على لغة من قال

وماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حدّ الاربعين

لما خالطت الاعاجم ويوشك أن تصمعل وأخبره خبر ابنته فامره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمى النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فأدخل عليه فسمعه يلحن فارسل الى أبيه يلومه فارسل زياد الى أبى الاسود أن يضع فى النحو شيأ وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول انى لأجد للحن غمرا كغمر اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد فى طريق ابى الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره فى أصول النحو وأول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى ان وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابى الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال وقد أرسل اليه مبلغ احد وأربعين درهما

عتبت ابن الفلانى وشك ظنى * فأعتبنى وعاد الى اليقين
وقال نواله هيهات يشكو * ذوو الأشعار من عهدى المتين
وماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

كما ان نون التثنية تفتح على لغة من قال

على احوذيين استقلت عشية * فما هى الا لمحة وتغيب

وحرف الاعراب هنا بدل من الحركة فى اعراب المفرد والنون بدل من التنوين ولهذا تحذف النون عند الاضافة كما يسقط التنوين فى المفرد عند الاضافة تقول ضارب زيد كما تقول ضارب زيد ولقد أحسن أبو الفتح البستى حيث قال

حذفت وغيرى مثبت فى مكانه * كأنى نون الجمع حين تضاف

وقد يتصف ما لا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف قال الله تعالى انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين والكواكب والسماء والارض مما لا يعقل خلافا للحكماء فانهم يعتقدون ان لكل فلك عقلا وأن الكواكب أحياء ناطقة والعلة أنها لما اتصفت بالسجود وبالقول وهما من صفات من يعقل أعطيت هذا الاعراب وانما كان اعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات لان الحركات أصل فى الاعراب والحروف فرع عليها والمفرد أصل والجمع فرع عليه فأعطى الاصل الاصل والفرع الفرع طلبا للمناسبة فان قلت فلاى شئ ما أبقوا الالف فى النصب قلت لانه كان يشتبه المنصوب فى الجمع بالمرفوع فى المثنى (فان قلت) فلاى شئ كان المثنى يرفع بالالف (قلت) لان الالف أتم حروف المد وهى أصل لاختيها الواو والياء ولهذا لم تقبل الحركة والرفع هو أصل الاعراب فأعطى الاصل الاصل طلبا للمناسبة ولان الالف من ضمائر الرفع كقولك قاما قعدا فلما كانت ضمير امرفوعا ناسب أن تقع علامة للرفع فى اعراب المثنى (فان قلت) فلاى شئ ما راعوا هذه المناسبة فى الجمع وأعربوه بالف (قلت) لان التثنية قبل الجمع فاختص المثنى بهذا وسبق اليه فلم يبق للجمع الا هذه الصورة (رجع على ركوبها) على حرف جر وقد تقدم الكلام عليها وركوب مجرور بعلى والهاء والالف فى موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والضمير يرجع الى العلى لانها مؤنثة أو الى غمار لانها جمع غمرة أو غمر والجار والمجرور متعلق بالمقدمين (واقتنع) الواو عاطفة عطفت فعل أمر على مثله وهو دع (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية ومن لبيان الجنس وهو متعلق باقتنع والضمير يعود على الغمار (بالبلل) الباء هنا للاستعانة أو للتعدية تقول قنعت بكذا (المعنى) واترك لجج المعالى للذين أقدموا على مشاق ركوبها وصبروا على أهوالها وكابدوا شدائدها واقتنع من اللجج بالبلل وكنى بالبلل عن الشئ النزر من العيش كانه قال ارض من اللجة بالبلالة اذا لم تكن تقدم على الاهوال فاذا لا تزال فى ظمأ لانك ما ركبت اللجة والامر كما ذكره الطغرائى فانه لم يحظ بالدر من لم يغص عليه ولم يطعم الشهد من لم يصبر على ابره ولم يظفر بالسلب من لم يهون ألم الجراح

وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا ذا رأى الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث ابو عمر وقال كان ابو الاسود نازلا فى بنى قشير وكانوا يخالفونه فى المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يذمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرمينى ما اخطأنى وقال لهم يوما يا بنى قشير ما احب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غى فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسأله رجل قنعه فقال يا ابا الاسود أما أصبحت حاتمنا فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدرى أليس حاتم يقول اما ترى اماما نعف فبين

واما عطاء لا ينهنهه الزجر

وحكى ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك اوسع لك قال انا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن اى طائر شئت قال سألتك بالله الا

ولم يتمتع بالحسناء من لم يجد بالمهر الغالى فمن لم يغص قنع بالصدف ومن لم يصبر على السم لم يذق الحلاوة ومن لم يهون ألم الجراحة سلب ما عليه ومن لم يسمح بالمال فى المهر عاد بالخيبة فاقتحم لجج الطلب والدأب واصبر على مضض السهر والفكر تعد من أعيان العلماء وتتكلم على رؤس الاشهاد وترتقى ذرى المنابر وتصدر فى المجالس ويشار اليك بالأنامل وتعقد عليك الخناصر ومن الكلام النوابغ قرب ابن قريب بأصمعيه لا بأصمعه والا لم يشر اليه الرشيد بأصبعه ابن قريب هو الاصمعى وهو منسوب الى جده اصمع والاصمعان القلب الذكى والرأى الحازم وأما القناعة بالنزر القليل والرضى بالدون من العيش فهو أمر يوجب السلامة ويؤمن الخطر ومن كلام البديع الهمذانى الثناء منجح أنى سلك والسخى محوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة فلمعة دالة وان لم يكن خمر فخل فان لم يصبها وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وما قل خير من عدم ماجل وقليل فى الجيب خير من كثير فى الغيب وجهد المقل خير من عذر المخل وكوخ فى العيان خير من قصر فى الوهم وما كان أجود من لوكان وعصفور فى الكف خير من كركى فى الجو ولأن تقطف خير من أن تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيل انهق ومن لم يجد ماء تيمم وقيل لاعرابى لم لا تضرب فى البلاد قال يمنعنى من ذلك طفل بارك ولص سافك ودهر فاتك ثم انى لست مع ذلك بالواثق بنجح طلبتى ولا بقضاء حاجتى ولا بالعطف على من دونى لانى أقدم على قوم قد أطغاهم السلطان واستمالهم الشيطان وساعدهم الزمان واسكرتهم حداثة الاسنان وفى معنى قول الطغرائى ماقاله أبو اسحق الغزى

لا تحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل
وانزل اذا لم تجد للمرتقى سببا * فبائق العرد يرجو نازل السبل

ولو كان لى فى بيت الطغرائى حكم لقلت ودع غمار العلى للمقدمين على اخطارها أو أهوالها لان المقام هنا مقام تهويل وهذا اللفظ له مهابة فى السمع بخلاف ركوبها ألا تراه كيف استعار اللجة للعالى لان اللجة مخوفة قل من يقدم على هولها أو يركب ظهرها وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار سنة تسع وثمانين وستمائة

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تضبح فى العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطلخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سدا من حديد مائرا * فوق الفرات وفوقه نار ترى
حتى سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
طفرت وقد منع الفوارس منها * تجسرى ولو لاخيلنا لم تطفر
لم يفتحوا للرمى منهم اعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
ما كان أجرى خيلنا فى أثرهم * لو أنها برؤسهم لم تعثر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم ملأنا محجرا من محجر

اطعمتنى مما تاكل فالقى اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن فى التراب فاخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذى تمسحها منه أنظف من الذى تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها وجلس يوما الى معاوية يتحدثان فى خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها على قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم فلما غدا اليه ابو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ ألان الدهر اعضاءه عن امساك مثلها وكل اجوف ضروط وان امرأ ضعفت امانته عن كتمان ضرطة لحقيق ان لا يؤتمن على المسلمين * واسر يوما الى معاوية بشئ وكان المخبر فأصغى اليه معاوية ماسكا أنفه ففحى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لا تسودنى تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول

وكنت متى لم ترع سرك منشرا
نوازعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

فانظر الى هذه الالفاظ المفخمة التى أتى بها هذا الشاعر البليغ فى وصف هذا المقام المهول وأظنّ أن هذه الابيات نظمها مهمندار العرب فى واقعة الملك الظاهر رحمه الله لما ألقى روحه فى الفرات ورمى الجيش نفوسهم خلفه وفيها يقول القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شاطئ الفرات ومادروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى * تميس بها الابطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسدّ من حديد سباحة * اليهم فما استطاع العدوّ له نقبا

ويقول الموفق عبد الله بن عمر الانصارى

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالمال وبالأهل
اقتحم الماء ليطفى به * حرارة النار من الغل

ويقول ناصر الدين حسن بن النقيب

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقرى والقوائم
فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله قصيدة نظمها فى هذه الواقعة التى خاض الظاهر فيها الفرات منها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات بسابح أقصى منى * هوج الصبا من نعله الاثار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك قودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار

ومنها رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار

ومنها وقد قرأتها عليه وهو يسمع

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والاسد والاطيار
هذى منعت وهؤلا حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الايثار

(رجع الى ما يتعلق بتفخيم الالفاظ) ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

كم معرك اشتبت غدت أبطاله * كالاسد تزأر فى عرين صعاده
ضاق المجال بخيلهم فقتيلهم * يقضى ويمكث فوق ظهر جواده

وخبر أبى زبيد الطائى عن الاسد ووصفه له فى مجلس عثمان رضى الله عنه مشهور فانه أتى فيه بألفاظ مفخمة جدا روى صاحب الاغانى أن بعض الحاضرين حيق فى أثناء سماعه الوصف فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه أسكت رضى الله فاك فلقد رعبت قلوب المسلمين وأبيات بشر بن أبى عوانة فى وصف الاسد وأبيات البحترى وأبيات أبى الطيب الجميع مشهور فلا فائدة فى التطويل بذكر ذلك

(رضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز عند رسيم الاينق الذلل)

(اللغة) الرضى والرضوان بكسر الراء وضمها فى الثانى وهما من القراآت السبع والمرضاة جميع ذلك واحد ورضيت الشئ وارتضيته فهو مرضى وقد قالوا مرضو فجاؤا به على الاصل

ورضيت

لا يدن برقك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهنى بعد أن أكرمتنى
فشديد عادة منتزعه
وقال يخاطب ولده الله كان
لا يطلب الرزق
وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئها طورا وطورا
تجىء بحمأة وقليل ماء
وقال أيضا
يقول الارذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى علينا
بنو عم النبى وأقربوه
أحب الناس كلهم الينا
أجبهم كحب الله حتى
أجىء اذا بعثت على هويا
فان يكن حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا
فروى أن بنى قشير قالوا له قد شكيت يا أبا الاسود فقال كلاما شكيت أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين أفيرون أن الله تعالى شك وقوله هو يا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع
(وبوب الظرف والحال)
(الظرف) فى النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا لامور تقع فيه كقولك أعجبنى الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذى أسندت

ورضيت عنه رضى مقصور مصدر والرضاء ممدود اسم المصدر عن الاخفش وعيشة راضية بمعنى مرضية الذليل ضد العزيز رجل ذليل بين الذل والذلة والمذلة من قوم أذلاء وأذلة والذل بكسر الذال اللين الخفض الدعة يقال عيش خافض وهم فى خفض من العيش والخفض فى الصوت غضه وخفض عليك الامر هونه العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا كل منهما يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب ومعال ومعيل وأعاشه الله عيشة راضية مسكنة المسكنة مصدر تمسكن والمسكين الفقير العاجز عن الاكتساب وقد يكون بمعنى الذلة والضعف وهو المراد هنا يقال تمسكن الرجل كما قالوا تمدرع وتمندل فى المدرعة والمنديل على تمفعل وهو شاذ وقياسه تسكن وتدرع وتندل مثل تشجع وتحلم وفى الحديث ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان بل المسكين الذى لا يسأل ولا يفطن له فيعطى العزض الذل الرسيم ضرب من سير الابل وهو فوق الذميل قال أبو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو البريد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم والعنق سير مسبطر وقد رسم يرسم بالكسر ولا يقال أرسم الاينق جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد جمعت فى القلة على أنوق مثل أسهم ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا أن الواو صارت ياء لانكسار ما قبلها الذال دابة ذلول بينة الذل اذا كانت طائعة سهلة القياد دواب ذلل ومنه قولهم بعض الذل أبقى للاهل والمال (الاعراب رضى) مبتدأ واتما لم يظهر فيه الرفع لانه مقصور والمقصور يقدر اعرابه فى أحواله الثلاث (الذليل) مجرور بالاضافة اليه وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (بخفض) الباء هنا للتعدية أو هى للاستعانة (العيش) مجرور بالاضافة الى خفض وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (مسكنة) مرفوع على انه خبر المبتدا الذى تقدم (والعز) الواو للابتداء والعز مرفوع على انه مبتدا والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الذهنى (عند) ظرف مكان وفيها لغات كسر العين وفتحها وفتح النون مع فتح العين تقول عند قال الشاعر

وكل شئ قد يحب ولده * حتى الحبارى ويطير عنده

قال المحريرى فى درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر الا من وحدها ولا يقع فى تصاريف الكلام مجرورا الا بها كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله وانما خصت من بذلك لانها أم الباب ولام كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت ان المكسورة بدخول اللام فى خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضى خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر وأما قول الشاعر

كل عند لك عندى * لا يساوى نصف عند

فانه من ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الاسماء المتمكنة فأعربهما فى قوله

ليت شعرى وأين منى ليت * ان ليتا وان سوفا عناء

وقد تستعمل عند لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندى زيد وبمعنى الملك كقولك اليه الحديث فاذا قلت أعجبنى اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شئ وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير فى وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول فى حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد فى وقت مجيئه والقيام هيئة اللص فى وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو فى حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستحبة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

(وبنى وأعرب ونفى وتعجب) المبنى ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفى والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفى وقد يراد بها التعجب فمن لا يدرى النحو لا يميز بين محليهما كما فى قولهم ما أحسن

زيدوما أحسن زيدا فانها
فى الاول للنفى ولهذا ارتفع زيد
لانها نفت المسند الى زيد
وفى الثانى للتعجب ولهذا
انتصب زيد لان فاعل
أحسن هو ضمير مستكن
فيه يعود على ما فان معناها
فى الاصل شئ أحسن زيدا
وبسبب هذه المسئلة وضع
علم النحوى كما تقدم فى ذكر
أبى الاسود الديلى مع ابنته
(ووصل وقطع وثنى وجمع)
أشار الى معرفة مواقع همزة
الوصل من مواقع همزة القطع
وقد أنشد البيت المشهور فى
مدح النبى صلى الله عليه وسلم
على وجهين وهو
فشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
فقيل شق له من اسمه باثبات
الهمزة وسلامة النظم من
الزحاف وقيل شق له من
اسمه باستعمال الوصل
ويكون ذلك مع دخول القبض
فى الجزء الثانى من الطويل
وهو مفاعيلن بحذف الياء
فيصير مفاعلن وهو زحاف
مستعمل فى هذا البحر تقع
المعاقبة بينه وبين الكف
وهو أخف منه وأكثر
استعمالا (والتثنية) زيادة
ألف أو ياء مفتوح ما قبلها فى
آخر الكلمة مع نون مكسورة
كقولهم الرجلان والرجلين
(والجمع) ضربان أحدهما

عندى مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندى أفضل من عمرو أى فى حكمى وبمعنى الفضل
والاحسان كما قال سبحانه وتعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام فان
أتممت عشرا فمن عندك أى من فضلك (رجع رسيم) مجرور بالاضافة الى عند (الاينق) مجرور
بالاضافة اليه لان رسيم أضيف الى الاينق وتقدم الكلام فى اللغة على تصريف أينق
(الذلل) مجرور على انه صفة للاينق تبعه فى أربعة من عشرة وهى التعريف والجمع
والتأنيث والجر وأما الخبر الذى يطلبه المبتدا وهو العز فانه محذوف وهو ما تعلق به الظرف
الذى سد مسده وتقديره والعز مستقر أو مطلوب أو كائن عند رسيم الاينق (المعنى) يقول رضى
الذليل بلين العيش ودعته مع وجود الذل مسكنة عند صاحب النفس الابية وانما العز
موجود عند سير النوق المذللة فى الاسفار وهذا حث على الحركة والتنقل على مواطن الذل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل
نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق ومن الكلم النوابغ الحر لا يدر على العصاب ولا
يذل وان منى بالصعاب العصاب الحبل الذى يعصب به فخذ الناقة ومنها كم لأيدى
الركاب من أيادى فى الرقاب الأيدى جمع اليد التى هى الجارحة والايادى جمع اليد وهى
النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجهما عوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعملوا
الايادى فى جمع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب الى صاحبه المملوك يقبل الايادى
الكريمة وهو لحن وانما الصواب الايدى الكريمة قال أبو العلاء المعرى

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

فجمع اليد الجارحة على أيد وقال أبو الطيب

أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام

ولقد جرى لى محاورة مع بعض أهل العصر ممن عانى الادب وهو انى أنشدت يوما بحضرته
هذا البيت وأخذت فى استحسانه فأخذ يرد على فى ذلك ويقول الا انه صفع الناس كلهم فى هذا
البيت تجمعه بين الرقاب والايادى فبينت له مكان غلطه وقلت له ليس هذا البيت من هذا
الباب ولو أوردت هذا فى قول الشاعر

اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

لمشى لك الذى تريد فلم يحر جوابا وذكرت هنا قول القائل

ماذا يفيد المعنى * من الجوى المتتابع
بعصر ذات الايادى * ونيلها ذى الاصابع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

وفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وهذان المقطوعان يغتفر فيهما اللحن الخفى لرشاقة نظمهما وعلى ذكر النيل فما أحسن قول
القائل

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب الفلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى

وأنشدت

وأنشدت لخليل الهمذانى الكفتى

مولاى ان البحر لما زرته * حياك وهو أخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التى * هى مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه الستر لما جئته * خجلا ومد تضرعا بالاذرع

وما أحسن قول علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت

روضة مصر وبستانها * شوقى وجد دعهدى الخالى
وصف لى القرط وشنف به * سمعى وما العاطل كالحالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادى لا يزيد ولا * ثوروان رقاو راقالى

ومن كتاب أنشأه القاضى محيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر السعدى رحمه الله فى بشارة النيل ولما تكامل ايابه وصح فى ديوان الفلاح والفلاحة حسابه أظهر ما عنده من ذخائر اليسر وودائعه ولقط عموده جمل ذلك على أصابعه وكتب ابن سناء الملك الى القاضى الفاضل رحمه الله يخبره بعدم وفاء النيل وأما النيل فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وما أحسن قول ابن عماتى

ولقد عهدت النيل سنيا يرى * عمرا ويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشيعا * متوقفا ما ان يحب يزيدا

وكتبت أنا فى البشارة بالنيل كتابا جاء منه فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندى قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق اطبع والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء وبلوغ الهرم اذا احتد واضطرم وأمن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كسر والماء كما يقال سلطان الى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع الزيادة من نقائصه وهو أنه فى هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعصمها بخنادقه التى لا تراع من تراعه وحصنها بسوارى الصوارى تحت قلوعه وماهى الا عمد تحت قلاعه وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بمطالعتنا فى كل يوم بخبر قاعه فى رقاعه حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيرات سراعا وفتحت أبواب الرحمة بتغليقه وجد فى طلب تحليقه تضرع بمد ذراعيه الينا وسلم عند الوفاء باصابعه علينا ونشر علم سيره وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره فرسمنا بان يحلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوج موجه ويهيل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابى الدور المبثوثه ويجوس خلال الخنايا كأن له فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسى قناطره المنكوسه وعلاه زبد حركته ولولا ما لظهرت فى باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل ببركة الفال وجعل المجنونة من تياره المخدر فى السلاسل والاغلال وازدحمت فى عبارة شكره أفواج الافواه وملأ كف الرجاء باموال الامواه وأعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد وهنأت طلائعه بالطلائع التى نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وقلت فى زيادته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

جمع التصحيح وهو ما سلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها فى آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء فى آخر الاسم كتمرات ومسلمات فى جمع تمرة ومسلمة والضرب الثانى جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب فى جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى فى الكلمة بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كانا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر مأخوذ من ظهر الشئ اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشئ واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة فى نحو قولك أقام زيد وهل فى هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

قالوا علا نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ست وعشر يبلغ الهرما

وقلت فيه أيضا
قد زاد هذا النيل فى عامنا * فاغرق الارض بانعامه
وكاد ان يعطف من مائه * عرى على أزرار اهرامه

وقلت مضمنا
يقول لنا المقياس والنيل هابط * لنقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وقلت أيضا
لم لا أهيم بمصر * وأرتضيها واعشق
وما ترى العين أحلى * من مائها ان تملق

(رجع ومن الكلام النوابغ) ان لم تكن ذا عرنين أشم كنت لريح الذل أشم وقال بعض الاعراب
سأعمل نص العيس حتى يكفنى * عن المال يوما أو عن الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان

وقيل ظلم اعرابى من بنى بكر بن وائل فقتل ظالمه فعنف فقال ما أساء من قتل ظالمه فقيل له أتحب أن تلقى الله ظالما أم مظلوما فقال بل ظالما ما عذرى غدا عند الله تعالى اذا قال خلقتك مثل الغير ثم تجىء تشكو لى قال الجربادى كان لابن أبى عتيق صديق من الاعراب فغاب عنه حينا ثم رآه يوما يحمل فى المدينة مقيدا بالحديد فقال له ويحك ما هذا قال لطمت حوضا لى فثلمه بعض جيرانى فخطرت يدى خطرة فأصابت صدره فأتى عليه أجله فقال له ولم فعلت ذلك فأنشد

فأى امرئ فى الناس يهدم حوضه * اذا كان ذا رمح ولما يمانع

فقال ابن أبى عتيق أما والله كنت أصلحه بكف طين ولا يكون فى رجلى ما فى رجلك وفى أمثال العرب رهبوت خير من رحموت معناه لأن ترهب خير من أن ترحم وقال المتلمس

ان الهوان جار البيت يألفه * والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الذليلان غير السوء والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وتقول العرب فى أمثالها قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ما خلانى ورائى وقال أبو تمام الطائى

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال أبو الطيب
واطلب العز فى لظى وذر الذل * ولو كان فى جنان الخلود

وقال أيضا
انى أصاحب حلمى وهو بى كرم * ولا أصاحب حلمى وهو بى جبن
ولا أقيم على حال أذل به * ولا أسر بما أرضى به قرن

وقال أيضا
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

وقال أيضا
عش عزيزا أو مت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال القرمطى الخارجى بالشام

(وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر)
اما أن يكون أراد الحروف المهملة التى هى غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله فى السجعة الثانية أرسل وأسند والمطلق ما لم يقيد (والمقيد) ما ضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال فى الربائب وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) ما اصطلح عليه فى علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعى الصغير كالزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر رواياتهم عن التابعى وأما المسند فهو ما اتصل سنده من روايه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة

أرى أن المنية بالمعالى * أحب الى من ذل القعود

وقال ديك الجن

حتى أصادف مالا أو يقال فتى * لاقى الردى بين أسياف وأرماح

وقال التهامى

واذا الفتى ألف الهوان فبينى * ما الفرق بين الكلب والانسان

موت الذليل كعيشة ويد الفتى * شلاء أو مقطوعة سيان

وقال الارجانى

ولم أغترب الا لأكتسب الغنى * فأسقى منه كل ذى ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من أجل انه * يسوق اليها وهى لن تبراح الوبلا

اذا ما قضت نفسى من العز حاجة * فلست أبالى الدهر أمالى لها أم لا

وقال آخر

حاولت أن ألقى الزمان بطبعه * لولا الوفاء وشيمة لا تنقل

فى الارض متسع لنفس حرة * ان تنب منزلة وعاها منزل

وقال ابن عنين

فامّا مقاما يضرب المجد حوله * سرادقه أو باكيا لحمام

فان أنا لم أبلغ مقاما أروم * فكم حسرات فى نفوس كرام

---

*(فادر أبهى فى نحور البيد جافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل)*

(اللغة) ادر افعل أمر من الدرء وهو الدفع ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أى تدافعتم ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات أى ادفعوا النحور جمع نحر وهو موضع القلادة فى الحلق وهو هنا مجاز استعاره للبيد والبيد جمع بيداء وهى المفازة ومنه باد الشئ يبيد أى هلك وأبادهم الله تعالى أى أهلكهم جافلة جفل اذا أسرع والجافل المنزعج واجفلت الريح فهى مجفل أى أسرعت وجافلة أيضا وأجفلت الريح التراب فهى مجفل أى أذهبته وطيرته وأنشد الاصمعى *وهاب كعثمان الحمامة أجفلت * به ريح برح والصبا كل مجفل

وانجفل القوم أى انقلبوا كلهم فضوا معارضات تقول عارضته فى المسير اذا سرت حياله وعارضته بمثل ما صنع أى أتيت اليه بمثل ما أتى وعارضت كتابى بكتابه أى قابلته وذكرت هنا ما نظمته فى ملمح قابل معى كتابا وهو

جنيت خدك وردا * غضا وقدك ذابل

فهأنا كل وقت * أجنى وأنت تقابل

أجنى هنا من الجناية ومن الجنى وتقابل من مقابلة المذنب بالعقوبة على جنايته ومن مقابلة الكتاب بغيره طلبا لتصحيحه مثانى جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى أى اثنين اثنين ومثنى لا ينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيقى قال الله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تمسك بعض الرافضة بهذه الآية فجوّز للرجل أن يتزوج بتسعة قال لان اثنين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ولأن النبى صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه انهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فتنصب ذلك على الحال والحال هى التى تبين هيئة الفاعل أو المفعول فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم أى لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ما أباحه من النكاح بقوله

والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشئ والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشئ

(وتصفح الاديان)

صفح الشئ عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة لانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع

فانكحوا ما طاب لكم الخ أى اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع وأما النبى صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التى انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها وذكر لى بعض الافاضل أن الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له تسعين خاصة وهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم فى النكاح وأمر الزوجات ولهذا ترى الفقهاء سردوها فى كتاب النكاح واختلف أهل العربية هل هذا العدد من الواحد الى العشرة أو هو ما نطق به القرآن الكريم فقط والصحيح أنه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا فى ذلك شعرا يتضمن العدد الى عشار وأورده الحريرى فى درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية وقال الحريرى فى هذا الكتاب بعد ما أورد قول ابى الطيب

أحاد أم سداس فى أحاد * ليلتنا المنوطة بالتناد

غلط أبو الطيب هنا فى عدة مواضع من هذا البيت الاول انه قال أحاد وسداس ولم يسمع فى الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف فى خماس وما بعده الى عشار الثانى انه صغر ليلة على ليلية وانما تصغر على ليلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكأنها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شئ أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله (قلت) ليس فى هذا تناقض لان التصغير فى كلام العرب على أربعة أنواع الاول تصغير التحقير كفليس ورجيل والثانى تصغير التقريب كفويق وبعيد وقبيل ودوين والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أمليحه وما أحيسنه والرابع تصغير التعظيم كقولك انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

فأبو الطيب صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد وقال النور الاسعردى مضمنا

ندیمی لا تهزأ بشمولة وان * بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك فيها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وأنشدنى المولى بدر الدين حسن بن على الغزى من لفظه لنفسه فى الخمر

وصفراء حال المزج يصبغ ضوءها * اكف الندامى وهو فى الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها * دويهية تصفر منها الانامل

(رجع اللجم) جمع لجام وهو فارسى معرب وهو للخليل بمثابة الزمام للنوق الجدل جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول من ادم تقول جدلت الحبل أجدله جدلا اذا أحكمت فتله وجارية مجدولة الخلق حسنة الجدل (الاعراب فادرأ) ادرأ فعل أمر من درأت وقد تقدم الكلام على أفعال الامر من الثلاثى فالهمزة هنا ساكنة (بها) جار ومجرور والضمير يرجع الى الاينق فى البيت الذى قبله (فى نحور) فى حرف جر وهى ظرفية ونحور مجرور بها (البيد) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (جافلة) منصوب على الحال من الضمير الذى يعود على الاينق (معارضات) منصوب على انه حال ثانية وعلامة نصبه كونه مكسورا لانه جمع مؤنث سالم

الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدر كقوله تعالى فى قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أى رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران والمجوس وفرقهم من الكبو مرثية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع فى الملل والنحل

واحده معارضة وهذا الجمع اذا كان بالالف والتاء اعرب بالضم فى حالة الرفع وبالكسر فى حالتى النصب والجر تقول جاءنى معارضات ورأيت معارضات ومررت بمعارضات وانما أعربوه هذا الاعراب ليقابلوا به الجمع المذكر السالم لما كان يعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وانما أعربوا هذا الجمع المؤنث بالحركات دون الحروف لانه تقدم فى اعراب الجمع المذكر السالم ان الاعراب بالحركات هو الاصل والاعراب بالحروف هو الفرع والافراد هو الاصل والجمع هو الفرع فاعطوا الاصل للاصل والفرع للفرع فصار اعراب الجمع بالحروف هو الاصل ولما استقر ذلك قاعدة جاؤا الى الجمع المؤنث السالم فوجدوه فرعا على الجمع المذكر فلم يعطوه اعراب الاصل فى الجمع الذى هو بالحروف فاعطوه الاعراب الفرعى بالنسبة الى الجمع وهو بالحركات لانهم مالهم اعراب بغير هذين ولا يعربون مما جمع بالالف والتاء هذا الاعراب المخصوص الا ماله مذكر يعرب بالحروف كقولك مسلمون ومسلمات وفائمون وقائمات وكما انهم ألحقوا بباب الجمع المذكر السالم ما ليس منه مثل عالمون وعليون وأرضون وسنون كذلك ألحقوا بهذا الباب ما ليس منه مثل عرفات واذرعات تقول هذه عرفات ورأيت عرفات ومررت بعرفات لانه لا يقال فى مذكره عرفون وهكذا أولات تقول جاءنى أولات حسن ورأيت أولات حسن ومررت بأولات حسن والاصل فى هذه التاء أن تكون أصلية للتأنيث فى المفرد مثل شجرة ومسلمة أما اذا كانت غير أصلية مثل رواة فانها تعرب على الاصل تقول هذه رواة ورأيت رواة ومررت برواة وان كانت لغير التأنيث أعربت على الاصل تقول هذه أبيات ورأيت أبياتا ومررت بابيات لان التاء فى المفرد لغير التأنيث ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطهم وقد نظم الملوك أبياتا فاذا أنكر ناذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى

وما بتا والف قد جمعا * يكسر فى الجر وفى النصب معا

فاقول لهم الشيخ قال ما جمع بالالف والتاء وهذا ليس منه لانها فى المفرد أصل فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيه أصلية فاقول التاء الاصلية فى مسلمة حذفت فى الجمع وكان اصله مسلمتات فاستثقل الجمع بين علامتى تأنيث فحذفت الاولى وعلى كل تقدير فلا بد لهذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالما وأبيات جمع مذكر مكسر غير سالم فلا يهتدون لما أقول (رجع مثانى اللجم) مثانى منصوب بمعارضات لانه اسم فاعل يعمل عمل الفعل اذا كان غير مضاف تقول هذا مكرم زيدا وزيد مكرم عمرو فتنصب المفعول اذا نونت وتجره اذا أضفت ولم يظهر النصب فى مثانى لانه يجوز ذلك فى المنقوص وهو من أحسن الضرورات ولكن الاصل فيه معارضات مثانى اللجم بفتح الياء والوزن اضطره الى سكونها (بالجدل) الباء حرف جر وهى للتعدية الفعل تقول عارضت كذا بكذا والجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول ثان لمعارضات (المعنى) فادفع بالاينق الذلل فى نحور المفاوز والقفار مسرعة غير ملتفتة و بجياد الخيل فعارض بجم تلك بازمة هذه وهذا حث منه على اعمال الركاب وأن يرمى بها فى نحور البيد مسرعة تبارى بازمتها الجم الخيل فى مسيرها وهذا البيت مأخود من قول أبى الطيب

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها * قلبى من الحزن أو جسمى من السقم
طردت من مصر أيديها بارجلها * حتى مرقن بها من جوش والعلم

(ورجع بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران قائلا ببنوة المسيح معظما فى أساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ فى الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا مخالفتى لهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى رسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور ابن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعوا له النبوة ونسبوه لها الى ان قتل فى زمان بهرام ابن سابور كما سيأتى ذكره حدث البرنجى وغيره قال زعم مانى وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس

تبرى بهن نعام الدو مسرجة * تعارض الجدل المرخاة باللجم

وما أحسن قول أبى الطيب

وجرد مددنا بين آذانها القنا * فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهذا تشبيه حسن فى العنان وفيه زيادة معنى لان الخيل تجاذب الفرسان الاعنة فهى تطلب أمام وفرسانها تجذب أعنتها التخفيف السير عنها وأخذه ابن القيسرانى فقال ومن خطه نقلت

وأسرى نعاس يممو اكعبة الندى * فهم سجد فوق المذاكى وركع

على كل نشوان العنان كأنما * جرى فى وريديه الرحيق المشعشع

شكائمها معقودة بسياطها * تخال بايدينا أراقم تلسع

ولمح هذا المعنى المولى صفى الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلى فانشدنى لنفسه اجازة ومن خطه نقلت من أبيات

فقلت لاقال ولا سابق * مرفه السوط شقى العنان

فانظر اليه كيف نظر الى ذلك المعنى من طرف خفى واختلسه ثم زاده زيادة مليحة وهو انه مرفه السوط وما سمعت أحسن من هاتين الكنايتين فى شقاوة العنان ورفاهية السوط وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبى الطيب فى تشبيه العنان بالافعى وزاد عليه زيادة حسنة فقال فى زمام الناقة

ولقد أتيت اليك تحمل نرتى * حرف يسكن طيشها الدألان

ينفى الزفير خطامها فكأنما * غار يحاول نقبه ثعبان

وقال أبو نواس فى جذب الازمة

يثوى لانقاض أضربها * جذب البرى فخدودها صفر

فكأنه مصغ ليسمعه * بعض الحديث باذنه وقر

وقال ابراهيم بن المهدى

اذا جذبت بها الانساع أصغت * كاصغاء النجى الى النجى

وقال ابو اسحق بن خفاجة

طاف الخيال به فأسرج ادهما * وسما السماك به فأشرع لهذما

وسرى يطير به عقاب كاسر * امسى يلاعب من عنان ارقما

وقال آخر

رجعة اسفار كأن زمامها * شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

(ان العلى حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل)

(اللغة) العلى تقدم الكلام عليها الحديث الخبر يأتى على القليل والكثير العز ضد الذل النقل جمع نقلة وهى اسم للانتقال من موضع الى موضع (الاعراب ان) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وقد تقدم الكلام عليها فى شرح قوله انى اريد طروق الحى البيت (العلى) اسم ان فهى منصوبة ولم يظهر النصب لانها مقصورة والالف واللام للعهد الذهنى أو لما تقدم فى اثناء القصيدة من ذكرها فى مثل على قضاء حقوق للعلى قبلى (حدثتنى) حدث فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله ضمير مستتر فى حدثت عائد على العلى تقديره حدثت هى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهى للمتكلم والجملة فى موضع رفع لانها خبر ان (وهى) الواو

منها من الشر شئ وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع فى ناحية الشمال والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامس هو الروح فابدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها الشبح المتحرك فى هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون فى عنصر النار السخن والبرد وقدرد عليهم بعض العلماء فى قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادرا والاخر عاجزا لا جائز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون أحدهما عاجزا

واو الابتداء وهى ضمير مرفوع المحل على الابتداء راجع الى العلى (صادقة) خبرها (فيما) فى حرف جر وهى ظرفية تتعلق بحدثتنى وما اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وهو فى موضع جر (تحدث) فعل مضارع وهو صلة ما التى تقدمت والعائد محذوف لانه فضلة تقديره فيما تحدثه (ان العز) ان واسمها وهى هنا مكسورة لانها محكية (فى النقل) فى حرف جر وهى للظرف معنى والنقل مجرور بها والجار والمجرور يتعلق بمحذوف هو خبر ان تقديره ان العز مستقر فى النقل وقوله ان العز وما بعده فى موضع النصب على انه مفعول حدثتنى وهو مفعول ثان وقوله وهى صادقة جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب اعترضت بين قوله حدثتنى وبين قوله فيما تحدث (المعنى) ان العلى حدثتنى وهى صادقة فيما حدثت من الاخبار ان العز موجود فى النقل من مكان الى مكان والاغتراب من مكان نبا بساكنه الى مكان يلائمه ويوافقه وينال فيه المعالى وقد اكثر الشعراء فى الحث على الانتقال والحركة قال ابو تمام

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابو الغنائم محمد بن المعلم

سر طالبا غاياتها اما ترى * فوق الثريا او ترى تحت الثرى

لا تخلدن الى المقام فانما * سير الهلال قضى له ان يقمرا

لا تبك دارا فالفتى من ان دعا * دمعا عصاه وان دعاه دما جرى

اين الكناس من العرين واين غز * لان اللوى فى المجد من اسد الشرى

لو ينتج الوطن العلى ما سار عن * غمدان سيد حمير مستنصرا

ولو استتم بمكة لمحمد * ما رام لم ينصب بيثرب منبرا

والليث لو وجد الفريسة رابضا * اوناهضا فى خيسه ما اسحرا

لا عار فى بيع النفوس على الردى * عندى اذا كان العلاء المشترى

حتام حظى فى الوهاد وحظ أصحاب الدناءة فى الشواهق والذرى

ما الجبن يحمينى الحمام ولا أرى الاقدام يجلب لى سوى ما قدرا

لابد منها وثبة تعرى الظبا * فيها وتكسو الجو فيها العثيرا

أشكو الى الايام ما ألقى لها * وجهاء على تلويثها مستبشرا

ما عذر من لم يلق وجها أبيضا * منهن ان لم يلق يوما أحمرا

أثبت هذه الابيات على طولها وان كان بعضها ما له تعلق بهذا البيت على الخصوص لان لها علاقة بالقصيدة على العموم ومن كلام الحكمة ان الله لم يجمع منافع الدنيا فى أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقيل المسافر يجمع المحائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار مما تزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقيل ليس بينك وبين بلد نسب خير البلاد ما حملك وقال ابن الساعاتى

أهلك والليل مضى أجملك * شمر فخير البلاد ما حملك

لا خير فى بقعة تروق من الأرض اذا لم تنل بها أملك

حتام لا تعمل الجياد ولا * تعمل فى أم غاية ابلك

فبقى ان يقال هما قادران فيتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر فى قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع فى شر ومن ههنا أخذ المتنبى فقال

وكم لظلام الليل عندى من يد

تخبر أن المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم أن العالم بما فيه مركب من عشرة أجزاء يعنى أجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة ناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسىء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال فخبرنى عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذى ندم هو الذى أساء قال نعم قال فارى

لقد تربصت خيفة الاجل المحتوم لو كان دافعا أجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى * أفضل يوما عليك أو فضلك

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
وينقله الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وأخذه بعضهم فقال

نقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور
لولا التنقل ما ارتقى * در البحور الى النحور
ما المذكرون بأرضهم * الا كسكان القبور

وقال أيضا

شرفى جاوز العلى ومن العا * رض ما انحط عن رؤس الجبال
كيف لا أسرع التنقل والمشـ * ـهور للبدر سرعة الانتقال

وقال أيضا

ان مقام المرء فى بيته * مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار عن زنده

وقال آخر

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

وقال أبو الفرج بن هندو

صح تحيك العلى الى الغايات * ما غنى الاسود فى الغابات
لا يرد الردى لزوم بيوت * لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدرحمأة فاذ اسا * فرحلى التيجان واللبات
اف للدهر ماينى يتعس الفا * ضل فى بدئه وفى العقبات
يسكن المسك سرة الظبى بدأ * ثم تصليه جمرة الوقدات

وقال ابن قلاقس

والصغير الحقير يسمو به السيـ * ـر فيعنوله الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انـ * ـحط عنه فى قيمة الدست فيل

وقال أبو الفضل التميمى

دعنى أسر فى البلاد ملتمسا * فضلة مال ان لم يفر زانا
فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وذكرت هنا أبياتا لابن الرومى فيمن يلعب بالشطرنج غائبا وهى

غلط الناس لست تلعب بالشطـ * ـرنج لكن بأنفس اللعباء
غير ما ناظر بعينيك فى الدسـ * ـت ولا مقبل على الرسلاء

صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المناكح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل اتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد وقيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فامر أدرياد موبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسئلة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرياد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى

بل تراها وأنت مستدبر الظهـ ـر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا خصما سواك يولى * وهو يردى فوارس الهيجاء

وقال أبو اسحق فى المهذب فى كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب الشطرنج ذكره فى فضل اللعب بالشطرنج وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجندا يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالى ويحطهم ويغلبهم وما راعى فيه الا انه يقعد ويتحدث وينشد لنا الاشعار ويحكى كل منا حكاية فى شأنه وهو يشاركنا فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم الى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شئ مما هو فيه وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج الا أناسا قلائل ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصا يعرف بالنظام العجمى وهو يلعب الشطرنج غائبا فى مجلس الصاحب شمس الدين وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الاطباء وكان طبقة فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم يره حتى التفت الينا وقال مات وحكى لى أنه كان يلعب غائبا على رقعتين وحكى لى عنه صاحبنا المولى بدر الدين حسن الغزى انه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب فى الثلاث والعهدة فى ذلك عليه اه وكان الصاحب شمس الدين يدعه فى وسط الدست ويقول له عدلنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعا كأنه يراها بين يديه وأنشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله

لله فى الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضرا جتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

وبقوله أيضا

ولاعب يعرف شطرنجه * عن فهمه المقتد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

قلت كذا رأيته ولو قال ياحسنه أو ياعجبا لسلم من حذف فاعل حب الذى هو بدل من ذا وهو غير جائز وأنشدنى من لفظه لنفسه ملغزا فى الشطرنج

وما صامت يمضى ويرجع مفكرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الضنا آلى عليه ألية * فما فيه الا النقس والعظم والجلد
وأحرفه خمس ولكن شطره * ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

وقال بعضهم ملغزا فيه أيضا

وما اسم ثلاثة أخماسه * هو الشطر منه ومن غيره
وباقيه ان رمت معكوسه * قطعت رجاءك من خيره

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا

وما شئ له نفس ونفس * ويؤكل عظمه ويحك جلده
يوديه الفتى ادراك سؤال * وقد يلقى به مالا يوده
ويؤخذ منه أكثره بحق * ولكن عند آخره يرده

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

تدعو اليه وتعان على ابطال
هذا الامتزاج المذموم
فانقطع مانى فامر بهرام بصلبه
على الخشب ففعل يصيح
ويقول أيها المعبود النورانى
بالغت ما أمرتنى به وهذه
عادتهم فى وفى أمثالى وأنت
الحكيم وها انا الآن مار
اليك وما آذيت صامتا ولا
ناطقا فتبارك أنت وعالمك
النورانى الازلى فكان آخر
قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان
بهرام فى الاول قد أظهر
متابعته حتى أحاط علما بمن
تبعه فلما قتله أمر بقتل
أصحابه ثم ظهر من يسلك
مسلكهم فى الاسلام بشر
عظيم يسمون الزنادقة قتلهم
المهدى وأباده م * وأما
غيلان فهو ابن يونس
القدرى الدمشقى كان أبوه
مولى لعثمان بن عفان
وغيلان أول من تكلم فى
القدر وخلق القرآن فى
الاسلام وقيل أول من تكلم
فى القدر رجل من أهل
العراق كان نصرانيا فاسلم
ثم تنصر واخذ عنه معبد
الجهنى وغيلان الدمشقى
وروى ان مكحولا قال لغيلان
ويلك ياغيلان ألم أجدك
ترامى النساء بالسفاح فى
شهر رمضان ثم صرت حارثيا
تخدم امرأة الحرث الكذاب
وتزعم انها أم المؤمنين ثم

أشكوا السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأننا نحن فى التمثيل شطرنج

ولك فى لفظ الشطرنج لغتان بالشين المعجمة وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر لان كل لاعب له شطر من القطع و بالسين المهملة لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتا وان ألحقته بأوزان العربية كسرت أوّله فقلت شطرنج لان فعلال فى العربية له نظير مثل قرطعب والصحيح ان هذه لفظة أعجمية كذا جاءت وأصله بالعجمية شش رنك معناه ستة ألوان وهى الشاه والفرزو والفيل والفرس والرخ والبيدق يقال ان بعضهم سمع آخر يقول باسجاع هات الشطرنج من تحت السجرة بالسين المهملة فى الجميع فقال ضيعت على النحوى تسع نقط وكثير من الناس يغلط فى الصولى وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل فيه والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندى كان أردشير بن بابك أوّل ملوك الفرس الاخير قد وضع النرد ولذلك قيل له نرد شير جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله السه وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى ويتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعرة وأخبرنى من أثق به أن الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفى ذلك فهو أقرب الى الاعتزال أو كما قال وما أحسن قول الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال من قصيدته اللامية

وفى الفصوص لعبنا * منقل كالمثل
تلوح فى أكفنا * كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا * فعل القضا فى الدول

ولابى عبد الله محمد بن أحمد الخياط بدمشق قصيدة سينية يصف فيها النرد أبدع فيها فلما وضع أردشير ذلك افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يتمنى عليه فتمنى عليه عدد تضعيفه قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه فما قابله به من طلب النزر القليل فى ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمره به فلما حسب به أرباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثانى أكثر من الاوّل قال القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان رحمه الله تعالى ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا تبين صحة ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فانبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد

نحوات بعد ذلك قد يازيد يقا
وروى أن غيلان وقف يوما
على ربيعة فقال له أنت
الذى تزعم أن الله يحب أن
يعصى فقال له ربيعة أنت
الذى تزعم أن الله يعصى
قسرا وقيل لغيلان من كان
أشد عليك قال عمر بن عبد
العزيز كأنما كان يلقن من
السماء وحكى ابن مهاجر
قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن
غيلان وفلانا نطقا فى القدر
فأرسل اليهما وقال ما الامر
الذى تنطقان به فقالا هو
ما قال الله يا أمير المؤمنين قال
وما قال الله قالا قال هل أتى
على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيأ مذكورا ثم قال
انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا ثم سكتا فقال
عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان
هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن
يشاء الله الى آخر السورة قال
كيف تريان يا بنى الاتانة
تأخذان الفروع وتدعان
الاصول قال ابن مهاجر ثم
بلغ عمر بن عبد العزيز انهما
أسرفا فأرسل اليهما وهو
مغضب فقام عمرو كنت
خلفه قائما حتى دخلا عليه
وأنا مستقبلهما فقال لهما
ألم يكن فى سابق علم الله
حين أمر الله ابليس بالسجود
أن لا يسجد قال فأومأت اليهما

عبرتها فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه فى ذلك النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الارادب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة ألف اردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثى اردب وهذا المقدار شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى قلت آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ست مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات وسبعمائة وتسعة آلاف ألف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وستمائة وخمسة عشر حبة عددا وانشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بيتا واحدا يضبط هذا العدد وهو هذا

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته

ها و ا هـ طـ عـ جـ ز مـ ـد ز و د د حا

١ ٨ ٤ ٤ ٦ ٧ ٤ ٤ ٠ ٧ ٣ ٧ ٠ ٩ ٥ ٥ ١ ٦ ١ ٥

وقال انه اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب ووزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح وكل بيت اذا ربعنا ما فيه من العدد حصل من مربعه ما يجب أن يكون فى البيت الذى عدده كضعف ذلك البيت الا واحدا فاذا ربعنا ما حصل فى الثالث مثلا حصل ما فى الخامس واذا ربعنا ما حصل فى الخامس حصل ما فى التاسع فاذا ربعناه حصل ما فى السابع عشر فاذا ربعناه حصل ما فى الثالث والثلاثين فاذا ربعناه حصل ما فى الخامس والستين فاذا نقصنا منه واحدا كان الباقى جملة ما فى البيوت كلها الى البيت الرابع والستين وان نصفناه قبل أن ينقص منه واحد كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات اه كلامه وحكى لى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن أبى البيان قال قال لى الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى يا رشيد الدين قال ابن حزم أوّل كذبة كذبها بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفسا فى زمن يوسف عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران عليه السلام ستمائة ألف قال فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال لا قلت ولا من التابعين قال لا قلت هذا ابن حزم ما كان يدرى ان اثنين واثنين أربعة فقال لاى شئ قلت ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتا فاذا ضعفناها من واحد انتهت الاعداد الى كذا وكذا وذكر العدد الذى حصل هناك ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الهرم فلم يذكروهم قال فسكت الشيخ تقى الدين رحمه الله انتهى فقلت أناله يا مولاى رشيد الدين قوم يخرجون فى عدة ألف ألف

برأسى أن قولا نعم والا فهو الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن فى سابق علم الله حين نهى آدم وحوّاء عن الشجرة أن يأكلا منها فألهمهما أن يأكلا منها فأومأت اليهما برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان وأمسكا عن الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم يفد الكتاب وسال بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حرّ السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب فى أيام هشام بن عبد الملك حين قال يا غيلان ما هذه المقالة التى بلغتنى عنك فى القدر فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك فأحضر من أحببت يحاجنى فان غلبنى ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى فقال له الاوزاعى يا غيلان ان شئت ألقيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد ما نهى عنه قال ما أدرى ما تقول قال فامر الله بامر خال دونه قال هذه اشد من الاولى قال فحرّم الله حراما ثم أحله قال ما أدرى ما تقول قال فأمر به هشام

نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون على ماذا حملوا زادهم وأى ماء اذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم هذا بعيد من العادة فلم يحر جوابا قلت له أنا أتبرع لك بالجواب وهو انهم كان معهم موسى عليه الصلاة والسلام وبيده العصا التى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شئ وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمون (رجع الى ذكر الشطرنج) وانما يذكر الصولى ويضرب به المثل لانه أجاد اللعب به وبلغ الغاية لا لانه واضعه حكى المسعودى فى مروج الذهب ان الامام الراضى بالله أتى فى بعض منتزهاته بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل أنشأ يصف محاسنه وانه لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال الراضى لعب الصولى بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون وقيل انه لما دخل الصولى على الامام المكتفى فى أوّل أمره كان عنده انسان يعرف بالماوردى قد ألفه المكتفى زمانا فلعبا بين يديه وأخذ المكتفى يزهر الماوردى ويشجعه وينصره حتى دهش الصولى فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولى قال للماوردى عادماء وردك بولا ويقال فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج والتسعة أحرف التى تجمع أنواع الحساب وما أحسن قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وقد اختصرت لك الثناء وربما * وافاك بالمقصود صدر ملطف
هذا الحساب يفوت أوهام الورى * ويحوزه الهندى بتسعة أحرف

ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصا مخصوصا صورة دائرة ويدعى أن مركبا كان على ظهر البحر الاعظم فى اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق وأرادوا أن يرموا بعضهم الى البحر ليخف المركب فينجو بعضهم ويسلم المركب فقالوا نقترع ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه فنظر الريس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة فقال ليس هذا حكما مرضيا وانما الحكم أنا نعد الجماعة فكل من كان تاسعا ألقيناه فارتضوا بذلك ولم يزل يعدهم ويلقى التاسع فالتاسع الى أن ألقى الكفار أجمعين وسلم المسلمون وهذه صورة ذلك

فقطعت يداه ورجلاه فمات
وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعى يا أبا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على عبد ما نهى عنه نهى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعد ما حرمها وممن كان يميل الى هذا المذهب أيضا غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبى بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين * قوله عيائل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال أنشدنى ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا * بعولان بالألباب ما يفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون

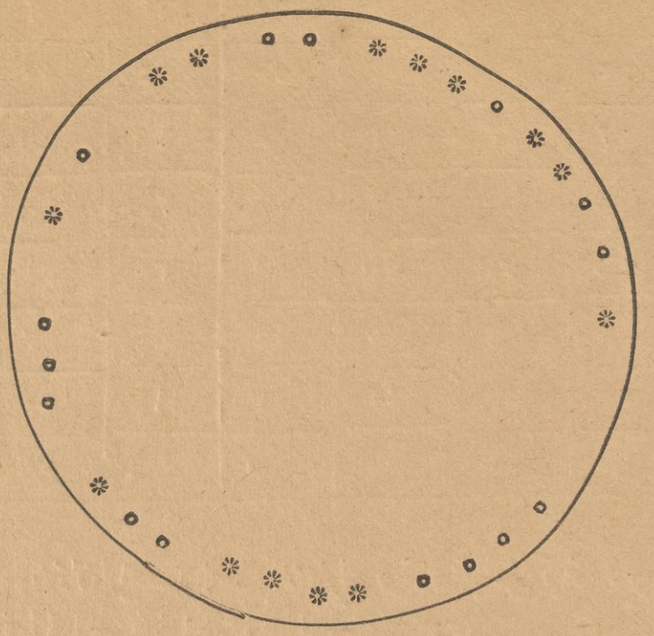

والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم أولا و يبتدئ من أول الاربعة الحمر الى جهة الشمال فينتهى التاسع الى آخر السودا لخمسة ثم يبتدئ من الاحمرين بالعدد وهكذا الى أن تلقى السود باجمعها ولقد ذكرتها نور الدين على بن اسمعيل الصفدى وهو من الذكاء فى الغاية فاعجبته وأخذ يكررها مدة فيقول أربعة مسلمون ثم خمسة كفار ثم مسلمان ثم كافر وهكذا الى أن ينتهى العدد ثم يعود يريد بذلك حفظ ترتيبها فقلت له هذا متعب وقد يشذ عنك وقت الحاجة فقال كيف أصنع بحفظ هذا الترتيب فلما رأيت تشوقه لذلك قلت له الضابط فى هذه بيت واحد تجعل حروفه المعجمة للكفار والمهملة للمسلمين وهو

ولما فتنت بلحظ له * عذلت فما خفت من شامت

فلما امتحن ذلك وصح قال لى كشفت عنى غمة وبعضهم يحفظ له بيتا آخر وهو

الله يقضى بكل يسر * ويرزق الضيف حيث كانا

ولك أن تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول

دهبا جا أبجا بيا

١٢٥٤ ١٣ ٣٢٢١ ١٢٢١

وذلك أربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحد ورأيت من يضع وفقا على عدد بيوت الرقعة ويضع فى أبياته اعدادا مخصوصة فيحصل من مجموعها وفق كيفما عددته من اليمين الى الشمال وبالعكس أو من فوق الى أسفل وبالعكس أو من قطريه تجده مائتين وستين عددا لا يختلف وفى أربعة أركانه أربعة أوفاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته

علامة المسلمين هذا الدائرة التى باطنها أبيض وما عداها علامة الكفار وذلك لعدم وجود الاحمر الذى نبه عليه المؤلف فى الصفحة التى تلى هذه اه

فقال لى لو سبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

(وأشار بذبح الجعد)

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بنى الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدى ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم فى ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القشيرى يوم الاضحى بالكوفة

١	٢	٦٢	٦١	٦٠	٥٩	٨
٩	١٠	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	١٦
٤٨	٤٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٤١
٤٠	٣٩	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣٣
٣٢	٣١	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٢٥
٢٤	٢٣	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	١٧
٤٩	٥٠	١٤	١٣	١٢	١١	٥٦
٥٧	٥٨	٦	٥	٤	٣	٦٤

وقيل ان المأمون كان لا يجيد اللعب بالشطرنج ويقول عجبا منى كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين فى ذراعين وقال النور الاسعردى

أعييت اذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعة لما انثنى مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحى فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراهما أعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيروانى فى مدح الشطرنج حرب سجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة عودة الجمال تستغرق الفكره وتسلب اللب استلاب السكره وتترك اللسان وما أراد أساء أو أجاد الا انها تدنى مجلس الصعلوك من أشراف الملوك حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعه الا عرض الرقعه وربما التقت ثيابهما فى بيت القطعه ولسانهما على بيت القطعه لعب أصولى وغريب صولى قرلجاجى ولعب لجلاجى مظفر الفئه يراها عن فائه بيوته حصينه وشاهه مصونه ودوابه مجتمعه وشاهه ممتنعه جيد النظر شديد الحذر لا يبقى ولا يذر عينه تغلى وفكرته تعلى ويده تبلى وقال فى ضد ذلك آخر الطبقة وأول الآبقه لعب كل يطرح له الكل رخه أبدا فيل وشاهه قتيل لعب يرمدويكمد لعب الغريب فيه غريب والصواب فيه لا يصاب دفع ما فيه نفع وقطع على نطع ما فى دفعاتها أغراب ولا لوقعاتها اطراب طويل حد الرقعه كثير مس القطعه على طول امساك وثقل حراك قلت ويعجبنى قول القائل

وهبك أتقنتها ماذا أتيت به * يا زوج أكبر ما فيها من القطع

(رجع الكلام الى قول الطغرائى) وقد استعار الحديث للعلى لان العلى أمور معنوية لا تتصف بالكلام ولكنه لما رجب وجود العز بالنقلة والحركة صارت التجربة عنده علما استفاده فصار كأنه حدثته العلى بذلك فاسند ذلك الى العلى تعظيما للرواية فى اسنادها الى العلى ليتلقاها السمع بالقبول وقوله وهى صادقة جملة اعتراضية اعترض بها وقد زاد الكلام

وكان واليا عليها أتى به فى الوثاق فصلى وخطب ثم قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا بنحايا كم تقبل الله منا ومنكم فانى اريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وحز راسه بالسكين بيده وطفئت نار فتنته الى أن نشأت فى أيام ابن أبى داود * وأما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيرى البجلى كان من أمراء الدولة الاموية ولى اليمن ومكة من قبل الوليد ابن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات وأخبار فمن أعجبها ما حكى أن ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وأمنه أرسل خالد مائة من الخيل فى المضمار قد انتخبها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهى ان يكون عند غيره من جيدها شئ فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هى فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبى اختان ما اختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائمنى

حسنا التأكيد الصدق عند المخاطب كما تقول حدثني فلان وهو صدوق فيما يرويه طلبا للتأكيد في قبول ما يأتي به من الرواية عمن يروى الحديث عنه وهذا أبلغ من قوله ان العلى حدثني فيما تحدث ان العز في النقل ومن الجمل الاعتراضية قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فاعترض اعتراضين أحدهما أصل والثاني فرع الاول اعتراضه بقوله وانه لقسم بين قوله بمواقع وبين قوله انه لقرآن كريم الثاني انه اعترض بقوله لو تعلمون بين قوله وانه لقسم و بين قوله عظيم وقد رأيت ما أفادت هاتان الجملتان في الاعتراض من الجزالة والبلاغة ومثل هذا الاعتراض يسميه المتأخرون حشوا للوزن يجيء كقول عوف بن محكم

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو يتم المعنى بدونه ومن فوائد هذا الحشو تكميل الوزن وافادة اللفظ رونقا لو عدمه لم يكن وقد تتعدد فوائده كقول أبي بكر القهستاني

كأني لما بي تحت الحشا * وحاشاك فوق شفا أو شفن

الشفن أخشن ما يكون من الجلود كالتمساح وغيره فقوله وحاشاك حشو يتم المعنى بدونه ولكنه أفاد هنا ثلاث فوائد اقامة الوزن والدعاء للمحبوب والجناس ومثل هذا قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة من أبيات

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وههنا افاد الحشو كمال الوزن وتنزيه الممدوح وهو الاحتراس والرونق الذي لولاه لم يكن في البيت على ان ابا الحسين أخذه من ابن الساعاتي حيث يقول

يهزه المدح هز الجود سائله * أولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وهذا من الاحتراس في الادب مع الممدوح اذا خاطبه الشاعر أو الصغير اذا خاطب الكبير وما أحسن قول القاضي الفاضل

يد الجود عندي من يديك عظيمة * واعظم منها عندي الحمد والشكر

ومجلسك الاعلى المطهر مسجد * فما قلت خذها خيفة انها الخمر

وكان المولى جمال الدين ابن نباتة قد امتدح الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني رحمه الله بقصيدة تائية مطولة اولها

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

واستطرد في اولها الى ذكر الخمر واوصافها ونعوتها وأطال في ذلك فقال المولى شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقي قصيدة تائية على وزنها ومدح الشيخ كمال الدين بها ولم يتغزل بالخمر ثم قال في آخرها

ما شان مدحيك وصفي للسلاف ولا * امحت مساجد شعري وهي حانات

والجماعة كلهم اخذوا لفظة حاشا من ابي الطيب حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقد يفيد الحشو البيت حسن المناسبة ايضا كقول ابي الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لوجدت فيه جهنما

في الخيل على بعمر فدعا به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل أمير المؤمنين اختبرتها وطلبتها من مضانها حتى جعلتها لك فمن يقبضها فأعجبه ذلك وسلت خالد عن أمرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل الى ان عزل وأقام بالشام برهة ثم عذب الى أن مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا فصيحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا في الدين * فاما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فاحضرها حتى أنشدهما فاحضر الدراهم ثم أنشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك وهو يجول بالحوباء

بنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وأمر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة الف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة أبدت العظام فان

فقوله ياجنتى حشو يتم المعنى بدونه ولكن افاد الوزن والمناسبة بين لفظة الجنة وجهنم ولو قال ياماليكى لكان تورية ولكن جنتى الطف فى اللفظ واغزل وقد يفيد التورية كما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوذقت بردثنا ياه ومبسمه * ياحار مالمت اعطاه فى التى ثملت

فقوله ياحار حشو يتم المعنى بدونه ولكن أفاد كمال الوزن والتورية فى حارفانه ورى به أنه ينادى اسم حرث مرخم وهو يريد الحار الذى هو مرادف السخن بدليل قوله بردثنا ياه وهذا مع مافيه من النظر فى حار فى غاية الحسن وأخبرنى انه أنشده للمولى الفاضل شرف الدين حسين ابن القاضى جمال الدين سليمان بن ريان فقال له وكذا الوقلت ياصاح بدل ياحار فانه يخدم معك فى المعنيين لان صاح ترخيم صاحب وصاح اسم فاعل من الصحو ويرشحه للتورية ثملت وهذا فى غاية الذوق اللطيف وقد أورد كثير من الناس فى هذا الباب قول كثير عزة

ولوان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

وأقول ان هذا ليس من الحشو فى شئ لان من شروط ذلك ان يكون المعنى تاما بدونه ولا تمام لهذا المعنى بدون موفق لانه لابد أن يقول عند حاكم أما كونه موفقا أو غير موفق فهذا من متممات البلاغة اذ قوله موفق مبالغة لاحتمال أن يظن بالحاكم أنه يميل فى حكمه لامر ما فاذا كان موفقا فلا وغالب ورود هذا النوع اما بالنداء كقول المتنبى ياجنتى فى البيت الذى تقدم وكقول بن الساعاتى

تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤساذوابل ملده
ولو تملك الحكم الاهلة لم تكن * ويا نخرها الانعالا لجرده

وأما بلفظة حاشا كقول القهستانى والجزار وقد تقدما وحكى ان ابن حيوس لما سمع قول ابن الخياط

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفالك شاهد منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشترى

قال لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن قلت اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الادب وليس ذلك واردا على ابن الخياط فانه لكل مقام مقال وابن الخياط هنا ليس فى مقام التعرض للاستماحة من أحد بل هو فى مقام تشك وتظلم من الدهر وانه من الفقر فى غاية ولم يبق ما يملكه غير ماء وجهه ولو باعه لعز وجود المشترى له لعدم الكرام ألا ترى كيف أكده بقوله أين ثانيا وما أحسن قول البارع

قد تعففت وارتضيت بتدفيـ * ـع زمانى وقلت انى وحدى
لا لانى أنفت مع ذا من الكد * يه أين الكرام حتى أكدى

ومن محاسن الاعتراض والحشو قول المضرب السعدى

فلو سألت سرات الحى سلمى * على أن قد تلون بى زمانى
لخبرها بنو وأحساب قومى * وأعدائى وكل قد بلانى

وقول كثير عزة

لوان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم أعطك شيا وان قرعتنى أعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلنى فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضا فقال أقلنى فاقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلنى فقال لخالد لا اقالنى الله اذا فقال أعطوه بدرة يدخلها فى حر أمه فقال وأخرى أيها الامير أدخلها فى استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض أصحابه والله انا لنسالك امورا لا حاجة لينا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبتك فيمن سالك حاجة واما فصاحته فحسبها انه أقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس تنافسوا فى المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحدكم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء وأجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقم وأفضل المال ما اكتسب أجرا وأورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطلب حمده لم يزك نبته

وقول أبي تمام الطائي

وان الغنى لى لو لحظت مطالبي * من الشعر الا فى مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان أحدهما بين اسم ان وخبرها والثانى ما استثنى به من قوله الا فى مديحك بين ان الغنى أطوع من الشعر وبين لو لحظت مطالبي وتقدير هذا البيت وان الغنى لو لحظت مطالبي لى أطوع من الشعر الا فى مديحك يعنى فانه لا يتقدم مديحك شعر وقد عده جماعة فى الحشو والاعتراض وأنا أرى أن أبا تمام قد أذهب حلاوة معناه بتقديم ألفاظه وتأخيرها وهو من باب التعاطل كقول الفرزدق ومامثله فى الناس البيت وقلت أنا فى هذا النوع

حسبي الذى ألقاه من ألم الهوى * وعلى الصحيح فبعض ذاك كفانى
فانظر الى قلبي اذا قابلته * ياغصن كيف يطير بالخفقان

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجى تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا ياصاح تسكر

ووقفت على أبيات لجماعة تغزلوا فى المشايخ فقلت رداعليهم

كم قد أقمنا على حب العذارلمن * يهواه عذرا اذا ما جاء يعتذر
وما لحينا على حب اللعى أحدا * قد هام فيها وقلنا الأمر يغتفر
فكيف نقضى على حب الشيوخ وهل * يكون فى الشيب حسن قط يادرر

فقولى هنا يادرر أفاد تمام الوزن والقافية والتورية فى الشيب والدرة وقلت أيضا فى مليحة فى يدها سوار

تكون من برد زندها * وجمر السوار عليه ائتلق
فلا ذا على ما علمت انطفا * ولا ذا وحاشاه من ذا احترق

فقولى وحاشاه الضمير يعود على الزند وهو حشو حسن هنا وظرف من قال مواليا

جازت تقاطعت قالت مد فى جزرك * خاب الذى أملوا فى وصلنا خورك
شيخ مفلس وقد هد الكبر ازرك * ترى الطبيب وصف يامنذفه بزرك

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(اللغة) الشرف العلو والمكان العالى قال الشاعر

آتى الندى فلا يقرب مجلسى * وأقود للشرف الرفيع حمارى

يقول خرفت فلا ينتفع برأيي ولا أستطيع أركب حمارى الا من مكان عال وجبل مشرف أى عال واذن شرفاء أى طويلة وشرفة القصر واحدة الشرف التى تكون فى أعاليه المأوى كل مكان يأوى اليه الشئ ليلا أو نهارا ومنه قوله تعالى ساآوى الى جبل يعصمنى من الماء ومأوى الابل بكسر الواو لغة فى مأوى الابل خاصة وجنة المأوى أحد الجنات الثمانية وقد نطق بها القرآن الكريم وهى جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد ودار المتقين ودار السلام ودار القرار والنار سبع وهى جهنم والجحيم وسقر ولظى والحطمة والسعير والهاوية بلوغ مصدر بلغت المكان اذا وصلت الى حده ومنه قوله تعالى

والاصول عن مغارسها تنمو
وباصولها تسمو أقول قولى
واستغفر الله لى ولكم ومنها
انه صعد يوما المنبر فارتج عليه
الكلام فقال أيها الناس
ان الكلام يجىء أحيانا
ويعزب احيانا وربما طلب
فابى وكوبر فعصى والتأنى
لجبه أيسر من التعاطى لابيه
وقد يختلج فى الجرىء جنانه
ويتعاصى على الذرب لسانه
ثم لا يكابر القول اذا امتنع
ولا يرد اذا اتسع وأولى الناس
من عذر على النبوة ولم يؤاخذ
على الكبوة من عرف ميدانه
اشتهر احسانه وساعود
وأقول ثم نزل * وأما مروقه
من الدين واستهتاره فحكى
انه حفر بئرا بمكة عذبة الماء
ثم نصب طستا الى جانب
زمزم ثم خطب فقال قد
جئتكم بماء العاذبة
لا تشبه ماء ام الخنافس يعنى
زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل
استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا
وسقى أمير المؤمنين عذبا
زلالا فراتا يعنى هذا البئر
(وحكى) أن سفيان بن أبى
عبد الله قال سمعت خالدا
القشيرى على المنبر وكان بنو
أمية أمروا بلعن على على المنابر
يقول اللهم افعل بعلى بن ابى
طالب بن عبد المطلب زوج
فاطمة وابى الحسن والحسين
كيت وكيت وكان مع ذلك

فاذا بلغن أجلهن أى وصلن منى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان لم تبرح يقال لا أبرح عن ذاك أى لا أزال أفعله الشمس يأتى الكلام عليها فيما بعد دارة الحمل ما أعرف الدارة الا للقمر والشمس اللهم الا أن يكون أراد الدارة لغة وهى ما يدور حول الشئ والحمل أول برج من بروج الكواكب الاثنى عشر وشرف الشمس فى تسع عشرة درجة منه ويخص هذا البرج من الثمانية وعشرين منزلة منزلتان وثلث وهى السرطان وهما قرنا الحمل وتسمى هذه المنزلة النطح وما أحلى قول حسان بن المصيصى

ان النطاح من الورى خلق * حتى الكواكب بينها النطح

والمنزلة الثانية هى البطين وما أحلى قول بعضهم

وعلق تعلقته بعد ما * غدا وهو من سقطات المتاع
ولم يبق فيه على ما يقا * لشئ سوى أكلة والوداع
فأعجلته عن دخول الكنيف * بجهل مطاع وحلم مضاع
فغرقنى منه نوء البطين * وغرق منى بنوء الذراع

وقول بن التعاويذى من أبيات

فبت وباتت الى جانبى * يعد المنازل فيها كلانا
ترينى البطين ولكننى * اقارضها فأريها الزبانا

وبعض الثريا والثريا فى صورة الحمل بمثابة الالية والحمل هو الكبش يقال ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج مع أى من كان تضارب معه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه والتزم انه لا يحصل بيننا تضارب فلما أتى اليه ولعبا وقال له فى أثناء اللعب شاه استر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت قال قلت استر وهى تصحيف اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيف الحمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال له يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك قلت كذا حكاه لى جماعة وهو غلط لان اشتر لا يعرفه أهل اللغة والذى يقولونه فى كل ذى كرش انه يجتر بالجيم فاعرفه وكتب محيى الدين يوسف بن يوسف بن زبلاق الى بدر الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل صحبة حمل أهداه اليه

يا أيها المولى الذى * يباب كل أمل
لو لم تكن بدر الما * أهدى لك الثور الحمل

وللصابى رسالة حسنة كتبها عن أبى العباس بن سابور المستخرج الى أبى الخير بن سبرة أطال فيها وأطاب منها وقلت اذبحه فيكون وظيفة للعيال واقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدنى وقد اضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

اعبدها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ما الفائدة فى ذبحى وانا

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

وللحمدونى فى شاة أبى سعيد بن احمد عدة مقاطيع منها

أبا سعيد لنا فى شاتك العبر * جاءت وما أن لها بول ولا بعر

وكيف

يرقوما من بنى هاشم فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان اتاه يستمنحه فلم يرمنه ما يحب فقال امّا المنافع فللهاشميين وامّا نحن فما حبوتنا منه الاشتمه عليا على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا له عثمان بشئ

(وقيل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن برجوج الشاعر المقدم من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبى المهلب ويدعى انه مولى بنى عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدى قال لى فيمن تعد يا بشار فاجبته وقلت أمّا اللسان فعربى وامّا الاصل فمجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة
يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلى جاهلا
ليعرفنى أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنو عامر
فروعى وأصلى قريش العجم

وكان يتلون فى ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذى الجلال
وبعضهم
مولى العذيب فخذ بفضلك
واظهر
وارجع الى مولاك غير مدافع

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت فى يومها علفا * غنت له ودموع العين تنحدر
يا مانعى لذة الدنيا بأجمعها * انى ليقنعنى من وجهك النظر

وقد فعل المحدونى فى هذه الشاة كما فعل فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ولكن مقاطيع الطيلسان فوق الخمسين وكلها بديع وقال بعضهم

اطعمنا الشيخ رئيس الكفاه * فوق عثمان من جدى شواه
فكان ما عمر فى موته * اضعاف ما عمره فى الحياه

ومما اشتهر بين الادباء قولهم أخف من دينار يحيى وهو يحيى بن على بن منارة بلى بالعباس ابن الوليد المصيصى الخياط لما أعطاه دينارا خفيفا فقال فيه عدة مقاطيع منها

دينار يحيى زائد النقصان * فيه علامة سكة الحرمان
قد رق منظره ودق خياله * فكأنه روح بلا جثمان
اهداه مكتتما الى برقعة * فوجدته أخفى من الكتمان

وضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد اكثر الناس فى وهب وضرطته * حتى اقدم لما قالوا وقد بردا
لم تعل ضرطة هاجيه كضرطته * فى الذاكرين ولم يحسد كما حسدا
يا وهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما انت غيث ربما رعدا

وظرف ابن قلاقس فى قوله فى لحية بعضهم

هى فوق الصدر قد سد * ته من شرق لغرب
لحية ردته فى النا * س ولا ضرطة وهب

ولاحمد بن ابى طاهر مصنف فى الاعتذار عن ضرطة وهب ويقال ان يعقوب ابن المهدى كان لا يقدر أن يمسك الفساء اذا جاء فاتخذت دابة له مثلثة وطيبتها وتأنقت فيها فلما وضعتها تحته فسا وقال هذه المثلثة ليست بطيبة فقالت له فديتك قد كانت طيبة وهى مثلثة فلما ربعتها فسدت وقيل ان بعضهم وقعت فى رجله شوكة فلما حركتها زوجته بالابرة ضرط فقال لها رأيتيها فقالت لا ولكنى سمعت صوتها وقال النور الاسعردى يضمن قول المرضى

قلت اذنام من أحب وأيدى * ضرطة آذنت لشملى بجمع
فاثنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وقيل انه كان لمطيع بن اياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم عنده فاستحى وغاب عن المجلس فتفقده مطيع حتى عرف السبب فكتب اليه

أظهرت منك لنا هجرا ومقلية * وغبت عنا ثلاثا ليس تغشانا
هون عليك فانى الناس ذو ابل * الا وأينقه يشردن احيانا

ودخل البديع الهمذانى على الصاحب بن عباد فبرز خرج له واجلسه على السرير معه فخبق البديع حبقة وأراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صفير التخت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيرى لا تذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود

سبحان مولاى العلى الاكبر
وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان فى أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ما هجيت به قول الباهلى حيث يقول

وعبدى فقأ عينيك فى الرحم ابره
فجئت ولم تعلم لعينيك فاقتا

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل ابو عبيدة من اشعر عندك ابشار ام مروان بن ابى حفصة فقال ان بشار احكم لنفسه بامور لم يعطها غيره وذلك انه قال لى اثنى عشر الف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لى اثنى عشر الف قصيدة ان لم يكن فى كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها

وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجد واصل ابن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد ابن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام

فانها الريح لا تستطيع تحبسها * اذلست أنت سليمان بن داود

وقيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد فى بعض المساجد فجعل يتكرب ويتقلق ويقول يا ألله ضرطة وأقلق رفاقه فلما كان الصبح أشرف على الهلاك وعاين الموت فقال يا ألله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أحمق منك أنت من المغرب الى الآن تسأله ضرطة ما فرحت بها وتسأله الجنة ومن الالغاز فى ذلك

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وما أظرف قول شمس الدين محمد بن دانيال فى ابن البعرينى

أمسى الضياء منادمى وحشاه لى * محشوة بغرائب الاخلاط
عصفت على رياحه فوجدتها * أقوى هبوب من رياح شباط
قد كنت انعس لانتشاق فسائه * غشيا فيوقظنى بصوت ضراط
مازلت أنشق منه ريحا منتنا * حتى استحال الى الخزامى مخاطى
يا أيها المفتوق من أرياحه * هذى النصيحة فيك للخياط

وكان الامير علم الدين سنجر المروزى والى القاهرة يعرف بالخياط وقال ناصر الدين بن النقيب

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحمى العرق
فالترقت فى دون فاعلها * وما ظننت الضراط يلترق

ووقف بين يدى الحجاج أو غيره رجل من البادية فلما أخذ فى الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمى وأسكت واما ان تسكتى وأتكلم أنا مع الامير وقلت انا مضمنا فى ضروط

عاتبت من سد سمعى صوت فقعته * ولم اجد ملجأ لى من مطاردها
فقال نوق ضرائطى كلما سخت * أنام ملء جفونى عن شواردها

وممن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبى عامر الانصارى خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة وقتيل الجن وهو سعد بن عبادة ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين وحمى الدبر وهو عاصم بن ثابت ابن أبى الافلح حمته النحل الى ان كان الليل فاجتحفه السيل ولم يصل عداه الى حز رأسه وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الانصارى شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قضاء دين اليهود وذو العينين وهو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وذو اليدين وهو عبيد بن عبد عمرو الخزاعى كان يعمل بيديه معا وذو العمامة وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامته لم يلبس قرشى عمامته حتى ينزعها وذو الثدية وكان باب الخوارج وكبيرهم وجد بين القتلى يوم النهروان كانت احدى يديه مخدجة كالثدى وعليها شعيرات وذو الثفنات وكان يقال ذلك لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ولعلى بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده فى الحروب بسيفين وذات النطاقين وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما لانها شقت نطاقها للسفرة ليلة خرج أبوها والنبى

صلى

عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن ابى العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعنى جرير بن خازم فكانوا يجتمعون فى منزل الازدى ويختصون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصحا الثنوية واما الازدى فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقى متحيرا فقيل انه قال بعد بمذهب الثنوية وبعده تزندق قال احمد بن خالد كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه يميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لى ما أظن الامر يا أبا خالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما فى غير مخير
هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد ولا اعطى واعطى فلم أرد
وغيب عنى ان أنال المغيبا
واصرف عن علمى وعلمى مبصر
فامسى وما اعقبت الا التعجبا

وروى المازنى قال قال رجل لبشار انا كل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة

ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير

صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى المدينة وسيف الله وهو خالد بن الوليد وسيأتى الكلام عليه والذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين فر الناس عنه تسعة وهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه الفضل وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ وبعض الناس يعد قثم بن العباس ولم يعد أبا سفيان ومماله شهرة بين ذوى الاخبار درة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الشعبى كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج وقميص عثمان وهو الذى تضرج بدمه يوم قتل وفقهاء العبادلة وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وذكاء اياس بن معاوية القاضى وشجة عبد الحميد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجة فى وجهه فلم تشنه وما أحسن قول محيى الدين ابن قرناص فى مليح مشتور

لم يشنه شتر الجفن ولا نقص حسنه
سيف ذاك اللحظ ماض * فلهذا شق جفنه

وشيبة الحمد وهو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وذلك انه لما ولد كان فى ذؤابته شعرة بيضاء وملاعب الاسنة وهو عامر بن الطفيل وازواد الراكب وهم ثلاثة من قريش مسافرين أبى عمرو بن امية وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصى وأبو أمية المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لانهم لم يتزود معهم أحد فى سفر قط وعروة الصعاليك وهو عروة بن الورد كان اذا شكى اليه أحد أعطاه فرسا وركبا وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله وسليك المقانب وهو سليك بن سلكة وكان أعدى الناس حتى أن الفرس لم تدركه وطفيل الاعراس وهو من غطفان وقيل من موالى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وكان يتتبع الاعراس فيأتى اليها من غير دعوة واليه نسبة الطفيلى وأشج بنى أمية وهو عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه جاء الحديث فيه الاشج والناقص أعدلا بنى أمية والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان فيه تأله وسمى بالناقص لانه كان ناقص الوركين فى قول المدنى وقال غيره كان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القامة أعرج وقيل لانه نقص الناس من عطائهم والاول أصح وجبار بنى العباس وهو هرون الرشيد لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة الاف دابة بسرجها الفضة ولجمها وأغزى على بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم ففتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم وقيافة بنى مدلج وعيافة بنى لهب وبنات طارق وهن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس يضرب بهن المثل فى الحسن والشرف وبنات الحرث بن هشام يضرب بهن المثل فى الشرف وغلاء المهور وزرقاء اليمامة كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام وبغلة أبى دلامة يضرب بها المثل فى جميع العيوب وعير أبى سيارة وهو رجل من عدوان كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة ويوسف هذه الامة قاله عمر رضى الله عنه فى جرير بن عبد الله البجلى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وكان بديع الجمال تام الحسن طويلا يصل الى سنام البعير ونعله ذراع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه مسحة ملك وفارس الاسلام وهو سعد بن أبى وقاص

المهدى حتى قتل (حكى) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدى بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشئ فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب فى القول فنكذب فى الامل ثم مدح يعقوب ابن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار

طال الثواء على رسوم المنزل

فقال يعقوب

فاذا تشاء ابا معاذ فارحل

فغضب بشار وقال يهجوه

بنى امية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم
فالتمسوا
خليفة الله بين النأى والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوى فقال ههنا من تحتشمه فقال لا فانشده هجاءه فى المهدى وهجاءه فى يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدى قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدى ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أحد العشرة وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله عزوجل وكان مجاب الدعوة وهو مقدم الجيوش فى فتح العراق وآخر من خرج من لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وكان ممن يشبه النبى صلى الله عليه وسلم وهم خمسة أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد ابن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

لخمسة شبه المختار من مضر * ياحسن ماخولوا من شبهه الحسن
لجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

فاما جعفر فهو ابن أبى طالب وأما قثم فهو ابن العباس وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعى وأما أبو سفيان فهو ابن الحرث بن عبد المطلب وأما الحسن فهو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وأول مولود ولد فى الاسلام وفارس قريش هو عبد الله بن الزبير وهو أحد السادات الطلس وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله قاتله عليه مثل نصف أوزار الناس ومن السادات الطلس القاضى شريح وهو شاعر زاجر قائف وأول من سمى فى الاسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان قال فيه ابن عمر ولد الناس ابناء وولد مروان أبا والطلحات المعدودون فى الجود طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وهو طلحة الفياض وطلحة الجود وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وطلحة الدراهم وهو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وطلحة الخير وهو ابن الحسن بن على بن أبى طالب ولم يعقب وطلحة الكندى وهو ابن عبد الله ابن عوف الزهرى وطلحة الطلحات وهو ابن عبيد الله بن خلف الخزاعى وأجواد الاسلام عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وسعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن أمية وعبيد الله بن عامر بن كريز وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص وقيس بن سعد بن عبادة الانصارى وعتاب بن أبى ورقاء أحد بنى رباح بن يربوع ابن حنظلة وأسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزارى وعبيد الله بن ابى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النوادر ابن أبى عتيق وأشعب الطمع وأبو الغصن جحى وأبو العيناء وأبو العير وأبو العنبس وأبو الخصاص ومزيد المدنى وأغربة العرب ثلاثة عنترة العبسى وخفاف بن ندبة وسليك بن السلكة والفتاك عبد الرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه وشمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين ابن على بن أبى طالب وعمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام وأبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب وأصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أخنف وأنوشروان كان أعور ويزدجرد كان أعرج وجذيمة الوضاح كان أبرص والنعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر وعبد الملك بن مروان كان أبخر ويزيد بن عبد الملك كان أفقم وهشام بن عبد الملك كان احول ومروان الحمار كان اشقر ازرق وعبد الله بن الزبير كان كوسجا والهادى كان فى شفته العليا تقلص وكان ابوه المهدى قد رتب معه خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه يقول له موسى اطبق وابراهيم بن المهدى كان اسود سميناً يلقب بالتنين واربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس مالك الانصارى وابو بكرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عمير الليثى وخليفة بن السعدى وخليفة سلم عليه وعمه وعم ابيه

ازف خروجهم فاخرجه ابن نهيك معه فى زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فارسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فاقيم فى صدر السفينة وامر الجلادين ان يضربوه ضربا متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط هس وهى كلمة تقولها العرب عند الالم فقال بعضهم انظروا الى زندقته ما نراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك اثر يد هو احمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطا اشرف على الموت فالقى فى صدر السفينة فقال ليت عين ابى الشمقمق ترانى حين يقول

ان بشار بن برد

تيس اعمى فى سفينه

ثم مات من ساعته فالقى فى خرارة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فاخذه اهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدى الى منزله من يفتشه على كتب الزندقة فوجدوا طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم انى أريد هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله وقال

وعم جده يرون وهو هرون الرشيد عمه هو سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم ابيه
المهدى وعبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور وخليفة سلم عليه سبعة
كلهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن
المأمون وعبد الله بن محمد وأبو احمد بن الرشيد والعباس بن موسى ومنصور بن المهدى
واعرق الناس فى الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور
واعرق الناس فى الوزارة ابو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان
ابو على وزير المقتدر وابوه القاسم وزير المعتضد وسليمان وزير المهتدى وبعده للمعتمد واخو أبى
على ابو جعفر وزير القاهر ولم يتقلد الخلافة من ابوه حى سوى الطائع لله وابى بكر الصديق
رضى الله عنه وكلاهما اسمه ابو بكر وليس لهم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على
رضى الله عنهما ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المقتدر والمتوكل
وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء قال الصولى الناس يرون أن كل
سادس يقوم بامر الناس منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن
الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع
ثم أتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين
خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعتز بالله والمهتدى
والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى هنا قول الصولى
قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع ثم
الطائع خلع قلت ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد خلع ثم المقتفى
والمستنجد والمستضىء والناصر والظاهر والمستنصر بالله قيل انه مات مسموما وكان الذى سمه
خلعه فخلع وقتل أيام قلاوون لما فتحت بغداد وكذلك العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين
وأول من ملك الغرب المهدى عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية والمعز
باني القاهرة والعزيز والحاكم فقتلته أخته وولت ابنه الظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر
والحافظ والظافر فخلع وقتل وولى ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك
مصر أولهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو
صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير خلع قبض عليه أمراء دولته وأحضروا أخاه
الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك أولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر
وابنه السعيد واخوه العادل سلامش خلع وملك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون
وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ثم فر الى حصن صهيون ثم ملك الاشرف خليل بن قلاوون
ثم أخوه الناصر محمد وتوجه الى الكرك فتولى كتبغا ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ثم
طلب الناصر ثم رحل الى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ثم عاد الناصر ومات فملك
المنصور أبو بكر وبعده الاشرف كجك ثم الناصر أحمد فخلع وقتل ثم ولى الصالح اسمعيل ثم
الكامل شعبان ثم المظفر حاجى ثم الناصر حسن ثم الصالح صالح ثم عاد الناصر حسن أدام الله
أيامه وأما من اشتهر من الفقهاء فهم فقهاء المدينة السبعة وقد نظمهم بعض الشعراء فقال

لاجزى الله يعقوب خيرا فانه
لما هجاه افق عليه شهودا
على انه زنديق فقتله وندمت
حين لا ينفع الندم * ومن
مستطرف اخبار بشار قال له
هلال بن عطية يوما يمازحه
وكان صديقا له ان الله تعالى
لم يذهب ببصر احد الا عوضه
منه شيأ فما عوضك قال
الطويل العريض قال وما هو
قال انى لا اراك ولا امثالك
من الثقلاء ثم قال يا هلال
اتطيعنى فى نصيحة انصحك
بها قال نعم قال انك كنت
تسرق الحمير زمانا ثم تبت
وصرت رافضيا فعد الى سرقة
الحمير فهى والله خير لك من
الرفض * ومرت به فسوة
حسان فقلن له ايسرك اننا
بناتك يا ابا معاذ فقال اى
والله والدين كسروى ويقال
انه كفر بهذا اللفظ فانه اراد
يسرنى ايضا ان الدين كسروى
ودخل يوما الحمام وفيه بعض
ولد قتيبة فقال يا بشار وددت
انك تبصر فترانى فى الحمام
وتعلم كذبك فى قولك
حيث قلت

على استاه سادتهم كتاب
موالى عار وسيم بنار

فقال بشار يا ابن اخى ذهب
عنك الصواب انما قلت
سادتهم ولست منهم وكان
يوما فى مجلس المهدى ينشده
قصيدة فى مدحه فدخل خال

المهدى وكان فيه غفلة فقال
لبشار ما صناعتك فقال
اثقب اللؤلؤ فضحك المهدى
وكل من حضر * وجلس
اليه رجل فاستثقله فضرط
فظن الرجل انها انفلتت منه
غضبا ثم ضرط اخرى ثم
اخرى فقال له الرجل ما هذا
الفعل فقال مسه ارايت ام
سمعت فقال بل سمعت صوتا
قبيحا قال فلا تصدق حتى
ترى فقام الرجل من ساعته
وتركه * ووقف عليه بعض
المجان وهو ينشد شعرا له
فقال يا بشار استر شعرك كما
تستر عورتك فغضب بشار
وصفق بيديه وتقل عن يمينه
ويساره وكان يفعل ذلك اذا
غضب واراد ان يقول هجاء
ثم قال ويلك من انت فقال انا
من باهلة واخوانى من باهلة
واخوالى من سلول واصهارى
من عك ومنزلى نهر بلال
فضحك بشار وقال اذهب
فانت عتيق لؤمك (وحكى)
ابو عبيدة قال كان حماد عجرد
يتهم بالزندقة وكان يعير
بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه
والله ما الخنزير فى نتنه
بربعه فى النتن او خمسه
بل وجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه
فقال بشار ويلى على الزنديق
لقد نفث بما فى صدره قيل
وكيف قال ما اراد الزنديق

الاكل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى وعروة هو ابن الزبير ابن العوام والقاسم هو ابن محمد بن أبى بكر الصديق وسليمان هو ابن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وسعيد هو ابن المسيب وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الانصارى ورواة الاقوال القديمة عن الشافعى رضى الله عنه أربعة وهم أبو على الحسن الزعفرانى وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسى رواة الاقوال الجديدة عنه ستة وهم المزنى والربيع ابن سليمان الجيزى والربيع بن سليمان المرادى والبويطى وحرملة ويونس بن عبد الاعلى وأصحاب القفال كلهم أصحاب وجوه فى المذهب منهم أبو على السنجى والقاضى حسين والشيخ أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين والفورانى والمسعودى والصيدلانى وفى مقابلة القفال من العراقيين الشيخ أبو حامد الاسفرايينى شيخ العراقيين فى وقته وأصحابه أصحاب وجوه فى المذهب ومن مشاهيرهم أقضى القضاة الماوردى صاحب الحاوى والقاضى أبو الطيب والمحاملى والبندنيجى (رجع) وقد أطلت فى سرد هذه الاشياء ولكن ما خلت من افادة ان شاء الله تعالى ولو لم يكن من فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى لكفى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبى بكر خطيب بغداد فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين لك هذا وقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات سعد يوم بنى قريظة قبل خيبر بسنتين (الاعراب لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بعزلان تعازلنى البيت (أن) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وفتحت أن ههنا لانها غير ما ذكر فى الشروط الستة التى توجب كسرها (فى شرف) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف هو خبر أن تقديره مستقر فالجار والمجرور هنا سد مسد الخبر وتقدم على اسم ان لان الخبر مجرور ومتعلق بنكرة (المأوى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لدخول الامالة فيه ولانه من أويت (بلوغ) منصوب على انه اسم أن والخبر تقدم الكلام عليه (منى) فى موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لان واحده منية (لم) حرف يجزم المضارع ومعناه النفى وقد تقدم الكلام عليه ٣ (تبرح) فعل مضارع مجزوم بلم وانما حركت الحاء لالتقاء الساكنين وهما الحاء ولام التعريف فى الشمس وتبرح من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الجملة جواب الشرط الذى فى لو (الشمس) مرفوع على انه اسم تبرح والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الحسى أو الذهنى (يوما) منصوب على انه مفعول فيه فهو ظرف والعامل فيه تبرح (دارة) مفعول به ولا يكون خبر التبرح لانها هنا تامة اكتفت باسمها كقوله تعالى فلن أبرح الارض فان قلت لاى شئ جعلتها تامة ولم تجعل الشمس اسمها ودارة خبرها قلت لان المعنى حينئذ يفسد لان الخبر فى هذا الباب انما هو الخبر الذى كان خبرا فى أول الامر فى باب المبتدا والخبر والخبر صفة يحكم بها على المبتدا تقول زيد قائم فاذا أدخلت كان قلت كان زيد قائما

٣ (قوله) اسم تبرح الموافق لجعلها تامة كما سيذكره جعل المرفوع بعدها فاعلا اه فالقائم

فالقائم هو زيد وزيد هو القائم فلو جعلت دارة خبر الشمس لما حسن هذا الان الشمس لا تكون دارة للحمل ولا تتصف بذلك فتعين ان تكون تبرج تامة اكتفت باسمها عن الخبر قال الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك جميع الباب يأتي تاما الا ليس وفتئ وقال في التسهيل ان أريد بتبرج تذهب سميت تامة اه ويحتمل أن تكون دارة منصوبة بنزع الخافض أي لم تبرح الشمس يوما من دارة الحمل ونزع الخافض كثير منه قوله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وقوله تعالى الا من سفه نفسه أي في نفسه وقول الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أي أمرتك بالخير ويحتمل أن تكون تبرح بمعنى تفارق فيكون المعنى لم تفارق الشمس يوما دارة الحمل وهذا أحسن وأما قول أبي الطيب

٣ اذا كان شم الروح أدنى اليكم * فلا برحتني روضة وقبول

فللناس فيه كلام طويل وعابوا على ابن جني رحمه الله ما فسره به لانه جعل برح من أخوات كان التامة وأتى فيه بتأويل بعيد وأحسن ما قيل فيه قول المخزومي وهو أن رحيلا واحدا بيننا في الحياة وبعده رحيل ثان وهو الموت فلأن يكون رحيل واحد أقرب من أن يكون رحيلان فدع النفس بالحياة لانه مادام يشم الروح فهو أقرب منه اليهم اذا صار تحت التراب وهذا هو الصحيح وماسواه هدر ويكون برح هنا بمعنى فارق كما ادعيته في بيت الطغرائي (رجع الحمل) مجرور بالاضافة اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للمح الصفة فيما غلب عليه الاستعمال في العلمية (المعنى) لو أن المقام في المكان الشريف يبلغ المنى ما برحت الشمس مقيمة في دارة الحمل لانها في هذا البرج تشرف في تسع عشرة درجة منه وهبوطها في برج الميزان وقد ظرف أبو الجوائز هبة الله الواسطي في قوله

انى ليعجبني الفتاة اذا رأت * أن المروءة في الهوى سلطان
لاكاتمي وصلت وأكبر همها * في خدرها النقصان والرجحان
وكذاك شمس الافق في أبراجها * تعلو وبرج هبوطها الميزان

وهذا الذي مثله الطغرائي في غاية الحسن وفيه حث على الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا وفي حديث آخر سافروا تصحوا وتغنموا وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا وقالت العرب من أجدب انجع وقالوا الحركات بركات وقيل لاعرابي أين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وما أحكم قول أبي الطيب

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحتري

واذا الزمان كساك حلة معدم * فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال ابن دراج القسطلي

دعي عزمات المستضام تسير * فتنجد في عرض الفلا وتغور
ألم تعلمي أن الثواء هو التوى * وان بيوت العاجزين قبور

وقال أبو اسحق الغزي

ياخليلي حلنا عاطل البيد بوجه النجيبة الشملال
زحل أكبر الكواكب لايحمل الا من قلة الانتقال

من بعد الرحيل رحيل اه

الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجود بها مخرج الهجاء وهذا خبث شديد من بشار وتغلغل وقد وقع بشار ايضا في مثل هذه الواقعة حدث السري بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حمادا عجردا قلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي هذا وانشد يقول

يا ابن نهيار أس على ثقيل واجتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيري الى عبادة ربي ـ ـين فاني بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيري الى عبادة ربي ـ ـين فاني عن واحد مشغول

فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لي * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت في زمان فادركت اقواما لو خلقت الدنيا ما تجملت الا بهم واني لفي زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا

قلت قوله أكبر الكواكب ليس على ظاهره من أن مراده ان جرمه أكبر من أجرام الكواكب لان جرم الشمس أكبر منه على ما يأتى فى شرح قوله وان علانى من دونى فلا عجب البيت والشعرى العبور أكبر جرما منه أيضا نعم هو أكبر من جرم القمر على ما تقرر فى علم مساحات الافلاك والكواكب فى الهيئة ولكن الغزى أراد بأكبر الكواكب أحد أمرين اما أنه فى الفلك السابع وما سواه من الكواكب تحته واما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه أراد فلك زحل ولذلك قال أبو العلاء المعرى

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

فلم يرد بشرفه الا أن فلك زحل أكبر أفلاك الكواكب السيارة وقوله لم يخمل الا من قلة الانتقال فيه ايهام انه قد يلبث فى مكان دون مكان فيكون قليل الانتقال وليس كذلك انما زحل لا يقطع فلكه دون دورة كاملة الا بعد مضى ثلاثين سنة تقريبا لاتساع دائرة فلكه فهو لا ينى ولا يفتر من الانتقال طرفة عين ولكن هو بالنسبة الى غيره من الافلاك كأنه قليل الانتقال ولاجل هذا من عانى الحركات والسكنات بالطالع انما يعول على حركات القمر لانه فى كل شهر يقطع فلك البروج الاثنى عشر ولا يعرج على زحل فى هذه الاشياء وهذا معنى خموله عند أصحاب المطالع وأغرب من هذا أنهم يقولون فى فلك البروج انه فلك الثوابت وليس كذلك ولكن لما كان هذا الفلك انما يدور الدورة التامة على ما زعموه فى كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة قالوا فلك الثوابت مبالغة فى بطء حركته (رجع) قال ابن قلاقس

ان كنت تبغى وطنا * من العلا فاغترب
فالسمر فى غاباتها * معدودة فى القصب
والشمس لا ترقب فى الا * مشرق لو لم تغرب

وقال ابن الساعاتى

وكن غانيا عن كل أرض باختها * وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر أصداف بحره * لأنكره تاج وصدجبين

وقال أيضا

ولا يصدك عن شئ ترفعه * فربما صار وردا نازح السحب
لم يشرف الدر لولا هجر موطنه * والبدر ماتم حتى جد فى الطلب

وقال آخر

فالتبر كالترب ملقى فى مواطنه * والعود فى أرضه نوع من الحطب

وهو مأخوذ من قول الآخر

أضيع فى معشرى وكم بلد * بعد عود الكباء من حطبه

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف فى شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال أنشدنى أبو الحسين القشيرى بقراءتى عليه قال أنشدنى أبو الحسن على بن أحمد الصوفى المؤذن بسبتة قال أنشدنى أبو الشكر حماد بن هبة الله ابن حماد بحران لنفسه

قالوا نراك كثير السير مجتهدا * فى الارض تنزلها طورا وترتحل

فقلت

من يساوى على الخبرة رغيفا
* وقال الاصمعى قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة ويعنى بذلك قوله
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فان الخوافى عدة للقوادم
فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطا يشارك فى مكروهه
* ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال بلى ولد دفنته وثكل عجلته وغيب وعدته فافتطرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد * ومن محاسن شعره قوله
حرم الله أن يرى كابن سلم
عقبة الخير مطعم الفقراء
مالكى تنشق عن وجهه الار
ض كما أنشقت السماء عن ذكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو
ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو
د ولكن طبائع الآباء
وقوله من قصيدة فى المهدى
تسلى عن الاحباب وصال خلة
وصرام أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى
جرت حجا ثم استقلت كما أجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة
ومن حمير فى الملك والعدد الدثر

فقلت لو لم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ونقلت من مسودات بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته ومن الشعر المنسوب الى الشهاب السهروردى المقتول ما رواه عنه الجلال سليمان بن أبى القاسم بن داود الديلمى الحلخالى قال أنشدنى الشهاب لنفسه بخلاط فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل من الديار
ذرينى أن أسير ولا تلومى * فان الشهب أشرفها السوارى

وقلت أنا

سافر تنل عز الغنى مسك الورى * الادم فى سرة الغزلان
والريح لما فارق الوطن اعتدى * بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا

سافر تنل رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * ما فارقته معرة النقصان

وفى قول الطغرائى فى هذا البيت من البديع الايضاح وارسال المثل أما ارسال المثل فانه واضح لان كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع وأما الايضاح فانه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذى ادعاه فى البيت الذى تقدمه وهو ان العز فى النقل فهذا حكم خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله لو أن فى شرف المأوى البيت فيزول اللبس ويتضح الحكم

(أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عنى بالجهال فى شغل)

(اللغة) أهاب الراعى بغنمه اذا صاح بها لتقف أو لترجع وأهاب بالبعير وهاب زجر للخيل وهى زجر للفرس معناه توسعى وتباعدى الحظ النصيب والجد وجمع القلة أحظ والكثرة حظوظ وأحاظ على غير قياس كأنه جمع أحظ ولقد حظظت تحظ فأنت حظ وحظيظ ومحظوظ وأنت أحظ من فلان ناديت النداء الصياح مستمعا اسم فاعل من استمع الجهال جمع جاهل والجهل خلاف العلم تقول جهل جهلا وجهالة شغل فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين وبضمهما وشغل بفتح الشين وسكون الغين وشغل بفتحهما (الاعراب أهبت) فعل ماض من أهاب والتاء ضمير الفاعل (بالحظ) الباء هنا للتعدية والالف واللام للعهد الذهنى والجار والمجرور فى موضع النصب (لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بغزلان البيت (ناديت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (مستمعا) منصوب على أنه مفعول به لناديت (والحظ) الواو للابتداء الحظ مرفوع على الابتداء (عنى) جار ومجرور والنون الثانية نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع جر بعن (بالجهال) جار ومجرور والباء تتعلق بشغل (فى شغل) فى هنا ظرفية وهى متعلقة بمحذوف تقديره مستقر فوضع الجار والمجرور رفع على أنه خبر للمبتدا وهو الحظ وتقديره والحظ مستقر فى شغل بالجهال عنى وما أحلى قول من قال

ورقيع أراد أن يعرف النحو وبزى الاحبار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سلنى عنه أجبك لوقتى
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور أخبر فقلت ذقنك فى استى

من المشترين الحمد تندى من الندى
يداه ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبل من لا يعيبه
عفاه الندى من حيث يدرى ولا يدرى

وقوله فى البائية المشهورة

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل اخاك فانه
يقارف ذنبا تارة ويجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ويقول فيها ايضا

ولما تولى الحر واعتصر الثرى
لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى
الى الجأب الا انها لا تخاطبه

ومنها يقول

اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة لخالد البرمكى ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات فى صدر مجلسه وهى

اخالد ان الحمد يبقى لاهله
جمالا ولا يبقى الكثير على الكد

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى القاضى شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى قال أنشدنى من لفظه لنفسه المولى زين الدين عمر بن الوردى وأنشدنيه فيما بعد اجازة ونقلته من خطه

وأغيد يسألنى * ما المبتدا والخبر
مثلهما لى مسرعا * فقلت أنت القمر

(المعنى) صحت بالحظ وطلبت اقباله لو أنى ناديت من يسمعنى لأن الحظ اشتغل عنى بالجهال وهذا ينظر الى قول عبد الرحمن بن الحكم

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

والصحيح أن الحظوظ لا تعلل فما وجدانها وعدمها باستحقاق من الطرفين بل الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب قال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قلت نعم آمنت وصدقت انه لا ينفع ذا الجد منه الجد ولا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى اذ سبحانه وتعالى هو فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن الحظوظ أمور يقدرها الله ويقضيها وقضاؤه وقدره لا يعللان على الصحيح لانه لو كان ما يوجد معللا بعلة لكانت تلك العلة أما قديمة ويلزمها قدم الفعل اذ المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر فى ذلك الى علة أخرى فاما يلزم الدور واما التسلسل وذلك محال وهذا هو المراد بقول مشايخ الاصول كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وهذه حجة كافية فى هذا الموطن والا فللبحث فى هذه المسئلة مجال متسع لانها من أمهات الاصول واذا كان الصحيح أن الله تعالى له أن يثيب العاصى ويعاقب الطائع فى الدار الآخرة وهى دار القرار ونعيمها وجحيمها أبديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدار الفانية التى لا بقاء لها والحظ فان فى هذه الدنيا وثواب الآخرة وعقابها الانهاية لهما ولا نسبة للمتناهى فى جنب ما لا يتناهى البتة أفترى أن الله تعالى ليس له أن يهب الحظ لمن يشاء استحقه أو لم يستحقه فى هذه الدنيا الفانية قل متاع الدنيا قليل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وما أحسن قول أبى الفوارس سعد بن محمد ابن الصفى

علمى بسابقة المقدور ألزمنى * صبرى وصمتى فلم أحرص ولم أسل
لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الـ * ـرؤيا الكليم وكان الحظ للجعل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت * جهالة عند حكم الرزق والاجل

قلت قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا الرؤيا مصدر رأى للعلم والرؤية مصدر أرى للعين وغلطوا أبا الطيب فى قوله

مضى الليل والفضل الذى لك لم يمض * ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

قالوا الرؤيا للعلم قال الله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون فعلى هذا قد وهم هذا الشاعر فى استعمال الرؤيا هنا فى قوله لما حرم الرؤيا الكليم وانما حرم الرؤية وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء وقريب من قول أبى الفوارس قول الآخر

فاطم وكل من عارة مستردة
ولا تبقها ان العوارى للرد

وقوله

دعتنى حين شبت الى المعاصى
محاسن زائر كالريم غض
كان كلامه يوم التقينا
رقى ياخذن فى طولى وعرضى

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا
ن خفيفا فى كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد فى الار
ض ثقيل ارى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض
حملت فوقها ابا مروان

وقوله

رايت السهيلين استوى
الجود فيهما
على بعدنا من ذاك فى حكم
حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بالرمعا سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربى من قوارير

واما يعقوب الذى اشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمى كان فى الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب فى ايام المنصور فلما قتل استخفوا فمن عليهم المهدى واطلقهم وكانوا ادباء البلغاء فصحاء وكان المهدى يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط

سلم المطامع لا تفقت فان من * ترك المطامع كان أربح متجرا
نال الذى ترك المطامع خلفه * عين الحياة وفاتت الاسكندرا

قال العباس بن المأمون سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول قال لى على بن موسى الرضى ثلاثة موكل بهم ثلاثة تحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة واستيلاء الحرمان على المتقدم فى صنعته ومعاداة العوام لاهل المعرفة وقال أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور استأذن العقل على الحظ فحجبه قلت هذا من جوامع الكلم وهو أنه كلام قليل معناه شريف جزيل يعنى ان الحظ هو الأمير المخدوم المحجب المطاع والعقل هو المأمور الخادم المبذول الممتثل لانه أتى الى باب الحظ والآتى دون من أتى اليه وسعى الى بابه واستأذن عليه لما لم يصل اليه ومن طلب منه الاذن أشرف ممن طلب له فالمأذن والمحجوب أقل من المحجب بدركات وذاك أكثر بدرجات لانه لم يكن أهلا للدخول

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ولا ينكر هذا الكلام من أهل بيت النبوة لانهم أحق العالمين بميراث البلاغة والفصاحة والحكم وقال بعض الحكماء قال الحظ للعقل ان شئت سر أو أقم فانى مستغن عنك ومن الكلم النوابغ خيم النقص والجد طنبيه وسافر الفضل والجد جنيبه وقال بعضهم

كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وقال الآخر

واذا استقام الدهر يوما للفتى * أغنت سعادته عن التنجيم

ومثله قول محمد بن شرف القيروانى

ونجوم كاساتى طوالع بالمنى * والسعد يستغنى عن التقويم

وحكى ابن أبى طى فى تاريخ حلب عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وأنا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة وأربعين وخمسمائة فقال له ابن أبى الفضل ان تبركت أنت به فقد تشاءمنا نحن به وحكى أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والانيس قال بينا أبو اسحق مزيد ذات يوم جالس اذ جاءه أصحابه فقالوا يا أبا اسحق هل لك فى الخروج بنا الى العقيق والى قباء والى أحد ناحية قبور الشهداء فان هذا يوم كما ترى طيب فقال اليوم يوم الاربعاء ولست أبرح من منزلى فقالوا وما تكره من يوم الاربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم فقد التقمه الحوت فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فقال أجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقال أبو عبادة البحترى

الا ليت المقادر لا تكون * ولم تكن الأحاظى والجدود
فيعلم أينا يغدو ويمسى * له هذى المراكب والعبيد

ومثله قول ابن مقلة

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شاهق من عزه المتمنع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ومن عدم تعليل الحظ قول أبى الطيب

الى ان احضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل فى الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على امره ويسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما قال فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش فى غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لى اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسى واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحنى منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدى لا ينظره الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فمال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمى وكان المهدى معظما فى دولة وهو الذى أخرجه من سجن المنصور فترامى اليه يعقوب وأقبل يريض له الامور فسعوا فيه الى المهدى وقالوا ان البلاد فى يده وأصحابه وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلما سامع المهدى

هو الجد حتى تفضل العين أختها * وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

ويعجبنى قول ابن قلاقس

ولست ترى فى محكم الذكر سورة * تقوم مقام الحمد والكل قرآن

قلت انما يمشى على قول من قال ان الفاتحة لا بدّ منها فى كل ركعة وهو مذهب الشافعى ومن تابعه مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة وانما سميت السبع المثانى لانها تثنى فى كل صلاة فعلى هذا الرأى يحسن بيت ابن قلاقس لانها لم يقم مقامها فى الصلاة غيرها فان قلت يحمل ذلك على الفضائل التى وردت فيها قلت قد ورد فى آية الكرسى فضائل عدة وفى غيرها من السور والآيات ولم ينفرد من القرآن جميعه بهذه المزية غير الفاتحة على رأى الشافعى أما على رأى من جوّز الصلاة بما تيسر من القرآن ولو آية مستدلا بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه حتى يكفيه فى ذلك مدهامتان لانها آية وهو مذهب أبى حنيفة فلا مزية للحمد على غيرها وقد حكى ابن خلكان وغيره من أهل التاريخ ما جرى للقفال المروزى من صلاته بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على مذهب الشافعى وعلى مذهب أبى حنيفة فمن أراد الوقوف عليها فلينظرها فى ترجمة يمين الدولة وقد حكاها امام الحرمين أيضا فى كتابه مغيث الخلق فى اختيار الأحق ولكن ما رأيت أن أذكرها أنا لما فيها من الشناعة (رجع) وقال أبو اسحق الغزى

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظبا المحارف أقلام مكسرة * رؤسهن وأقلام السعيد ظبا

والثانى ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغيره حظ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقال ابو اسحق الغزى أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه

فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدى جداه عن على رجبه

وقلت أنا

لئن رحت مع فضلى من الحظ خاليا * وغيرى على نقص به قد غدا حالى

فانى كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد فى جيد شوّال

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

لولا الجدود لما ارتمت بمسافر * كف الغنى وتعلقت بمقيم

والحظ حتى فى الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والترخيم

وقال أبو تمام الطائى

لزموا مركز الندى وذرا * وعدتنا عن مثل ذاك العوادى

غير أن الربى الى سبل الانـ * ـواء أدنى والحظ حظ الوهاد

وقال ابن جنى فى قول أبى الطيب

أين أزمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربى وأنت الغمام

(فأمهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه فى السجن الى ان عمى وأخرج فى أيام الرشيد فلما حضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدى قال لست به قال الهادى قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات فى دولته

*(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات)

(الخرق) قطع الشئ وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشئ بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أى حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرار الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالى وكذلك الامر فى قوله (وخالفت المعهودات)

*(فاحلت البحار عذبه * وأعدت السلام رطبه)

(البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثار ويقال فى الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران

انما خص الربى بالذكر لان نباتها أحسن وقال أبو زكريا الخطيب انما أتى بها للوزن وقال الشيخ تاج الدين الكندى وعندى أن نبت الربى أشد احتياجا للغمام من الوهاد لان الوهاد يمكن أن يسقى من غير الغمام قلت وهذا تأويل شعرى رقيق المأخذ حسن الى الغاية ومادله على ذلك الا قول أبى تمام وقول أبى العلاء أيضا

ولو أن السحاب همى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالى * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

وقال الباخرزى

لاحبذا البخت أعيانا ومال الى * قوم بعدهم الارذال أعيانا
يدرع البصل المذموم أكسية * ويترك النرجس المحمود عريانا
وينبت الشوك فى أرض وجارتها * تجنى أكف بغاث الرزق عقبانا

وقال أبو بكر بن اللبانة

ان ضعت والشعر مما قد علمت به * ونال جودك أقواما وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيبه * شوك القتاد ولا يسقى به الزهر
ان لم أكن أهل نعمى أرتجيك لها * فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر

وقال مهيار الديلمى

لاتحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لوكان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أوكان أسير ما فى الأفق أسلمه * دام الهلال فلم يحق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم مابى اننى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يزدنى موردى غير غلة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل

ماضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال شرف الدين بن عنين

كأننى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * ملغى الحظ فيه كراء واصل

وقال أبو العلاء المعرى

ولابد للحسناء من ذم حسنها * ولاذم نفسى غير سيىء بختها

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

ومما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يمنعنى بخل وسمح * وليس لى منهما نصير

واختلف فى عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا ان البحار مختلفة المقادير فمنها ماهو على هيئة الطيلسان ومنها ماهو على هيئة الشابورة ومنها ماهو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ماوراءه * فأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه

وغايتى ان ألوم حظى * وحظى الحائط القصير

وقال ابن سناء الملك

ورب مليح لايحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وقال أيضا

ماثم الا الحظ فارقب له * ولا تقل عقلى ولا حزمى
كم نعمة فى طيها نقمة * ويوجد الدرياق فى السم

وقال أبو العلاء المعرى

لك الخبر أمواه البلاد كثيرة * عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش يستاق انفه الشخزامى وأنف القود بالعود يخزم

وكتب الشريف الرضى الى الصابى

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه * ليس الحظوظ على الاقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهرى على حنق * فزاد ما بك فى غيظى على الزمن

وقال الامام الشافعى من أبيات

لو أن بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أفلاك السماء تعلقى
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق
فاذا سمعت بأن محروما أتى * ما ليشربه فغاض فصدق
أو أن محظوظا غدا فى كفه * عود فاورق فى يديه فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال عبد الجليل بن وهبون

يعز على العليا أنى حامل * وان أبصرت منى خمودشهابى
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابى

وقال آخر

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت ان تدرى الذى هو أحذق
فلا تفقدنهما غير ماجرت * به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال آخر

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال أبو اسحق الغزى

كم عالم لم يلج بالقرع باب منى * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات تنوب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها * شيأ يعد بها عليك ذنوب

بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كش وأما البحر الغربى فانه يأخذ من المحيط من المغرب فى الخليج الذى بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهى الى الثغور الشامية وقدره فى المسافة أربعة أشهر ومن القلزم الذى هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين فى قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان انه هذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرقى وانه وجد فيه شئ من النار جيل الذى يكون فى البحر الشرقى وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف فى مبادى البحار على أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثانى انها بقية طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عرق الارض لما دنا لها من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتصعد منها للجو

وغضارة الأيام تابى ان يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وهذا من قول أبى الطيب

وما الجمع بين الماء والنار فى يد * بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

وهو ينظر من طرف مريب الى قول أبى تمام حبيب

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وقال أبو الحسن على بن رشيق

أشقى لعقلك ان تكون أديبا * أوان يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى خطه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وقال ابن الخياط الدمشقى

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتدانى
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتوانى

ومنه قول الآخر

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المان عن ذى الحيلة الداهى

وقال ابن عنين

يعدو الرياض الحيا والارض مجدبة * رزقا وفى البحر ذيل السحب مسحوب
فلا العجز تعدى ذاك وابله * ولا الحرص سقت تلك الشآبيب

وقال أبو الاسود الدئلى

المرء يحمد سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وأخذه ابن النقيب فقال ومن خطه نقلت

لو لحن الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

يقال ان ابن بقية الوزير كان من أشد الناس لحنا فلما تولى الوزارة لم يرله لحن الا فى الشاذ ونقلت من خط السراج الوراق له

الباء والخاء من بختى قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرمانى

ونقلت منه له أيضا

أراه يصدعنى وهو لاه * بنوبى كليل الهجر والصد

فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فنه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت ما لا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة واعاد نى باعادتها الى الرطبة هو ما زعم قوم ان الحجارة كانت فى الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا وزدت فى العناصر فكانت خمسا)

أصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفى هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء فى ضرورة الشعر كقوله

فان لم يرعنى لبياض لونى * فيرعانى لحظى وهو أسود

ونقلت منه له أيضا

أولاد أولادى ما منهم * من قال مثل الناس جدى السعيد
وما مرادى الحظ لكن أنا * ولو أردت الحظ رمت البعيد

ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب له

وقالوا بماذا يكتب الحظ كاتب * جهول بظلماء الجهالة خابط
فقلت بظاء فاكتبوا الحظ قائما * سرى شؤم حظى وحده فهو ساقط

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ياسيدى عطفا على متألم * يشكو من الايام حظا ساقطا
لو جاء يكتب حظه متحرزا * ما جاء ذاك الحظ الا ساقطا

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه

هى الحظوظ فعش منها بما وهبت * ولا تقل عالياحظى ولا دونا
تغنى بذا دون هذا عن تماثله * وقس على ما تراه الشين والسينا

وقال أبو الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر جائر * فضلت به فضلاءه الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور فى انعامه الانفال

وقال ابن الساعاتى فى وصف قصيدته

وكم لى فيك من عذراء زفت * لفهمك فى غدو أو رواح
من الغيد الحسان بلا شبيه * فكيف يفوتها حظ القباح

وقال أبو بكر القهستانى

بالجد يسعى الفتى والا * فليس يغنى أب وجد
وليس يجدى عليك كد * مادام بكدى عليك جد

وقال آخر

مضى بنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه
لا يوالى الدهر الا * خاملا ليس بنابه

وقال القاضى الفاضل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وقال ابن نباتة السعدى

الافاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع

وقال أبو العلاء المعرى

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك أسهما * ثنتها على أعقابهن المناصل

لقد رأيت عجبا مذ أمسا
عجائزا مثل السعالى خمسا
ولا يصغر أمس كما لا يصغر
غدو المعنى انك لو شئت قلبت
الاشياء اما قدرة واما تسمية
تقتدى الناس بك فيها
(والعناصر) أصول الخلق
وهى أربعة لا غير النار والهواء
والماء والتراب ثنتان تذهبان
صعدا وهما النار وطبيعتها
حارة يابسة والهواء وطبيعته
حارة رطبة وثنتان تذهبان
سفلا وهما الماء وطبيعته
باردة رطبة والتراب وطبيعته
باردة يابسة وقيل فى قول
فيثاغورس والذى وهب
لنا الينبوع الاربع أراد
العناصر
(وانك المقول فيه كل الصيد
فى جوف الفرا)
هذا مثال قديم يضرب فى
وصف الشئ المربى على غيره
وأصله أن قوما خرجوا
للصيد فصاد أحدهم ظبيا
وآخر أرنبا وآخر فرا وهو الحمار
الوحشى فقال لاصحابه كل
الصيد فى جوف الفرا يعنى
ان جميع صيدكم يسير فى
جنب ما صدته وزعم بعضهم
أن الفرا اسم واد كثير الصيد
وهو قول مردود وأما قول
الشاعر
وواد كجوف العير قفر قطعته
فليس من هذا وانما أراد
الوادى المعروف بجوف حمار

وحكى أن بعض المطربين غنى فى جماعته عند بعض الامراء الأعاجم فلما أطربه قال لمملوكه هات قباءك لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالقباء فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى وهو فى أثناء الطريق بعد ما أخرج ان الامير أمر لك بقباء ولم تلحقه فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل البيت لكن بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال لما بلت فى ذلك اليوم فأتتنى السعادة من الامير فأوضحوا القضية للامير فاعجبه ذلك وأمر له به وقال عبد القدوس

وليس رزق الفتى من حسن حيلته * لكن جدود ترزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وذكرت بالصيد هنا حكاية مطبوعة وهو أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا تكبسنى جاريتان عندى فتناومت عليهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشئ ولعبت به فانتصب قائما فوثبت اليه المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيى أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن قبضه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ثم قال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكمك يا امير المؤمنين وحملهما اليه وقال عيسى بن ابان كنت عند المأمون فاستأذنته فى الخروج الى البصرة الى عيالى فقال أنا أشوق منك الى عيالى ولكن وجه اليهم ليحملوا ثم قال لخادم على رأسه مرهم بالوصول واقبل غلام لانبات بوجهه مخلق بالغالية فسلم فقال مرحبا فاجلسه على

فخذه اليمنى وأقبل آخر فاقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى بمن ترى ان أبدأ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذى ذهبت اليه انهما جاريتان اشتبههما فى زى الغلمان فقلت أمير المؤمنين اعلى عينا فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ألم تسمع قول الله تعالى والسابقون الاولون قال فبقيت والله متعجبا وتمنيت انى كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكى ثم قالت الاخرى والله ما تبصر من الحكومة شيأ ألم تسمع قول الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الجليس والانيس (رجع)

قلت والزمان مولع بخمول الادباء وخمود نار الاذكياء كم أخفى على الفضلاء وجهل قدر العلماء هذا الملك الافضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف كان متأدبا حليما حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه بل لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر اليه عمه العادل أبو بكر وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على

وحمار اسم رجل قديم كان فى واد خصيب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فاحرقته واحرقت الوادى فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد فى جوف الفرا

(وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد)

هذا البيت لابى نواس من جملة أبيات يقولها فى الفضل ابن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهى

قولا لهرون امام الهدى
عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمى البصرى وكنى نفسه بابى نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذى رعين وذى نواس فاكتنى بابى نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتادب بها على أبى زيد وخلف

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

وكتب اليه الامام الناصر الجواب

وافى كتابك يابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الناصر بل توفى فجأة فى سميساط ومن شعره رحمه الله

أما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يومايرى وهو طالبى
ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

ومن شعره رحمه الله على ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه * لعساه من أهل الشبيبة يحصل
هافاختضب بسواد حظى مرة * ولك الامان بانه لاينصل

ووجدتهما بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان فى بعض مسوداته لابن الكيزانى المصرى ووجدت بخطه أيضا ماصورته نقلت من خط كمال الدين بن العديم الحلبى من مسوداته التى علقها لتاريخه من ترجمة الملك الافضل نور الدين وذكر البيتين اللذين أولهما مولاى ان أبابكر وصاحبه ثم قال وبعض الناس يقول انهما من نظم أبى فراس بن أبى الفرج البزاغى ابن أخت الاديب حماد البزاغى ثم ذكر فى الحاشية ان أباطالب بن زيادة أجابه عن البيتين المذكورين بالابيات الثلاثة التى فى آخرها الناصر وكذا الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم لم يزل منكدا لحال مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة وتحف طريفة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملأ فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى أولها

ودان ألمت فى الكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وجف تجول غياهبه
تقهقه فى تلك الربوع رعوده * وتبكى على تلك الطول سحائبه

ومنها

أيحسن فى شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه
بانى أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مغبرة وسباسبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لايجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة * وصدق ولاء فيه لست أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه * وكنت أذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت انتى * أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

يشير الناصر الى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته

الاجر ونظر فى كتاب سيبويه
وقال الشعر البارع ومدح
الخلفاء والامراء وكان يقال
هو فى المحدثين مثل امرئ
القيس فى المتقدمين وكان
العتابى يقول لو أدرك الخبيث
الجاهلية لم يفضل عليه أحد
وسئل المرزبانى أيهما أشعر
أبو نواس أم الرقاشى فقال
ضراط أبى نواس فى جهنم أشعر
من تسبيح الرقاشى فى الجنة
ثم مدح الامين واختص به
وصار من ندمائه بذلك
وبذلك كان أخوه المامون
يشنع عليه ويقول كيف يصلح
للخلافة وجليسه أبو نواس
القائل فى مجلسه كذا وكذا
من الاشعار المحتوية على
الفسق والكفر وكان أبو
نواس قد انفرد فى زمانه
باتفاق الشعر وافراط المجون
والهتك قال أبو العتاهية
عاتبته مرة على المجون فانشد
يقول

أترانى ياعتاهى
تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا بالـ
ـنسك عند القوم جاهى
فلما أكثرت عليه قال
لاترجع الانفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر
فوددت أن هذا البيت لى
بجميع ماقلته وعلمت أنه
لايصغى الى عذل ولم يزل
على حاله الى ان توفى ببغداد

لانها من النظم البديع في غاية واستدعاه سرا بعد شطر من الليل واجتمع به في خلوة وماتم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وذكر المؤرخون في سبب ذلك ان الخليفة راعى عمه الكامل لانه قد كان تأذى على الناصر داود وما أرى السبب الا ماحواه من الادب وقد كان الناصر من الشعراء المجيدين والادباء المفيدين يفوق بلطفه على النسمات المتأرجه ويكتب خطا يزرى بالحدائق المدبجه وكذا المعتمد على الله بن عباد واقعته مشهورة ومصيبته على جبهات الايام مسطوره عبرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر فيها وتفكر وستأتي نبذة من خبره بعد ولكن المعتمد تملك وصفت له الايام ودام ملكه ثلاثة وعشرين سنة كما ذكر ذلك في قوله

أشرقت عشرون من انفسها * وثلاث نيرات تأتلق

لانه ولي سنة احدى وستين واربعمائة وجرت كائنته سنة اربع وثمانين واما الكائنة التي جرت عليه وعلى ذريته الى ان مات في اغمات وماتوا قبله وبعده فما اتفقت لغيرهم ولا جرى في خلع ملك ماجرى له رحمه الله تعالى وكذا عبد الله بن المعتز من خلفاء بني العباس لم يزل منغصا طول عمره ولما بويع له بالخلافة ظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم له الامر الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم انهم لا يسفكون في واقعته دما فيقال ان والده لما خلع ترك في مطمورة ملئت ريشا في يوم صائف شديد الحر الى أن مات ولما خلع هو القي في صهريج ملئ ماء في يوم شديد البرد الى ان مات وقيل ادخل حماما حارا حتى عطش عطشا شديدا فجيء اليه بماء بارد بثلج فحين شرب مات رحمه الله أو بالعكس في امره وامر والده ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفا وفي المعتز قيل

لله درك من ملك بمضيعة * ناهيك في العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو تمام الطائي من ابيات

مازلت أرمي بآمالي مطالبها * لم يخلق العرض مني سوء مطلبي
اذا قصدت لشأو خلت انى قد * أدركته أدركتني حرفة الادب

وقال بن الساعاتي

عفت القريض فلا أسموله أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه في الكتب
هجرت نظمي له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال بن قلاقس

لا اقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث ان يأتي بلا طلب
عيون جاهلك عني غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وقد أنصف الحسن بن أبي الحسن لما سئل لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل حيث قال ليس الامر كما زعمتم ولكن طلبتم قليلا في قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل في أهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اه قلت هذا هو الانصاف لو عددنا العلماء السعداء لوجدناهم أضعاف المحارفين الجهلاء لانهم أناس يمكن ضبطهم ومن العلماء السعداء غالب الخلفاء والملوك والامراء المتقدمين والوزراء والقضاة وأرباب المناصب والولايات بل جمهورهم الا ماندر ولكن الناس قد لهجوا بهذا

سنة مائتين هو ومعروف الكرخي في يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبي نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل اليس جعنا وإبانواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بصلاة الذين صلوا على معروف وعلى وأوصى ان يكتب على قبره هذا

وعذلتك أجداث صمت
ونعتك أزمنة خفت
ياذا المنى ياذا المنى
عش ما بدا لك ثم مت

وأخبار أبي نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستظرف أخباره قبل تحاكم في سؤال رافضي وسني فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطيني كل سنة ثلاثة آلاف درهم وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هي أجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشئ وكان يوما جالسا وفي يده كأس خمر وعن يمينه

عنقود وعن يساره زبيب
فقيل له ماهذا فقال الاب
والابن والروح القدس
وقيل له أتشرب الخمر قال نعم
اذا اشترى بثمن خنزير سرق
حتى يكون حراما ثلاث مرات
وحكى عن نفسه قال دخلت
الى دمشق وخلوت بامرد
ودفعت له دينارا فلما رأى
متاعى استعظمه فقلت اما
ان ترد الدينار واما ان تحتمله
وأما ان تشتم معاوية فاذ عن
فرضى بالوسط فلما دفعته
فيه سمعته يقول هذا فى رضاك
قليل يا أبا يزيد وقال له أمرد منى
تعطينى درهما قال اذا جرى
الماء فى العود وكان أبو عبيدة
يجلس الى اسطوانة فى جامع
البصرة فكتب أبو نواس
فى أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله أمينا
فلما حضر أبو عبيدة رأى
البيت ولم يعرف من كتبه
فامر بعض تلامذته بحكه
من السارية فلم يصل فقطا من
له أبو عبيدة وصعد على ظهره
الى ان حكه فلما طال عليه
الامر قال له أفرغت قال نعم
حككت الكل الا حرفا قال
وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقى
الكل * ومن شعره قيل ان
سليمان بن المنصور دخل
على الامين فرفع اليه انه
هجاه وانه زنديق وأشار عليه

الامر وصار مشهورا بينهم والرزق والاجل مقدران من لدن حكيم عليم وقد تقدم أن الحظوظ لا تعلل والباحث عما لا يعلمه مضال فاصبر واحتسب واجهد على تكميل ذاتك واكتسب
قال بعضهم

خط ولاحظ وشعر ماله * سعرا أنثر فيهما أم أنظم
كم جهدا ارفع قصتى ويحطها * حظى وأنصب والحوادث تجزم

قلت اراد أن يقول ويخفضها حظى فما اتفق له فعدل الى يحطها وهو بمعناه ولكن الاول أكمل ولو اتفق له أن تكون القصة مرفوعة فى اعرابها والحظ مكسور الكان من البديع فى غاية وما رأيت من استعمل هذا المعنى ولحظه وأتى به كاملا غير شهاب الدين التلعفرى فقد أنشدنى المولى شهاب الدين أبو العباس احمد بن غانم كاتب الانشاء السلطانى قال أنشدنى من لفظه لنفسه شهاب الدين التلعفرى بحماه سنة سبعين وستمائة

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه المرفوع عن ذيل الصبا المجرور

فانظر كيف نصب الهضب ورفع الحديث وجر ذيل الصبا وهذا فى غاية الحسن من البديع مع انسجام هذه الالفاظ وعدم التكلف فى تراكيبها وقد نظم شهاب الدين التلعفرى المذكور هذا المعنى أيضا ولكن قصر عن هذه الغاية فقال

قل للصبا سرا فان لها شذا * يضحى بما يغضى اليه مذيعا
ياذيلها المجرور عن هضب الحمى * منصوب هات حديثها المرفوعا

ونقلت من خط الوداعى له

ولقد وقفت على الثنية سائلا * عما أشار به فتى شيبان
فروت أحاديث الحمى عن عامر * وحديث روض السفح عن ابان

وقلت أنا فى الحظ

شكوت حظى الى دهرى وبيتى * فضلى ولكنها لم يرضها حكمى
ما رب عاقنى عن نيلها قدر * جرى ولكنها لم تعل عن همى

وقلت أيضا

تشفعت للبين المشت بكم عسى * يعود هزيم الوصل عودة منصور
على ان جاه الحظ أكرم شافع * ولولاه لم يحتج الى بنت منظور
وما هو الا الحظ يعترض المنى * ولولاه كان الدهر اطوع مأمور

وفى الثانى اشارة الى قول الفرزدق

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

والواقعة مشهورة فلا فائدة فى ذكرها

(لعله ان بدا فضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى)

(اللغة) بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اذا ظهر وابديته أنا فضلى تقدم الكلام على الفضل فى أول القصيدة ونقصهم النقص ضد الفضل لعينه تقدم الكلام على العين نام تقدم الكلام على النوم فى قوله تنام عينى تنبه نبهته على الشئ أوقفته عليه فتنبه هو عليه وهو الامر تنساه

ثم تنبه له وأصله من الانتباه الذى هو اليقظة (الاعراب لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر من أخوات أن ومعناه الترجى وقد تقدم الكلام عليه فى قوله لعل المامة بالجزع ثانية والهاء فى لعله ضمير يرجع الى الحظ وهو فى موضع نصب على انه اسم لعل (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه (بدا) فعل ماض حكى الحريرى فى درة الغواص أن أبا عمر الجرمى حين شخص الى بغداد ثقل موضعه على الاصمعى اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير الشوق له فاعمل الفكر فيما يغض عنه فلم ير الا أن يرهقه فيما يسأله عنه فاتاه فى حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين بدأن للنظار

أوحين بدين فقال له بدأن قال غلطت قال بدين قال غلطت انما هو بدون أى ظهرن فاسرها أبو عمر فى نفسه وفطن لما قصده به واستأنى به الى أن تصدر فى حلقته واحتف الجمع به فوقف عليه وقال له كيف تقول فى تصغير مختار قال مخيتير فقال أنفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وان التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع عليه الى أن انقض الناس من حوله وقال الحريرى فيه مخير قلت وحكى ابن وكيع فى المنصف عن شيخه أبى الحسن المهلبى انه اجتمع بالمتنبى عند بعض الرؤساء فسأله عن تصغير مختار فقال لا يصغر فقال المهلبى ليهن مختارا وأم حنين العافية اه قلت ومن الاشياء التى لا تصغر الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وأكمت وذكرت هنا ما قاله الكسائى لمحمد بن الحسن فى مجلس الرشيد وهو أن الكسائى قال من تبحر فى علم اهتدى به الى جميع العلوم فقال محمد بن الحسن ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال الكسائى لا قال لما ذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر فقال له محمد بن الحسن ما تقول فى تعليق الطلاق بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر وعلى ذكر مختار قد نقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله فى الطواشى مختار البغدادى لما حمل طيورا صرعها الملك السعيد بن الملك الظاهر قوله

عزائم للطير كم قد رقت * وكم أتاها منه مصروع
وكيف لا يصرع شئ بدا * وهو من البندق متبوع

ومنها

ملك شديد البطش ذو عزمة * لباسها فى القتل تفويع
مختار لم يحمل لها طائرا * الا لياتى منه مجموع

وما أحسن ما أنشدت للموفق الحكيم أظنه المعروف بالورل أو المعروف بصاقرة الادب

لله أيامنا والشمل منتظم * نظمها به خاطر التفريق ما شعر
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

أتى بالجمع والاختيار والاختصار فى نصف بيت بل فى ثلثه مع ما فى الاول من التورية أيضا (رجع بدا من ذوات الواو كما تقدم (فضلى) فاعل بدا والرفع فيه بضمة مقدرة على اللام لانه مضاف الى الياء وهى فى موضع جر بالاضافة (ونقصهم) الواو عطفت الاسم المرفوع على الاسم قبله والهاء والميم ضمير الجهال فى البيت المتقدم والضمير فى موضع جر بالاضافة (لعينه) اللام

بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد * ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم * فمحمد يا قوتها المستخلص
فانقطع سلمان عن الركوب فامر الامين بحبس أبى نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر امين الله والعهد يذكر * مقامى وانشادى لك والناس حضر
وتثرى عليك الدر يا در هاشم * فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذى يرمى بسهمك فى العلا * وعبد مناف والدالك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتى * وان كان لى ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم

ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح فى الدمن * لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن
ضن بى من قد كلفت به * فهو يجفونى على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك * قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا * فكأن البخل لم يكن

وقوله ايضا يمدح الامين

هنا للتعدية وعينه مجرور باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود الى الحظ (نام) فعل ماض وهو جواب الشرط (عنهم) عن حرف جر ومعناه المجاوزة والضمير في موضع جر ولم يظهر لبنائه وهو عائد على الجهال (أو) حرف عطف وهو هنا للتخيير وقد تقدم الكلام على أقسام او في قوله فان جنحت اليه البيت (تنبه) فعل ماض جواب ثان للشرط (لى) جار ومجرور واللام للتعدية والياء ضمير المتكلم وخبر لعل الجملة من الشرط والجزاء والتقدير لعل الحظ منصفني (المعنى) أترجى الحظ عساه اذا رأى فضلى وعلم نقصهم أن ينام عنهم فيسلبهم ما هم فيه أو يتنبه لى فيوفينى ما استحقه هيهات ضاع عمره وفنى زمانه وانتهت مدته وما نام عنهم ولا تنبه له نعم كان قد نام عنه ثم تنبه له فاورده على ظمأ به جدول الحسام وأعانت على قتله فضائله الجسام ولكن الامل خلق جبلت النفوس على ألفه وطبع يزداد بنقص الانسان ويقوى بضعفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيب الانسان وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن كلام الحكمة الامل ينقسم والاجل يبتسم وكيف يتنبه له الحظ والدهر كما قال التهامى

ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

وفى معنى قول الطغرائى

عمرت أروض خطوب الزمان * لوان جامحها يستقيد
وما كان أجدرنى بالعلى * لوقد تنبه حظ رقود

وقال مهيار الديلمى

أيا سكر الزمان متى تفيق * ويا وسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مدلة أبدا طريق
أكل فضيلة كانت عليها * تعين هى التى عنها تعوق
قضاء ضل وجه الرأى فيه * وكاذب دونه الظن الصدوق
وعتب طال والأيام صم * كما يشكو الى الموج الغريق

وهذا المعنى كقول أبى الطيب المتنبى

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وذلك لان الغريق أعظم آفته وأكبر الاسباب فى هلاكه تواتر الموج وكذلك الجريح ما عليه أضر من العقبان والرخم فلا تفيد الشكوى اليهما شيأ وما أحلى قول القائل

يا رادفه رفقا على خصره * فانه جار ما يطيق
يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

(رجع) ولا بد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين الطغرائى

لا تيأسن اذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى الى الفلك
بيتا ترى الذهب الابريز مطرحا * فى معدن اذ غدا تاجا على الملك

وذكر الحريرى فى درة الغواص عن أبى العباس المبرد أنه قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازنى ليقرأ عليه كتاب سيبويه و بذل له مائة دينار فامتنع من ذلك وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداك أترد مثل هذه المنفعة مع فاقتك وشدة ضيقك فقال ان هذا الكتاب

يشتمل

أنت الذى تأخذ الايدى بحجزته
اذا الزمان على ابنائه كلحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة
من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله ايضا

علقت بحبل من حبال محمد
امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحيه
فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسأل الايام ما اسمى ما درت
وأين مكانى ما عرفن مكانى

وقوله ايضا

ألم ترانى أفنيت عمرى
بطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها
يقربنى وأعيتنى الامور
حمت وقلت قد حجبت جنان
فيجمعنى واياها المسير

وقوله أيضا

أيها العاتب فى الخمـ
ـر متى كنت سفيها
لو تركناها العتب
لاطعنا الله فيها

وقوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر
لها محبان لوطى وزناء

يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عزوجل ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية فى حضرة الواثق بقول العرجى

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه وجعله خبر ان والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال أى الموازن أمازن قيس أم مازن تميم أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بلغة قومى وقال با اسمك بالباء بدل الميم لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين فغطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول فى قول الشاعر أظلوم البيت أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قلت لأن مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربى زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك أن الكلام معلق الى أن تقوم ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدتنى قول الاعشى

أيا ابتا لا ترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * دنجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا أبا العباس ردنا الله مائة فعوضنا ألفا قلت لم تكن هذه المسئلة مما يخفى على أبى محمد اليزيدى وهو الذى قال للكسائى يوما فى بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نية زيدا وزيدا فقال الكسائى زيد بالرفع فقال أخطأت علام ترفعه قال انه خبر ان قال فأين اسمها ٣ فالتبك فقال له زيد اسم ان والخبر فى الجار والمجرور وهذا اليزيدى له مسائل عويصة سأل الكسائى عنها وأخطأ فى الجواب منها أنه سأله بحضرة هرون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكى عن قول الشاعر

٣ ما رأينا قط خربا * نقر عنه البيض صقر
لا يكون الغير مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائى يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان ففى البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدى الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية وهى مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى انكتنى بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائى مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدى ان حلاوة الظفر أذهبت عنى التحفظ قلت وأخطأ الكسائى أيضا فى تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروى بالرفع والجر كقول النابغة فى قصيدته الدالية المجرورة وبذلك أخبرنا الغراب الأسود فاما اذا كان الاختلاف بالرفع والنصب فهو

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤا
ومنها يعنى ابراهيم النظام
فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة
حفظت شيأ وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا
فان حظركه بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا ظفرت بمن تهوى فقلت لهم
الآن أطول ما كانت صبابا تى
لا عذر للصب أن تهدى جوارحه
وقد تطعم فوه بالمدارات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبى فجددت
عهدهم
وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به
بشرقى ساباط الديار البسابس

٣ قوله فالتبك أى اختلط اه

٣ قوله خربا الخرب بفتحتين وذكر الحبارى وانما سكن كالقاف من نقر للوزن اه

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوماله يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح فى عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مهاتدريها بالقسى الفوارس
فللراح مازرت عليه جيوبنا
وللماء مادارت عليه القلانس
كان الجاحظ يقول وجدنا
الشعراء تجاذبوا المعانى الا
قول عنترة فى وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد
الاجذم
وقول أبى نواس يصف الكاس
يعنى فى هذه الابيات السينية
فان أحدا من الشعراء لم يجسر
التعرض لها وقوله
كيف النزوع عن الصبا
والكاس
قس ذا لنا ياعاذلى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت
يدى
عن ان تجىء الى فى بالكاس
وقوله
يقولون فى الشيب الوقار
لاهله
وشيبى بحمد الله غير وقار
اذا كنت لا أنفك عن أريحية
الى رشا يسعى بكاس عقار
وقوله
ظلت حيا الكاس تبسطنا
حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر

الاصراف والذى ذكره الحريرى من معارضة اليزيدى للمازنى بين يدى الواثق فيه تجوز لان أبا محمد اليزيدى كان يؤدب المأمون والكسائى كان يؤدب الامين وتوفى اليزيدى مع المأمون فى مرو او فى بغداد سنة مائتين واثنين والواثق تولى الامر بعد وفاة أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ولعل هذا اليزيدى المذكور هنا أحد أولاد أبى محمد اليزيدى لانه كان له خمسة أولاد كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبيد الله وأبو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية فان كان ذلك المذكور أحدا من هؤلاء فكان ينبغى أن يعينه ولا يطلق لفظ اليزيدى لانه لا يفهم منه الا أبو محمد يحيى اليزيدى (رجع) نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان ماصورته نقلت من خط القاضى كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه ان ابن الرقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر فى الليل ويشتغل بالأدب وكان ابوه فقيرا حدادا فلامه ابوه وقال نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم وقال الشعر وعمل فى ابى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدرها لها مغرب * أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب
ومنها ناشدتك الله نسيم الصبا * اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها * اولا فاذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأمر له بثلثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها واشتر بها زيتا وذكرت ببلنسية هنا ما حكاه صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب ذكى فى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف نحت فخنتنى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه بالجواب وكان فى المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحف ببلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى فيك انك تدعى وتتحل ما تقول ويحك والفتى يضحك ثم قال له الفتى اشعر فأنت شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول هو ذاك فتنبه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى الشاب معتذرا معترفا اه قلت وقال آخر لا آخر ما تصحيف نحت فوضعت فجعل لا يهتدى الى تصحيفه فلما اعياه الامر قال له ما تصحيفه قال تصحيف صعب قال بالله قل لى ما تصحيفه قال تصحيف صعب ولم يزالا كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد الى أن ذلك هو الجواب وقال آخر لا آخر ما تصحيف استنصح ثقة ففكر زمانا فلما أعياه قال له لم يظهر لى ايش تصحيفه فقال له قد أجبت ولم تعلم بأنك قد أجبت ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدى الى اسحق بن ابراهيم النديم أى شئ تصحيف لا ترتج مثل الاسنة فكتب لا يرث جميل الا بثينة فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا فكتب اليه وانه منك وحكى أن الامام الناصر قال لابن الدباهى وقد اشترى مملوكا اسمه بليه يا ابن الدباهى ثلثه ثلثه فقال يا أمير المؤمنين لا تعدو مثل هذا ما قاله لى بعض الاصحاب وقد رأى معى مليحا سلسلة يعنى به نيتك تنيكه فقلت بقناديل أى

بقيادتك وأحسن تصحيف رأيته فى سلسلة بث بليتى له وهو أحسن من قولهم نيتك تنيكه وحكى أن ابن منقذ قال لابن الساعاتى الشاعر وكان مليحا فى حال صباه حسن الصورة والخلق أجبى واحد ثكم فاجابه فى الحال مرويك وحكى أن المتوكل قال لابن ماسويه بعت بيتى بقصرين فقال بطين آجرغدا كله قال الخليفة تعشيت فضرنى فقال الطبيب بطبى اخرغدا كله ونقلت من خط السراج الوراق له

أتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل فى ذقنه والنقوس * تعاف المقتلة البارده
وكبدى مقطعة دونها * ونيرانها لم تكن خامده
فقلت له خل تقتيلها * وصحف عسى خلفها فائده

وقال ناصر الدين حسن بن التقيب

مازلت مذ غبت عنك فى بلدى * حتى اذا ما أزحت علتها
أقمت أجرانها على عجل * وبعد هذا خزنت غلتها

وقال آخر أيضا

وقد كان فيما مضى داية * تحن علينا وتبغى رضانا
فماتت فاتممنا فقدها * فنحن جميعا عليها حزانا

وقال ابو عبد الرحمن حمزة الاصفهانى فى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد يقول وجدت للجاحظ فى كتاب البيان تصحيفا شنيعا فى الموضع الذى يقول فيه حدثنى محمد بن سلام الجمحى قال سمعت يونس يقول ماجاءنا عن احد من روائع الكلام ماجاءنا عن النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو البتى فأما النبى صلى الله عليه وسلم فلا شك عند المسلم والذمى أنه أفصح الخلق اه كلام حمزة قلت وقد قلده جماعة من علماء الادب كالابى وغيره وهذا فيه بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر فى الادب وغيره ولا يجوز أن يقع الجاحظ فى مثل ذلك لوجوه الاول انه لا يخفى هذا على من هو دونه الثانى لعله قال البتى بالباء والتاء وانما الناسخ هو الذى حرف ذلك وصحفه بالنبى بالنون والباء وما رأى ذكر النبى بدون ان يقول صلى الله عليه وسلم على عادة النساخ الثالث أن الجاحظ قال سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعا من لفظه والسماع لا يقع فيه التصحيف ولئن كان الامر كذلك فينبغى أن يغلط يونس دون الجاحظ قاعدة التحقيق يقتضى ان القاف والنون والياء آخر الحروف اذا وقعت أخيرة لا تصحف لان القاف لا تشبه الفاء والنون لا تشبه الباء ولا التاء ولا الثاء وكذلك الياء أيضا ولا يصحف حبيبى بحسن لان الصورتين مختلفتان ولكن الناس تساهلوا فى ذلك والتحقيق ماذكرته لان محققى الكتاب اذا وقعت هذه الحروف متطرفات لا ينقطوهن لعدم اللبس فاعرف ذلك

(اعلل النفس بالآمال أرقبها * ما اضيق الدهر لولا فسحة الأمل)

(اللغة) عللته بالشئ لهاه به كما يعلل الصبى بشئ من الطعام ويعلل نفسه بتعلة أى يلهى وعل الشئ فهو معلول وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة مطولة

يا خالى القلب قلبى فى محبتهم * لك السلامة مشغوف ومشغول

ولقد تجوب بى الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر
شدنية رعت الحمى فاتت
مل الجبال كأنها قصر
ومنها
يسعى اليك بها بنو امل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر

ذكر بعض العلماء فى قوله وحلت الخمر أربعة أوجه الاول أن طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضيا الشرب الخمر وملجئا الى تناولها ورافعا للحرج فيها على مذهب الشعراء فى المبالغة وفائدة وصفها بأنها حلت المبالغة فى الوصف بالحسن والجمال الثانى ان يكون آلى على نفسه أن لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع بمحبوبه فكان الاجتماع به مخرجا من يمينه على عادة العرب وعلى ذلك قول امرئ القيس

حلت لى الخمر وكنت امرأ
عن شربها فى شغل شاغل

الثالث يريد بحلت نزلت من الحلول لا من الحلال كأنه وصف بلوغ آرابه وانها تكاملت بحضور الخمر الرابع اننا استحللنا الخمر بسكرنا وذهولنا والى ذلك أشار فى المعنى بقوله

ذرينى اكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب امير
اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا
فأى فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولنى منك الجميل فأهله
والا فانى عاذر وشكور

وقوله ايضا من ابيات رويت منها هذين البيتين

لقد أتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقى

وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التى لم تخلق

احتج له فى بعض العلماء فى هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه لحمه ودمه فكأن الاعداء خافته ونطفها فى ذلك الوقت دم فجرى الخوف فى الدم فجرى الدم فى الاخلاط واستحالت الى منى بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه فى الرحم فتكون انسان فخافته من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهى فى ظهر أبينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فلبث فى ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثانى فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

مضى بهم وبماض من تذكرهم * يعيده فهو مغلول ومعلول

النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

تجاسالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا

أى بجفن سيف ومئزر والنفس لغة الدم يقال سالت نفسه وفى الحديث ما لا نفس له سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى سحيم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتأمور الدم واما قولهم ثلاثة أنفس فانهم يريدون بذلك الانسان هذا قول أصحاب اللغة والفقهاء وافقوهم على ذلك وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا فى حقيقة النفس ما هى اختلافا كثيرا الى الغاية وأما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الأجزاء النارية السارية فى هذا الهيكل لان النار خاصتها الاشراق والحركة ولهذا قال الاطباء ان مدبر الجسد هو الحار الغريزى وهذا رأى أفلاطون ومن تابعه ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس متردد كانت الحياة باقية فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد فى مخارق البدن ولانه لا لون له ويدخل فى المنافس الضيقة وهذا رأى ديوجينس ومن تابعه ومنهم من قال النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك فكانت هى الماء وهذا رأى تاليس الملطى وهذه الاقوال فاسدة لان الاشتراك فى بعض الصفات لا يوجب التساوى فى تمام الماهية ومنهم من قال النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الاربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين لانه مادامت هذه الاخلاط باقية على كيفياتها المخصوصة وكيفياتها المنصوصة فالحياة باقية وهذا ضعيف أيضا لانه لا يثبت العلم بمجرد الدرر ومنهم من قال النفس عبارة عن الدم لانه أشرف اخلاط البدن ومتى نزف الدم عن الجسد فارقته الحياة وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الاطباء فوافقوا الفقهاء واهل اللغة وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه ولانه كان ينبغى ان تزيد النفس بزيادة الدم فى البدن وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته فى البدن والقضية بالعكس فان الصائم والضعيف يقوى ادراكهما ومنهم من قال ان العناصر المركبة مختلفة فى ماهياتها فالطيف منها لا ينقلب كثيفا وبالعكس وكذا القول فى الرطب واليابس والحار والبارد فثبت أن النفس أجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الأجسام اذا شابكت هذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد فى الورد والدهن فى السمسم صار هذا الهيكل حيا بتلك المشابكة ولا يتطرق الذوبان والانحلال الى هذا الهيكل دون تلك الأجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا أنه اذا قطعت أطراف الانسان اما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس فى تدبير البدن وضعف الادراك والعلم واما ان تتداخل تلك الاجسام فى الجسد الذى بقى ويقوى تدبير النفس للبدن فى الحركة وقوة الادراك لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت فى هذا الباقى وهذا فيه قول بتداخل الاجسام وهو محال ومنهم من قال النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة فى البطن الأيسر من القلب النافذة فى الشرايين النابتة منه الى كل اجزاء البدن ومنهم من قال النفس عبارة عن الارواح المتكونة فى الدماغ الصالحة

لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ فى شظايا الأعصاب النابتة منه الى أقاصى البدن ومنهم من قال أجزاء هذا البدن على قسمين بعضها أجزاء أصلية باقية من أوّل العمر الى آخره من غير أن يتطرق اليها شئ من التغيرات والانحلال والزيادة والنقصان وبعضها أجزاء عارضية تبعية تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشئ الذى يشير اليه كل أحد بقوله أنا هو القسم الاوّل قال الامام فخر الدين وهذا القول اختيار المحققين من المتكلمين وبهذا القول يظهر الجواب عن أكثر شبهات منكرى البعث والنشور اه وقال بعض المحققين النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جثمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه لا متصلة به ولا منفصلة عنه لها تعلق بالأجساد تشبه علاقة العاشق بالمعشوق وهذا القول ذهب اليه أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه ونقل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال الروح فى الجسد كالمعنى فى اللفظ وما رأيت للنفس مثالا أحسن من هذا ويقال ان بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هى الريح والنفس هى النفس فقال له السائل فعلى هذا اذا تنفس الانسان خرجت نفسه واذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكا وهذه مسئلة عظيمة تتجاذب الأدلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها وتتعارض وما أقول فيها الا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا وتمسكوا فيه بأدلة تؤيد من كل مذهب ما ادعاه أربابه وجزم بأنه الحق قال الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن الزملكانى فى مصنف له قال القاضى عياض ما معناه اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه اه قلت ولله در أبى الطيب اذ يقول

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ✻ الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ✻ وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا وبهجتها ✻ أقامه الفكر بين العجز والتعب

والقاضى الفاضل حيث يقول

والشعر ثوب طالت عنه وربما ✻ تتعثر الشعراء فى أذياله
سهل على الاسماع لا الاطماع فى ✻ تقريب مطمعه وبعد مناله
كالروح تدركه العقول بفعله ✻ ويضل عنه الفكر فى تجواله

رجع الآمال جمع أمل وتقدم الكلام عليه أرقبها أرصدها الدهر تقدم الكلام عليه فسحة الأمل فسحة الشئ سعته ومكان فسيح ومجلس فسيح اذا كان واسعا (الاعراب أعال) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (النفس) منصوب لانه مفعول به (بالآمال) الباء هنا للتعدية وهى متعلقة باعال والجار والمجرور فى موضع نصب (أرقبها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضمير فى موضع نصب لانه مفعول به وهو يعود الى الآمال والجملة فى موضع نصب على الحال تقديره أعال النفس بالآمال مرتقبا لها (ما) هنا هى التى للتعجب وقد تقدم الكلام على تقسيمها وهى هنا على مذهب سيبويه نكرة غير موصوفة فهى فى موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها

مرينا والعيون ترمقه
تجرح منه مواضع القبل
أفرغ فى قالب الجمال فما
يصلح الا لذلك العمل

وقوله أيضا وقد هجا بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه فقال

ما أنت بالحر فيلحى ولا
بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم
رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدرى انه خارج
مثلك من احليله لاختصى

وأما قوله فى أمر الزهد فأنشد يوما هذين البيتين يقول

ألا رب وجه فى التراب عتيق
ويا رب حسن فى التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق

وقوله من أبيات يرثى بها الامين وكأنها مطولة والله أعلم

طوى الدهر ما بينى وبين محمد
وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق لى شئ عليه أحاذر

(والمعنى يقول أبى تمام فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من شرف الطباع) هذا البيت لابى تمام من قصيدة مطولة ستأتى ان شاء الله تعالى فى آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث

لانها فى تقدير التخصيص والمعنى شئ عظيم مثل شر أهر ذاناب وجملة (أضيق) خبر المبتدأ واختلف فى أفعل التعجب فقال قوم انه فعل لانه تدخله نون الوقاية تقول ما أكرمنى وهى مما يدخل على الافعال وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون انه اسم لانه يصغر وأنشدوا على ذلك

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤلاء بين الضال والسمر

ومذهب البصريين أقوى لأدلة ذكرت فى مواطنها وللتعجب صيغتان وهما أفعل وأفعل به تقول ما أكرمه وأكرم به وهاتان الصيغتان ممنوعتان من الصرف والبناء على غيرهذه الصيغة التى جعلت لهما ولا يبنيان من فعل زائد على الثلاثة وأجاز سيبويه بناءه من أفعل كقولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف ولا يبنيان من غير متصرف كنعم وبئس ولا من فعل لا يقبل التفاوت نحو مات وفنى لانه لا مزية فيه لفاعله بل فاعلوه متساوون فيه ولا من فعل ملازم للنفى نحو ما عاج زيد بهذا الدواء أى ما انتفع به لانه لم يستعمل الا فى النفى ولا من فعل اسم فاعله على أفعل وهذا يجئ فى الالوان والعاهات نحو سود فهو أسود وخضر الزرع فهو أخضر وعرج فهو أعرج وحول فهو أحول لان فعل هذين أكثر ما يجئ بزيادة اللام على وزن أفعل نحو أحمر وأخضر وأعور وأحول فان أردت التعجب منهما قلت ما أشد سواده وبياضه وما أشد عرجه وحوله ولا يبنيان من فعل مبنى للمفعول نحو ضرب لئلا يلتبس التعجب منه بالتعجب من فعل الفاعل قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ولو كان الالتباس مأمونا مثل أن يكون العفل لازما للبناء نحو وقص الرجل وسقط فى يده لكان فعل التعجب منهما خليقا بالجواز اه وقد دارت هذه المسئلة أعنى ضرب زيد وبناء التعجب منه بين أبى جعفر النحاس وبين أبى العباس بن ولاد وجرى بينهما بحث طويل نقض كل منهما كلام الآخر وبعث كل منهما الى ابن بدر النحوى ببغداد فمال مع أبى العباس على أبى جعفر وكأنه ارتشى وقال أبو القاسم الشاطبى وقد وقفت على هذه المسائل فأبو جعفر يسلك فى كلامه طريق النحاة وأبو العباس له ذكاء ذكر ذلك علم الدين السخاوى فى سفر السعادة وفيما دار بينهما فوائد جمة (رجع الدهر) منصوب على التعجب وهو فاعل فى المعنى فعل الفعل المتعجب منه ولكن دخلت عليه همزة النقل فصار الفاعل مفعولا كأنك قلت شئ عظيم ضيق الدهر (لولا) حرف يمتنع به الشئ[٣] لامتناع غيره وهى هنا امتناعية وقد تكون تحضيضية كقوله تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب وحكى أبو جعفر النحاس أنها تكون نافية فى مثل قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أى فما كانت وهى عند الناس هنا للتحضيض وقيل انها مركبة من لو ولا (فسحة الامل) فسحة مبتدأ ومنهم من قال يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر تقديره لولا حضر أو وجد وليس بشئ ومنهم من قال ارتفع بلولا وليس بشئ أيضا لان لولا غير مختصة والخبر هنا محذوف لان المبتدا اذا وقع بعد لولا حذف خبره وتقديره لولا فسحة الامل موجودة وانما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به لانك تقول لولا زيد لزرتك اى لولا زيد مانع او موجود قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فعلى ما قاله الجماعة يكون بيت المعرى لحنا وعلى ما قاله الرمانى وهو الصحيح لا لحن فيه اه قلت أما بيت المعرى فهو قوله

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

الطائى الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بأنه ولد فى سنة تسعين ومائة ومات فى سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهى من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة فى حداثته يسقى الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره فى العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث على ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون فى كل جمعة فى القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم فى الجمعة التى قبلها فبينا أنا فى جمعة من تلك الجمع

[٣] (قوله لامتناع غيره) صوابه لوجود غيره اه

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قالوا حذف خبر المبتدا بعد لولا واجب لان ما في لولا من معنى الوجود دل عليه وقال ان كان الخبر معلوما وجب حذفه كما قال النحاة وان كان مجهولا وجب ذكره فانا اذا قلنا لولا زيد لا كرمتك ان أردنا لولا زيد حاضر أو موجود أو غير ذلك مما يدل عليه قوة الكلام وجب الحذف كما ذكرتم للدلالة عليه وطول الكلام وان اردنا به لولا زيد يلبس كذا او يركب كذا او يفعل فعلا ليس في اللفظ دلالة عليه وجب ذكره حينئذ والا كان في حذفه تكليف السامع علم الغيب وانشد على ظهور الخبر قول الشاعر *فوالله لولا الله لا شئ غيره* وقوله ايضا* فوالله لولا الله تخشى عواقبه * وابياتا غير ذلك اه ماحكاه ابن النحاس وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل وجب حذف خبر لولا الامتناعية لانه معلوم بمقتضى لولا اذهي دالة على امتناع لثبوت والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على ثبوته هو المبتدا ثم قال فيما بعد والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق فلو اريد كون مقيد لا دليل عليه لم يجز الحذف نحو لولا زيد سالمنا ماسلم ولولا عمرو عندنا لهلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديث عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم فلو اريد كون مقيد مدلول عليه جاز الاثبات والحذف نحو لولا انصار زيد جوه لم ينج فخموه خبر مفهوم المعنى فيجوز اثباته وحذفه ومن هذا القبيل قول المعرى وانشد البيت ثم قال وهذا الذى ذهب اليه الرماني وابن الشجرى والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس ومن ذكر الخبر بعد لولا قول ابى عطاء السندى

لولا ابوك ولولا قبله عمر * القت اليك معد بالمقاليد

اه كلامه وفي حذف خبر لولا قال السراج الوراق ومن خطه نقلت

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى
وجوابي يلغى يحاكى للولا * خبر الواو أتوابه ما أفادا

وذكرت ببيت أبي العلاء المعرى قول بن المعتز

يكاد يجرى من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله ايضا يصف فرسا

يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقول أبي الشيص في مثل هذا

لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج في العضد
لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وأخذ أبو الطيب هذا ديباجا منقوشا وأعاده ساجا مخدوشا فقال

ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها شسوعا
اذا ماست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

وأخذه أيضا كمال الدين علي بن النبيه تبرا وأعاده درا فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول الآخر

لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زى الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقد قال سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادى فقلنا هات فأنشد

فخواك عين على نجواك ياندل *

ثم مر فيها منشدا حتى اتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان اتى على آخرها ثم انشد قصيدة اخرى فقلنا له ايها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه قلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال انا ابو تمام الطائى فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وفصاحة منطقه وجودشعره ثم انى ما عرفت عقد خنصر ابى الشيص هل كان اعجابا به مما سمع في البيت من البديع المرقص او اخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه اعنى من لفظة قوافيه وهى ضرورة

ومعصم يكاد يجرى رقة * وانما يعصمه سواره

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى شمس الدين محمد بن المحدث لوالده عز الدين بن عبد الرزاق

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقتلى * تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قسوة القلب زال

(المعنى) أمنى النفس وأعللها بر قبة الآمال وانتظار بلوغها وادراكها فيتسع لها ما ضاق عليها من الدهر أو من العيش ثم قال ما أضيق الدهر لولا ان فسحة الامل توسعه وفى الآمال راحة للنفوس قال صلى الله عليه وسلم الامل رحمة لامتى لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ومن هنا قال الحسن لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا وقال بن المعتز فيما أظن نعم الرفيق الأمل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به والاصل فى هذا قول بن ميادة

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمإ بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وما أحسن قول القاضى الفاضل وقد وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منى وكل امرئ أمانيه تليق بمعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمن * قلت له سائلا بصدق
أريد فى صبح كل يوم * فتوح خير يأتى برزق
كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقال آخر

لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدق وقا أنيسا غير خوان
اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وقيل لبعض العشاق ما تتمنى فقال اعين الرقبا وألسنة الوشاة وأكباد الحساد واخذ هذا بعضهم ونظمه فقال

قال لى عودى غداة اتونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلت مقلى فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
واضيفت اليه كبد حسود * فغثت فوقها عيون رقيب

وقال آخر

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وألـ * ـسنة الوشاة وأعين الرقباء

وقيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب وقال

جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال ابى تمام وتمول بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما واظهر نعمة واثاثا فخرجت امراة من بعض احياء العرب ومعها اختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقيرع جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه

* وحكى البحترى قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائى فانشدته قصيدتى فى مدحه التى أولها أفاق صب من هوى فافيقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحى ان تنتحل شعرى وتنشده بحضورى ثم مر فى القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الى وقال يا ابن أخى قد كان فى الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل له انه أبو تمام الطائى فلما بعدت لحقنى الحاجب وأمرنى بالعود واذا أبو تمام

الاصمعي سئل امرؤ القيس ما أطيب لذات الدنيا فقال بيضاء رعبوبه بالشهم مكروبه بالمسك مشبوبه وسئل الاعشى عن ذلك فقال صهباء صافيه تمزجها ساقيه من صوب غاديه وسئل طرفة عن ذلك فقال مركب وطى وثوب بهى ومطعم شهى قال العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال

أطيب الطيبات قتل الاعادى * واختيالى على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب * وحبيب يأتى بلا ميعاد

وحدثت بذلك حميد الطوسى فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصيرى يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال ما أدرى ما أقول ولكنى أقول هكذا

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

اه قلت أخبرنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال قرأت على أستاذنا العلامة أبى جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظا عن ظهر قلب الاشعار الستة ومنها ديوان طرفة ابن العبد فمن ذلك قوله فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى الابيات الاربعة قال الشيخ أثير الدين قوله وجدك أى وسعدك والعواد الزائرون فى المرض والعاذلات اللائمات والشربة هنا الخمر وكميت فيها حمرة وبياض وتعل تمزج وتزبد تصير عليها رغوة وكرى عطفى والمضاف المستغيث ومجنبا فرسا قويا والسيد الذئب والغضا شجر والمتورد الذى صار لونه أحمر من دم الفرائس والدجن الغيم الذى فيه المطر والبهكنة الجارية الناعمة والمعمد الذى له العمد وأخبرنى أيضا من لفظه قال أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى يوم الاربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانين بالقاهرة بقراءتى عليه قال أنشدنا الشيخ الامام العالم الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبى الحديد المعتزلى ببغداد ومولده بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة لنفسه

لولا ثلاث لم أخف صرعتى * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل فى * كل مكان باذلا جهدى
وان أناجى الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وان آتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لافتاة ولا * خمر ولاذى ميعة نهد

وأخبرنى من لفظه أيضا قال وجدت فى كتاب طرف الجالسه وملح المؤانسه تأليف الكاتب الرئيس أبى عمر وعثمان بن أبى بكر بن يحيى المرابط وقد رأيته بغرناطة مما أنشده

يضحك فاستدنانى وقال
ياسيدى الشعر لك وانما
هذه عادتى فى حفظ القصيدة
من مرة واحدة ولقد نعيت
الى نفسى فانه ما نبغ من
قبيلة مجيد أو شريف الامات
من كان قبله مثله أو ما سمعت
قول الشاعر
اذا مقدم منا ذر احدنابه
تخمط منا ناب آخر مقدم
فقلت بل يجعلنى الله فداك
ثم لزمته وكان محسنا الى الى
ان مات وحكى أبو حيان قال
كان لابى تمام صديق يسكر
من قدحين فكتب اليه
يستدعيه الى الشرب ان
رأيت ان تنام عندنا الليلة
فافعل * ومن محاسن شعره
قوله
الى قطب الدنيا الذى لو بفضله
مدحت بنى الدنيا كفتهم
فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله
وقوله ايضا
ومرحب بالزائرين وبشره
يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطى عطاء المنعم المتفضل
الندى
عفوا ويعتذر اعتذار المذنب
وقوله ايضا
قوم اذا اوعدوا اووا عدوا
غمروا
صدقا ذوائب ما قالوا بما فعلوا

للامام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد أخبرني عن ابن صابر الاستاذ أبو جعفر بن الزبير

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ودا سأل الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت اني اتى * بل لم أكن التذبالمحيا

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه

* أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت اني لا أعد من الأحيا
فنهاري جائي ان أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا و ينجح لي سعيا
ومنهن صون النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي للحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أترك نصا للرسول ونقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقلت أنا في هذه المادة على وزن أبيات ابن الحديد ورويه

لولا ثلاث هن أقصى المنى * لم أهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي * تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي * لصاحب نلت به قصدي
وان أرى الاعداء في صرعة * لقيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم الذي حم لي * عندي استوى في القرب والبعد

وقد تمنى الناس كثيرا ولا مثل تمني كثير عزة في قوله

وددت وحق الله انك بكرة * وأني هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عرفن يرنا بقل * على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل * فلاهو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما تنفك نرمى ونضرب

روى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها استنشدته الابيات فلما أنشدها قالت له ويحك لقد أردت الشقاء بي أما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال آخر

تمنيت من حبي بثينة اننا * وئدنا جميعا ثم نحيي ولا أحيا
فترجع دنياها علينا واننى * بساعة ضميها رضيت من الدنيا

يستعذبون منايا هم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله ايضا

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب بنصها
محيي القريض الى عميت المال

وقوله ايضا

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضا

ليس الحجاب بمقص منك لي املا
ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله ايضا

توفيت الآمال بعد محمد
واصبح في شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته
نجوم سماء غاب من بينها البدر
لئن ابعد الدهر الخؤون بفقده
لعهدي به من يحب له الدهر

وقوله ايضا

اذا فقد المفقود من آل مالك
تقطع قلبي رحمة للمكارم

وقلت

وقلت أنا

هل يكتسى المحبوب قبحا زائدا * بدلا من الحسن الذى غطاه
وأراه بالعين الذى أبصرته * كى لا أرى غيرى قتيل هواه

وقال أبو عثمان سعيد بن حميد

لامت قبلك بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تمـوتينا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن موتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستسقيا حينا
فى مثل طرفة عين لا أذوق شجا * من الممات ولا أيضا تذوقينا
ثم السلام علينا فى مضاجعنا * حتى نقوم الى ميزان منشينا
فان تنل عفوه فالخلد يجمعنا * ان شاء أوفى لظى ان شاء يلقينا
اذا التظت بردتها بيننا قبل * وبردريق على اللوعات يشفينا
حتى يقول جميع الخالدين بها * ياليت أنا معا كنا محبينا

والاصل فى هذا قول بعضهم

وليت سلمى فى المعاد ضجيعتى * هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

وأبان العباس بن الاحنف عن غلطة لم تعهد منه فى عشقه حيث قال

ألا ليتنا نعمى اذا حيل بيننا * وتنشأ لنا أبصار ناحين نلتقى
أضن على الدنيا بطرفى وطرفها * فهل بعد هذا من فعال لمشفق

ولم يرح مع محبوبه رأسا برأس حتى يدعى ان هذا غاية ما يكون من الاشفاق ومن البر ما يكون عقوقا وأما الدعاء على المحبوب فهو كثير ومن أحسن ما فى هذا الباب قول بعضهم

ياذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
ولهفتى فيه حتى * أعاد رشدى ضلالا
أدعو عليك وقلبى * يقول يارب لا لا

وقول الآخر من موشحه

شكوت ما لى اليه * فلم يرق لذلى
فقلت لامت حتى * أراك فى العشق مثلى
وقلت فى السر منه * يارب لا تستجب لى

وهو مأخوذ من قول الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أزال الله عمرى * أويرينى بك مابى
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قلـ * ـبك فى مثل عذابى

وقول الآخر

ولما بدا لى أنه غير زائرى * وان هواه ليس عنى بمنجلى

الم تر بالايام كيف فجعننا
به ثم قد شاركننا فى المآتم
رواكد تقصى الكف من متناول
وفيها علال ترتقى بالسلالم
بنى مالك قد نبهت خامل الثرى
قبور لكم مستشرفات المعالم

وقوله ايضا

ورأت شحوبا رابها فى جسمه
ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها
لتكاد تفجؤه بما لم يقدر

واكثر شعر ابى تمام مختار وهو فى الشهرة كابى الطيب فيكفى من شعره هذا القدر وما أذكر فى هذا الشرح من بعض هذه التراجم التى هى من باب لزوم مالا يلزم الا لما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التى منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهى هذه

خذى عبرات بينك عن سماعى
وصونى ما أوثرت من القناع
أآلفة الجبيب كما افتراق
أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على شرح الوداع
ترجع ان رأت جسمى ضئيلا
كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما
أطفن به الى خلق وساع
أبن مع السباع الماء حتى
لخالته السباع من السباع

تمنيت أن يهوى ويجفى لعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

وقال ديك الجن

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * وما لكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من أهوى بجفوته * عنى ولا أقتص لى منه ولا انتقما

قلت ما أحقه بقولهم صار فرعون مذكرا أليس هو الذى قتل جاريته وغلامه اللذين كان يهواهما وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلطه بدمهما وصنع منه بربنيتين للخمر فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا فاذا اشتاق اليهما قبل كل واحدة منهما قبلة وأنشد أبياته فى الجارية ومنها

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها

ثم يقبل الأخرى وينشد أبياته فى الغلام ومنها

فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والحسن يسفح دمعتى فى نحره

وقال ابو الفضل احمد بن الخازن

يا ظالمى ان للظلم مقلة ليس تغفى
حملتنى ثقل حب * اليك يشكوه ضعفى
رفقا فديتك رفقا * فبعض ذلك يكفى
واحذر اذا الليل أرخى * ذيوله رفع كفى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تقيلك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

وقال أيضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما
مقسم ما بلغته علتى * كاذب والله فيما زعما
كيف لم يبلغه عنى سقمى * وهو المهدى الى السقما
رزق المظلوم منا رجة * ثم لا أدعو على من ظلما

ولم أدر من السابق الى هذا المعنى أهو أم الذى قال

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * فاذا حضرت فانى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

وقال ابن منقذ

يا ظالما يعرض عنى اذا * دعوت غضبانا على ظالم
أظنه أنت والا فلم * تخشى دعائى دون ذا العالم

فلب الحزم ان حاولت يوما
بأن تستطيع غير المستطاع

قال المرزوقى فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على مالا يقدر عليه فأجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهذا على رأى من روى فلب الحزم من التلبية ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم فى ترك طلاب مالا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقى وهذا من قائله بعيد اذ معنى البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شئ حتى على مالا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما يقال كل مالا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعى ويراد بذلك المبالغة فى تأتيه وقال آخر أراد أن حاولت يوما لا يدخل تحت قدرتك فأجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه وروى أيضا قلبت الحزم ومن القصيدة أيضا فى المدح

أطال يدى على الايام حتى
وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لالاء المساعى
وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف صحت
مشورة حسده عند المصاع

يارب لا تسمع دعائى وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال ابن سناء الملك

أسر لطول أسرى فى يديه * فتغضب اذ أسر لطول أسرى
سالت الله أن يبلى بعشق * فأصبح عاشقا لكن لهجرى

وما أحسن دعاء نور الدين على بن سعيد المغربى

كم جفانى فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لا شفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وأنشدنى المولى القاضى شهاب الدين أحمد بن غانم لنفسه

والله ما أدعو على هاجرى * الا بأن يبعد عن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم فى حقى

وما أحلى قول القائل

قلت لمحبوبى وقد مر بى * محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

ومن الدعاء المحسن قول بعضهم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

وقول ابن أبى الحديد

لا عانقتك من البرية كلها * الا اليد اليمنى وبند قباك
كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته شفة سوى المسواك

ونقلت من خط شمس الدين محمد بن التلمسانى

أعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدبه هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين

وقال أيضا

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(رجع) وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائى فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم نمحى ونمحق
ولم أر شيأ مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر دواد

ولو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

(والمراد بقول أبى الطيب
ذكر الانام لنا فكأن قصيدة
كنت البديع الفرد من
أبياتها)

هذا البيت لابى الطيب
المتنبى وقد تقدم ذكره وانما
أذكره ههنا محاسن القصيدة
التى منها هذا البيت وهى
قصيدة يمدح بها محمد بن
أحمد بن عمران التى يقول فى
أولها شرب محاسنه حرمت
ذواتها
ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب
أقوات وحش كن من أقواتها

يعنى كم جيش لفقته بجيش
حتى اقتتلوا وصاروا قوتا
للوحش بعدما كان الوحش
قوتا لهم فى الصيد وفى هذا
المعنى خلل لان الوحش الذى
يقتات القتلى لا تقتاته
الفرسان فى الصيد

أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدى بنى عمران فى جبهاتها

يعنى وجهت الخيل قبل
وجوه هذه المقانب وهى
غرف كان بياض أيدى بنى
عمران الممدوحين فى جبهاتها
وان كان أراد ببياض أيديهم
اللون فليس فيه كبير معنى
وان كان أراد بالايدى النعم
فهو مدح وان كان من باب

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن
وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الأمانى مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة الأندلسى

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا أن أضاحك ساعة * ثغور الأمانى فى وجوه المطالب
سحبت الدياجى فيه سود ذوائب * لأعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

فبت أراعى النجم حتى كأنما * بناصيتى حبل الى النجم موثق
وما طال ليلى غير أنى بوعدها * أعلل نفسى بالامانى فتعلق

قلت الاول مأخوذ من قول أبى الطيب

بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالى كل جفن بحاجب

وعكس ابن نباتة السعدى هذا المعنى فقال

فلا تجعلنى كالذين رأيتهم * ومن يجعل الاقدام فوق الذوائب
اذا أبصرونى نكسوا فكأنما * شوارب هم معقودة بالحواجب

وقال الآخر فى المعنى

فى المنى راحة وان علتنا * من هواها بعض ما لا يكون

وقال أبو طالب المأمونى

لى فى ضمير الدهر سر كامن * لا بد أن تسئله الاقدار

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومن هنا أخذ الوليد بن زيدون قوله

أمانى قلبى فانت جميعه * ياليتنى أصبحت بعض منا كا
يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

والحاجرى أخذ من هنا قوله أيضا

يمثلك الشوق الشديد لناظرى * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن الخيمى

لولا الرجاء بميعاد اللقاء وفى * قضيت قبل انقضاء يوم النوى أسفا
فما لقيت سلوا بعد بعدهم * لولا مداواة قلبى بالمنى تلفا

وقال رزين من شعراء الذخيرة

لا سرحن لواحظى * فى ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال آخر

تشبيه العرض بالجوهر العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها كان ينبغى أن يقول والراكب جدودهم أماتها وانما حملته الضرورة على وجه ضعيف فى قولهم أكلونى البراغيث قال الواحدى والذى ذكره الناس فى معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم ويعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعى مدع انه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذى يزيل الاشكال ان يقال الجياد اسم جنس ففى قوله غرر الجياد أراد خيل نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعا ثم قال فكأنها نتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها ان الكرام بالا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها عجبا له حفظ العنان بانمل ما حفظها الاشياء من عاداتها لو مر يركض فى سطور وكتابة أحصى بحافر مهره ميماتها

عليـنى بموعـد * وامطلى ماحييت به
ودعينى أفوز منـك بنجوى تطلبـه
فعسى يعـثر الزما * ن بحظى فينتبـه

وما أحلى قول علم الدين ايدمر المحيوى

كم لديناهما ينا * قـدحوت محاكم العمل
فارغات من الدنا * غير مـلانى من الأمـل

اخذ المعنى من الاوّل وعكسه وهو

وأن رجاء كامنا فى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو اسحق الغزى

ذرانى وأوهام المطامع فالـنى * تقـوم نسايا هامقام نقودها
ولوحصل الاتجاز لم يبق مطمع * وجودا شتعال النار داعى خمودها

وقال صاحب كتاب الجليس والأنيس كتب رجل الى الحسن بن وهب يستمنحه وكان مضيقا عليه فكتب اليه الحسن

الجود طبعى ولكن ليس لى مال * فكيف يصنع من بالقرض يحتال
وشهوتى فى العطايا وانبساط يدى * وليس ما اشتهى يأتى به الحال
فهاك خطى فذرنى ليس لى نشب * وحيث يمكن احسان فافضال

ومن الناس من يروى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب البيت الاوّل من هذه الابيات وبعده

فهاك خطى الى أيام ميسرتى * يشهد على قلى فى الغيب آمال

وما علم هؤلاء المكارم على هذه الصورة الاسعيد بن العاص فانه كان اذا سأله سائل ولم يكن له مال حاضر ولا عنده ما يعطيه قال اكتب على سجلا الى أيام ميسرتى وقال مؤيد الدين الطغرائى

فصبرا معين الملك ان عنّ حادث * فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك انـنى * ضمين بان الله سوف يديل
ألم تر أن الليل بعد ظلامه * علينا الاسفار الصباح دليل
وان الهلال النضو يقمر بعدما * بداوهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما * يمر به نفح الصبا فيميل
ولا تحسبن السيف يقصف كلما * تعاوده بعد المضاء فلول
فقد يعطف الدهر الأبى عنانه * فيشفى عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما * تساقط ريش واستطار فسيل
ويستانف الغصن السليب نضارة * فيورق مالم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللحظ من بعد الذهاب قفول

وكتب أبو اسحق الصابى الى الشريف الرضى

أباحسن لى فى الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

يعنى أنه لفروسيته وحسن تصرفه فى الخيل فى الكر والفر لو ركض بفرسه فى طرس مكتوب وأراد أن يحصى بحافر مهره الممات لفعل وخص الممات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التى هى أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا فى الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لاخلق أسمح منك الا عارف
بك راء نفسك لم يقل لك هاتها
راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى
اعيا زوالك عن محل نلته
لا تخرج الاقدار عن هالاتها

ذكر الانام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من أبياتها

(فكدمت فى غير مكدم
واستسمنت ذا ورم ونفخت
فى غير ضرم)

(الكدم) العض (والمكدوم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفى بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبى

اعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت فى غير

وقد خبرتنى عنك انك ماجد * سترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها لى مطلقا
فان مت أو ان عشت فاذكر بشارتى * وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لى فى الاولاد والأهل حافظا * اذا ما اطمأن الجنب فى موضع اللقا

فأجابه الشريف بأبيات أولها

سننت لهذا الرمح عضبا مذلقا * وأجريت فى ذا الهند وانى رونقا
لئن برقت منى مخايل عارض * لعينك يقضى أن يجود و يغدقا
فليس بساق قبل ربعك مربعا * وليس براق قبل جوّك مرتقى
فان راشنى دهرى اكن لك بازيا * يسرك محصورا و يرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذى استفيده * بصفقة راض ان غنمت وأملقا
فتذهب بالشطر الذى كله غنى * وأذهب بالشطر الذى كله شقا
وتأخذ منه ما أنام وما حلا * وآخذ منه ما أمر وأرقا
فان قلف التبجيل قبل أوانه * أعضك به وجها من الود مونقا
وان تعطنى الاعظام قولا فانى * سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالى أن يبلغن مغيبة * ويقرعن بى بابا من الحظ مغلقا
نظار ولا تستبط عزمى فلن ترى * عملوقا اذا ما لم تجد متعلقا

قلت واستمر الود بينهما وهما طرفا نقيض أبو اسحق صابئ يعبد الكواكب والرضى شريف نقيب الاشراف وكانت هذه الوظيفة ببغداد اذ ذاك تناهز رتبة الخلافة الا أن أبا اسحق كاتب الانشاء عند الخليفة عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ولما توفى الصابئ رثاه الشريف الرضى بتلك القصيدة الدالية المليحة التى أولها

أرأيت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خباضياء النادى

واعتبه الناس على رثائه فقال انما رثيت فضله وله فيه غير هذه القصيدة ويقال انه لما رأى قبره ترجل له وأخذ بن شمس الخلافة قول الصابئ وأضمرت منه لفظة لم أبح بها البيت فقال فى الصاحب صفى الدين بن شكر رحمهما الله تعالى

مدحتك ألسنة الانام مخافة * وتقارضوا لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى * حتى أعيش الى انطلاق الألسن

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى
ولقد كدت أن أهيم بحمل الـ ـهم لولا تعللى بالأمانى

وقال أيضا

حسب الفتى حسن الأمانى انه * لايعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل لى ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون

ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدى كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ فى رماد

وسيأتى ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شئ من حيلها

(ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لريح كلامها يعنى المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك لشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه فى مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بنى آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابنى وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة وله أثاوة على بنى أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره فى خبر طويل وقال ضيعنى صغيرا وحملنى عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بنى أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال آخر

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أفرج بالأمانى الهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وهذا الشاعر اسرحشوا فى كلامه حتى جاء الآخر فحله وترجم وصرح بالمراد وما تكتم حيث قال

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محياك الجميل
أصبر لفرط أشواقى ايورا * لعلمى أن نيلك مستحيل

وهذا يشبه ما أنشدنيه لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى ومن خطه نقلت

اذا صد الحبيب بغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى
أمثله وانكح عند صلحى * بأير الفكر فى ثقب الخيال (ى)

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف الصوفى وقد مات للشيخ شمس الدين الدهان مملوك كان يحبه

لئن مات يا دهان مملوكك الذى * بلغت به فى الفسق ما كنت ترتجى
فثله بالاصباغ شكلا وقامة * وخصرا وردفا ثم عاينه وأصلج

ومن أبيات منحولة لأبى نواس

ما زلت أدخله فيه وأخرجه * منه وأدخله فيه وأخرجه
وما تذكرت ذاك النيك من شبق * الا وأمسكت ايرى ثم أصلجه

ومن ترقب الآمال ولمح وانتظر وعد الامانى فنجح ومال به ميزان الدهر فرجح وملك البلاد وفتح وأسقى الأرواح بأشطان الرماح ومنح أبو مسلم الخراسانى يقال انه قتل ستمائة ألف نفس وأبو عبد الله الشيعى القائم بدعوة الفاطميين وابن تومرت يقال انه رأى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سب الصحابة رضى الله عنهم وهو مكتوب فقال ما هذه بلاد اسلام ونظم فى الوقت فقال

ذرنى وأشياء فى نفسى مخبأة * لأبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت نفسى ببغيتها * ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى
حتى أطهر هذا الدين من دنس * وأوجب الحق للسادات ايجابا
وأملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت * جورا وأفتح للخيرات أبوابا

وان كانت الامانى حدت فقد ذمت وكرهت قال على بن أبى طالب رضى الله عنه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال له أنت رجل تكثر الامانى ويقال ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشترى به كذا ثم أبيعه فأكسب فيه كذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج فأتزوجها فتلد لى ابنا وأدخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ومد رجله فكسر البستوقة فقرع الحجاج الباب ففتحه وضربه خمسين سوطا وقال له أليس لو ضربت ابنتى هكذا لفجعتنى فيها وقد سد ابن المعتز باب المنى وأغلقه وأعدم المحاويج بهجته ورونقه وقطع

ومات مسموما فى طريقه فى قصة معروفة وسمى الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فأما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقديمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن قو فعرعرا
أشيم مصاب الحزن أين مصابه
ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا

يعنى لو دب الصغير من الذر على ثوبها لاثر فى جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ما هو لصغره بمنزلة المحولى فى الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا
كأن الحصى من خلفها
وأمامها
اذا نجلته رجلها حذف
أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رمياته

على لاحب لايهتدى بمناره
اذا سافه العود النباطى
جرجرا

يصف قفرا لا أعلام فيه
وقوله لايهتدى بمناره يعنى
ليس فيه منار يهتدى به لا
أن فيه منارا الا انه لايهدى
والعود الجمل البالغ تمام
سنه وسافه اذا شمه وجرجر
اذا حنّ وعادة الابل أن تشم
الارض التى لا تعرفها فتحن
لعلمها ببعد المسافة ومنها
قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته
بتادف ذات القل من فوق
طرطرا

ولا مثل يوم فى قدار ان ظللته
كانى وأصحابى على قرن اعفر

اختلف المفسرون فى هذا
البيت فقال بعضهم وصف
اليوم بالشدة ونفسه بالقلق
والاضطراب فيه حتى كأنه
وأصحابه من عدم الاستقرار
مقيمون على قرن ظبى وقال
بعضهم بل وصف أماكن
كان فيها مسرورا منعما لانه
قال قبل البيت ألا رب يوم
صالح والمعنى انه كان على
مكان مشرف عال فشبهه
لارتفاعه بقرن الظبى وانما
خص قرن الظبى لانه أعلى
ما فى جسده وقصيدته
اللامية التى أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالى
وأما القصيدة التى منها

نفس الضعيف عن لذتها وان كانت بحبال الشمس معلقة حيث قال

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال آخر

من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال محمد بن شرف القيروانى

غلف تمنى فى البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أمانى

وقال آخر

ألا يا نفس ان ترضى بقوت * فانت عزيزة أبدا غنيه
دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار

أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى
لى عجز أراح قلبى من الهم * ومن طول فكرتى فى المحال
ما لباس الحرير مما أرجيه فيرجى ولا ركوب البغال
راحة السر فى التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى ومن خطه نقلت

صرفت الناس عن بالى * فخبل وداده هم بالى
وحبل الله معتصمى * به علقت آمالى
ومن يسأل الورى طرا * فانى ذلك السالى
فلا وجهى لذى جاه * ولا ميلى لذى مال

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر ما نلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومنتصح يغدو على فيطرق
فقدت المنى لا نحن نلهو اعن المنى * لتجربة منا ولا هى تصدق

وقلت أنا

ألا فاطرح عنك التمنى ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق
وان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقلت أيضا

كم أمل لما اقتضاه الفتى * أزرى وما شد له أزرا
ما حملت نفس جنين المنى * فى المحال الا وضعت قدرا

*(لم ارتض العيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل)*

(اللغة) تقدم الكلام على الرضى فى قوله رضى الذليل وكذلك العيش والايام جمع

يوم

يوم أصله ايوام فادغم مقابلة الاقبال ضد الادبار وأقبل عليه بوجهه اذا التفت اليه وصرف نحوه بصره ولت أدبرت على عجل على سرعة قال تعالى أعجلتم أمر ربكم أى سبقتم وأما قوله تعالى خلق الانسان من عجل فقيل العجل الطين قال أبو عبيدة وهو بلغة حمير وأنشد

* والنخل ينبت بين الماء والعجل *

وقال الاخفش من تعجيل ذى الامر وهو كقوله كن وعن الحسن من ضعف وقيل على القلب معناه خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وقيل خلق الانسان عجولا وهو الصحيح لانه يدل على المبالغة كما يقال للذى هو حاد نار تشتعل والعرب تقول ماهو الا اقبال وادبار وماهو الا أكل ونوم للذى يكثر اقباله وادباره وأكله ونومه ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكان الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل أى من شأنه العجلة كقوله تعالى خلقكم من ضعف وذكرت هنا قول شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه من أبيات

ان تدعنى خاليا من لوعتى فلقد * أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

(الاعراب لم) حرف يجزم الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على ذلك (ارتض) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء وابقاء ما يدل عليها وهو كسرة الضاد فان قلت لاى شئ حذفوا حرف العلة مع الجازم قلت لانه لو ترك لاشتبه المرفوع بالمجزوم فى مثل قولك هو يعطى فلما حذف حرف العلة ظهر الفرق فان قلت فما الفائدة فى هذا الفرق قلت لانه يحتاج الى ذلك فى مثل جواب الشرط اذا قلت زرنى أعطك الدراهم أوزرنى أعطيك فالاول يعلم انه جزاء والثانى يعلم أنه استئناف فقد أفاد حذف حرف العلة الفرق بين الجزاء والاستئناف وفاعل ارتض ضمير مستتر فيه تقديره انا العيش منصوب على انه مفعول به لارتض (والايام) الواو واو الابتداء والايام مرفوع على الابتداء (مقبلة) مرفوع على انه خبر والجملة من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال كأنه قال لم أرتض العيش فى حالة اقبال الايام (فكيف) الفاء للتعقيب وكيف اسم مبنى على الفتح والدليل على انه اسم أنه يدخله حرف الجر قالوا على كيف تبيع الاحمرين وانما بنى لانه شابه الحرف شبها معنويا لان معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهى حرف وانما وضعت العرب هذه الاسماء مثل كيف وأين ومتى طلبا للاستغناء بكل منها عن تكرار الهمزة فانك لو أخذت تستفهم عن حال زيد بالهمزة لزمك أن تكررها وتقول أزيد بك ضعيف أزيد ناقه أزيد أرمد أزيد معاف أزيد كذا أزيد كذا والمخاطب يقول لك لا لا فلما رأوا هذا الامر يشق عليهم وضعوا كيف لهذا المعنى فتى قلت كيف زيد لزم المخاطب أن يأتى بالجواب قولا واحدا فيقول طيب أو سقيم فلهذا بنيت هذه الاسماء التى تضمنت معنى الاستفهام وانما بنى كيف وأين على الفتح طلبا للخفة (أرضى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الالف فى آخره لانه معتل بالالف وانما كتب بالياء لانه من رضيت والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا والمفعول محذوف تقديره فكيف أرضاه والضمير يعود على العيش والمفعول كثيرا ما يحذف لانه فضلة ولانه معلوم من سياق الكلام (وقد) الواو للحال وقد تقدم الكلام عليها وقد للتحقيق وتقدم الكلام عليها أيضا (ولت) فعل ماض

نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتى فانى
سيكفينى التجارب وانتسابى
الى عرق الثرى وشجت عروقى
وهذا الموت يسلبنى شبابى

يعنى أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسيموت كما مات آباؤه واجداده الى آدم ثم قال

ارانا موضعين بختم غيب
ونسخر بالطعام وبالشراب

أبعد الحرث الملك ابن عمرو
وبعد الخير حجر ذى القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا
باكرم شيمة وأقل عاب

أرجى من طوال الدهر لينا
ولم يغفل عن الصمم الصلاب
ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الغول لماع السراب
وقد طوّفت فى الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد نقبت وكلت
لفرط الاين تركع للضراب
وأعلم أننى عما قليل
سانشب فى شباظفر وناب

(وتمنيت الرجوع بخفى حنين) اختلف فى حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بنى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمرو

أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لاوثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين اسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ولم يشترمنه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة فى طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن فجاء الاعرابى فرأى احد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابى الى حيه بخفى حنين وقيل كان حنين يهود يا نخس بامرأة مسلمة حمارا فقمص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الان تموت فما تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفى حنين لانى قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب)

هذا نصف بيت لرجل

ودخلته التاء علامة لتأنيث الفاعل لانه ضمير يعود على الايام (على عجل) يحتمل أن تكون على بمعنى فى ولكنها للاستعلاء معنى وعجل مجرور بها والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره ولت الايام مستعجلة والجملة من قوله وقد الى آخر البيت فى موضع النصب على الحال تقديره فكيف أرضى العيش والحالة هذه (المعنى) ما رضيت بالعيش فى صباى اذ كانت الايام مقبلة فكيف أرضى بالعيش وقد كبرت والايام قد ولت عنى والامر كذلك لان العيش فى زمن الشبيبة أيامه فى اقبال فهو غض نضر يانع فينان برده قشيب وغصنه رطيب ووصله حبيب وسهمه مصيب وله فى كل لذة قسم وفى كل نعيم نصيب وما أحسن قول المعرى

× × وقد تعوضت عن كل بمشيبه * فما وجدت لايام الصبا عوضا × ×

والعيش فى زمن الشيخوخة أيامه فى ادبار وتوال وزوال فهو جاف ذاوذابل مصوح هشيم ثوبه خلق ووجوه غسق وأمنه فرق ويومه حرق ونومه أرق وغصنه عار من النضارة التى تكون قبل سقوط الزهر والثمر والورق ولله در منصور النميرى اذ يقول

× ما كنت أوفى شبابى كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع ×

وبيت الطغرائى مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى

× وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد * فكيف أزهى بثوب من ضنى خلق ×

ومن قوله ايضا من رسالة له يخاطب الدنيا أسأتنى غانيه فكيف بك عجوزا فانيه * أى ما انتفعت بك وأنا شاب فكيف أنتفع وأنا هرم والدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانسانى الى أيام ابراهيم الخليل صلوات الله عليه تقريبا تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى أوان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا والمعنى الثانى وهو مجاز أنها بالنسبة الى أول كل ملة تسمى شابة والى آخرها تسمى عجوزا بل بالنسبة الى أول كل دولة وآخرها بل بالنسبة الى كل شخص وعلى هذا يحتمل قول المعرى فى مخاطبة الدنيا والا فالمعرى لم يعمر من أول وجود الدنيا وهى شابة الى أن رآها وهى عجوز حتى يقول لها أسأت الى وأنت شابة فكيف تحسنين الى وأنت عجوز فانية وانما استعمل هذا المعنى مجازا وما أحسن قول أبى الطيب

- أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم -

اراد أن يقول فساءنا ولكن الوزن ضايقه فترك ذلك اتكالا على فهم المعنى من سياق اللفظ وترتيب المعنى وقد ضمنت هذا البيت فى معنى نظمته وذلك أننا كابدنا مشقة فى ليلة سرنا فيها الى الاهرام من أمر التعدية صحبة المنصور السلطانى فقلت

أقول اذ نالنا فى برمصر عنا * لما أتينا الى الاهرام فى الظلم
- أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم -

وقال أبو تمام

نظرت فى السير اللاتى مضت فاذا * وجدتها أكلت با كورة الامم

وقال أبو العلاء المعرى

تمتع أبكار الزمان بأسره * وجئنا بوهن بعدما خرف الدهر
فليت الفتى كالبدر جدد عمره * يعوده لا لا كما في الشهر

وقال أيضا

كأنما الخير ماء كان وارده * أهل العصور وما أبقوا سوى الكدر

وقال ابن شماخ

صفا للأولى قبلي أتوا در دهرهم * ولم يصف لي مذ جئت بعدهم عبر
فجاؤا الى الدنيا وعصرهم ضحى * وجئت وعصري من تأخره عصر

وقال ابن قاسم المحدث

لقي الناس قبلنا غرة الدهر * ولم نلق منه الا الذنابى

وفي معنى قول الطغرائي قال ابن قلاقس

ما كنت أطمع في زمان أول * فيروقني هذا الزمان الآخر

وقال ابن الساعاتي

لم يبق في هذه الدنيا لنا أرب * فقل سلام عليها غير محتشم
فليت ان زمانا فات دام لنا * وليت ان زمانا دام لم يدم

وقال المعري

واذا البحر غاض عني ولم أر * وفلا ري في ادخار الثماد

وقال آخر

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال التهامي

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * وأعجزه الفخار فلا اعتذار
اذا ما أول الخطى أخطا * فما يرجى لآخره انتصار

وما أحلى قول القائل

واذا الفتى من دهره كملت له * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
طلعت عليه الخزيات وقلن قد * أرضيتنا فكذاك كن لا تبرح
واذا رأى ابليس صورته بدت * حيي وقال فديت من لم يفلح

وقال التهامي

ذريني أهب للمشيب شبيبتي * فان لم أبادرها استبد بها العمر

وقال ابن الخياط

والعجز أن أترك الاوطار مقبلة * حتى اذا أدبرت حاولتها طلبا

وعلى ذكر الشباب والمشيب فقد قيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم فقال ذهب مني الاطيبان الاكل والنكاح وبقي الارطبان السعال والضراط وقال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النمري فانشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع

من العرب يسمى غاوي بن ظالم السلمي وكان سبب قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوي سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم فقال بل أنت راشد ابن عبد ربه وروي في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروي أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعى العز ويراد به الذل

(وأنشدت
على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب)

هذا البيت لابي تمام المقدم ذكره في أبيات يرثي بها غالب بن الشعري وهي هذه

هو الدهر لا يسوى وهن المصائب

ما كنت أوفى شبابى كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قال فتحرك الرشيد وقال أحسنت والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر فى رداء الشباب وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله أنشدنى لنفسه الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن التلعفرى فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت منى اللمة السوداء
لا تعجلن فـــــوالذى جعل الدجى * من ليل طرفى البهيم ضياء
لو أنها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى حتى انك أخذت معظم لفظه وجميع معناه فى الوزن والروى وهو قوله

لو أن لحيتى من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

اه وكتب الى المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم من طرابلس وأنا بدمشق بعد ما انقطعت عنه مكاتبتى

سبحان من غير أخلاق من * أحسن فى حسن الوفا مذهبا
كان خليلا فغدا بعدنا * لما انقضى ما بيننا طقصبا

وكان طقصب هذا صبيا حسن الوجه يحبه ويألفه وله عم يدعى خليلا ينغص الاوقات بحضوره ويقاسى منه شدة فذكرهما يعرض بهما وكتب هذين البيتين فى ذيل ثلاثة اوصال ورق ولم يكتب غيرهما وختم ذلك بعنوان وجهزه الى فكتبت اليه الجواب عن ذلك

ياباعث العتب الى عبده * وما كفاه العتب اذ ندبا
ومذكرى عيشا لبسنا به * ثوب سرور بالبها مذهبا
مرفلم يحل لنا بعده * عيش ولم نلق الهوى طيبا
ماكل ذى ودخليل ولا * كل مليح فى الورى طقصبا

وينهى ورود المثال الكريم فقبل منه اليد البيضاء بل الديمة الوطفاء وتلقى منه طرة صبح ليس للدجى عليها أذيال وغرة نجم ما كدر صفاها خيبة الاما آل فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ونزع المتصابى عن التستر بالخضاب ورفض السواد ولو كان خالا على الوجنه وعد المسك اذا ذر على الكافور هجنه وأين سواد الدجى اذا سجى من بياض النهار اذا انهار وأين وجنات الكواعب النقية من الاصداغ المسودة بدخان العذار وأين نور الحق من ظلمة الباطل وأين العقد الذى كله درر من العقد الذى فيه السبج فواصل فيا له من وارد تنزه عن وطء الاقدام المسوده وعلا قدره عن السطور التى لا تزال وجوهها بالمداد مربده حتى جاء يتلألأ بياضا ويتقد وأتى يتهادى فى النور الذى تعتقد فيه المجوس ما تعتقد ولكن توهم المملوك ان صحف الود أمست مثله عفاء وظن بابيات العهود السالفة ان تكون لهذه المراسلة أمست من رقوم الوداخلاء

لو انها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فلقد سودت حال المملوك ببياضها وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صحاح الجفون مراضها وما أحق تلك الاوصال الوافدة بالافادة الجائدة بزيارتها التى خلت من الجود

وأكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالبا لا غالبا لرزية

يل الموت لاشك الذى هو غالب

وقلت أخى قالوا أخ ذو قرابة
فقلت لهم ان الشكول أقارب

عجبت لصبرى بعده وهو ميت
وكنت امرأ أبكى دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست فكفرت)

(النخير) صوت من الانف أكثر ما يكون عند الغضب ويسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا وفى المثل ما فى الدار نخير ومنه نخرت الشجرة أى بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشئ قبل أوانه ويقال للجبين قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفى قوله تعالى عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) فى اللغة ستر الشئ ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل فى جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضى جحود النعمة صار يستعمل فى الجحود مطلقا

بالسلام وان لم يخل رونقها من الاجاده أن ينشدها المملوك قول البحترى أبى عباده

أخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصـل حتى انتى * متخوف أن لا يكون لقاء

وبقى زيادة وهذا القدر كاف

(غالى بنفسى عرفانى بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)

(اللغة) غلا السعر غلاء اذا زاد عن قيمته المعهودة وغالى فاعل من المغالاة أى طلبت الغلاء فى قيمتها النفس تقدم الكلام عليها فى قوله أعال النفس العرفان المعرفة وقولهم ما أعرف لأحد بصرعنى أى ما اعترف القيمة العوض وقيمة كل شئ ما يقابله من العوض الصون تقدم الكلام عليه فى اول القصيدة الرخيص ضد الغالى وقد رخص السعر وأرخصه الله فهو رخيص وارتخصت الشئ اشتريته رخيصا وارتخصه أى عده رخيصا القدر مبلغ الشئ مبتذل أى ممتهن والبذلة والمبذلة ما يمتهن من الثياب والتبذل ترك التصاون (الاعراب غالى) فاعل من المغالاة فهو فعل ماض والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير تكافؤ كقوله تعالى يخادعون الله والمخادعة ممنوعة فى جانب الله تعالى فهى فى جانب الخلق لا غير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير ألف وهو حمزة والكسائى وقيل فى القراءة الاولى ان ثم محذوفا تقديره يخادعون نبى الله فحذف المضاف وأبقى المضاف اليه مقامه وليس هذا بشئ لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يخادعون الناس (بنفسى) الباء للتعدية وهى متعلقة بغالى ونفسى مجرور بالباء والياء فى موضع جر بالاضافة لانها ضمير المتكلم وفتحها وسكونها لغتان فصيحتان قيل لابى عمرو بن العلاء لاى شئ قرأت وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد بسكون الياء وقرأت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة الى تحريكها فقال لان السكون ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هنا كنت كالذى ابتدأ وقال لا أعبد الذى فطرنى فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف وهناك لا ضرورة تؤدى الى فساد المعنى فاخترت التسكين لانه أخف وهذا من أبى عمرو رحمه الله تعالى من دقة النظر فى المعانى اللطيفة وحكى صاحب الاغانى قال صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة فقرأ الامام ومالى لا اعبد الذى فطرنى فقال الدلال ما أدرى والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال ويلك الا تدع المجون والسفه فقال له كنت عندى على انك تعبد الله عز وجل فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك فقال له أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى اذهب لعنك الله (رجع عرفانى) فاعل غالى ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى ياء المتكلم والياء فى موضع جر بالاضافة (بقيمتها) الباء عدت عرفانى الى القيمة لانه مصدر وقيمة مجرور بالباء والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى النفس ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من اثباته لانه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت به فى كل واد فتارة تقول غالى الدهر وتارة تقول الناس وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول المجادل وغير ذلك (فصنتها) الفاء للتعقيب وصنت فعل ماض وفاعل وهو التاء المضمومة والضمير فيما بعد ذلك يعود على النفس وهو فى موضع نصب على انه مفعول به

فيقال الكافر لمن جحد الوحدانية وما أشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرئ من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فى قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك

(وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

يعنى كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعى ينكر قولهم فى ضرب المثل يعنى أبرق وأرعد قال مهلهل

أبرقوا ساعة الهياج وأرعد
ناكما ترعد الفحول الفحولا

(وهممت ولم أفعل وكدت وليتنى)

يعنى هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا

القرآن وهو كثير فى كلام العرب وقد استعملوه حتى فى الحروف وقالوا درس المنا يلهجون به بمعنى المنازل وقالوا ورق الحمائم يعنى الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمى كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أو طأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضى الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلبا للصيد من بنى نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم ويتهمهم بالكلب

وأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الامهات كبير

اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ما سمعت أحدا يرمى امرأة بكلب غيرك والله انى أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فاخذت منه وضرب وترك مهملا فى السجن فقال

لا يعطين بعدى امرؤ ضيم حظه
فرارا يقيه الموت والموت نائله
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى

(عن رخيص القدر) عن حرف جر وهى للمجاوزة ورخيص مجرور بها والقدر مجرور بالاضافة اليه (مبتذل) مجرور على أنه صفة لرخيص فان قلت رخيص مضاف فهو معرفة ومبتذل نكرة فكيف يجوز وصف المعرفة بالنكرة قلت هذه الاضافة لفظية وهى فى نية الانفصال كأنه قال رخيص قدره والاضافة اللفظية لا تخصص بل تترك المضاف على تنكيره وانما دخلت الاضافة طلبا للخفة فى التركيب والحلاوة فى الكلام (المعنى) ان عرفانى بنفسى يغالى الزمان أو الورى بقيمتها فهو يسوم العوض عنها وما يجد لها كفؤا فى القيمة من الناس فلهذا أصونها ولا أبذلها لرخيص القدر مبتذل ومن كانت نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالفضائل متسمة بالاخلاق الحميدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع الخيرية فحقيق على أن لا يكون لها قيمة وما سواها فهو مهين مبتذل يقصر عن كفاية أقل جزء منها ويصغر عن أحقر شئ يتعلق بها ولعمرى ان النفوس الخيرة الفاضلة الشريفة الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض ويكون فى مقابلتها نقد لانت على ما فى ايدى الناس من الجواهر والفضة والذهب ولكنها فيض ممن هو دائم الوجود لا ينقص الانفاق ما فى خزائن ملكه لانه رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده اما ابو الطيب فانه قال

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ليت الملوك على الاقدار معطية * فلم يكن لدنى عندها طمع

وقال أيضا

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله * فماذا الذى يغنى كرام المناصب
وما قربت أشباه قوم أباعد * ولا بعدت أشباه قوم أقارب

وقال أيضا

من خص بالذم الفراق فانني * من لا يرى فى الدهر شيأ يحمد

وقال ابن صردر

اذا صافحتنى أكف اللئام * لطمت بهن خدود الرجا

وقال ابن سناء الملك من أبيات

توقد عزم بترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للانام لانني * أرى كل عار من حلى سوددى سدى
وأظمأ ان ابدى لى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا

وقال القاضى الفاضل

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهرى
وهب انه البحر الذى يخرج الغنى * فكل خرا فى الشط فى لجة البحر

وقال القاضى مذهب الدين بن الزبير من ابيات

انى لاعتق العفاف لدى الدجى * واهب وهنا عن كريم المضجع
واذا بدا لى الهجر لم ار شخصه * واذا يقال لى الخنا لم أسمع
ولوانه ناجى ضميرى فى الكرى * طيف الخيال بريبة لم أهجع

وقال الشريف ابو الحسن على العقيلى

صنت نفسي عما يليق بمثلي * وتحصنت بالجفاء الشديد
ما يساوي قضاء حق الموالي * ما نقاسي من سوء خلق العبيد

وما احسن ما كتب ابو الحسين الجزار على باب فخر الدين بن الشيخ

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خولي
وصرت اليك اروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال الضياء موسى الكاتب المصري وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول على بعض الرؤسا

يا من سما في المكرما * ت وفاق ارباب الممالك
أعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

ومن ضرب المثل بكبره وتيهه عمارة بن حمزة فيقال أتيه من عمارة دخل يوما على المنصور فقعد في مجلسه وقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة مع خصمك فقال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين وحكي عن ابي ثوابة انه دعا يوما اكارا وكلمه ولما فرغ دعا بماء وتمضمض استقذارا لمخاطبته وكان بعض القضاة لا يصلي الجمعة ويقول لا أرى مخالطة هؤلاء العوام وحكي عن الشافعي انه قال لو أن العوام لي غلمان ما ارتضيت بهم وخطب عبد الملك بن مروان الى عقيل ابن علقمة ابنته على احد بنيه فقال اما ان كنت فاعلا فجنبني هجناك وحدث الجاحظ قال أتيت الربيع الغنوي فقلت له أيسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلب تحتك قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت ولك ألف دينار قال لا والله قلت وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قلت ولك الجنة قال على أن لا تلدني ويقال ان بعض الاعراب لقيه الامير قتيبة بن مسلم الباهلي فقال له يا أخا العرب أيسرك أن يكون لك ألف دينار وأنت من باهلة قال لا والله قال ألف دينار قال لا والله قال وأنت أمير خراسان قال لا والله قال وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قال ولك الجنة قال بشرط أن لا يعلم احد انني من باهلة وقال الاصمعي رأيت رجلا يختال في أزير في يوم قر فقلت له ممن أنت قال انا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسبي وكان جذيمة بن الابرش لا ينادم أحدا تعاظما ويقول انما ينادمني الفرقدان ولهذا قال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة * أراد الفرقدين وليس كما يقولون ان المراد بهما مالك وعقيل لانه كان يجوز عليهما التفرق وحكي صاحب الاغاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا وهو يغني

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الكنيف فانت ملي به واما الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأي شيء أكرمتها قال بلى والله ان من تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضاربا
اذا القرن لم يوجد له من ينازله
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة
(ولولا ان للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)
يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل السري الرفا الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم

تفضل علينا هذا الكندى
يعنى المتنبى ولو أمرتنى ان
أنظم على وزن أى قصيدة
شئت من قصائده لنظمت
ماهو أجود منها فقال سيف
الدولة انظم على وزن قصيدته
التى أولها

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى
فخرج السرى من عنده على
ذلك وفكر فى القصيدة فلم
يجدها من طنانات المتنبى فعلم
ان سيف الدولة أراد أمر اله
بتخصيصه هذه القصيدة فى
الاقتراح فنظر فى أبياتها
فاذا هو يقول فيها مادحا سيف
الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق
أراه غبارى ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده
بهذا المعنى فكف عن النظم
وفى هذه القصيدة يقول المتنبى

وما كنت ممن يدخل العشق
قلبه

ولكن من يبصر جفونك يعشق
سقى الله أيام الصبا ما يسرها
ويفعل فعل البابلى المعتق
اذا ما لبست الدهر مستعيرة به
تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن
استعمال التخريق للاجساد
بشع ومن جملة هذه القصيدة
ايضا

نودعهم والبين فينا كأنه
فنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

الهوان لشر امما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت عنه أخزى
الناس وذكرت بالكنيف هنا حديث ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر لما
اجتازت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وهو جالس على باب داره وأمامه بركة تتولد من مراحيض
واقذار وحوله جماعة من أصحابه فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا والبيت لابى نواس وهذه ولادة كان الوزير أبو عامر من جملة من يهواها ويكلف
بعشرتها وكانت كثيرة العبث به وهى ذات أدب ولطف ونادرة وعشرة وبذل حجاب لمن
يتعشقها تجالس الاكابر وتحاضر الشعراء على ماهى فيه من الجمال البارع وكان ابن زيدون
قد شغفه حبها وله فيها القصائد الطنانة وفى الوزير ابن عبدوس هذا أنشأ ابن زيدون الرسالة
التى جعلها على لسان ولادة اليه لما بلغه أنه يهواها وأولها أما بعد أيها المصاب بعقله الموروط
بجهله أتى فيها بكل مثل وكل غريبة وكتبت ولادة يوما لابن زيدون وهى غضبى عليه
تعرض بغلام له اسمه على كان يدعى أنه معه على حالة هذين البيتين

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لاخصى على

وهذا التعريض يشبه تعريض عنان بأبى نواس فى قولها

عجبا من حلقى * يدعى أصل اللواط
والذى يحضر يدرى * من يلى وجه البساط

وحكى أن بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ما كان فلما خرج الامرد ادعى انه هو الفاعل
فقيل له فى ذلك فقال فسدت الامانات وحرم اللواط الا أن يكون بشاهدى عدل وقال بعض
الشعراء

ان المذهب فى اللوا * طة ليس بعده شريك
واذا خلا بغلامه * فالله يدرى من ينيك

وقال آخر

مر على بغلة فأعظمه الناس وقالوا فتى وأى فتى
فقلت من ذا فقيل لى رجل * يلوط لكن يبوس ملتفتا

(وعادة النصل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل الا فى يدى بطل)

(اللغة العادة) معروفة والجمع عاد وعادات تقول منه عاده وأعاده وتعوده أى صار له عادة
والعادة اليوم فى عرف الكتاب والناس اذا قالوا ألف درهم عادة أو مائة فانها تكون
ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالالف تنقص عشرين وتكون تسعمائة
وثمانين قال النصير الحمامى للسراج الوراق قد امتدحت الصاحب بهاء الدين بقصيدة وهى
الليلة تقرأ بين يديه وأشتهى منك أن تزهره لها فلما انشدت بين يدى الصاحب بهاء الدين
قال السراج بعد الفراغ منها

شاقنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

فامر الصاحب للنصير بشئ وللسراج بمائتى درهم وقال تكون صنجة فقيل الارض وقال

يامولانا الصاحب أشتهى أن تكون عادة فاعجبه ذلك وقال تكون له أبدا عادة اذا مدحنا بشئ من الشعر وقول السراج الوراق يشبه قول ابن قلاقس

أنا ان نظمت الشعر فيه ساحر * حقا ولكن فى سواه ساحر
فاذا وصفت علاه قال لى الورى * لله ممدوح ذكرت وشاعر

ولكن قول السراج فيه رونق التورية وقال السراج الوراق وقد عزاه الصاحب بهاء الدين فى زوجته وجهز له دراهم صنجة

أتتنى صنجة وأتت معاده * على عاداتها والخير عاده
وأنستنى مصيبة من تولت * فلاولت عن المولى السعادة

(رجع) النصل السيف يزهى زهى الرجل أى تكبر فهو مزهو وقد نطقت العرب بأحرف لايتكلم بها الا على سبيل المفعول وان كانت بمعنى الفاعل وذلك كقولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت الشاة ودهش الرجل وسقط فى يده فاذا أمرت قلت انزه علينا يارجل ولا يتعجب من هذه الافعال والزهو المنظر الحسن بجوهره الجوهر معروف وأما جوهر السيف فهو مارى فيه من الطرق المختلفة وهو وشيه الذى يشبه بديباج النمل وسيأتى الكلام عليه يعمل أراد به هنا يفرى ويقطع البطل الشجاع والمرأة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة أى صار شجاعا وجمعه أبطال (الاعراب وعادة) الواو واو الابتداء عادة مرفوع على أنه مبتدأ (النصل) مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (أن يزهى) أن حرف ينصب الفعل المضارع وتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هى التى دخولها فى الكلام وخروجها سواء كما فى قوله تعالى فلما أن جاء البشير وقد ادعى ابن الاثير فى المثل السائر أن أن اذا دخلت فى الكلام دل على ان الكلام لم يكن على الفور ودل على أنه ثم تراخ ومهلة وذكر الآية الكريمة وقال اذا نظر فى قصة يوسف مع اخوته منذ ألقوه فى الجب والى ان جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم تراخ وابطاء بعيد ولم يكن ثم أمد بعيد لما جىء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت الآية تكون فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا توجد عند النحاة لانها ليست من شأنهم قلت هذا من جناية اعجاب المرء بعقله الاتراه كيف تصور الخطأ صوابا ثم أخذ يتجح بانه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو انه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا وردت هل هى عقيب قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب والآيات المتعلقة بواقعة القائه فى الجب أو وردت عقيب قوله تعالى اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا العلم ابن الاثير انه لا تراخى بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لان المدة انما كانت بقدر المسافة التى توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهى مقام يعقوب عليه السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة ولابن الاثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها فى كتاب نصرة الثائر على المثل السائر والمفسرة هى الداخلة على الجملة المبينة حكاية ما قبلها من لفظ دال على معنى القول بغير حروفه كالتى فى قوله تعالى فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا أى أوحينا اليه

هو ادلا ملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقى
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كان صحيحها
يبكى دما من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما أقول فانه
شجاع متى يذكر له الحرب يشتق
قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة هو سماعا عفا الله تعالى عنه
كسائله من يسأل الغيث قطرة
وعاذله من قال للفلك أرفق
لقد جدت حتى جدت فى كل ملة
وحتى أتاك الحمد فى كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى
فقام مقام المجتدى المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه فى قذال الدمستق
وما كمد الحساد شيأ قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق
*(والنعل حاضرة ان عادت العقرب * والعقوبة ممكنة ان أصر المذنب)*
السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبى من جملة أبيات وهو مثل يهدد به من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكى ان الفرزدق مر به يوما وهو

ينشد مفتخرا

وأنا الاخضر من يعرفنى
أخضر الجلدة من بين العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعنى بالخضرة آدم اللون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه فى نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل فى المفاخرة وأصل المساجلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه
و بعباس بن عبد المطلب

فرجع الفرزدق وقال ما يساجلك الا من عض بيظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمر بن أبى ربيعة قال بينما أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبى فوافقنى وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر

هذا القول والمصدرية هى التى مع الفعل فى تأويل المصدر كما فى هذا البيت تقديره وعادة النصل زهوه بجوهره وتنقسم أن الى مخففة من ان وناصبة للمضارع فان كان العامل فيها من أفعال العلم وجب ان تكون مخففة وتعين فى المضارع بعدها الرفع الا ان يكون العلم فى معنى غيره ولذلك أجاز سيبويه ما علمت الا ان تقوم بالنصب قال لانه كلام خرج مخرج الاشارة فجرى مجرى قولك أشير عليك أن تفعل وان كان العامل فى أن من غير أفعال العلم والظن وجب ان تكون غير المخففة وتعين فى المضارع بعدها النصب كقولك أريد ان تقوم وان كان العامل فيها من أفعال الظن جاز فيها الامران وصح فى المضارع بعدها الرفع والنصب الا ان النصب هو الاكثر ولذلك اتفقوا عليه فى قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا واختلفوا فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة فقرأ أبو عمرو والكسائى وحمزة برفع تكون وقرأ الباقون بنصبه ومن العرب من يجيز اهمال غير المخففة حملا على ما المصدرية فيرفع المضارع بعدها كقول الشاعر

أن تقرآن على أسماء ويحكما * منى السلام وأن لا تشعرا أحدا

فان الاولى والثانية مصدريتان غير مخففتين وقد أعمل احداهما وأهمل الاخرى ومن اهمالها قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة وقول الشاعر

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى فى الممات عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فانى * أخاف اذا ما مت ان لا أذوقها

(رجع يزهى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما يكتب بالياء لان أصله زهيت والفعل وأن هنا فى تأويل المصدر والجملة فى موضع رفع على انها خبر المبتدا الذى تقدم وهو (عادة بجوهره) الباء للصاحبة وهى التى عدت يزهى الى جوهر و جوهر مجرور بالباء والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى تعود على النصل (وليس) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وليس من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهى مختصة بمنع تقدم خبرها عليها خلافا لسيبويه ولأبى على وابن برهان فانهم قالوا بجوازه بدليل تقدم معمول خبرها عليها فى قوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم واسمها ضمير مستتر فيها تقديره هو عائد على النصل (يعمل) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير يعود الى النصل وجملة الفعل المضارع فى موضع نصب خبر ليس تقديره وليس النصل عاملا (الا) حرف استثناء (فى يدى) فى حرف جر ومعناه الظرفية و يدى مجرور بفى وعلامة جره الياء لانه مثنى والمثنى له اعراب يخصه فيعرب بالالف فى حالة الرفع وفتح ما قبل الالف وبالياء فى حالتى النصب والجر وفتح ما قبلها والنون مكسورة فى الاحوال الثلاثة وقد تفتح النون فى لغة كما قال الشاعر

على أحوذيين استقلت عشية * فما هى الا لمحة وتغيب

وانما أعرب المثنى بالحروف لان التثنية فرع عن الافراد فأخذ الاصل الاصل والفرع الفرع وقد مر فى ذكر اعراب جمع المذكر السالم التعليل فى كون اعراب المثنى بالالف والياء والنون من يدين حذفت للاضافة لان الحروف فى المثنى وجمع المذكر السالم عوض عن الحركات فى اعراب المفرد والنون عوض عن التنوين فلهذا تسقط فى حال الاضافة كما يسقط التنوين

وقد

وقد فرق النحاة بين التثنية والمثنى فقالوا التثنية ضم واحد الى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية فعلى هذا تبين لحن الحريرى فى قوله

حادبا العين حين أعمى هواه * عينه فاثنى بلا عينين

لان المعنيين فى العين ما اتفقا فى الذات ولذلك جوزوا القمرين تثنية الشمس والقمر لانهما وان اختلفا فى اللفظ فقد اتفقا فى الذات لانهما كوكبان وكذلك العمرين تثنية أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لانهما اتفقا من وجوه كثيرة فى الذات اذ كل منهما انسان وصحابى وخليفة فان قلت لاى شئ قالوا القمران ولم يقولوا الشمسان ولا شئ قالوا العمران ولم يثنوا ابا بكر قلت لان التذكير يغلب على التأنيث والشمس مؤنثة والقمر مذكر قال أبو الطيب

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولان العمرين أخف على اللسان واهذب فى السمع من الابى بكرين لانه مركب وعمر مفرد ولان أبا بكر كنية وعمر علم واذا تقرر هذا فقد غلط جماعة من الشعراء ولاسيما المتأخرون فى تثنية ما لم يتفقا فى المثنى الموجب للتثنية كقول الحريرى المقدم وقد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك المثنى ما دل على اثنين بزيادة فى آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه اه قلت فاذا قلت الزيدان فقد دل على اثنين بزيادة فى آخره وهى الالف والنون ويصلح ان يجرد من هذه الزيادة فيعود زيدا وعلى ان أحدهما عطف على مثله لان الاصل فيه زيد وزيد بدليل ان الشاعر لما اضطره الوزن فك التثنية فقال

كان بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت فى شك

وفائدة هذا الحد أن تعلم ان العرب الحقت بباب المثنى أشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وهى كلا وكلتا بشرط الاضافة الى مضمر تقول جاءنى كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفتا الى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى فتقول جاءنى كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين وكذلك اثنان واثنتان فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولها اذ ليس كل منهما فى آخره زيادة صالحة لتجريد ولا عطف أحدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك وذكرت هنا قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطنى * بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريرى وغيره أخبر عن التى بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ولم يذكر الا خمرة واحدة وأخبر عن كلتاهما بارخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما وكانت المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها وأيضا فالرواية صحت فى المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد وأجاب الحريرى بان قال أما قوله ان التى ناولتنى فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاهما للمفصل يعنى به اللسان وسمى مفصلا لانه يفصل بين الحق والباطل وقال أبو بكر محمد بن القاسم

لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب
وأقبل على وقال يا أخا بنى مخزوم ان أشعر من صاحبك الذى يقول هذين البيتين هاشم بحر اذا سما وطما
أحمد حر الحريق واصطلما
فاعلم وخير المقال أصدقه
بأن من رام هاشما هشما
فاسودت الدنيا فى عينى ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مى أن تفقدى قوما وزينتهم
وتخلسيهم فان الدهر خلاس
عمرو وعبد مناف والذى عهدت
بطاح مكة أبى الضيم عباس
ليث هزبر مدل عند خيسته
بالرقتين له أجر واعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها

وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفرى رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار فى الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط

وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجربت عقرب فى سوقنا
لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده فى استه
فغير مخشى ولا ضائره

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون ان أصر المذنب الاصرار المعقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها حسن فيها من تود) يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما نرى من القبح والسماجة كما سيأتى ذكره وفى هذا اللفظ حل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منهما أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالاول قول الهاشمى

الانبارى اجتمع قوم على شراب فغناهم المغنى البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة القاضى عبيد الله ابن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله يصلى فلما أتم صلاته شرحوا له القصة وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم ان التى عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انتهى وقال النقيب الشجرى هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء أحدها أنه قال كلتاهما حلب العصير وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير أبدا يغلب على التانيث كتغليب القمر على الشمس قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال يحمل على المعنى كما قالوا أتته كتابى فاحتقرها لان الكتاب فى معنى الصحيفة وكما قال الشاعر

قامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك ياعامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه أن يقول ذات غربة وانما ذكر لان المرأة انسان والثانى أنه قال أرخاهما للفصل وأفعل هذا موضوع للمشتركين فى معنى واحد وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان فى الفضل الا أن الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر فى ارخاء المفصل والثالث ان الخمر عصير العنب وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه اذا كان العصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أضيفت الخمر الى نفسها والشئ لا يضاف الى نفسه والصواب انه أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة اه

وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النجو * م وبعده علم البيان
فاذا احتساها الشاربو * ن واوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أيها الساقى بجفن * وبجام خسروانى
لا تلمنى ان تلجلجت ولم تفهم بيانى
سحر عينيك وسكرى * أحكما عقد لسانى

(المعنى) ان السيف عادته أن يكون زهوه بجوهره ولكن ما المراد منه الا القطع والمضاء فى الضربية ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به ويصيب الكلى والمفاصل يعنى انى فى ذاتى كالسيف الجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ولكن لا نفع لها لانها كامنة فلو باشرت أمرا وتوليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرزت فى الظاهر نفع ما عندى وهذا تشبيه حسن وتمثيل جيد ومن كلام البديع الهمذانى من رسالة وقد حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة على أن سيوف الحق أربعة

وسائرها

وسائرها للناس سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وسيف أبى بكر رضى الله عنه فى المرتدين وسيف على رضى الله عنه فى الباغين وسيف القصاص بين المسلمين قلت وقولهم سيف الله هو خالد بن الوليد رضى الله عنه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره فى الاسلام وشجاعته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبى جهل قرأ يخرج الحى من الميت لانهما كانا من خيار المسلمين وأبواهما اعدى عدو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما اتهم خالد ابن الوليد بقتل مالك بن نويرة على اسلامه دعاه أبو بكر رضى الله عنه فقال له أقتلت مالكا لتنزو على حليلته وذلك لكونه تزوج امرأته بعده فقال له ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمانى بسيف الله فقال اللهم بلى فقال أيقتل سيف الله المسلم فقال لا وصرفه الى حيث جاء وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مما نظمه فى أولاد ممدوحه وقد رأى له ولدا يسمى خالدا وهو

أولاد مولانا بهم * تزهى المحافل والمشاهد
مثل السيوف مهابة * لكن سيف الله خالد

وقولهم سيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل فى يد الجبان وأصله ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا سيأمرك بضرب عنق أسير من الروم وقد علمت انك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تماصع بها وهذا سيفى يكفيك منه ضربة واحدة وأتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن أنت قال من أخوالك بنى ضبة فاخذ السيف ووثق به فلما كان من الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجىء بالاسرى فأمر سليمان واحدا منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيأ وكلح الرومى فى وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم فقال جرير

بسيف ابى دعوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقال مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومى جاءت لكم * أبا كليب أو اخا مثل دارم

وقال أيضا

فان يك سيف خان أو قد رأيتنى * لمقدار يوم حتفه غير شاهد
كسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك السيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ولما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يسمى الصمصامة الى موسى الهادى دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال قولوا فى هذا السيف فبدر ابن يامين البصرى فقال أبياتا منها

ما يبالى من انتضاه اضرب * أشمال سطت به ام يمين

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان من فتيان بنى هاشم واجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة فى دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلى وانما سمى بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره فى آخر أيام بنى أمية حكى المدائنى ان عبد الله بن معاوية قدم زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقى بن شيث بن ربعى فلما وقعت العصبية اخرجه أهل الكوفة على بنى أمية وقيل انما خرج فى أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ما لم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقى فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحى الشرق ففعل

يستطير الابصار كالقبس المشـ ـعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا * ري فى صفحتيه ماء معين

فقال موسى أصاب ما فى نفسى واستخفه الطرب فامر له بالسيف والمكتل فلما خرج قال للشعراء انما حرمتم من أجلى فدفع اليهم البدرة وأخذ السيف فاشترى منه بمال عظيم وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معدى كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر رضى الله عنه وضرب به فما أحاك أو حاك بغير ألف فطرحه من يده وقال ما هذا بشئ فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به فعاتبه وقيل انه ضربه وقرأت على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى مغازى تاريخه الكبير تاريخ الاسلام قال الاصمعى حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده الى القربوس فقيل ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وذكر المؤرخون ان عليا رضى الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان الفى نفس وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ويخرج ويقول لا تلومونى ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك وقال بعض شعراء الاندلس

فعاقر سيفك حتى انثنى * وعربد محك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات على المشهور ضربته رضى الله عنه مرحبا فانه ضربه على البيضة ضربة فقدها وقده نصفين وما أحلى قول أبى الحسين الجزار يمدح على بن سيف الدين قليج

أقول لفقرى مرحبا التيقنى * بأن عليا بالمكارم قاتله

وضربته عمرو بن عبدود العامرى وكان جبارا عنيدا غليظا عتلا من الرجال فقطع فخذه من أصلها ونزل عمرو فاخذ فخذ نفسه فضرب بها عليا فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها وقال شرف الدين بن الفارض

ذو الفقار اللحظ منها أبدا * والحسام منى عمرو وحيى

وذكر أسعد بن مماتى فى كتاب روائع الوقائع قال حدثنى بعض البغداديين انه كان ببغداد سياف يقال له أبو بكر السجان فامر بقتل قوم من القطاع فربط أربعة ظهرا واحدا الى آخر ثم ضرب بسيفه الرقاب الاربع فقطعها ويقال أكذب بيت قالته العرب قول الشاعر

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى

وقول الطغرائى يشبه قول بن خفاجة

ـ وما السيف لولا الحرب الا حديدة * وما الرمح الا خوطة تتأود ـ

وقوله ايضا

ـ والحر مفتقر الى عز الغنى * فقر الحسام الى يمين الفارس ـ

وقوله ايضا

ـ فما احتمى جانب لم يحمه ملك * ولا مضى صارم لم يمضه بطل ـ

وقال أبو الطيب

ذلك وجمع جموعا من النواحى فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والرى وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذى أخذ له البيعة محارب بن موسى الشكرى فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فاخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى ابن على ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآنى بعض خدمه فعرفنى أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شر لى ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لا عليك أنشدنى فاستحييت فابى الا أن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه
كما لألأت فى السيف بهجة ورونق

فتى يملأ الافعال رأيا وحكمة * وباردة أحيانا يرضى ويغضب
اذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه * تبينت ان السيف بالكف يضرب

وأخذه بن سناء الملك غصبا وجرد عليه فى الاغارة عضبا فقال

فلا تحسبوا بالكف جرد نصله * ولكنه قد جرد الكف بالنصل

وقد جرت عادة الشعراء بان يشبهوا جوهر السيف بمدب النمل قال امرؤ القيس

متوسدا عضبا مضاربه * فى متنه كمدبة النمل

وقال البحترى

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بايد فى قراه وارجل

وقال أبو العلاء المعرى فى السيف

سليل النار دق ورق حتى * كأن اباه أورثه السلالا
محلى البرد تحسبه تردى * نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل فى طرفى نقيض * يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء * وتبصر فيه للنار اشتعالا
اذا بصر الامير وقد نضاه * بأعلى الجوّ ظن عليه آلا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

وقال ايضا

وكل أبيض هندى به شطب * مثل التكسر فى جار بمحدر
تغايرت فيه أرواح تموت به * من الضراغم والفرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به * وان تخالف ألوانا من الزهر
ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه * فى الجفن يطوى على نار ولا نهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

وقد ضمنت آخر القطعة الاولى من شعر المعرى فى وصف عذار أشقر وآخر القطعة الثانية ايضا فى وصف العذار وأوردتهما من جملة ما أوردته لى من النظم فى التضمين عند قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وقال كشاجم

كأن نمال دارجا * صعد فيه وهبط
ماض ترى فى متنه * ماء بنار مختلط
يقدان أعملته * طولا وان عارض قط

يقال القد هو القطع طولا والقط هو القطع عرضا وقال الوزير أبو محمد بن عبد الغفور

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا * مماثلة الارواح فى صورة الذر

وهو مأخوذ من قول المعرى فيما تقدم وأخذه الآخر فقال واجاد

جداول ماء ما تسوغ لوارد * ترى النمل غرقى فيه غير الاكارع

وقال الطغرائى من أبيات

وابيض طاغى الحدير عدمتنه * مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم باسرار المنون كأنما * على مضربيه أنزلت سورة القتل

فامر لى بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحى فارس التى غلب عليها حتى ولى مروان ابن محمد الجعدى فوجه اليه عامر بن ضباعة فى جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع فى نصرته فاخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس فى الارض أحمق منكم يا أهل خراسان فى طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه فى شئ وتسالوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التى يقول فيها الى أبى مسلم من الاسير فى يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية

فاطلب الخلاص والا اذكر
القصاص فانك لاق ما
أسلفت وغير لاق ما خلفت
وفقك الله لما ينجيك والهمك
شكر ما خوّلك فلما قرأ
كتابه رمى به ثم قال أفسد
علينا أصحابنا وهو محبوس
فى أيدينا فلو خرج ومالك
أمرنا لاهلكنا ثم أمضى
تدبيره فى قتله فدس اليه
سما فمات ووجه برأسه الى
ابن مباره فحمله الى مروان
ومن شعره ويتعلق به حكاية
حكاها ابراهيم الموصلى قال
بينما أنا عند الرشيد وعنده
ابن جامع وعمرو الغزال
وغيرنا من الندماء والمغنين
اذ قال صاحب الستارة لابن
جامع تغن من شعر عبد الله
بن معاوية ولم يكن بن جامع
يغنى فى شئ من شعره ولا
يعرفه وكنت قد تقدمت
فيه فارتج على ابن جامع فلما
رأيت ما حل به اندفعت
فغنيت لعبد الله

يا يم يحمل وما أن يرى
له من سبيل الى حله
كأن لم يكن عاشق قبله
وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به
ومنهم من أشفى على قتله
فاذا يد رفعت الستارة ونظر
الى وقال أحسنت والله أعده
فأعدته فجاء فراش ببدرة
فوضعها تحت فخذى ثم قال

تفيض نفوس الصيد دون غراره * وتطفح عن متنيه فى مدرج النمل

وقال البحترى

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن هنا استمد ابن هانئ وما استبد فقال

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وابن سناء الملك أيضا من هنا أخذه واقتطعه وفلذه فقال

ظباه كمثل البقل لونا وانها * لترعى العدا رعى الظباء من البقل

وقال ابن خفاجة

ومرقرق الافرند يمضى فى العدا * أبدا فيفتك ما يشاء وينسك

وكأنه والماء يجرى فوقه * جذلان يبكى للسرور ويضحك

وقال أيضا

وابيض عضب حالف النصر صاحبا * فكاد ولم يستل يمضى فيفتك

يبشره بالنصر ارهاف نصله * فيهتز فى كف الكمى ويضحك

وما أحسن قول القائل

تدب المنايا الحمر فى جنباته * على جامد فى الكف فى العين ذائب

وقال مهيار على طريق اللغز

وابن سررت به اذ قيل لى ذكر * فضته ويصان الدر فى الصدف

أخشى الرياح عليه ان تهب فما * تراه فى غير حجرى أو على كتفى

أغار عجبا عليه ان أقبله * يوما وتقبيله أدنى الى شرفى

يتيه من فوق كرسى وهبت له * من اللجين بقدقام كالالف

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدى بالقاهرة المحروسة سنة سبع وعشرين وسبعمائة ما يكتب على سيف

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا * فاعدته بالنصر يوما أبيضا

ذكرا اذا ما استل يوم كريهة * جعل الذكور من الاعادى حيضا

اخيال ما بين المنايا والمنى * وأجول فى وسط القضايا والقضا

(ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل)

(اللغة) أوثر أثرت فلانا على نفسى اخترته ورجل أثر على فعل بضم العين اذا كان يختار على أصحابه أفعالا ويستأثر بها من الاخلاق الحسنة وغيرها قيل ان شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولا الى السلطان صلاح الدين فحضر يوما عنده فلما قام قدم صلاح الدين مداسه فاراد الشيخ لبسها فقال القاضى الفاضل هذه النعل تشرفت وما بقيت تصلح الا للرؤس فقال الشيخ صدر الدين باسم الله أنا فقير ومذهبى الايثار فلم يحر القاضى الفاضل جوابا وحكى ان أبا نواس كان فى يوم شديد البرد وعليه فروة فمر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله تعالى فى الحجاز فى شهر تموز فيما يوكل ولم ينزلها فى شهر كانون فى الرهى

فيما يلبس وسأل بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالح فى السؤال ولم يحصل منه شئ فقال أين الذين يؤثرون على أنفسهم فقال ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا (رجع) يمتد مددت الشئ فامتد أى اتصل والمادة لغة الزيادة متصلة ومد الله فى عمره ومده فى غيه أى أمهله وطول له زمنى الزمان والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن دولة الدولة فى الحرب أن تدال احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة بالضم فى المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولات ودول الاوغاد جمع وغد وهو الدنئ الذى يخدم بطعام بطنه والسفل جمع سفلة والسفلة سقاط الناس ولا تقل هو سفلة لانه جمع (الاعراب ما) حرف نفى وقد تقدم الكلام عليها (كنت) كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهى فعل وهو مذهب الاكثرين وقال بعضهم بل هى حرف لانها لا مصدر لها ولو كانت فعلا لدلت على المصدر ولما احتيج ان يعقد لها باب يخصها وليس ذلك بشئ قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس فى كان وأخواتها لم يختلف أحد فى فعلية شئ منها الا ليس فان أبا على ذكر فى المسائل الحلبيات ان ليس حرف وطول فى الاستدلال على ذلك وكذلك استدل أيضا على حرفيتها فى أول الايضاح الشعرى له وكذلك نقل عن ابن السراج أنه قال بفعلية ليس تقليدا وفى كلام سيبويه اشارة الى حرفيتها محتملة للتاويل وهو قوله فى باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام هذا بعض كلام الشيخ بهاء الدين وهى ناقصة اذا استوفت اسمها وخبرها كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وتامة اذا استوفت مرفوعها واستغنت به كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة وهى بمعنى وجد وزائدة فى مثل قول الشاعر

سراة بنى أبى بكر تسامى * على كان المطهمة الجياد

وقول الآخر

فكيف اذا مررت بدار قوم * وجيران لنا كانوا كرام

قلت قد مثل بهذا البيت جماعة من أهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها وزيادة اسمها فانها هنا مع اسمها أما فى البيت الاول فسلم انها زائدة لانها لم يعجبها اسمها وأما فى البيت الذى أوردوه فيحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتاخير والتقدير وجيران كرام كانوا لنا وهذا متجه ولم أر أحدا ذكره وتكون بمعنى صار كقول الشاعر

بتيهاء قفر والمطى كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وقد تحمل ضمير الشأن والقصة فتكون الجملة خبرها كقول الشاعر

اذا مت كان الناس نصفان شامت * وآخر مثن بالذى كنت أصنع

أى كان الشأن أو الحديث أو القصة الناس نصفان وهذا البيت أخذ معناه مالك بن طوق فقال فى الابيات التى أنشدها الرشيد لما كان بين يديه فى نطع الدم على ما ذكره المسعودى فى شرح المقامات أو تميم بن جميل فى واقعته مع المعتصم على ما ذكره ابن عبد ربه فى العقد والواقعة مشهورة وهو

وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

وقد ضمنته أنا فقلت أبياتا أرثى بها نفسى وهى

اجعلها لك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثانى قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعنى عبد الله بن معاوية فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالامس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها
ومن أى ما شأننا يعجب
فلست باول من فاته
على أربه بعض ما يطلب
وأصبح صدع الذى بيننا
كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة ان أمسك وأشار بيده الى انه يبكى فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحسد فقال لو كان فى ابن جعفر خير لطاوع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم أرسل الى بدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذى ذكر بسببه فانه كان صديقا للحسين ابن عبد الله ابن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملفقا
فمحضه التكشيف حتى بدا لنا
وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة
فان عرضت أيقنت ان لا اخا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وأما البيت الثانى فهو قول المجنون

كأنى بهذا الجسم أصبح عاطلا * وشمل قواه بالممات مشتت
وقد عافه من كان يهوى لقاءه * وأنكره من طالما كان يثبت
وغاية من يأوى لمصرعه فتى * يفكر فيما قد عراه ويبهت
وان عطفته رحمة فى انصرافه * غدا نحوه من حسرة يتلفت
وان كان يبكيه خليل يوده * ويفجأه الرزء الجليل ويبغت
فماذا الذى يجدى على ساكن الثرى * اذا كان يبدى الحزن أو يتثبت
قضى ومضى هيهات لو ينفع البكا * كأن لم يكن من قد غدا وهو ميت
(وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر ذلان يسر ويشمت)

(رجع) ومن أمثلة كان التامة التى بمعنى وجد وحدث قول الشاعر

اذا كان الشتاء فادفئونى * فان الشيخ يهرمه الشتاء

وما أحلى قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يا ربيع العفاة لا تقاضنا * لك ولكن أقول جاء الشتاء
وأنا الشيخ والربيع الفزارى * قد عنانى وفى الكريم ذكاء

مسئلة قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال ابن الانبارى فى اسرار العربية كان هنا تامة وصبيا منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون كان ناقصة لانه لا اختصاص لعيسى عليه السلام فى ذلك لان كلا كان فى المهد صبيا ولا عجب فى تكليم من كان فيما مضى فى حال الصبا اه وقال أبو البقاء فى اعرابه كان زائدة أى من هو فى المهد وصبيا حال من الضمير فى الجار والمجرور والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا يحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هى كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل بمعنى صار وقيل تامة اه قلت تقدير كان فى الآية الكريمة تامة بمعنى وجد أو حدث بعيد لان عيسى عليه السلام لم يخلق ابتداء فى المهد وتقديرها زائدة أجود (رجع) كنت كان واسمها وهو تاء المتكلم فالضمير فى موضع رفع على انه اسم كان (أوتر) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وهو فى موضع نصب على انه خبر كان تقديره ما كنت موترا (أن يمتد) ان حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام عليه ويمتد فعل مضارع منصوب بأن وان هنا مصدرية فهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر وتقديره ما كنت أوتر امتداد زمانى (بى) الباء هنا للتعدية والياء مجرورة بالباء وهو متعلق بيمتد (زمنى) فاعل يمتد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على النون وانما لم تظهر الضمة لاضافته الى ياء المتكلم وعلى كل حال فان زمنى فاعل ان قلت ان أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر أوتركت الفعل على ظاهره فان المصدر يضاف الى الفاعل وتقديره ما كنت أوتر امتداد زمنى (حتى) تقدم الكلام على حتى فى قوله طال اعتراب البيت وهى هنا لانتهاء الغاية ومعنى الكلام الى أن (أرى) فعل مضارع منصوب باضمار أن ولم يظهر النصب لانه معتل الطرف بالالف فالنصب بفتحة مقدرة على الالف وانما كتب بالياء لانك تقول رأيت (دولة الاوغاد) دولة منصوب على أنه مفعول به والاوغاد مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (والسفل) مجرور بالعطف على الاوغاد

اهابك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها
وهو قيس بن الملوح بن
مزاحم من بنى عامر بن صعصعة
شاعر غزل سكن البادية
عمره وتوفى فى آخر دولة بنى
أمية وهو المعروف بمجنون
ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا
وانما الرواة وضعت ذلك
عليه وحكى ابن داب قال قلت
لرجل من بنى عامر أترون من
شعر المجنون شيأ فقال أوفر غنا
من العقلاء حتى نروى للمجانين
انهم لكثير فقلت انما أعنى
مجنون بنى عامر الشاعر الذى
قتله العشق فقال هيهات
بنو عامر أغلظ اكبادا من ذلك
انما يكون هذا فى اليمانية
الضعاف حلومها الثقيلة
رؤسها فأما نزار فلا وقال
الاصمعى الصحيح ان الاشعار
والوجد لقيس ولكنه لم يكن
مجنونا انما كانت فيه لوثة
احدثها العشق وكان قد
عشق جارية من قومه تسمى
ليلى بنت سعد وعلق كل منهما
بصاحبه وهما حينئذ
صبيان يرعيان مواشى
اهليهما فلم يزالا كذلك حتى
كبرا وحجبت عنه وفى ذلك
يقول

تعشقت ليلى وهى ذات ذؤابة
ولم يبد للأتراب من ثديها
حجم

(المعنى) ما كنت أظن الزمان يمتد بى فى عمرى حتى تنقضى دولة الكرام وأرى فيما بعد دولة الاوغاد والسفل وهو يشبه قول أبى الطيب

ما كنت أحسبنى أبقى الى زمن * يسيء بى فيه كلب وهو محمود

وهذا قاله أبو الطيب فى بعض أهاجى كافور الاخشيدى وقد أجازه قبل قدومه عليه ويقال انه فى أول الامر أمر له بمنية ابن خصيب اقطاعا فلم يرض ذلك وما كان يقصد الا الولايات على الاعمال والامرة ونظم فيه هذه القصيدة وهى من أخبث أهاجيه فيه فمنها

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

ومنها قوله

وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

ومن غرر مدائحه فيه قوله بعد وصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وما آقيا

ومما مدح أسود بالغ من هذا ولا أحسن وعلى ذكر كافور أنشدنى من لفظه لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى من قصيدة يصف فى آخرها

فاستجل بكرا قصيد لا صداق لها * سوى القبول وود غير مكفور

على أبى الطيب الكوفى مفخرها * اذ لم أضع مسكها فى مثل كافور

وهذا فى غاية الحسن ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من نسخة جواب أجاب به تجربة للخاطر عن السلطان صلاح الدين يوسف لما ورد عليه الكتاب الصادر من الامام الناصر يتضمن الانكار عليه فى فصول متعددة فقال وترى من هم القائلون أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أمثل الماضين اليه أم الاولا مثل لهم فيمن جاء أخيرا وقد علم كل منهم ما عاملوا به الخلافة تضييقا وتقتيرا وكونهم عوضوا عن الالوف برسم النفقات من فضة قدروها تقديرا ولا خفاء بما قضة أحمد بن طولون لما كان بمصر أميرا والاخشيدية حين طافت على الدولة تسلطا بكأس كان مزاجها كافورا اه وأنشدنى من من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يا الأمى فى خادم لى سيد * قسما لقد زدت السلو نفورا

ولقد أدرت على المسامع شربة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(رجع) ومما يدخل فى بيت الطغرائى أقول أبى اسحق ابراهيم الغزى

لئن حلمنا صروف الدهر أشطرها * فكلنا بصروف الدهر جهال

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت * فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله أفضينا الى دول * تعلو وليس لنا فيهن آمال

وقال آخر

قد دفعنا الى زمان لئيم * لم ننل منه غير غل الصدور

ويلينا من الورى بأناس * تركتهم اعجازهم فى الصدور

ومثل هذا قول الآخر

صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا
الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرى قال حضرت الى أرض بنى عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسالته فقال انه كان والله عندى أبر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها فى مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجه اياها بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابى ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا أضياف ولا أدم لنا فارسلنى أبى اليك فقال يا ليلى اخرجى ذلك النحى فاملئى له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن فى الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهى تصب السمن وقد امتلأ العقب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فزجرها أبوها على تلك الحال فامره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها زاد هيامه وكانا فى بعض الاوقات يتحدثان فقطن بها زوجها

قال الانام وقد رأو * ه مع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاوز قدره * قلت المقدم بالمؤخر

ومن هذه المادة قول الآخر

ما ركب المهرة مسروجة * لولا ركوب المهر عريانا

وكان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب مصاهرته لنظام الملك الوزير حين زوجه نظام الملك ابنته فقال الشريف بن الهبارية فى ذلك

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تكبر واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حراصرت مولانا الوزير به

وقد صنف بعض المتأخرين مجلدا سماه الأنس فى ذكر من رأس بالكنس ورجع وقال شريف ابن الهبارية أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما فى البرية كلها انسان
واذا البيادق فى الدسوت تفرزنت * فالرأى أن يتبيدق الفرزان

وقال محمد بن شرف القيروانى

قالوا تصاهلت الجميـ * ـر فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الرخا * خ ففرزنت فيها البيادق

وقال آخر

تبا لدهر قد أتى بعجاب * ومحافنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

وقالوا آخر

قالوا فلان قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ليـ * ـس يدور الا بالبقر

وقال آخر

لو ان أشياخنا كانت لهم همم * تبغى رياستنا لم ترأس البقر
لكنهم وقضا الله محتمل * ليسوا من الناس الا انهم بشر

وقال آخر

هون عليك فقد مضى من يعقل * والبس من الاخلاق ما هو أفضل
فلقلما تأتى اليـ * ـك مسرة * الا تتابع بعـ * ـدها ما يثكل
واذا خبرت الناس لم تلق امرأ * ذا حالة ترضيك لا تتحول
لكنهم نكبت بهم أحوالهم * كل يعيب ولا يرى ما يفعل
فاذا ترضعفت قوى آرائه * ومجاهـ * ـر يرمى ولا يتأمل
ومقلـ * ـد متعقل متأدب * فاذا اختبرت فباقل وهو أعقل

وقال بن الساعاتى

والخل من ناش فى الخطوب بضبعـ * ـيك ومن سدرتقه خلالك
ما أنزل العليـ * ـة الكرام وما * أكثر يا دهر بيننا سفلك

وما

فقد له وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره وبشست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بنى عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط باصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسى سكن وأقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

وانى لمن دمع عينى بالبكا
حذار الذى قد كان او هو كائن

فلما سمعنى بكى حتى ابتل الرمل الذى بين يديه ثم قال انا والله اشعر منه حيث اقول

وادنيتنى حتى اذا ما ملكتنى
بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث لا لى حيلة
وخلقت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو معها وعدت اطلبه اياما الى ان وجدته فى واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فاعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بناة الحى من بنى جعدة وبنى الحريش الا خرجت حاسرة ولم يرباكيا احد مثل

وما أحلى قول شرف الدين المنادى

ولا خير فى عيش الفتى بين معشر * تعالوا على اخوانهم فتسافلوا

ومن هذه المادة ما نقلته من خط السراج الوراق له

ظننت بكم خيرا ولم أر ياءه * ووجه رجائى فيكم قد تصفرا
وما لكم ذنب ولكن لغالط * تفرس خيرا فيكم فتحمرا
وأنتم سمتم ولم تتجملوا * فلم نرمنا أدميا ولا يرى

ونقلت منه له أيضا

اذا لم نر تقع عن سفل قوم * علوا وعلت مراتبهم علينا
صبرنا والزمان يرى علينا * تعاظمهم فينزلهم الينا

ونقلت منه له أيضا

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غداشاكيا من لحن أيامه خفضا
ومستفل يدعى رئيسا لقومه * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

وكم قيل قوم فى المجالس خوطبوا * وذاك دواجهلهم فى التنافس
فقلت لهم ماذاك بدع * وانه لعند الدوا يدعى الخرا بالمجالس

قلت كذا نقلته من خطه ولو قال ليدعى الخرا عند الدوا بالمجالس لكان أتم معنى وأحسن

ونقلت منه له يعرض بذكر الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون

كنا وكانوا ان اتت سفرة * وسلفونا جملة سامحوا
واليوم صاروا يستعيدونها * فقلت مر السلف الصالح

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان فيما أظن قال أنشدنى ناصر الدين حسن بن النقيب اجازة لنفسه

ابى لهم قلدوه أمر الرعايا * وهو من حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل * وهو فى الدست حين يجلس سطل

ولابن النقيب ايضا

اذا صر صر البازى فلا ديك صارخ * ولا فاخت فى أيكة يترنم
وما الموت الا طيب طعمه اذا * تدانيك فروج وزب محرم

وقال ابن سناء الملك

الموت اولى بالفتى * من عيشة فى الذل غبرا
واذا تملكت اللئا * م فان موت الحر اجرى

ومن مادة قول محيى الدين بن عبد الظاهر المتقدم قول الآخر

مرض الزمان وقد تمسك طبعه * من شر قولنج به يتغمس
حقنته آراء الملوك فجاءه * اهل المناصب كل شخص مجلس

(تقدمتنى اناس كان شوطهم * وراء خطوى لو امشى على مهل)

(اللغة) تقدمتنى صارت امامى اناس هو الاصل فى الناس فخفف ولم يجعلوا الالف واللام

ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتنى
ولا اى امرى فيك بالليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه
أم أشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى اصداؤنا بعد موتنا
ومن فوق رمسينا صفيح منضب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة
لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها
قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبلينى
ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
وما فى الا العظم والجلد عاريا
ولا عظم لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه فى قول الشاعر

ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا

وقد يكون الناس من الانس ومن الجن واختلفوا فى اشتقاقه فقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا تحرك وسمى الحسن بن هانئ ابا نواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان فى احد القولين قلت وهذا باطل لانه يصدق الانسان بهذا على الملك والانسان والشيطان بل على الحيوان والفلك لان الجميع متحرك وقيل بل من الأنس وهو السكون والالف وقيل من النسيان قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقال ابو تمام الطائى

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

وقال ابو الفتح البستى

يا اكثر الناس احسانا الى الناس * واكرم الناس اغضاء عن الناسى
نسيت وعدك والنسيان مغتفر * فاغفر فأول ناس أول الناس

وقال بن سناء الملك من مرثية

فلئن سلوتك ناسيا لا عامدا * فالذنب للنسيان لا السلوان
وعوائد النسيان فيها خلة * موروثة من ذلك الانسان

ونقلت من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى الوداعى ما صورته وحدثنى بعض المشايخ عن الشيخ يوسف الفقاعى انه كان يقول مسكين الانسان ماذ كره الله تعالى فى القرآن الا فى مكان ذم أو شر مثل قوله قتل الانسان ما أكفره وكان الانسان عجولا ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فأعجبنى هذا المعنى فنظمته بقولى

يا أيها الانسان لا * تفخر بغير تقى وعلم
وانظر فأكثر ما أتى الـ * ـقرآن باسمك عند ذم

(رجع) شوطهم الشوط الطلق وطاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر شوط واحد وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام قال الله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى أمامهم وقال تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى من بين يدى وقال الشاعر

ذاك خليلى وذيو اصلنى * يرمى ورائى بامسهم وأمسلمه

ويمكن التأويل فى ذلك كله ويرد الى الاصل خطوى الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات بضم الطاء وفتحها وسكونها وجمع الكثرة خطا والخطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاء مثل ركوة وركاء مهل المهل بالتحريك التؤدة والتأنى (الاعراب تقدمتنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع نصب (أناس) مرفوع على انه فاعل تقدم الكلام عليها (شوطهم) مرفوع على انه اسم كان والهاء والميم فى موضع جر بالاضافة (وراء) ظرف والعامل فيه النصب خبر كان المحذوف تقديره كان شوطهم مستقرا وراء (خطوى) مخفوض بالظرف والياء فى موضع جر بالاضافة (لو) تقدم الكلام عليها (أمشى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضم فيه مقدر على الياء لانه معتل الطرف بالياء (على مهل) على حرف جر ومعناه الاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره أمشى متمهلا

وموضع

أردد عنك النفس والنفس صبة
بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة
وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن ما بى بالحصا فلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انى أستغفر الله كلما
ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
سوى أن يقولوا انى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
كان على أنيابها الخمر شجها
بماء سحاب آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا
كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه
بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يارباه أول سؤلتى
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعص ليلى فى حياتى لم يتب
الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا ومابك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها

وموضع كان وما دخلت عليه الرفع على انه صفة لاناس تقديره أناس كائن شوطهم وبعضهم رواه وراء خطوى اذ أمشى على مهل وفى هذه الرواية فائدة ليست فى الاولى لان اذ ظرف لما مضى من الزمان وهذا يدل على انه كان قد تقدم له رفعة وعلو وأولئك كانوا متأخرين عنه وعلى الرواية الاولى يفهم من لو الشرطية فيكون معناه لو حصل لى مشى على مهل فى الرفعة لكان شوطهم وراء خطوى والاولى اشعر فى حق الطغرائى (المعنى) صار أمامى وعلانى وتقدمنى قوم كان جريهم خلف خطوى اذا مشيت متمهلا وهذا مبالغة فى سوء الحال وإخناء الزمان عليه بان تعوقه الايام والليالى عن السعى حتى يتقدمه الذين كانت نهايات أشواطهم اذا بلغوها وراء خطوه المتمهل نعم

ان المقادير اذا ما مضت * ألحقت العاجز بالحازم

ولكن من رمى بهذا السهم الصائب من المصائب ومنى من الزمن الخائن بهذه النوائب حقيق بان يتظلم ويتشكى ويتألم ويتكلف لأن يقول له حيث لم يتكلم

اذا لم يكن للفضل ثم مزية * على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله كان شوطهم وراء خطوى البيت يشبه قول هشام الرقاشى

تقدمتنى اناس ما يكون لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب من دونى

وقول موسى بن الطائف من قصيدة

يا مبصرا عميت نواظر فهمه * عن كنه عرضى فى البديع وطولى
لو كنت تعقل ما جهلت مقاومى * من ضاق فرسخه بخطوة ميل

الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات بوضع بطن هذه اظهر هذه والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والبريد أربعة فراسخ وقال تجير الدين محمد بن تميم

يا قوم قد بلغ قول الخنا * عنى الى الحب بلا علم
من خنجرى أطول من سيفه * ورمحه أقصر من سهمى

والطغرائى زاد على هشام الرقاشى بمبالغتين وهما ان شوط أولئك وراء خطوه وان خطوه كان مع ذلك متمهلا وعلى موسى بن الطائف بمبالغة واحدة وهى المهل والدعوى فى المبالغة منحصرة فى ثلاثة أقسام الغلو والتبليغ والاغراق ودليل الحصر أن الدعوى اما أن تكون ممكنة أولا فان لم تكن ممكنة كانت غلوا وان كانت ممكنة فاما أن يصح وقوع ذلك عادة أولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا فالغلو كقول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وما أظرف قول القائل

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير ارخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ويقال انه كان بين حجر وموضع الوقعة عشرة أيام ولهذا قيل فيه انه أكذب بيت قالته العرب ومن هذا الباب أبيات أبى الطيب

وما هجرتك النفس يا ليل انها
قليل ولكن قل منك نصيبها

وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبى ربيعة

فقضا حكن وقد قلن لها
حسن فى كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى ويكنى ابا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره فى الغزل ولا يمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان ابن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا فى الشعر حتى كان ابن أبى ربيعة فأقرت لهما فى الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال اى حق رفع وأى باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه فتك أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنه بى والله ما أعلم أنى ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمى أن عمر بن أبى ربيعة كان مشتهرا بحب

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * الابيات وهو كثير فى كلامه والتبليغ كقول امرئ القيس

عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

لان هذا ممكن فى حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كى لا يحتاج الى أن يغسل وما أظرف قول شرف الدين بن عنين

ولما رأينا المغربى بخدمة * مؤيد مثل الراهب المتبتل
سألناه هل فى ظله لك مربع * وهل عندهم دارس من معول
فقال أنا المسدى اليه تفضلى * وكم من يد لى عنده وتطول
أسد اذا استدبرته منه فرجة * بجرد قيد الأوابد هيكل
وأشقى غليلا منه عز شفاؤه * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ولكننى ان رمت اتيان عرسه * تمتعت من لهو بها غير محجل
وكم ليلة قدبت جذلان بينه * وبين هضيم الكشح ريا المخلخل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والاغراق كقول امرئ القيس أيضا

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذا غير ممكن عادة من أن يكون انسان باذرعات ويشاهد نار يثرب وقد بالغ الناس فى ضرب المثل بزرقاء اليمامة فقالوا انها كانت تنظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وحكاياتها مشهورة والنفوس تنفر من تصديق هذه الدعوى فى حقها فكيف تقبل دعوى من رأى من بلاد حوران بالشام نار يثرب فى الحجاز وبينهما على القليل مسيرة شهر وحكى الامام فخر الدين الرازى فى أول السر المكتوم أنه قال قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كملا يقوى البصر الى حيث يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه وقال فعله بعض أهل بابل فحكى انه رأى جميع الكواكب السيارة والثابتة فى مواضعها وكان ينفذ نور بصره فى الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا فكان يقرأه علينا ويعرفنا أول سطر من الكتاب وآخره كأنه معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا وبينه جدار وثيق فأخذ هو قرطاسا ونسخ ما كنا نكتبه كأنه ينظر فيما نكتب وسأله قسطا بن لوقا عن أخ له ببعلبك فنظر ثم أخبر انه عليل وأنه ولد له مولود وطالعه ثلاثة أجزاء من الثور ففحصنا عنه فكان كما قال اه والله أعلم وقيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى حضر ذات يوم عند القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من أمرها فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء ترى الشئ من مسيرة ثلاثة أيام فانا أرى الشئ من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم يقولون للشيخ شيأ فقال له القاضى كيف هذا يا موفق الدين قال لانى أرى الهلال فقال له كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك لعرف الحاضرون غرضى فقصدت الابهام عليهم قلت لو قال الشيخ موفق الدين لانى أنظر الشئ من مسيرة شهرين وأكثر لكان أحسن ابهاما ويقال ان هذه الزرقاء نظرت الى حمام يطير فى

الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقى يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرقنا خبرا الا انى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها نجم فى السماء فذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قيل ذلك انها عليلة فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه مل ء فروجه ويسلك طريق كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاخبر ما عندك فلذلك يقول قصيدته

يشكى الكميت الجرى اذ أجهدته
ويبين لو يستطيع أن يتكلما

وحكى انها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى ذكرته فصادفت أخاها الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول

الجوّ فقالت

ياليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه ليه
الى قطاة أهلنا * اذن لنا قطاميه

وذكر أبو حاتم أنها قالت

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه
الى حمامتيه * تم الحمام ميه

فالحمام اذا ستة وستون ونصفه ثلاثة وثلاثون فالجملة تسعة وتسعون يضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة ويقال انها وقعت فى شبكة صياد فعرف عددها وأرى من المستحيل أن يتفق هذا الاحد مع التساهل فى تجويز الرؤية وسرعتها على أن احصاء هذا العدد والحمام فى طيرانه كيف يتهيأ وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعلى وأغرب من هذا ماقاله النابغة فى قصيدته وهو

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما حسبت * ستا وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

يريد بجانبى النيق حافتى الجبل واذا كان الحمام بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضا متراكما فيكون أبعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطا فى الجو وذكرت هنا مايمتحن به الاذهان فى الحساب قالوا صفان من الحمام قال الاعلى للاسفل كم عددكم فقالوا اذا طلع منا اليكم واحد كنتم مثلينا واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف الجواب الصف الاعلى سبعة والصف الاسفل خمسة مسئلة أخرى مسلمون ونصارى ويهود عدتهم عشرون دخلوا حماما وزنوا عشرين درهما المسلم وزن نصفا والنصرانى درهمين واليهودى ثلاثة كم كان عدد كل واحد منهم الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الاخر ثلاثة أرغفة فقعدا يأكلان فربهما آخر فاكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوى فلما فرغوا دفع اليهم ثمانية دراهم كيف يقسم ذلك بينهم الذى يبدو الى بادئ الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة فى ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثى رغيف يخص كل ثلث درهم مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أراد اقسمته بينهما ولم يكن معهما الاوعاء يسع خمسة ووعاء يسع ثلاثة فكيف الحيلة فى قسمته الجواب أن يفرغ فى وعاء الثلاثة ملئه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه فى وعاء الخمسة تكملة وسعه وهو رطلان ويبقى فى وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ ما فى وعاء الخمسة فى وعاء الاصل ويقلب الرطل الذى بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف للرطل الذى فى وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال مسئلة أخرى بركة تمتلئ من نهرين

أعزبى فلست بالفاسق
أخزاك كما الله فلما
علمت بالقضية انصرفت
ورجع عمر فأخبره الحرث
فاغتم لما فاته وقال له اما
والله لاتملك النار ابدا وقد
القت نفسها عليك فقال
الحرث عليك وعليها العنة
الله * وقال عمر ما اخجلنى
الا ليلى بنت عمرو لقيتها وهى
تسير على بغلة لها وكنت
اشبب بها فقلت لها جعلت
فداك قفى واسمعى بعض
ماقلت فيك فقالت او فعلت
فقلت نعم فوقفت فأنشدتها
الا ياليل ان شفاء نفسى
نوالك لو علمت فنولينا
وقد زاف الرحيل وحان منا
فراقك فانظرى ماتأمرينا
فقالت آمرك بتقوى الله
وايثار طاعته وترك ماانت
عليه ثم انصرفت * وحكى
انه كان يوما يسايره عروة بن
الزبير فقال عمر واين زين
المواكب يعنى محمد بن عروة
وكان يسمى بذلك لجماله فقال
عروة هو امامك فركض
يطلبه فقال له عروة يا ابا
الخطاب اولسنا اكفاء
لحاد ثتك ومؤانستك فقال
بلى ولكنى مغرى بهذا الجمال
أتبعه حيث كان ثم انشد يقول
انى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر
ثم مضى حتى لحقه وجعل

عروة يصدك منه * وروى
انه شبب بزينب بنت موسى
الجمحى وكان ابن ابى عتيق
ذكرها له فاطنب فى وصفها
فصنع فيها قصيدته التى
يقول فيها

ياخليلى من ملام دعانى
والملام الغداة بالاظعان

وبلغ ذلك ابن ابى عتيق
فلامه فى ذكرها فقال

لاتلمنى عتيق حسبى الذى بى
ان عندى عتيق ماقد كفانى
لاتلمنى فأنت زينتها لى

فبدره ابن ابى عتيق
فقال

انت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر هكذا والله قلته
فقال ابن ابى عتيق اما علمت
ان شيطانك ربما الم بى فيجد
عندى من عصيانه كما يجد
عندك من طاعته * ومثل
هذا ماحكى انه انشد عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما
قصيدته الدالية فلما قال

تشط غدا دار جيراننا فبدره
ابن عباس فقال وللدار بعد
غد أبعد قال هكذا والله قلت
فقال ابن عباس انه لايكون
الا هكذا * وروى ان عبد
الملك بن مروان جمع بينه وبين
جميل و كثير عزة وقال لينشد
كل واحد منكم بيتا فى الغزل
فأيكم كان اغزل فله هذه
الناقة وما عليها وكان قد
احضر ناقة موقورة دراهم

يومين ومن نهر فى ثلاثة أيام ومن نهر فى أربعة أيام فتحت الانهار الثلاثة دفعة واحدة فى كم تمتلئ الجواب فى اثنى عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانك تأخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهى ثلاثة عشر جزأ الخارج اثنا عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الاعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها (رجع) وقول الطغرائى داخل فى الغلو باعتبار وفى الاعراق باعتبار حكى صاحب الاغانى عن الهيثم بن عدى قال دخل أشعب مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق فقيل له ماتريد قال استفتى فى مسئلة فبينما هو كذلك أذ مر برجل من ولد الزبير وهو مستند الى سارية وبين يديه رجل علوى فخرج أشعب يعدو فقال له الذى سأله عن طوافه وجدت من أفتاك فى مسئلتك قال لا ولكن علمت ماهو خير لى قال وماذاك قال وجدت المدينة كما قال الحرث بن خالد

قد بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

ورأيت رجلا من آل الزبير جالسا فى الصدر ورجلا من ولد على رضى الله عنه جالسا بين يديه فكفانى هذا عجبا فانصرفت به وحكى صاحب زهر الآداب وغيره ان مزيد المدنى دخل على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ورجل من ولد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وآخر من ولد عمر رضى الله عنه جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزيدا اتجهمه وقال يامزيد ما أكثر سؤالك أجئت تسألنى شيأ قال لا ولكن أردت ان اسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

انى ومانحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل

قد بدلت البيت فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال فقال اعزب فى غير حفظ الله وضحك جميع أهل المجلس وما أحسن ماقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة ويصف خيمة ضربت له

ولو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

وقد ضمنت هذا البيت فقلت فيمن أحب أسود والمحب حسن الوجه

أيا من تكلف حب العبيد * وذلك فى العقل لايجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

ومما ينخرط فى سلك قول الطغرائى ماقاله الارجانى

ومن العجائب ان لى * صبرا على هذى العجائب
ومن النوائب اننى * فى مثل هذا الشغل نائب

وقال التهامى

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
زمن كأم الكلب ترأم جروها * وتصد عن شبل الهزبر الضارى

وهذا المعنى الذى تخيله التهامى معنى حسن ولكنه لم تساعده الالفاظ عليه فجاء ناقصا لانه يريد أن الزمن يشتمل على الكلاب ويصد عن الاسود وهذا مليح ولكن مايفهم من البيت هكذا لمن تأمله لان الكلبة اذا أرضعت جروها واعرضت عن شبل الاسد لايستغرب منها هذا

الفعل وكان ينبغى ان يزيده بيانا بان يقول الزمان كلب فلا غرو اذا حنا على أولاد الكلاب وقسا على الاشبال وقال أيضا

يخفى الزمان فضائلى فكأننى * وكانها فى قلبه اضمار
لم اخف الا للعلو وانما * تخطى السها لعلوه الابصار

وهو ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وقال الغزى

انى لا اهضم نفسى بعد معرفتى * ان الجمانة لا تصفو مع الزبد
وربما عفت حمل السيف معتصما * بحمله لاشتراك الناس فى العدد

وقال ايضا

غيرى له المجد والايام تقسم بى * وهى الجديرة بالضيزى من القسم
اظنها أقسمت باسمى لتخفضنى * ولم يكن غير فضلى احرف القسم

وقال ايضا

قالوا نزلت فقلت الدهر اقسم بى * لا وجه للرفع فى المجرور بالقسم

وقال ابن نباتة السعدى

أبى الله ان أهوى من الناس واحدا * وكلهم عندى اقل من القل
أبيت اعزى النفس باليأس منهم * ولو شئت كانت فى خدودهم نعلى

والابيات التى طمت وعمت هى قول المعرى

ولما رايت الجهل فى الناس فاشيا * تجاهلت حتى قيل انى جاهل
فوا عجبا كم يدعى الفضل جاهل * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

وما أحسن ما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يضمن اعجاز هذه الابيات

تطاولت الاغصان تحكى قوامه * وعند التناهى يقصر المتطاول
وفضلت الجوزا على البدر وجهه * وقال السهى ياشمس لونك حائل
واعيا فصيح اللفظ نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل
ولما مشى فوق البسيطة زانها * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
واعرض عنى حين لالى ناصر * وهل ناصر فى الحب والظبى خازل
فياموت زران الحياة كريهة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

وقوله واعيا فصيح اللفظ البيت سبقه الى هذا المعنى شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

فابتدر جميل فى الاول وقال

ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى
بمنطقها فى الناطقين حبيت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابى ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى
لدى الجنة الخضراء اوفى جهنم

فقال عبد الملك خذها ياصاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله فى قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصول ولا انت مقصر

اشارت بمدراها وقالت لتربها
اهذا المغيرى الذى كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا
عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث اغبر
وليلة ذى دوران جشمنى الكرا
وقد يجشم الهول المحب المغرر
وبت رقيبا للفراق على شفا
ولى مجلس لولا اللبانة اوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح ست للعشاء وانور

ونفضت عنى النوم اقبلت
مشبه الـ
سحاب وركنى خيفة القوم
ازور
فحييت اذ فاجأتها فتوالت
وكادت بمهجور التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان
فضحتنى
وانت امرؤ ميسور امرك
اعسر
اريتك ان هنا عليك الم تخف
رقيبا وحولى من عدوك
حضر
فلما تقضى الليل الا اقله
وكادت توالى نجمه تتغور
اشارت لاختيها اعينا على
قفى
اتى زائرا والامر للامر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
اقلى عليك اللوم فالخطب
ايسر
يقوم فيه شيء دوننا متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت
اتقى
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
هنيئا لبعل العامرية نشرها
الـ
ـاذى يذوريها الذى اتذكر
اطلت لى ذكر هذه القصيدة
لما رايت فيها من اللفظ
المطبوع والانسجام الذى
لا يتهيأ لغيره من الشعراء
ومن محاسن شعره قوله

✕ *(هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل)* ✕

(اللغة) الجزاء تقول جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى ويقال جازيته فجزيته أى غلبته مثل باكيته وبكيته اى كنت ابكى منه وهو أحد الاقوال فى قول الشاعر

✕ الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا ✕

اى تباكى عليك نجوم الليل والقمر فتبكيهم ومعناه على كل حال مشكل لان الشمس اذا كانت طالعة غير كاسفة فكيف تكون باكية فكان ينبغى انها غربت و كسفت وبكت هذا الذى يليق بالرثاء والتأبين وقال اهل العلم بالادب فيه اقوال منها ان فيه تقديما وتاخيرا وان نجوم الليل والقمر منصوبان بكاسفة لا بقوله تبكى وتقديره ليست بكاسفة نجوم الليل ولا القمر تبكى عليك واذا كانت غير كاسفة لغيرها من الكواكب كانت غير مضيئة فهى سوداء مظلمة والزمان كله ليل وهذا فى غاية ما يكون من المبالغات فى المراثى وهذا أجود ما قيل فيه وأظن هذا البيت مما رثى به عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب وقبله فيما أظن

حملت أمرا عظيما فاضطلعت به * وقمت فينا بامر الله ياعمرا

ونصب عمر مشكل لانه علم مفرد فكان ينبغى أن يبنى على الضم وما أحسن قول السراج الوراق فى شخص ينعت بالعلم

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وكتب الى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ملغزا فى المأذنة فقال

يا أماما له ضباء ذكاء * يتلاشى له ضباء ذكاء
ما مسمى بالرفع يعرب والنصـ * ـب وان كان مستقر البناء
علم مفرد فان رفعوه * رفعوه قصد الاجل النداء
انثوه ومنه قد عرف التذ * كير فانظر تناقض الاشياء
وهو ظرف فاين من فيه ظرف * ليجلى عن هذه العمياء

وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة وهو نثر اتى فيه باشياء مليحة وكلفت الجواب عنه فاجبت عن ذلك ومن جملة الجواب

شهادته ماردها غير كافر * ويقضى بها من كان بالحق قاضيا
يقول معانى الطب ياعجباله * يصح وقد صمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها (رجع) الى اعراب قوله ياعمر اقالوا فيه وجوه منها أنه أراد ياعمر بن الخطاب والمنادى المضاف يكون منصوبا ثم قطع الاضافة لانتهاء الوزن ومنها أنه أراد واعمراه على الندبة وحذف الهاء كما فى قوله تعالى ياأسفا على يوسف وقيل غير ذلك (رجع) امرئ تقدم الكلام عليه فى قوله حب السلام البيت أقرانه القران جمع قرين وهو المصاحب من قبله قبل نقيض بعد فتمنى تمنيت تفعلت من المنية فسحة تقدم الكلام عليها فى قوله أعالل النفس الاجل مدة الشئ وغاية العمر وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال حكماء الاسلام ان للانسان أجلين اختراميا وهو الذى يحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحريق ولسع الحشرات والتردى من الاماكن العالية والقتل وما أشبه ذلك وطبيعيا وهو الذى يحصل بفناء الرطوبة

وعدم

وعدم الحمار الغريزى وذلك غاية الهرم ونهايته مائة وعشرون سنة لان التجربة دلت على
ان غاية سن النمو ثلاثون سنة وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون ويجب ان يكون غاية
سن النقصان ضعف الاربعين المتقدمة وذلك ثمانون سنة وانما صار زمان الفساد ضعف
زمان النمو اما من السبب المادى لان فى زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن
فتتمسك بالقوة واما من السبب الفاعلى لان الطبيعة تتأدى الى الافضل وتتحامى عن الانقص
وتمسكوا فى القول بالاجلين بهذه الآية الكريمة والآية الاخرى تكذبهم وهى قوله تعالى
ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وأما الآية المتقدمة فقال المفسرون فيها أقوال منها ان الاجل
الاوّل آجال الماضين والاجل الثانى آجال الباقين لان الاول علمت والثوانى لم تعلم ومنها أن
الاجل الاوّل الموت والثانى أجل القيامة والبعث والنشور ومنها أن الاجل الاوّل ما بين أن
يخلق الى أن يموت والثانى هو النوم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ومنها ان الاجل
الاوّل هو ما انقضى من عمر كل واحد والثانى مقدار ما بقى من عمره وانما قال تعالى فى الاجل
الثانى أنه مسمى عنده لانه اما يوم القيامة واما ما بقى من عمر الباقين وكل ذلك غيب لا يعلمه
الا الله تعالى وقوله تعالى عنده هذا كما تقول عندى فى هذه المسئلة كذا وكذا يعنى اعتقادى
وقولى والذى أراه او قضى به أن ذلك مذكور فى اللوح المحفوظ فان قيل النكرة لا يجوز
الابتداء بها خصوصا اذا كان الخبر ظرفا فانه يجب تقديمه فالجواب أنها لما تخصصت بالصفة
المعروفة ساغ الابتداء بها كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ونقلت من خط السراج
الوراق له

أرانى بطيئا اذا ما كتبت * وقد خلقت طينتى من عجل
كأنى خالفت نص الكتاب * فعندى لكل كتاب أجل

(الاعراب هذا) اسم أشارة فى موضع رفع بالابتداء والاشارة الى الحالة التى ذكرها فى الابيات
المتقدمة من تقدم من دونه عليه ومن فقره وضره وغربته وانفراده (جزاء) مرفوع على انه خبر
المبتدا (امرئ) مجرور بالاضافة (أقرانه) مرفوع على الابتداء والهاء فى موضع جر بالاضافة
(درجوا) فعل ماض والواو ضمير الفاعلين يعود على الاقران وموضعه الرفع (من قبله) من
حرف جر وهى ظرفية أو زائدة وقيل ظرف زمان ومتى قطع عن الاضافة بنى على الضم لوقوعه
موقع الغايات كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واذا أضيف تمكن من الاسمية فيعرب
والهاء فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى امرئ (فتمنى) الفاء للتعقيب تمنى فعل ماض وكتب
بالياء لانه من تمنيت وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى امرئ (فسحة) منصوب على انه مفعول به
لتمنى (الاجل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة بمعنى اللام وقوله أقرانه درجوا الخ فى موضع
جر صفة لامرئ (المعنى) هذا الذى أنا فيه من الغربة والفقر والعطلة والانفراد وتقدم الاراذل
على ولاية الاوغاد والسفل جزاء انسان درجت أقرانه واخوانه فتمنى الحياة بعدهم وبعض
هذا ينظر الى قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

قال صاحب الاغانى حدثنى محمد بن جرير الطبرى أنبانا أبو السائب حدثنا وكيع عن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تنشد بيت لبيد ذهب الذين البيت فتقول

أألحق ان دار الرباب تباعدت
اوانبت حبل الوصل قلبك
طائر
أفق قد أفاق الواجدون
وفارقوا
هووا واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجبل رجاء وصالها
وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشئ لم يكن أو كنازح
به الدار أو من غيبته المقابر
هذا البيت من أحسن ما ذكره
أرباب البديع وفيه نوع من
أنواع التقسيم وقوله أيضا
بينما يعتنى أبصرتنى
مثل قيد الميل يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى
قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
يقال انه رتب كلامه على
قدر عقول هن فالكبرى
تجاهلت عن معرفته والوسطى
أظهرت معرفته والصغرى
أظهرت معرفته ووصفه
وقوله معارضا القصيدة جميل
جرى ناصح بالود بينى وبينها
فقربنى يوم الخضاب الى قتلى
فلما توافقنا عرفت الذى بها
كما عرفت بى حذوك النعل
بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن
يرى
عدوى مكانى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر
انما
معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال عروة رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم فقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ونحن نقول والله المستعان فالقصة أعظم من ان توصف بحال اه ولله در القائل

زماننا هذا خرا * وأهله كما ترى
ومشيهم جميعهم * الى ورا الى ورا

وقلت أنا زيادة عليه

الى ورا بحيث لم * تلق لخير خبرا

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم بن حذيفة على معاوية فقال له معاوية والله ان لك لشرفا وحقا وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمتنا مؤن عظيمة وهذه مائة ألف فخذها واعذر قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ما عسى ان أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الاغفال فقبلتها على أنه قد قصر بي فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقمت أياما فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لحقوقا ومؤنا ولا نستطيع دفعها وأنت أولى من عذر ابن أخيك وهذه خمسون الفا فاقبضها اليك واعذر فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا ابن كلية فأي خير يرجى منه ثم اني أخذتها منه على أنه قصر بي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قريش البطاح فأتيته وافدا وأقمت عنده أياما ثم قال لي يا أبا الجهم مهما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن على مؤنا وغرما وحالات وأمورا يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب لسفرك هذه ألف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها فرحا ثم مثلت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله لقريش في بقائك ودافع ولا امتحنها بفقدك فوالله لا زالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيرا فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألف وقلته لنا وانما أعطيناك ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك قلت لأني خفت ان أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الخنازير وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهندار العرب

كنا اذا جئنا لمن قبلكم * أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لا غير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وقال المتوكل يوما لجلسائه اتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان رضي الله عنه فقال أحدهم نعم يا أمير المؤمنين انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دون مقام أبي بكر رضي الله عنه بمرقاة فلما ولي عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر فأنكر المسلمون ذلك عليه

فقلت لها ما لي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي

يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف السر وقوله أيضا

أيها الرائح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما
ففؤادي بالخيف أضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا
كل يوم من حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لا رحمهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد
واذا قالت لا تراب لها
ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبعثرني
عمر كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا جلنه من أجلها
وقديما كان في الناس الحسد
(وكانت انما حلتك بحلاك
ووسمتك بسماك)
ولم تعرك شهادة ولا تكلفت
لك زيادة)

وأرادوا أن ينزل دون مقام عمر بمرقاة فقال عبادة يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منة عليك من عثمان قال وكيف ذلك ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام من تقدمه مرقاة كنت أنت تخطب علينا في بئر وقال يوسف بن يعقوب اشترى بعض التجار دارا في الانصار فبا كروه بحب مكسور وقالوا هذا حب سعيد بن جبير فاقرضناه عليه مائة درهم فرد الحب وأعطاهم الدراهم وانتقل فقالوا له لم انتقلت قال أخاف أن تباكروني بقصعة عبادة ابن الصامت وحكي ان بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار فانف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل شيأ وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدلا من المنارة فاقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاى شئ رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك فقال أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضا من السراج ويقال ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان جميلا وكان أمد الناس قامة وكان رأسه الى منكب أبيه علي وكان رأس علي الى منكب عبد الله بن عباس وكان رأس عبد الله الى منكب العباس وعلى ذكر الجرب في قول لبيد نقلت من خط السراج الوراق له

زعموا البيد اقال في عصر له * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وأراه اعدى خلفه من خلفه * جربا واعيا الداء كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عداوه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال فخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصر وبي

ومن كلام القاضي الفاضل وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه هموما ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الجرب الذي عادى بيني وبيني وانتقم بيدي من جسمي واستخدمها الحرث أرضه وان لم يكن لارضه عجاج فلي عجيج وان لم يكن لي بذر فلي من الحب ثمار وان لم يكن لي سنبلة فلي أنملة وان لم يكن لي في كل سنبلة مائة حبة آكلها فلي في كل أنملة مائة حبة تأكلني وقد كنت مسالما لاعضائي الاسنا أقرعها فلم يخل زمن من مندماتي أو أصبعا أعضها فما أكثر ما تأتي به الايام من غائظاتي والآن فقد زدت على الظالم الذي يعض على يديه فانا أقرع جميع أعضائي وكلها ثنيات وأعض على جوارحي وكلها أنامل وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والجرب هم الاجسام والهم جرب القلوب والفكر للقلب حك والحك للجسم فكر وبالله ندفع مالا نطيق يا واهب العمر خلصه من الكدر ويقال ان الذي يعدي ثلاث جمات الجذام والجرب والجدري وثلاث سينات السعال والسل والسبل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شئ رواه مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان يكن من الشؤم شئ حق ففي الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان كان الشؤم في شئ وفي حديث جابر ان كان الشؤم في شئ ففي الربع والخادم والفرس قال ابن الجوزي ولقائل أن يقول كيف يجمع بين هذا وبين قوله لا عدوى والجواب ان عائشة رضي الله عنها قد غلطت من روى هذا الحديث وقالت انما كان أهل الجاهلية يقولون ذلك وهذا رد منها لخبر رواته ثقاة والصحيح ان معناه ان خيف من شئ أو يكون شئ يخاف شره ويتشاءم به فهذه الاشياء لا على سبيل القطع التي يظنها

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التي يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلى وهو الزينة (والسيما) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشئ والاقرار به
(بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك)
هذا مثل يضرب في الصدق وأصله ان رجلا ساوم رجلا في بعير فقال ما سنه فاخبره بانه بكر ففر عنه أى رأى سنه واحد الاسنان فقال صدقني سن بكر يروى سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى
(ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته اليك)
(ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك)
هذا مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها وأصله ان الهنائ وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التي في جسد البعير وهي مبادي الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله في الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمي من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأى

والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن الصمة يا بنى ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر دواب بن أسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فاخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى أن انقطع منه شئ وهى لا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بمقتل عبد الله يوم الذنائب

الجاهلية من العدوى ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى ما روى عن عائشة رضى الله عنها قال هذا ساقط لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر عن الناس ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم ان يعلموه قال وفائدة هذا اللفظ حصر الشؤم فى الثلاثة المذكورة عادة لا خلقة قلت وقال بعض الافاضل انه لا تنافى بين قوله لا عدوى ولا طيرة وبين حديث ابن عمر فى الشؤم لان الراوى روى طرف الحديث لكونه لم يسمع أوله لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بال أقوام يقولون ان يكن من الشؤم الحديث لان الاعرابى لما سمعه عليه الصلاة والسلام يقول لا عدوى ولا طيرة قال فما بال ابلنا تكون كالظباء العفر فاذا دخلها البعير الاجرب أعداها فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن أعدى الاول وقولهم أشأم من طويس هو طويس المغنى ولد يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفى أبو بكر رضى الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضى الله عنه وتزوج يوم قتل عثمان رضى الله عنه وجاءه ولد يوم قتل على رضى الله عنه ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم * ولا سيما على الملك السعيد

وما احلى قول النصير الحمامى فيما اظن

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
خربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدور

وقول شمس الدين محمد بن دانيال ملغزا فى السرموزة

وجارية هيفاء ممشوقة القد * لها وجنة أبهى احمرارا من الورد
من اليعنيات التى حر وجهها * يفوق صقالا صفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصل منذ وطئتها * فلست أراها قط منتقض العهد
ولم أر زوجا غيرها كل ساعة * على الترب ألقيها معفرة الخد
ومن عجب انى اذا ما وطئتها * تئن أنينا دونه انة الوجد
مباركة عندى فلا برحت اذن * مدورة الكعبين شؤما على ضدى

وعلى ذكر شؤم الدار قال عبد الملك بن عمر الكوفى كنت عند عبد الملك ابن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جىء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال مالك فقلت أعذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار أبى عبيد الله الثقفى فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذى كنا فيه وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله حكى لى أبو المجد قاضى السويداء قال كان بالشام شاعران ابن منير الطرابلسى وابن القيسرانى وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسرانى بأنه ما صحب أحدا الا نكب فاتفق ان أتابك عماد الدين زنكى صاحب الشام غناه مغن على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول الشاعر

ويلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ * ـواشى اليه حديثا كله زور
سلمت فأزورينى قوس حاجبه * كأننى كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنها ما زنكى وقال لمن هما فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب الى والى حلب يسيره اليه سريعا فليلة وصل ابن منير الى حلب قتل أتابك زنكى ولما رجع ابن منير الى حلب قال له ابن القيسرانى هذه بكل ما كنت تبكتنى به اه ويقال ان قصيدة ابن زيدون التى منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت أماقينا

ما حفظها أحد الا مات غريبا ويقال فى كتاب العقد لابن عبد ربه ما كمل فى بيت الاخرب ويقال فى البيت الاخضر الذى فى بلد فرعون وهى مصر القديمة بالبدرشين انه ما دخله أحد الا ودخل الحبس (رجع) الى ذكر الجرب قال ابن سناء الملك يصف جربا أصابه

لقد لقيت وصبا * وقد شقيت نصبا
من جرب صرت به * مبغضا محببا *
الماء منه قد جرى * والجمر قد تلهبا
والنار تذكى اذ أرى * بها عظامى حطبا
أنامل السلى وان * أبصرت منها رطبا
يقول من أبصرنى * ذا الافق قد تكوكبا
من الهوان عاد كفى * ملكا محببا
ألبس ثوبا ساذجا * ثم يعود مذهبا
أصبحت ذا القروح لا * شعر ولكن كربا
ياحربا ان لم أقل * من جربى ياحربا

وقال ابن سناء الملك أيضا

اللؤلؤ الرطب حب * فى راحتى نفائس
فلؤلؤ الحب رطب * ولؤلؤ البحر يابس

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بداحب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن على الغزى فى المعنى

يافم المحبوب سبحا * ن الذى زادك زينا
قد تحليت بدر * فتحببت الينا

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه

توهم اذ رأى حبا يحاكى * على شفتيه درا فى عقيق
فقلت له وحقك ليس هذا * سوى حبب على كاس الرحيق

وقال بهاء الدين بن الصولى فى الجرب

حرحى وحرحى أذابا * جسدى اذ جفانى الاحباب
تركانى كالماء والخمر لطفا * فلهذا طفا على الحباب

قتلنا بعبد الله خير لداته
دواب بن أسماء بن زيد بن
قارب

قال الاصمعى كان عبد الملك ابن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالى الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفنى يا دريد قال لا قال فلم هجوتنى قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فاحببت أن أضع شعرى موضعه فقال له عبد الله ان كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها
مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقى امرأ
جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فما ان أرى
شبيه ابن جدعان وسط
العرب

ومن شعر دريد يرثى أخاه تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائشا من
اليد

صبور على وقع النوائب
حافظ
من اليوم أعقاب الاحاديث
فى غد
أعاذلى كل امرئ وابن أمه
متاع كزاد الراكب المتزود
(وقوله)
أيا دفافة من للخيل ان طردت
وأطرها الطعن فى وعب
والجحاف
يا فارسا ما أبوا أوفى اذا
اشتغلت
كلتا اليدين كرورا غير وقاف
قوله اشتغلت كلتا اليدين
يعنى يمسك العنان بيد
ويضرب بالاخرى ثم قال
عبر الفوارس معروف
بشكته
كاف اذا لم يكن من كربة
كاف
يعنى ان الفوارس ترى منه
ما يبكى أعينهم ويستعبرها
وقوله فى يزيد بن المدان
حين ساله رد مال جاره
أمر تكمو تردوا مال جارى
وأسرى فى كبولهم الثقال
فانتم أهل عائدة وفضل
وأيد فى مواهبكم طوال
منى ما تمنعوا شيأ فليست
حبائل أخذه غير السؤال
وقوله أيضا
أبى القتل الا آل صمة انهم
أبوا غيره والقدر يجرى الى
القدر

قلت تخيله الجدرى كالحباب تخيل حسن ولكن هذا المقام مقام تشك وما يليق به ان يقول صرت كالماء والخمر لطفا نعم يليق بالحبيب المجدور أن يوصف باللطافة ولكن قد أخذت أنا هذا المعنى فنظمته بالقاهرة أول دخولى اليها وقد حصل لى ولمن أحبه جرب فقلت

ولما صفونا وامتزجنا محبة * علانا حباب الحب فى ساعة المزج
وما ضر من قد خاض بحر غرامه * وأصبح فى كفيه من لؤلؤ اللجج

ثم انى وقفت بعد ذلك على هذا المعنى الثانى لجمير الدين محمد بن تميم وهو

لا تنكر جربا قد لاح فوق يدى * من الحبيب ومهما شئتم قولوا
ماذا على اذا ما غصت بحر هوى * خرجت منه وكفى ملؤها اللولو

وقال الباخرزى

لنا جرب بين البنان نحكه * رضينا به والكاشحون غضاب
وكنا معا كالماء والخمر رقة * علانا لطول الامتزاج حباب

وقال التهامى

جسمى نحيل بالحب والحب * ذا من ربيبى وذاك من ربى
نار ان نار بالطب ان ظهرت * تخفى ونار تخفى عن الطب
كأن كفى فى اشتباكهما * جيشان حفا بالطعن والضرب
وليس غير الاظفار بينهما * من أسمر ذابل ومن عضب

وقال ابن هندو

يهيج مسرتى جرب بكفى * اذا ما عد فى الكرب العظام
تجنبنى اللئام لذاك حتى * كفيت به مصافحة اللئام

وقال الواواد الدمشقى

علة خصت وعمت * فى حبيب ومحب
دب فى كفيه ما من * حبه دب بقلبى
فهو يشكو جرب * واشتكائى جرب

(رجع) الى معنى قول الطغرائى فى التأسف على الماضين وما أحسن قول البحترى يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى

وكان البحترى حاضر الوقعة ليلة قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر وهو يشرب بالجعفرى ووزيره الفتح وجماعة من الندماء والمغنين وغيرهم وذلك ان المنتصر بن المتوكل قال لزراقة التركى ألا تشيعنى ساعة أشكو اليك ما يعرينى قال بلى وجعل يطاوله فغلق بغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع منها حبل عاتقه وأكب الفتح وزيره وقال لا والله يا أمير المؤمنين لا عشت بعدك فقتلا جميعا وأما عبادة المخنث فلما رأى قتله الخليفة والوزير قال الا أنا يا أمير المؤمنين ان لى بعدك مجالس أحضرها وكاسات أشربها وساعات لهو أقضيها فلم يلتفت اليه ونجا سالما وبويع لولده المنتصر فى تلك

الساعة

الساعة ونقل الرواة ان بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر دعا باغر التركى بعد ما ملأ عينيه بالصلاة وقال له أنت تعلم تقديمى لك ومكانك عندى واريد أن أسر اليك شيأ قال قل ما شئت قال ان ابنى قد فسد على وصح عندى انه يريد سفك دمى وأريد اذا دخل على غدا وأنت حاضر اذا وضعت قلنسوتى عن رأسى الى الارض أن تقتله قال نعم فلما دخل من الغد عليه لم ينزع القلنسوة فظن باغر أنه نسى فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة وانصرف ابنه فقال بغا يا باغر انى فكرت فى انه حدث وولد وأريد أن أستصلحه ثم أمسك عنه مديده وقال له ان أخى فسد على وهم على أن يقتلنى وينفرد بمكانى وأحب أن تبادر غدا اذا دخل على وتقتله وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة ووقف حتى خرج أخوه فقال له يا باغر هو أخى وعسى ان استصلحه وههنا أمر هو أكبر وأعظم من هذا كله فقال له باغر وما هو قال المنتصر قد صح عندى أنه عزم على الايقاع بى وأريد قتله فكيف ترى نفسك ففكر ساعة ونكس رأسه طويلا ثم قال هذا لا يجئ منه شئ قال ولم قال تقتل الابن والاب باق اذن لا يستوى لكم شئ ويقتلكم كلكم أبوه قال فما الرأى قال نبدأ بالاب ويكون الصبى أيسر قال أو تفعل هذا ويحك قال نعم وأدخل أنا الى قتله وأنت خلنى فان لم أقتله والا اقتلنى أنت وقد أراد ان يقتل مولاه فعلم بغا الصغير انه قاتله فتمكن له التدبير على المتوكل وحدث البحترى الشاعر قال كنا عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا أمر السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عندى رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتاب الى عامل البصرة يطلبه فاتفق أن اشترى بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وانتضى فاستحسنه وقال للفتح اطلب لى غدا من تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم وما كنت جالسا قال فلم يستتم المتوكل الكلام حتى دخل باغر التركى المذكور فدعا به المتوكل ودفع اليه والسيف وامره بما أراد وأمر أن يزد فى مرتبه قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذى دفعه اليه المتوكل الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف وحكى ان سيفويه قال وهو على المنبر يقص فى سلسلة ذرعها تسعون ذراعا فقال له الناس ما قال الله تعالى الا سبعون ذراعا فقال هذه أعدت لوصيف وباغر وبغا وأمثالهم وأما أنتم فالسبعون لكم وكان البحترى كثيرا ما يذكر الفتح بن خاقان والمتوكل فى شعره ويرتاح لذكرهما أبدا قال من قصيدة

تداركنى الاحسان منك ونالنى * على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنى حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عنى ولا المتوكل

وعبادة المخنث فى هذه الواقعة يخالف أباذكار الاعمى فان مسرورا الخادم حكى قال لما أمرنى الرشيد بضرب عنق جعفر دخلت عليه وأبو ذكار عنده يغنيه

فلا تبعدن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت والله فى هذا أتيتك وأخذت بيده وضربت عنقه فقال أبو ذكار ناشدتك الله الا ما ألحقتنى به فقلت ومارغبتك قال انه أغنانى عمن سواه باحسانه فما أحب ان أبقى بعده فقلت له حتى أستامر امير المؤمنين فلما اتيت الرشيد برأس جعفر اخبرته بقصة ابى ذكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فانظر ما كان يجريه عليه فأتمه عليه قال حماد ابن اسحق غنى علوية يوما

يغار علينا وأترين فيشتفى
بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضى الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذى ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو ابن الشريد وسيأتى ذكرها وهى تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودر بيرا هاوهى لا تشعر به فاعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر وارتبعوا صحبى
وقفوا فان وقوفكم حسبى
ما ان رأيت ولا سمعت به
كاليوم هانئ أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه
يضع الهناء موضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبه فقال ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

(فالمعيدى تسمع به خير من أن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة فى خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى

بحضرة ابى فلا تبعد فكل فتى سيأتى البيت فقال ابى مه هذا البيت لمعرق فى العمى الشعر لبشار بن برد والغناء لابى ذكار واول الشعر لقد عميت امرى يقال ان العمى شائع فى بنى عوف اذا أسن الرجل منهم عمى وقل من يفلت من ذلك ولذلك قال ارطاة بن سهية يهجو شبيب بن البرصاء من جملة ابيات

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت * كذاك ولكن المريب مريب

فقيل ان ارطاة لما قال هذا الهجو كان كل شيخ من بنى عوف يتمنى ان يعمى ثم ان ارطاة عمر ولم يعم فكان شبيب يعيره بذلك ثم مات شبيب وعمى ارطاة فكان يقول ليت شبيبا كان عاش ورآنى أعمى وستأتى جملة تتعلق بذكر العمى فى الكلام على قوله اعدى عدوك البيت (رجع) الى ذكر المتوكل قال ابراهيم بن احمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناى ومزهر ومدام
بين كاسين اورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا * بصنوف الاوجاع والأسقام
هابه معلنا فدب اليه * فى كسور الدجى بحد الحسام

ويحكى عن الناصر صاحب حلب انه كان اذا خلا بمجلس انسه تناول الكاس وقال

قتل مثلى يا صاح شرب المدام * ليس قتلى بلهذم او حسام

ولكن ماتم له المراد فان هولاكو لما دخل البلاد أمسكه وجعله هدفا للسهام وقيل بل جمع له نخلتين وربطه بينهما ثم أطلقهما فراحت كل نخلة بشطر منه وقيل بل أودع عدلا ورفسه المغل بالموزات الى ان مات وأخذ قول ابراهيم بن أحمد الاسدى فى رثاء المتوكل عبد الكريم التميمى فقال يرثى صاحب خراج المغرب وقد كان تناول دواء فمات

ولما رأت شور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمعا
ترقت باسباب لطاف ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك فى شر الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا

وأخذه عبد المجيد بن عبدون فقال يرثى

ثارت اليه المنايا من مكامنها * سرا على غفلة الحراس والسمر
أولى لهن وأولى لو هممن به * والمنع ذو راحة والدفع ذو حذر

وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ميتة كما مات أبو خارجة فقيل له كيف مات فقال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فأتته منيته شبعان ريان دفيان (رجع) الى التاسف على الماضين قال القاضى الفاضل من جملة رسالة ولا حولا ولا قوة الا بالله قول من قعد وراء الاحباب يودع كل يوم حبيبا ويعيش بعدهم فى الدنيا غريبا كأنه النجم طلع عليه الصباح فغابوا وبقى منتظر المغيب وصحة ما ادعاه من طلوع الصبح ما قد علاه من المشيب وقال ابن أسد الفارقى

قديما كان فى الدنيا اناس * بهم تحيا العلا والمكرمات
فلما غال فعل الخير دهر * به عاش الخنا والمكر ماتو

وقال الارجانى

منظره فقال لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومعرض

والنعمان هذا هو ابن المنذر ابن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فتمعر وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما أمتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها

ذهب الذين صحبتهم فوجدتهم * سحب المؤمل أنجم المتأمل
وبليت بعدهم بكل مذمم * لامجمل طبعا ولامتجمل

وقال ابن الخياط الدمشقي

نزلت على حكم الردى فى معاشر * ومن ذا على حكم الردى ليس ينزل
تبدلت بالماضين منهم نعلة * وأين من الماضين من أتبدل

وقال ابن الساعاتى

وتربة الجود من ناس منيت بهم * فان ذلك عندى غاية القسم
مالمت دهرى على شئ غضبت له * من الحوادث حتى جار فى القسم

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى السيد النسيب الحسيب شهاب الدين الحسين بن قاضى العسكر أحد كتاب الانشاء السلطانى من قصيدة كتب بها الى الشيخ الامام الكاتب شهاب الدين أبى الثناء محمود وقد مات خاله القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر

فلم تنقطع كتبى لنقص مودة * ولكن دهانى صرف دهرى فاذهلا
رمانى عن قوس القساوة عامدا * باسهم أوصاب فصادف مقتلا
وضيع حقى ثم أهمل جانبى * وماحق مثلى أن يضاع ويهملا
ففارقت مخدومى بالقسر لا الرضى * فهذا قضى نحباوهذا ترحلا

وأنشدنى لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة من مرثية جارية له

شكرت زمانا جار بعد أحبتى * وبالغ فى العدوى وبث الضغائن
فلو طاب طابت لى حياتى بعدهم * وكنت ألاقيهم بطلعة خائن

وما أرق قول القائل

باى وجه ألقاهم * اذا رأونى بعدهم حيا
واخجلى منهم ومن قولهم * ماضرك البعد لناشيا

ومن التأسف على الماضين وان كان فيه مجون قول القائل

ولقد قال لى صديقى لما * أن رآنى أضرب الافلاس
قم تسكع بذا القميص فهذا * الايرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى * أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايسر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بعقاديسر الايور الكبار مات النماس

وحكى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قديم فكتب تحتها من خلف مثلك مامات قلت هذا يشبه قول أبى الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لاطلب رزقا
فقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

وقال بعض أهل عصره

وحكم ألسنتها ووفائها واحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوّخوا البلاد وقادوا الجنود ولم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ويجترى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر * وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المتحرقة والروم المقشرة والترك المشوّهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم فى أشعارهم وروقق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وابلاغهم فى الصفات مالبس فى ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان أحدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى اصابته

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات فيه مافاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ماماتا

وقال شرف الدين الابوصيرى

فلا تأس يا أيها الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا أنت عشت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

ولابى الحسين الجزار قصيدة فى حماره رثاه بها أولها

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وها أنا دائر * بين البيوت كأننى عطار

ومنها لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين فى وقت المضيق ويلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

وحكى لى بعض الافاضل انه جمع فى مراثى حمار ابى الحسين الجزار مجلدة جيدة ولم أرها أنا وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يرثى بغلته

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وحدا حسن الجملة
فيا له من متجر وافر * ما نفقت فيه سوى بغلتى

(رجع) الى التأسف على الماضين ذكر الاصمعى فى كتاب الحلى قال تزوجت أعرابية غلاما من الحى فمكثت معه أياما ووقع بينهما فخرج فى نادى الحى وهو يقول ياواسعة يعيرها بذلك فقالت بديهة فى الغلام

انى تنقلت من بعد الخليل فتى * مرز أماله عقل ولاباه
ما غرنى فيه الاحسن ثقبته * ومنطق لنساء الحى تياه
فقال لما خلانى أنت واسعة * وذاك من خجل منى تغشاه
فقلت لما أعاد القول ثانية * أنت الفداء لمن قد كان يملاه

وحكى ابن عبد ربه فى الاجوبة المسكتة قال قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن صيفى لو أصبت ركوة مملوءة تبرا لبعتها ما كنت صانعا بها قال كنت أعرفها فى دور بنى النجار فان لم تكن لهم والا فهى لك ولكن أخبرنى الفريعة أكبر أم ثابت قال لا أدرى قال عطاء فلم تساب الناس وأنت لا تدرى الفريعة أكبر أم ثابت وقد تزوجها قبله أربعة كلهم يتلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت جميلة حلوة فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم وقيل ان بعضهم اشترى جارية فسئل عنها بعد أيام فقال فيها خصلتان من الجنة وهما البرد والسعة ويقال ان كردية أخت بهرام سوين كانت تحت أخيها فلما قتل عنها تزوجها ابرويز وحظيت عنده وكانت فى غاية الجمال فقال لها ما يشينك شئ غير سعة حرك فقالت له انه ثقب بابور الرجال وقيل ان رجلا كان يدل بعظم آلته فقال يوما لامرأته واقعها وأعجبه ما معه هل خرج من حلقك فقالت أو قد أدخلته الى الآن وقال ابن رشيق كنت اوصى غلاما وضيئا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه

فاوقع

اويصاب قبله لما أحفر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو ان لهم أشهرا حرما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا احاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه * وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فاتركوا ما دونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا

فاوقع به فاخبرت بذلك فقلت

يا سوء ما جاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
يا أحذق الناس بصوغ الحنا * صيغ من الخاتم خلخال

قلت هذا بعينه هو قول القائل فى السقام

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وقال بن صارة الشنترينى

من كان من نيك حتى صار من سعة * كما تحل يد من عقد تسعينا

قال بن سناء الملك

ناكوه أوخرقوه * وجاء مثل طنين
وراح وهو كيم * وجاء وهو كعين

وقال بن الرومى من أبيات

أوسع من وقت العشاء الآخره * أولج فيه كالقناة الفائره
كأن ايرى نقطة فى الدائره

قلت بن الرومى أساء الادب وأخطأ المعنى وقال بن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدى ما أخشنه
يظل ايرى ضائعا فى استه * كانه المغزل فى الروزنه

وبالغ من قال

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون فى السمك
ويدعى ضيقه وأسفله * يصلح طوقا لدارة الفلك

وقال آخر وهو أشبه بقول بن الرومى

لما انثنى وهو البسيط تبينت * لى منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت فى الشكل المدور نقطة * فجللت مركزها بخط قائم

وقلت أنا

قالت لايرى وهو فيها ضائع * كالحبل وسط البئر اذ تلقيه
قد عشت فى كس كبير قلت ما * كذبت لان الكاف للتشبيه

وقلت أيضا

من منصفى من زمن جائر * أصبحت فيه غير مرزوق
أضاعنى فضلى فى أهله * ضياع ايرى فى است معشوقى

وحكى ان أبا الحسين الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة يقول

الناس قد دخلوا كالايرأجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

وأرسلها مع بعض الخدم فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد يا خصى ادخل فقال أبو الحسين هذا دليل على السعة ولمح أبو الحسين هذا المعنى من قول عمارة اليمنى

وتخوفت نهوض عدوها
وانه انما يكون فى بيت الملك
واحد يعرفون فضله فيلقون
أمورهم اليه فأما العرب فان
ذلك كثير منهم حتى لقد
حاولوا أن يكونوا ملوكا
أجمعين مع أنفتهم من أداء
الخراج والعشر وما أشبهه
ذلك فعجب كسرى من
منطقه وكساه من كسوته
ورده الى الحيرة * ومن
ظريف أخبار النعمان انه كان
قد حمى ظهر الكوفة وشقائقها
ومن هناك يقال شقائق
النعمان فانفرد يوما عن
عسكره فاذا هو بشيخ
يخصف نعلا فقال ما أنزلك
ههنا قال طرد النعمان الزعاء
فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت
الى هذه الوهدة فنتجت
الابل وولدت الغنم والنعمان
معتم لا يعرف فقال أو
ما تخاف من النعمان قال
وما أخاف منه ولربما سرت
يدى هذه بين عانة أمه
وسرتها فلما سمع النعمان
قوله سفر عن وجهه فاذا
خرزات الملك تلمع فلما رآه
الشيخ قال أبيت اللعن لا ترى
انك ظفرت بشئ فقد علمت
العرب انه ليس بينها شيخ
أكذب منى فضحك النعمان
وحلم عنه مع تجبره وعظمته
* ومات النعمان بساباط
المدائن طرحه كسرى تحت

فيما أظن

مصاحبتى ايا كما لاعدمتما * مصاحبة الخصيين للاير فاعلما
هما يحملان الاير حتى اذا بدت * له فرصة خلاهما وتقدما

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

على الباب المعظم عبدرق * لعادات اللقا الماضى يعوز
يجوز الآن عن اذن شريف * والا فهو شئ لايجوز

وقال شمس الدين بن الحكيم بن دانيال

لمست ايرى لما أراد الزنا منى وقد لاطا بالبدور الطوالع
قال دعنى من الملام فانى * لست ماعشت للملام بسامع
كيف أرضى دين اليهود لواطا * حيث لى بالنساء دين واسع

ولمع قول الجزار من قال

ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
يقول الخصى للزب تقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

قل فى استه من هجاء ما اشتهيت وزد * فقد وجدت مكان القول ذا سعة

ونقلت من خط ناصر الدين بن النقيب له

قالوا رأينا العلق يسرف منفقا * والعلق لاشئ لديه ولا معه
فأجبتهم انفاقه من سرمة * قالوا صدقت لذا كى ينفق من سعه

وقال النور الاسعردى

قال وقد قصرت فى نيكه * سد فضا مبعرى الواسع
فقلت يا مولاى عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ومن خطه نقلت

ولقد تعاطيت اللواط فلم أجد * علقا لاقسام الصناعة يكمل
بل ضاع بينهما الصواب فواسع * يجرى على وضيق لايدخل

وحكى ان بعض البغايا حصلت مع رجل فى بيته فلما خلا بها لم ينعظ فلما أطال عليها أخذت تعنفه فلما زادت عليه فى اللوم قال لها ويلك أنت تفتحين بيتا وأنا أنشر ميتا وان بينهما لفوتا

وما أحلى قول بن الحجاج

قالت وقد قلت اعبثى لى به * يوما وقد قامت وقد ناما
لو أن اسرافيل فى راحتى * ينفخ فى ايرك ماقاما

وقوله وهو من المعانى الغريبة

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى الى شئ فما كانا
ان لم تنكنى نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أرجل الفيلة فخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدى بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما ما كان فى عين السواد مايكفى الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال
أرعن السبال)
(طويل العنق والعلاوة
مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من فى نسبه هجنة أى قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل فى العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أى يتبين لؤم نسبه فى قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذى يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه فى الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا مامن الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكان الاحمق مائل

طوت الزيارة اذرأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحـ * ـنا لاسراج ولامناره

ونقلت منه أيضا

تقول اذأخرجته سعلتها * وهوذليل القفا مطرود
ياعامل السعل اف من عمل * مخـرج كلـه ومردود

ونقلت منه له أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان فى سنه طاعنا * فقد عدم الطعن فى غيره

ونقلت منه له أيضا

ياقوم عالجت ايرى * بالحشو لما تكعكع
ولم يصح ودادى * من عادة مذ توعكع

ونقلت منه له أيضا

رب بكر أصبتها أول العمـ * ـر وقد حى من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجمـ * ـت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترسا وكان رمحا فلما * صرت بئرا ياستنا صار حبلا

ونقلت منه له أيضا

قالت وقد هاجرتها * فى الصوم أف عليك بعلا
كانت عليك وظيفة * صيرتها فى اليوم نفلا
فاجبتها ذاك المذا * ـل صار منكوسا مدلى

ونقلت منه له أيضا

قام فلما دنوت منها * نام ومامثـ * ـل تلك خجله
وكل كفى لفرط جذبى * له ومالجبان حمشـ * ـله
وأصبعى لاتزال جنبا * له ولا همة لسفله
فزرجنت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا الفرط حبى * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لوقام ما احتجت للادله

نقلت منه له أيضا

أصبحت أعجن اذ أقوم وشرما * وقعت عليه العين شيخ عاجن
واذا أردت أدق شيئا لم أجـ * ـد عندى يدا والبيت فيه الهاون

نقلت منه له أيضا

لابارك الله فى ايرى وبارك لى * فيه فدحى وذمى فيه سيان
له قيام معى فى واحد أبدا * وينثنى حين ما أدعوه للثانى

عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبى صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أى احفظنا

(والسبال) جمع سبلة وهى شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس مادام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال فى الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

(جافى الطبع سيئ الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة) (ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)

(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أى تصوره بصورة ما

يصير طاقين فى كفى وحسرته * وحسرتى فى السراويلات طاقان
والشئ فى نظرى شيئان أنظره * كذاك ايرى تثنى فهو ايران

وقال شهاب الدين أبو جلنك

وعلق من بنى الاتراك المى * له عينان وكلتا بهتكى
ظفرت به على غير الليالى * فلم يدخل وأكثر فى التشكى
يقول عميرة ادفعنى عليه * ولا تجزع وهان عليه صكى
فلم أدفع عليه فظلى ايرى * يقبل باب مفساه ويبكى

وقال آخر

ورب علق قال لى مرة * يريد توبيخى على ظنه
ايرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

وعكس ذلك فى لغز فيه

وصاحب مازلت دهرى له * كل مليح أتمناه
يعجبنى الشئ فاختاره * له بجهدى علم الله
ان مات لا يمكننى دفنه * وان يعيش يوما دفناه

وقال آخر

ولى ايرسوء كثير الخنا * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام * فلا رحم الله من يرحمه

وقلت أنا مضمنا

لى ايرينام لؤما وشؤما * ان أنا نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت فى البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وقلت مضمنا أيضا

عهدى بايرى وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا وما حركته
والآن كالطفل الصغير بمهده * يزاد دنوما كلما نبهته

وأنشدنى من لفظه المولى شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى قال أنشدنى من لفظه لنفسه المولى القاضى زين الدين عمر بن الوردى

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولى الوزاره

وقال أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

وقال ابن حجاج

أسفى عليه ممددا فوق الخصى * شبه العليل فديته من نائم
طمع الغوانى فى انتظار قيامه * طمع الروافض فى انتظار القائم

وقوله فى المجون

(وسيئ الجابة) يعنى يسمع الشئ على غير حقيقته ويجيب كذلك اما من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فاساء جابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبى جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابنى فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمى فى البيت فقال أبوه أساء سمعا فاساء اجابة ولسهيل هذا حكاية فى الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى ان حضر اليرموك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقنى فاتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما تناولها رأى عكرمة فى حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التى يكون عليها الشئ محسوسة كانت أو معقولة وهى فى المحسوسة أكثر (والسخف)

لما رأته قائما صفقت * كذلك الناس مع القائم

وهو فى غاية الحكمة

(وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

(اللغة) علا يعلو علوا فى المكان وهو المراد هنا وعلى فى الشرف بالكسر علاء ويقال أيضا على يعلى قال الشاعر * لما علا كعبك لى علمت * فجمع بين اللغتين وعلوت الرجل غلبته ودون نقيض فوق والدون الحقير الخسيس قال الشاعر

اذا ما علا المرء رام العلى * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا والعجب ما يتعجب الانسان منه وهو استغراب النفس الشئ الذى لم تألف وقوعه ولا علمت سببه والعجيب والعجاب بالضم والتخفيف والعجاب بالتشديد أكثر منه وقولهم عجيب عاجب كقولهم ليل لائل توكيد اسوة بالضم واسوة بالكسر لغتان وهو ما يتأسى به الحزين ومنه قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة انحطاط مصدر انحط السعر وغيره اذا نقص ونزل عن الغاية التى كان فيها أول وقوله تعالى وقولوا احطة معناه حط عنا أوزارنا الشمس هى الكوكب النهارى وقد نطقت لها العرب باسماء منها ذكاء غير منصرف ولا يدخله أداة التعريف والجارية والجونة والغزالة وما أحسن قول القائل

غدوت مفكرا فى سر أفق * أرانا العلم من بعد الجهالة

فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرته بالغزالة

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قراءة منى عليه فى وصف العقاب حيث قال

ترى الوحش والطير فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

وقد غلط الحريرى فى قوله فلما ذر قرن الغزاله طمر طمور الغزاله وقالوا لم تقل العرب الغزالة الا للشمس فاذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية (رجع) والاهة وهى مثل ذكاء لا يدخلها الالف واللام فى فصيح الكلام وربما أدخلوها قال الشاعر

* وأعجلنا الالاهة ان تؤوبا * كأنهم لما عظموها وعبدت سموها الاهة والله أعلم

والضحى والضح ويوح بالياء آخر الحروف وبعضهم يقول بوح بالباء الموحدة وليس بشئ وانما البوح من أسماء الذكر وسماها الله تعالى فى القرآن سراجا وزحل نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة ونوره يثقب ما دونه من الافلاك ويظهر لنا فى السماء الدنيا وبه فسر قوله تعالى النجم الثاقب لانه فى السماء الدنيا وهو قول الفراء قلت لو قال قائل لاى شئ ذهب صاحب هذا الرأى الى انه زحل ولو قال بأنه الشعرى العبور أو الغميصاء أو احد النسرين أو أحد السماكين مما له شهرة وهو فى فلك البروج وهذا الفلك أعلى من الفلك السابع لكان أبلغ فى نفوذ الضوء الى سماء الدنيا فالجواب انه لما قال النجم الثاقب وأفرده وتلك شعرتان وسماكان ونسران فكونه مفردا حسن القول به وقد ذهب جماعة الى أنه الثريا وهو عندى أرجح من ذلك لان العرب اذا أطلقت النجم فانما يريدون به الثريا دون سائر

رقة العقل وقد تخف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفى ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدى عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت

يعرض بوسواس كان فى الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا ثلم

(كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة)

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ادارة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة أن يعدل من حرف الى حرف واللغنة أن يشرب الحرف صوت الخنشوم والخنة أشد منها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيها

الكواكب قال ابن دريد فى وصف الفرس

كأنما الجوزاء فى ارساغه * والنجم فى غرته اذ ابدا

لان الثريا تشبه الغرة السائلة وقال بعض المفسرين انه أراد جماعة النجوم لانها كلها طارقة بالليل كما قال تعالى ان الانسان لفى خسر والمراد جميع الاناسى (رجع) واشتقاق زحل من التزحل وهو التنحى والتباعد لما كان فوق الكواكب الستة المتحيرة وقيل من زحل فلان اذا أبطأ فكأنه لما كان فلكه بطىء السير على ما يظهر فيما بعد سمى زحل وقيل الزحل والزحيل الحقد وذلك فى طبعه على ما يزعمه المنجمون من نسبته الى أنه نحس أكبر كما قالوا فى تسمية المشترى انه سمى بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل فى المريخ لما كان فى لونه حمرة اشتقوا له ذلك من المرخ وهو الشجر الذى تحك غصونه فتورى النار وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمى به لا يستوى فى ذهابه والمريخ فيه التواء فى سيره لان له فلكا تدويرا وقيل فى الشمس لما كانت واسطة الافلاك والواسطة فى المخنقة تسمى شمسة وفى هذا نظر وقيل فى الزهرة انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وقيل فى عطارد انه النافذ فى الامور وقيل انه لا يستمر على حال فكأنه أعطى ورد وقيل فى القمر انه مأخوذ من القمرة وهى البياض ومن أسماء زحل كيون كما أن من أسماء المشترى اليرجيس وتير ومن أسماء المريخ بهرام وما أحسن قول ابن النبيه

بدر وكاس الراح شمس الضحى * ياقوم ما أسعد هذا القران
توقدت جمرة لألائها * كأنها بهرام أو بهرمان

ومن أسماء الشمس مهر ومن أسماء الزهرة أناهيد وبيداخت ومن أسماء عطارد هرمس ومن أسماء القمر الزبرقان والزمهرير وبه فسر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والفاسق والوباص والمتسق والباهر والسنمار والطوس والحكم وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل والمريخ الاحمر وعطارد الكاتب وقد جمع بعض الشعراء أسماء الكواكب الاعجمية فقال

لا زلت ترقى وتبقى فى العلى أبدا * مادام للسبعة الافلاك أحكام
مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

وسيأتى الكلام على منع زحل من الصرف فى الاعراب (الاعراب وان) حرف شرط وتقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه البيت (علانى) علا فعل ماض تقول علا يعلو علوا والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهذا الفعل هو الشرط (من) اسم ناقص بمعنى الذى وهو مبنى لاحتياجه الى صلة وعائد فأشبه الحرف من حيث الاستعمال وهو لمن يعقل تحقيقا أو تشبيها كقوله * لعلى الى من قد هويت أطير * أو تغليبا كقوله تعالى ومنهم من يمشى على بطنه ٣ و(دونى) اسم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو دونى وحذف صدر الصلة اذا لم تطل ضعيف ومنه قراءة بعضهم تماما على الذى أحسن برفع النون أى هو أحسن وقول الشاعر

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه * ولم يحل عن سبيل المجد والكرم

وانما جوزوا حذف صدر الصلة اذا طالت كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وقولهم ما أنا بالذى قائل لك سوأ لان الصلة هنا طالت فجاز حذف صدرها وأما الصلة فى

بالعجمى (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه
يقطر بالقنا تسمع الاغمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومى قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعينى وأنفعش وتدخلين الذمى فى اللذمعش يعنى وأنفعك واللذمعك وكسكسة بكر انهم

قوله ودونى اسم مرفوع الخ الظاهر ان دونى ظرف متعلق بمحذوف هو صلة من اه

قوله من دونى فانها لم تطل والمبتدا المقدر حذفه والخبر هنا صلة من لانها ناقصة تحتاج الى صلة وعائد وقد تقدم الكلام على الموصول فى قوله وضح من لغب نضوى البيت (فلا) الفاء جواب الشرط الذى تقدم ذكره ولا النافية للجنس تقدم الكلام عليها فى قوله فلا صديق اليه البيت (عجب) اسم لا وقد تقدم الكلام على مثل هذا عند ذكر لا (الى) جار ومجرور فى موضع رفع لانه خبر مقدم (اسوة) مبتدا مؤخر (٢) وانما تأخر لانه نكرة وقد تقدم الكلام على الاسباب الموجبة لتأخر المبتدا (بانحطاط) الباء للتعدية وانحطاط مجرور بالباء (الشمس) الالف واللام لتعريف الحقيقة وقد تقدم الكلام على ذلك فى قوله ويحرون كرام الخيل والاضافة هنا معنوية بمعنى اللام فالشمس مجرورة بالاضافة (عن) تقدم الكلام عليها فى أول القصيدة وهى هنا للمجاوزة و (زحل) اسم ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديرى أما العلمية فلانه علم على الكوكب السابع وأما العدل فلانه معدول عن زاحل مثل عمر معدول عن عامر وقثم معدول عن قاثم هذا ان قلنا انه عربى مشتق من التزحل وهو التنحى والبعد وان قلنا انه أعجمى فيكون فيه العلمية والعجمة فهو على كل حال ممنوع من الصرف وذكرت بالعدل والمعرفة هنا ما حكاه أبو الفتح بن جنى فى بعض مجاميعه ان الشريف الرضى أحضر الى السيرافى النحوى وهو وطفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو وذكره يوما فى الحلقة على عادة التعليم فقال له اذا قلت رأيت عمر فما علامة النصب فى عمر فقال الرضى بغض على فعجب الشيخ والحاضرون من حدة خاطره قلت ومن هنا أخذ الخطيرى الوارق قوله يهجو

يا فتح يا أشهر كل الورى * باللؤم والخسة والكذب
كم تدعى شيعة آل الغنى * اسمك ينبيني عن النصب

وهذا فيه تسامح لكنه يغتفر لحلاوة النظم اذ التحقيق ان الفتح من ألقاب البناء والنصب من ألقاب الاعراب وحركة الاعراب غير حركة البناء لان حركة البناء لا تتغير ولا تتأثر بالعوامل وحركة الاعراب معرضة للتغيير والتأثر بالعوامل وقد مر مما يتعلق بباب ما لا ينصرف من الملح عند قوله وقد حماه رماة من بنى ثعل سافيه مقنع فليؤخذ من هناك (المعنى) أخذ يسلى نفسه ويتأسى بما ضربه من المثل فى انحاط الشمس عن زحل فقال وان علانى هؤلاء الذين ذمت دولتهم وأيامهم وهم دونى فى كل شئ فان لى اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل وهو مثل حسن وفيه من البديع ارسال المثل والايضاح وقد تقدم الكلام على ذلك وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن وفاق على المقاول اللسن لانه واسطة هذا العقد الفريد وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل وفاق آفاق البلاغة لان تلك ان كان فيها نجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار فى الاقطار مثله السائر وأضاءت به الشموس فى أيام الطروس واسفرت به البدور فى ليالى السطور وسعى قائله فأدرك المجد المؤثل وتمثل به من ظلمه الدهر وما أكثر من يتمثل والقصيدة ذات بدائع لمن يعددها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن تتبرج للمتأمل خردها وزواهر يشرق فى سماء البلاغة توقدها وهذا البيت

شمس ضحاها هلال ليلتها * درتقاصيرها از برجدها

ولما تمثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التى ذكرها وشرحها من ارتفاع

(١) قوله الفاء جواب الشرط الصواب ان جواب الشرط هو ما بعد الفاء وقوله لا النفى الجنس الظاهر انها ملغاة أو عاملة عمل ليس ولم تتكرر للضرورة كقوله حياتك لا نفع وموتك فاجع اه

(٢) قوله وانما تأخر لانه نكرة الظاهر ان المسوغ هنا عمل اسوة فيما بعدها فهو كقوله ورغبة فى الخير خير اه

يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عى فى المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهى خصلة مذمومة فى الانسان دالة على قلة العقل

(ومثيك هروله وغناك مسئله
ودينك زندقه وعلمك مخرقه)

(الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشى والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعنى انه سائل نهم سريع المشى للطلب والكدية * والزندقة فى فى الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسى لما ظهر

بلاد المشرق ودعا الى عبادة
النيران لما رأى فى تلك
الاماكن من البرد والثلج
ورغبة أهلها فى النار اتبعوه
وكان صاحب حيل وسحر
ويقال انه كان صحب شعيبا
عليه السلام وكان يخبره
بوقائع تقع ثم كفر ووضع
كتابا زعم أنه أنزل عليه
مكتوبا بماء الذهب فصعبت
عليهم قراءته فوضع له شرحا
سماه الزند ثم لما ظهر مزدك زاد فى
شرحه فى اسم الكتاب فقال
زندين فلما جاءت العرب
قالت زنديق ويسمى من
مال الى هذا المذهب أو ما
قاربه من الخروج عن
الشريعة زنديقا وأكثرهم
فى الاسلام نوع من الجهمية
أصل اعتقادهم انه ليس
ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه
ربا لانه لا يمكنه الاثبات الا
بالعين أو الادراك بالحواس
وقالوا ما لا يدرك ليس بالله
لانه مجهول وما لا يدرك فلا
ينبغى أن يثبت وسلكوا على
هذه الطريقة واباحوا اتيان
المحرمات وترك العبادات
لانكارهم البعث وجحودهم
الشريعة وسبيلهم مذهب
مزدك فى اباحة النساء وان
الناس كلهم سواء فيهن
ولذلك قيل للمنهمك فى لذاته
واللعب والبطالة يا زنديق
أو قيل له أظرف من زنديق

السفل وانحطاط الكرام لان الشمس فى الفلك الرابع وزحل فى السابع وانما حكموا بأن
زحل فى السابع والشمس فى الرابع لان ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم
وجدوا زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل
اثنتى عشرة سنة بالتقريب دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الا شهرا واحدا
بالتقريب دورة واحدة والشمس يدور فلكها فى كل سنة واحدة مرة واحدة والزهرة مثل
الشمس ولكن مرة تسرع السير فتكون أمامها ومرة ترجع فتكون وراءها وذكر بعضهم ان
الناس كانوا فى شك من فلك الزهرة هل هو فوق فلك الشمس أو تحته حتى أتى الرئيس
أبو على بن سينا ورصدها حتى كسفت الشمس وغدت كالخال على الوجنة فعلم ان الزهرة تحت
الشمس وعطارد زعموا ان سيره ودوره مثل الزهرة وبعضهم يقول انه يقطع فلكه فى كل مائة
وستة وعشرين يوما مرة واحدة فى فلك تدويره وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدد
دورانها فى فلك البروج والقمر يقطع فلكه فى السنة اثنتى عشرة مرة فعلم ان الاقل حركة
فلكه أوسع وهو هو ولما حركته أسرع وهذا رأى الطبيعيين الذين يعتمدون على برهان لم واما
الرياضيون الذين يعتمدون على برهان ان وهو الاوفق والاليق بصناعتهم فبرهنوا على ذلك
بكسوف الكواكب بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة لانهم لما وجدوا القمر
يكسف جميع الكواكب ولا يكسفه الا ظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك الينا
ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها والزهرة تكسف المريخ ففلكها
دونه وكذلك المريخ يكسف المشترى ففلكه دونه والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف
ما يسامته من الثوابت فحصل بهذا الاعتبار حكم جازم بهذا الترتيب وبقى الشك فى الشمس
بالنسبة الى الكواكب الخمسة والثوابت دون القمر لانه تبين انه تحتها واما الخمسة الاخر فان
ما قرب منها يختفى من نورها فلا يظهر بينهما كسوف ووضع بطليموس فلكها رابعا تحت المريخ
وفوق الزهرة تقليدا للقدماء ولما رأى من لوازم يشترك فيها زحل والمشترى والمريخ فقط
جعلها فوق وسماها علوية ولوازم تشترك فيها الزهرة وعطارد جعلها تحتها وسماها سفلية
واما المتأخرون فانهم لم يقفوا فى امر الشمس عند هذا الاقناع بل اعتبروا لوازم القرب والبعد
من اختلاف المنظر فظهر لهم انها فوق القمر خاصة كما بينه جابر بن افلح فى كتابه فى الهيئة وغيره
من المتأخرين ورام النصير الطوسى الانتصار لبطليموس فذكر اشياء من جهة لوازم الاجرام
والابعاد تعضد رأى بطليموس لكنها عند التحقيق لا تثبت على محك النظر والله أعلم والرصد
والتسيير يشهدان بهذا كله فهو أمر مبرهن يشهد به الحس ويحكم به العقل وهذه صورة
الافلاك والعناصر

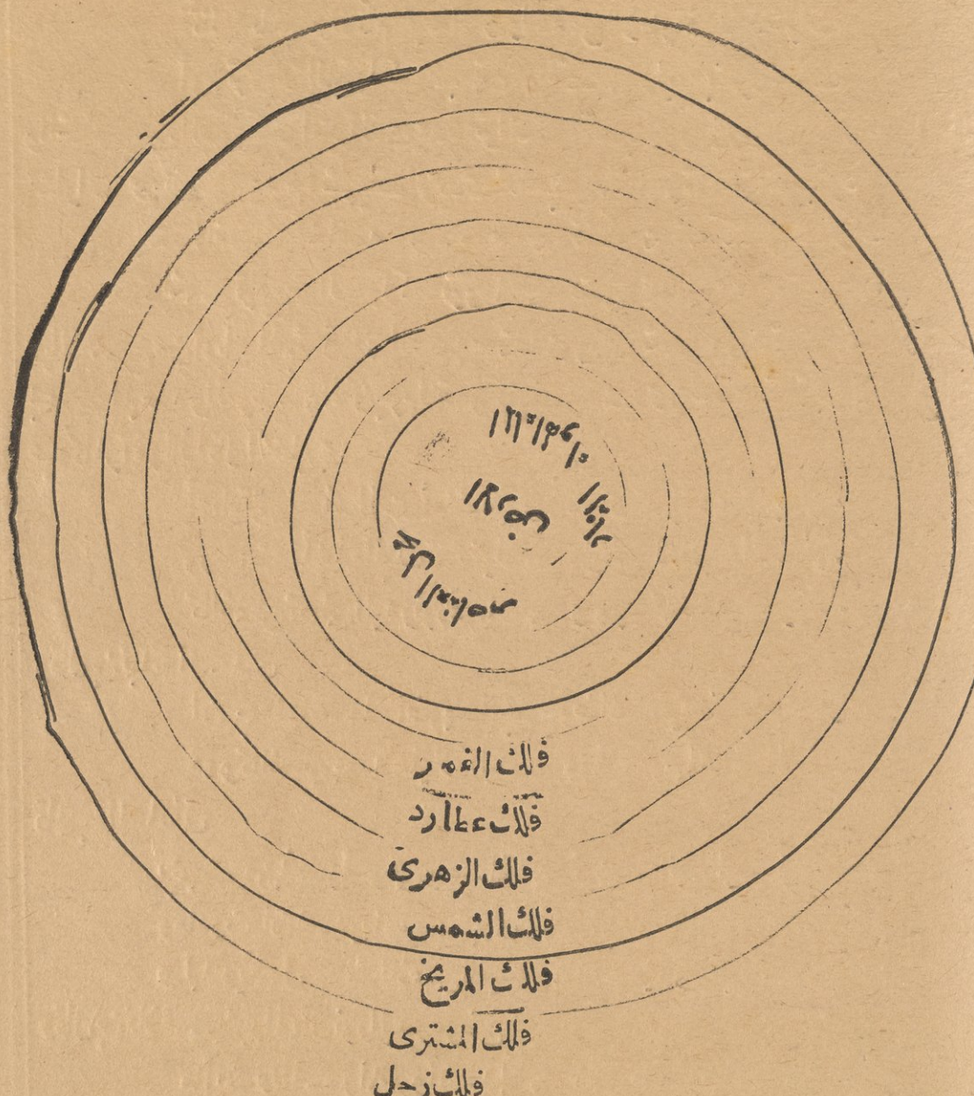

وفلك البروج محيط بفلك زحل والفلك الاطلس محيط بفلك البروج والاطلس يدور بما فيه فى اليوم والليلة من المشرق الى المغرب مرة واحدة دورة كاملة فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الارجانى مشيرا الى علو زحل وانحطاط الشمس عنه

ودع التناهى فى طلابك للعلى * واقنع فلم ار مثل عز القانع
فبسابع الافلاك لم يحلل سوى * زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

وهذا المعنى أخذه من الطغرائى لان الارجانى توفى سنة أربع واربعين وخمسمائة والطغرائى سنة خمس عشرة وخمسمائة ولكن بيت الطغرائى أبدع وأعذب وأطرب وأهز للاعطاف واخلب للقلوب وان كان بيت الارجانى فيه زيادة ان الشمس فى الرابع وزحل فى السابع ففيه زيادة بيان

وسئل بعضهم عن الاضحى فقال وباء يقع فى البقورة والاغنام وقتل منهم المهدى خلقا كثيرا وذلك أنه رأى فى المنام كأن الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذى رآه فى المنام فأتى بزنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره بتتبع الزنادقة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى أنه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول فى أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع فى ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لاكثرهم خرقة مصورا فيها صورة مانى وهى صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم ثنوية (والمخرقة) نوع من التوصل الى حيل باظهار الخرق الذى هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال المخراق وهو شئ يلعب به كانه يخرج لاظهار الشئ بخلافه

فى الصورة الواقعة وبعد التفاوت بينهما فى المحل وبيت الطغرائى انما يفهم منه على وجه لا غير فقد يظن أنه فى الخامس وقال بن الساعاتى يشير الى أن الشمس فى الرابع ويريد به الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه

أتظن ياخير الانام نقيصة * والنقص للاطراف لا الاشراف
أوما ترى ان الكواكب سبعة * والشمس رابعة بغير خلاف

والشمس هى الكوكب النير الذى يمد سائر الكواكب بالنور على بعض الآراء والى ذلك أشار التهامى فى قوله يمدح الشريف الزيدى لما حبس بالقاهرة فى خزانة البنود

بث الفضائل خلفه وامامه * ففناء مهجته كمثل خلودها
كالشمس تودع فى الكواكب نورها * فتنوب للسارين عن مقصودها

وبالاجماع من أرباب الهيئة ان القمر يستمد النور من الشمس وزيادة النور فيه ونقصانه بحسب البعد والقرب منها الان جرم القمر كثيف حديدى مستخصف قابل لانطباع النور فيه كالمرآة ولهذا قال الخطيرى

أعطيتنى نصف الذى أملته * من كاغد ووعدتنى بسواه
ورجعت تأخذه اليك تقاضيا * منى وذاك الوعد لست أراه
كالشمس تعطى البدر نور تمامه * وتعود تأخذ منه ما يعطاه

وقال بن نباتة السعدى

ان جمعناهما اضر بنا الجمع وضاعت فيه ضياع المحال
فهو كالشمس بعدها يملأ البد * ر وفى قربها محاق الهلال

قال بن الساعاتى

تعجبت من نحولى وهى واصلة * توهما أننى بالوصل انتفع
ومادرت ان خديها ومصطبرى * كجذوة النار منها قرب الشمع
والبدر يكمل حيث الشمس نائية * عنه ويمحق اذ بالشمس يجتمع

وقال بن قلاقس يشير الى أن نور البدر عرضى

ما أنت والقمر المنير وان غدا * ملء العيون وراقهن سواء
للبدر بالعرض الضياء وأنت قد * جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

والشمس تمد القمر بالنور وهو يكسفها ولهذا قال الشعراء فى هذا المعنى فمنهم أبو الفتح البستى

لئن كسفونا بالاغلة * وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس ضوء القمر

وقال بن رشيق يعرض بكاتب رد أمر محمد بن هرون

أرى بعض من أنت صيرته * من الناس يعرولك تعييره
تنافس أفعالك أفعاله * وينقص جاهك تأثيره
كما كسف الشمس بدر الدجى * وان كان من نورها نوره

وقال أبو اسحق الغزى

كفاك الله أصغر من تناوى * فان الشمس تكسف بالهلال

وقال أيضا

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * مالهذا المحنى الظهر ومالى
أناشمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرن الهلال

وقال بن التلميذ

أشكو الى الله صاحبا شكسا * تسعفه النفس وهو يعسقها
فنحن كالشمس والهلال معا * تكسبه النور وهو يكسفها

والسبب فى ذلك توسط القمر بينها وبين أبصارنا لان جرم القمر كما تقدم كدر مظلم فيحجب ماوراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها فى درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتى الرأس أو الذنب أو قريبا منهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث أكثر من ساعتين مستويتين لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه فاذا كان الكاسف ليس عارضا فى نفس الشمس بل هو سبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز أن يختلف وضع المتوسط وهذا هو سبب اختلافه فى الزمان والقدر فى بعض البلاد وانجلائها من طرفها الغربى اذا القمر متصل بها من ناحية المغرب وهذا الشكل يوضح لك ماذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس

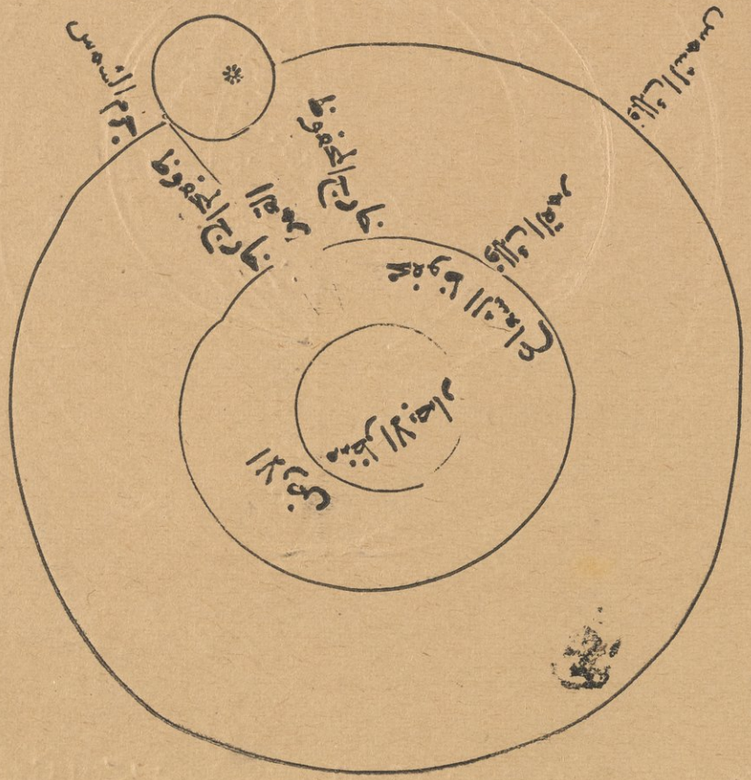

(مساولو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق)

هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكى
لداء ظل منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا
عليه من السماجة والحلاق
كحلت بقبح صورته فأضحى
لها انسان عينى فى السياق
مساولو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهن النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

(حتى ان باقلا موصوف
بالبلاغة اذا قرن بك)

يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال ادعى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال جميل الارقط يهجو ضيفا له

أتانا وماداناه سحيان وائل

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس فاذا كان القمر على مسامتة احد نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منهما توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع فى ظل الارض ويبقى على ظلامه الاصلى فيرى منخسفا وظل الارض أبدا يكون فى الجهة التى تقابل جرم الشمس وخسوفه لايختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض فى جرمه وهو وقوعه فى ظل الارض ولكن تختلف أوقات الخسوف باختلافها بان يكون فى بعض البلاد على مضى ساعة وفى بعضها على مضى نصف ساعة أو أقل أو أكثر وقد يطلع فى بعضها منخسفا ولا يرى فى بعضها لكونه تحت الارض اذ طلوعه فى البلاد الشرقية قبل طلوعه فى البلاد الغربية وبدو خسوف القمر من طرفه الشرقى اذ هو الذاهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب وانجلاؤه يكون أيضا من الطرف الشرقى وأطول ما يكون زمانه بالتقريب أربع ساعات ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتامله

الشمس

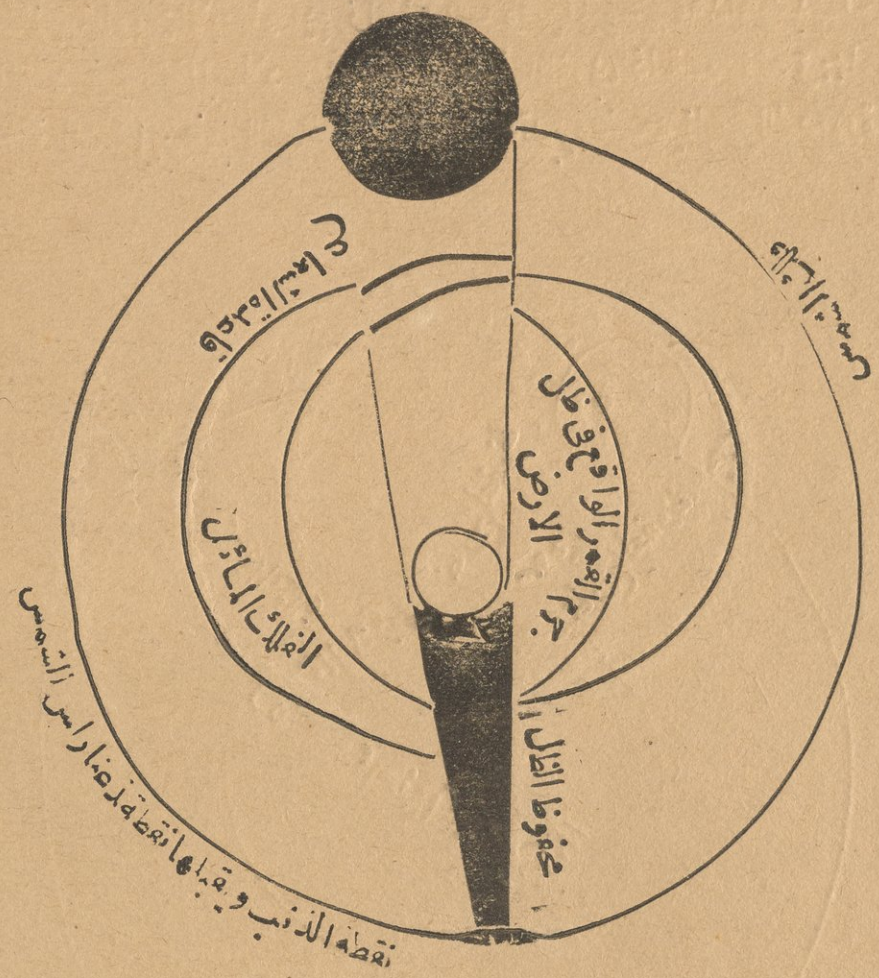

فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر وبالذى قبله خسوف الشمس و بعضهم يخص لفظة الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر وقال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة فى قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر قالوا خسوف القمر لايحصل حال اجتماع

الشمس

بيانا وعلما بالذى هو قائل
فازال عنه اللقم حتى كأنه
من العى لما ان تكلم باقل

سحبان رجل من بنى وائل يضرب به المثل فى البلاغة واللقم بالفتح ثم السكون سد الفم باللقم وقال أبو العلاء المعرى فى لاميته

اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السها للشمس أنت خفية
وقال الدجى للصبح لونك حائل

وحاولت الارض السماء سفاهة
وقاخرت الشهب الحصا والجنادل

فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك هازل

الطائى هو حاتم المشهور بالكرم ومادر اسم رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل فى البخل لانه سقى ابله من حوض فبقى فى أسفله قليل ماء فسلح فيه ومدره أى لطخه فى جوانب الحوض بخلا أن يسقى غيره فصار مثلا يضرب قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر
بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقس بن ساعدة الايادى أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب وخطبائهم يضرب به المثل فى الفصاحة والفهاهة العى يقال رجل فه

الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سواء كانت الارض متوسطة بينه و بين الشمس أولم تكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال اه قلت وقال بعضهم هو كناية عن ذهاب الروح الى عالم الآخرة كأن الآخرة كالشمس فانها تظهر فيها المغيبات وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر فكما ان القمر يقبل النور من الشمس كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في هذه الآية الكريمة والله أعلم وقال الفراء وانما قال وجمع الشمس ولم يقل وجمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء وقال الكسائي المعنى جمع النوران وقال القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلاجرم غلب جانب التذكير في اللفظ (رجع القول الى فضيلة الشمس) والشمس هي التي يكون بواسطتها تكون المعادن ونمو الحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شئ و يسره فقد جعلها الله علة التركيبات الطبيعية واعتد الها سبب النشئ الحيواني والنباتي اذ لا بقاء لهذا النشئ الا في هذه المواضع التي لا تبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منه جدا لانها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح وتكاثفت الظلم فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات وان قربت الى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات فهي اذا اعتدلت في البعد والقرب أو قاربت أمكن نشئ النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق وقال ارسطو لو توارت الشمس عن الارض لمات حيها وأنتن طينها وجمد ماؤها لانها في الارض كالدم في الجسد واعلم ان الشمس وسائر الافلاك والكواكب لا يقال في شئ منها انه حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات بل هي طبائع خارجة عن هذه الطبائع الاربع وكل واحد منها نوع منحصر في شخصه وربما قيل فيها طبيعة خامسة تجوزا والا فهي متغايرة الطبائع في جواهرها وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد التسخين العام بالاضاءة والاشراق واشتداده انما هو بانعكاس الشعاع على زوايا حادة جدا ونكصة على أعقابها فتتراكم الاشعة فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل الاحراق عن المرآة المحرقة بواسطة انعكاس الشعاع والله أعلم بالصواب وذكر أرباب الهيئة ان مساحة جرمها على ما تبرهن في المجسطى كما ذهب اليه أبو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ما صححه كوشيار مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا ومساحة كرة الشمس مما يلي كرة المريخ أربعة وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وتسعون ألفا ومائتان وتسعة عشر ميلا وأما دور قرص الشمس فزعموا انه مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلا وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل لان بطليموس بين اولا ان جرم الشمس أعظم من كرة الارض ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزءين من أحد عشر جزأ من قطر الشمس و بين اقليدس ان نسبة الكرة الى الكرة كنسبة القطر الى القطر مثلثة بالتكرير فاذا جعلنا قطر الارض الذي هو أصغر المقدارين واحدا وضربناه في نفسه كان الحاصل عنه واحدا ثم ضربناه مرة أخرى في نفسه لم يحصل غير

وامرأة فهة قال بعضهم
ولم تلفني فهاء ولم تلف حجتي
ملجاجة أبغي لها من يقيمها
والسها كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفي المثل أريها السها وتريني القمر وقد ضمن هذا المثل الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت حيث قال
مرضت فعادت وأبدت سنى
محيا يروق لعيني النظر
وبت ولي جسد ناحل
أريها السها وتريني القمر
وضمنت أنا عجز بيت المعرى فقلت
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره
وعير قسا بالفهاهة باقل
(والبلاغة) بلوغ الدرجة العالية في النطق والمعنى في قوله أن باقلا بالنسبة اليك يكون بليغا
(وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك)
يعني يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا لنفسه في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع قيل ان أخاه راقبه الى أن نام فاخذ العقد من عنقه وجعله في عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه

واحد وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض وهو جرمها ثم نضرب قطر الشمس الذى هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل فى نفسه فيبلغ ذلك ثلاثين جزأ وربع جزء فاذا ضربناه فى الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين جزأ وربعا وثمنا وهو تكعيب قطر الشمس أعنى جرمها وقد بين الخواجة نصير الدين الطوسى فى كتابه التذكرة فى الهيئة فى الباب الرابع منه معرفة الاجرام والابعاد أن بعد الشمس عن مركز الارض فى بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة أمثال نصف قطر الارض ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر ميلا فيكون البعد عن الشمس الى الارض بالاميال أربعة آلاف مرة واحدة ومائتين وثلاثة وعشرين ألف ميل او تسعمائة وتسعين ميلا ويكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين ألف ألف مرتين ومائة ألف وستة واربعين ألفا وستمائة وسبعة وتسعين ميلا والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر الفا وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا بالثاء المثلثة لنصف قطر الارض وجرم زحل مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس وان الاصفر من الالوان يخص الشمس وانها فى الفلك بمنزلة السلطان وقال بعضهم الحكمة فى كون الشمس فى الرابع لانها اذا كانت فيه كانت فى اوسط الافلاك فاضاءتها ما فوقها وما تحتها وبعثت النور فى مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة فى العقد وقال صاحب رسائل اخوان الصفا الشمس بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشترى كالقاضى وزحل صاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى اه وعلى الجملة فمحاسن الشمس كثيرة وفضائلها عديدة وقد اقتضى الوضع الالهى ان تكون رابعة لما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ما اذا كانت فى الاعلى او فى الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية وما احسن قول التهامى

محاسن الاشياء فى تركيبها * طوق الحمامة حلية فى جيدها

وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها فمن ذلك قول الوزير ابى محمد المهلبى

الشمس من مشرقها قد بدت * منيرة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت * يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الاسكندرى فى قوله

انظر لقرن الشمس بازغة * فى الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبكة الزجاج ذائبة * حمراء تنفخها فتتسع

وأخذه الآخر فقال وأحسن

يا حسنها وقد دنا طلوعها * فاضحكت بقربها سماءها
كأنها عين بها جارية * وقد أفاضت فى السما ماءها

وقال ابن المعتز فى الشمس والغيم وهو بديع

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

وقال المهلبى

قال له أنت أنا فانا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل فى الحمق وهو جاهلى ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه فقال هبنقة أرموه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد أقبل فقال لا يهولنكم ماترون فان أكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة بأربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل للعطى بعض امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجانى ونجى البقرة
من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعة على المضرية لاحق بكر بن وائل أشهر من سيد بنى تميم يعنى بالاحق هبنقة القيسى فقال الاحنف لتيس بنى تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى تيس بنى حمان الذى يقال

والشمس حيرى خلف غيم عارض * فكأننا فى ضوء ليل مقمر

وقال فى طلوعها مبادرة القمر

أما ترى الشمس وهى طالعة * تمنع منا ادامة النظر
حمراء صفراء فى تلونها * كأنها تشتكى من السهر
مثل عروس غداة ليلتها * تمسك مرآتها من القمر

وما أحسن قول ابن طباطبا

متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة فى كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بانفاس تزايد فى الصعود

وهذا يشبه قول أبى بكر محمد بن هاشم فى السماء

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وقال أبو حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقالها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

وما أعدل قول المعوج

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

والقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

ولكن زاده فى المعنى كف الاشل لكثرة اضطرابها فى حركتها وهو حسن ولكن هذه الزيادة أخذها أيضا من قول ابن المعتز * والشمس كالمرآة فى كف الاشل *

ومن هنا أخذ ابن قلاقس رحمه الله قوله

والرمل فى حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بمعطفى مقرور

بل أخذه من قول الآخر فى الخمر

كانت سراج أناس يهتدون بها * فى سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز فى الكاس من ضعف ومن كبر * كأنها قبس فى كف مقرور

وأخذه القاضى الفاضل أيضا فقال

والشمس من بين الأرائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وقال ابن الرومى

كأن جنوح الشمس عند غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين مس اجفانها الكرى * ترنق فيها النوم وهى تغمض

وقال ابن قلاقس

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وقال ابن خفاجة

فيه أعلم من تيس بنى حسان يزعمون انه نزا على عنز بعد أن قربت أوداجه

(وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك)

هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل فى الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شئ فقال عبد الله هل لكم فى العقيق وهو منتزه اهل المدينة فى الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه

ويحدثنا ويضحكنا قال
وطويس فى النظارة يسمع
كلام عبدالله بن جعفر مع
أصحابه ولم يروه فقال عبدالرحمن
ابن حسان جعلت فداك وما
تريد من منزل طويس عليه
غضب الله مخنث شائن لمن
عرفه فقال عبدالله لا تقل
ذاك فانه خفيف لنا فيه
انس فلما استوفى طويس
الكلام تحول الى منزله
فقال لامرأته ويحك قد
جاءك سيد الناس عبدالله
ابن جعفر فما عندك قالت
نذبح هذه العناق وكانت
قد ربتها اللبن وأختبز رقاقا
فبادر بذبحها وعجنت هى
وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال
له طويس بأبى أنت وأمى
هذا المطر هنى لك فى المنزل
فتسكن به الى أن تكف
السماء قال اياك أريد قال
فامض ياسيدى على بركة الله
وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا
فتحدثوا الى أن أدرك الطعام
فاستأذنه عليه وأتى بعناق
سمينة ورقاق فأكل وأكل
القوم وأعجبه طعامه ثم قال
بأبى أنت وأمى أما أغنيك
قال بلى فاخذ الدف وغنى

يا خليلى نابنى سهدى
لم تنم عينى ولم تكد
كيف تلهونى على رجل
أنس تلتذه كبدى

فطرب القوم وقالوا والله

والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار

قلت قوله صدأ على دينار فيه نظر لان الذهب من جملة خواصه أنه لا يعلوه صدأ ولا يركبه ولا يبليه التراب نعم قالوا اذا علق فى مكان تتصاعد اليه الرطوبات كما اذا علق فى فضاء بئر أو ما أشبهه ربما تأكل وبلى وابن النبيه استعمل الصدأ فاحسن فى قوله

والظل يسبح فى الغدير كأنه * صدأ يلوح على حسام مرهف

وهو تشبيه وقع موقعه بخلاف قول ابن خفاجة وقد احسن ابن سناء الملك أيضا فى قوله

كأن أصل الجو فى نهرها * سحالة العسجد فى المبرد

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى فقال

والشمس فى طفل الامساء تنظرنى * طرف غداوهو من خوف الفراق خفى
كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به النوى فترآهم على شرف

ولابن الرومى من قصيدة فى غروب الشمس

ولاحظت النوار وهى مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أذرعا
وودعت الدنيا التقضى نحبها * وشول باقى عمرها فتضعضعا
كما لاحظت عوادها عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

وما أحسن قول بعض الاعراب يصف أحوالها

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر
اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستر
والبس عرض الارض لونا كأنه * على الافق الغربى ثوب معصفر
تجلب سريعا حين يبدو شعاعها * ولم يبد للعين البصيرة منظر
عليها كدرع الزعفران يشوبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر
فلما انجلت وابيض منها اصفرارها * وجالت كما جال الوشاح المشهر
وجللت الآفاق نورا فأصعدت * بحمد له صدر الشجى يتسعر
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه اذا زالت على الارض ينشر
كما بدأت اذ أشرقت بطلوعها * تعود كما عاد الكبير المعمر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر
فافنت قرونا وهى اذ ذاك لم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

وقال محمد بن شرف القيروانى ملغزا فيها

وبلقيسية فى الملك ليست * كمن أوهى سليمان قواها
يراها كل ذى بصر فيعشو * لبهجتها الى أن لا يراها
اذا العليا يبالغ ناسبوها * عزوها فى السمو الى علاها
وملك الارض من بر وبحر * فليس يرومه ملك سواها
تموت كلهن غدت تموتا * لعباد سوى نعت عداها
وذلك انها مهما أقامت * بارض أيبست منها ثراها
وعباد اذا ما حل أرضا * تفجر يبس تربتها مياها

وقال الشرف التيفاشي في ذمها

في خلقة الشمس وأخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صحها النور لامسائها * مغاير الأشكال لايفتر
رمداء عشاء اذا أصبحت * عمياء عند الليل لاتبصر
و يغتدي البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
حورها في القيظ لاتتقي * ونورها في القر يستحقر
وخلقها خلق الملوك التي * تنكث في العهد ولاتصبر
ليست بحسناء وماحسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك

لاكانت الشمس فكم أصدأت * صفحة خد كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى * طيف خيال جاءني من خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى * ومنه روضا بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه * ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حساما فتر * تاع وتحكي فيه قلب الذليل
ان صدأ الطرف فما صقله * الا التحلي بمحيا جميل
وهي اذا أبصرها مبصر * حديد طرف عاد عنها كليل
ياغلة المهموم ياجلدة المحموم يازفرة الصب النحيل
يافرحة المشرق وقت الضحى * وسلحة المغرب عند الاصيل
أنت عجوز لم تبرجت لي * وقد بدا منك لعاب يسيل
وأنت بالشيطان قرنانة * فكيف تهدينا سواء السبيل

انظر الى هذا المعنى الذي تكلفه لاظهار معايب الشمس ليعلم تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة قوله ياغلة المهموم البيت والذي بعده أحسن وكذلك الثالث أيضا وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وفضل الشمس في الايام باق * وان مدت من الكبر اللعابا

وعلى قوله سلحة المغرب ذكرت ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبي العشائر الماردني قال أنشدني الزين الجوباني لنفسه

انظر الى الشمس وقد عممت * رؤس الهضاب الصلع بالاصفر
كأنها في الجو قلاعة * وجاء فلاح عليها خرى

وقال عبد الملك بن عمر في الشمس لما سئل عنها مظهرة للداء مثقلة للريح مبلاة للثوب وقال فيها آخر تشحب اللون وتغير العرق وترخي البدن وتثير المرة ان احتجمت فيها أمرضتك وان أطلت النوم فيها أفلجتك وان قربت منها صرت زنجيا وان بعدت عنها صرت صقليا وقد تكلف ابن الرومي وعدد للقمر معايب وأبياته في ذلك مشهورة وهي

لو أراد الاديب أن يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء

أحسنت فقال ياسيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو نقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن

*ولطويس شعر ركيك لافائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للمسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لاطير الا طيرك

(فوجودك عدم
والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر
والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يامن يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كل شئ بعدكم عدم

والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي نشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من

قال يابدر أنت تغدر بالسا * رى وتغرى بزورة الحسناء
كلف فى بياض وجهك يحكى * نمش فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحناء

وقد عدوا فى القمر معايب كما عدوا فى الشمس قالوا انه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد الطعم ويشحب الالوان ويبلى الكتان وقال الشاعر فى ذلك وهو أبو المطاع فى مليح عليه أخلاق

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائله * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وهو مأخوذ من قول ابن طباطبا العلوى

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

والقمر يغرا السارى لانه يخفى الكواكب فيضله ويفضح العاشق وقال فيه الشاعر

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامشكلى ثوب الكرى ومنغصى
لم يظفر التشبيه منك بطائل * مستلحفا بهقا كجلد الابرص

ويعجبنى قول ابن سناء الملك

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدرى وبدر صيغ من بهق

وقد حكى ان بعض العرب شردت راحلته فى الليل فاتبعها حتى أعيا فلما طلع القمر وجدها معلقة بخطامها ترعى من الشجر فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولى فيك ذو قصر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وهذا البدوى كان أرق طبعا من هؤلاء الذين عابوا القمر وعلى ذكر شرود الراحلة حكى ان امرأة شردت لها ناقة فأضلتها فقيل لها لو وجهت لها من يطلبها فقالت قد أخذت عليها بجوامع الطرق فقيل لها وما جوامع الطرق قالت الدعاء فيقال ان الناقة أصبحت مربوطة ببعض أطناب بيتها وقال بعض الاعراب يصف دعوة المظلوم

وسائرة لم تسر فى الارض تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحدو الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب * بجثمانه فيه سميروها جع
اذا وفدت لم يرد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها * اذا قرع الابواب منهن قارع
وانى لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

ونقلت من خط ابن القيسرانى له يمدح نور الدين الشهيد

كلفت همتك السمو فحلقت * فكأنما هى دعوة فى ظالم
وطنت بأوطان النجوم فكم لها * من مارد قذفت اليه براجم

ونقلت من خط السراج الوراق له

جن الشئ اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة اما تشبيها بما يرى فى الارض وان كان بينهما بون واما لستر النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضى التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أى ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رأيت ألومك الكرمى كفاء
وضعتك لشرفى وفاء)

(اللوم) الدناءة فى الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل فى المناكحة والمحاربة (والوضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشئ اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا الى على شرفى ووضعتك

(وأنى جهلت ان الاشياء انما تجذب الى أشكالها)
(والطير انما تقع على آلافها)

يعنى كيف جهلت أنى انما أميل الى شكلى والفى والست من أشكالى وآلافى والكلمة الاولى منظومة

توق ممن سؤته دعوة * تطلع حيث السهم لم يطلع
ما كبد القوس اذا أرسلت * فيها الذى فى كبد الموجع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

الارب ذى ظلم لمكنت لحربه * فاوقعه المقدور أى وقوع
وما كان لى الا سلاح تركع * وأدعية لاتتقى بدروع
وهيهات ان ينجو الظلوم وخلفه * سهام دعاء من قسى ركوع
مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بنجيع

وقد كان ابن الرومى ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قئ الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

والحرى انما فاق على من سواه بما أتى به فى مقاماته من مدح الشئ وذمه كما فعل فى المقامة الدينارية والتى فاضل فيها بين كتاب الانشاء والحساب والتى ذكر فيها البكر والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام وصحة التخيل والذوق وقال ابن الرومى يهجو الورد

وقائل لم هجرت الورد قلت له * من شؤمه عند لقياه ومن سخطه
كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فانظر الى هذا وجنة حبيب ودينار والى ذاك سرم بغل وروث وشتان ما بين ذاك وهذا وقال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد من أبيات

هذى النجوم هى التى ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
فصل القضية ان هذا طارد * زهر الرياض وان هذا قائد

فناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى ذلك فنهم أحمد بن يونس الكاتب فقال

ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
ان قلت ان كواكبا ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى * الجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع جمة وفوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وعوائد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

وقال سعيد بن هاشم الخالدى

فى قول المتنبى والكلمة الثانية منظومة فى قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعى كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غربانا تقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى ان رأيت غرابا أعرج قد سقط فجاءه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ماضاع

(وهلا علمت ان الشرق والغرب لايجتمعان)

وشعرت ان المؤمن والكافر لايتقاربان)

وقلت الخبيث والطيب لايستويان)

(شعرت) أى علمت علما دقيقا مأخوذ من دقة الشعر ويلمح من السجعة الاولى قول على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قربا ازددت من الاخرى بعدا ومن السجعة الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم فى السجعة الثالثة فتأمله

(وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان)

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى يقوله فى

أبحت النرجس لرقى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوقى وانى * أرى التفضيل بينهما احماقه
هما فى عسكر الانوار هذا * مقدمة تسير وذاك ساقه

وقال مسلم بن الوليد فى تفضيل الورد

كم من يد للورد مشهورة * عندى وليست كيد النرجس
الورد يأتى ووجوه الربى * تضحك عن ذى برد أملس
وقد تحلت بعقود الندى * نابتة فى الارض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى * روض الخزامى رثة الملبس
وتخلق الكباء ما جددت * ايدى الغوادى فى سنا السندس
هناك يأتيك غريبا على * شوق من الاعين والانفس

وقال ابو بكر الصنوبرى

زعم الورد انه هو ازهى * من جميع الازهار والريحان
فاجابته اعين النرجس الغض بذل من قولها وهوان
ايما أحسن التورد ام مقـ * ـلة ريم مريضة الاجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور * د اذا لم تكن له عينان
فزها الورد ثم قال مجيبا * بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من عيـ * ـن بها صفرة من السيرقان

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام فى خدمته النرجس

يقال انهما أنشدا فى حضرة الشيخ محيى الدين عبد الوهاب بن سحنون فاجاب من غير رويه

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خد الحشى فوقه النرجس

وقد وضع بعضهم كتابا فى المفاضلة بين الورد والنرجس لان الشعراء أولعوا بذلك فاطالوا وأطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة النخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارى والمردان اذ كل ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل فى ذلك مجال وما عسى البليغ أن يقول فى الرماد اذا فاخر المسك وللجاحظ فى ذلك رسالة بديعة ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لايدفع

فتح عيونك فى سواى فانه * عندى قبالة كل عين أصبع

وقال شهاب الدين بن جلنك

أرى النرجس الغض الشهى مشمرا * على سوقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤسه * عمائم فيها لليهود علائم

الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعنى سألت الله عمرك أى يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت انى علق لا يباع ممن زاد
وطائر لا يصيده من أراد)
وغرض لا يصيبه الا من أجاد

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قحطان التميمى كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق
نفيس لا يعار ولا يباع
مغذاة مكرمة علينا
تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال آخر

أياجاعلا النرجس الغض ميزة * على الورد قد اخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس فى خدمة الورد

وما أحسن قول أمين الدين جوبان القواس

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * تعزى الى قدى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحاماقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الاعيون وقاح

وقال ابن الرومى فى هجو والده

لو كان مثلك فى زمان محمد * ماجاء فى القرآن بر الوالد

وأين هذا من ابن سناء الملك وهو يمدح والده الرشيد بقصيدة بعد قصيدة من ذلك قوله

انى لارثى لدمعى فى تزاحمه * كما رثيت لشملى فى تشتته
انا الغوى بهمى والرشيد أبى * هو الرئيس على الدنيا بهمته
أحيى وأنشر ميت المجد مجتهدا * فى لم لمته أو رم رمته
أصبحت اختال فى حالى ونضرتها * به وأرفع فى عيشى وخضرته
وأسعد الناس من لاقى بلا تعب * مبدا السعادة فى مبدا شبيبته

وقوله فيه أيضا

يكفيك أنى بك ياسيدى * قد طاب أصلى وزكا محتدى
جاوزت حد البر بى صاعدا * فقف فما أبقيت من مصعد

وقوله فيه أيضا من قصيدة

وبات نديمى ولا ليله * يطول ولا سربه يقصر
فلا يعجب الصبح من نوره * فوجه الرشيد أبى أنور

وقوله فيه من قصيدة أخرى

أبى لى النقص ان مجد أبى * سام كما ان قدره سابق
هو الرشيد الذى رياسته * سارت فلا زاجر ولا سائق
يكنى أبا الفضل وهو يعشق نفس الفضل والمرء لابنه عاشق

وقوله من قصيدة أخرى

ابى وحسبى نسبة عقدها * دروذاك الدر در ثمين
كأنه اذ زاد فى بره * يعلم الآباء بر البنين

ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية فى غاية الحسن وقال أبو العينا أنا أول من أظهر العقوق لوالده بالبصرة قال لى أبى ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتى فقال اشكر لى ولوالديك فقلت يا أبت ان الله تعالى أمننى عليك ولم يأمنك على قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ومن هجا والده على بن بسام حتى قال فيه ابن المعتز

سليلة سابقين تناحلاها
اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها
فدون منالها أمد شناع

(والغرض) الهدف المقصود بالرمى ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها

(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية
وترشحت للترفية)

يعنى طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناء به (والترشيح) الاستعداد للشئ مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوى على المشى (والترفية) والرفاهية التنعيم والتوسع فى العيش

(لولا ان جرح العجماء جبار للقيت من الكواعب مالاقى يسار) (جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص فى جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى تكعب ثدياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وشبهه ان يسارا هذا كان عبدا أسود مما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن به حتى نظرت اليه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لابيـــه * ما كان يهجو أباه

وقال المرزبانى فى حق ابن بسام استفرغ شعره فى هجاء والده وقال شرف الدين بن عنين

وجنبنى ان أفعـل الخـير والد * قليـل اذا ماعدا أهل المناسب
بعيد عن الحسنى قريب من الخنا * وضيـع مساعى الخير جم المعايب
اذا رمت أن اسمو صعودا الى العلى * غداعرقـه نحو الدنيـة جاذبى

وهذا الثالث يشبه ماقيل فى خالد بن عبد الله القسرى

اذا نبهته نخوة عربية * الى المجد قالت أرمنيته نم

وما أكرم شاعرا قال

بنفسى أنت لا بأبى فانى * رأيت الجود بالاباء لؤما

وذكرت هنا ماحكاه لى المولى القاضى عماد الدين بن القيسرانى قال كنا فى الديوان بقلعة الجبل اناو أخى صحبة والدى وكان قد غاب فى ذلك الوقت ولما عاد وجد قد جاءت اليه ورقة من بعض أصحابه وقد كتب أخى الجواب عنها وقال فيه ان مملوكه الوالد كان غائبا فأخذ الورقة وكشطها وكتب والد المملوك وقال المولى يقطع فى كيسه ولا يقطع فى كيسى وبالغ ابن الرومى فى وصف جارية أبى الفضل عبد الملك ابن صالح حيث وصفها وهى سوداء بتلك القصيدة الطنانة وهى طويلة بديعة فى بابها وقد اشتهرت بين الادباء ومنها

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وهى مشهورة بين الادباء فلا فائدة فى ذكرها وعلى ذكر السودان فما أحسن قول القائل

يا أسودا يسبح فى بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخد الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

ومثله قول ابن خفاجه

وأسود يسبح فى لجة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وذكرت هنا قول عبد الجليل بن وهبون للمعتمد بن عباد وقد جاوز البحر وهو فى غاية الحسن من التشبيه

فسرت فوق دفاع البحر تبصره * براحة الدين والتقوى فينبصر
كأنما كان عينا أنت ناظرها * وكل شط باشخاص الورى شفر

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى

وجارية من بنات الحبو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابى فشبت * غراما ولم أك بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض

وقال ابن دفتر خوان فاغرب

ان لمعت ليلا تجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالها * فى الارض فالسود نجوم النهار

وقال

امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه فى الابل قد والله عشقتنى مولاتى فلا أزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله مارأتنى حرة الا عشقتنى فلما أمسى قال لصاحبه احفظ على الابل حتى أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك فان للحرائر طيبا أشمك اياه فقال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أى قاطعة فأشمته الطيب ثم أنحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكيره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التى ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال فى ذلك مما رويناه

(فاهم الا يبعض ماله هممت
ولا تعرض الا لايسر ماله
تعرضت)

يعنى ماطلب يسار من مولاته

وقال ابن رباح الملقب بالحجام

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكفور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب

يا من فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان لليل بدر * فأنت للصبح خال

وأحسن منه وأكمل قول جمال الدين ابراهيم الحنفى المعروف بابن امام الحرمين ولكن ليس فى أسود

وعاكس الليل وبدر الدجى * بخده والخال أهواه
فالبدر خال فى محيا الدجى * والليل خال فى محياه

وقال أبو اسحق الصابى

قد قال رشد وهو أسود للذى * بياضه يعلو علو الخائن
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاسن
لو ان منى فيه خالا زانه * ولو ان منه فى خالا شانى

وقال آخر تضمينا

وسواده الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت باسود * محلته فى العين والقلب منهم
وقد عابنى قوم بتقبيل خده * وماذاك عيب أسود الركن يلثم
وما شانه لون السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم
لئن ضم جنح الليل اثناء برده * لتد شق عن مثل الصباح التبسم

وقال الوزير المغربى

يارب سوداء تيمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب من هذا قول أبى الجهم

غصن من الآبنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أطل فيه * للطيب لا أشتهى النهارا

وكلاهما مولد من قول الآخر * وانما الليل نهار الاديب * وقال أبو الحسن على بن رشيق

دعابك الحسن فاستجبى * يا مسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يريعنك أسود لون * كقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وأخذه ابن قلاقس فقال

وتعرض له الادون ما تعرضت اليه منى لانى أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبه هم نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا فى طريقه

أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار

أما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع
وتنكح فى اكفائها الحبطات

(ثاب اليك) أى رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بنى الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث ابن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا
كما الحبطات شر بنى تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك أو الحبط أن

تأكل الماشية فتكثر حتى
تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها
ما فيها وذلك معنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان مما
ينبت الربيع ما يقتل حبطا
أو يلم ومعنى قول الفرزدق
أن بني دارم لا ينبغي أن يخطب
اليهم الا بنو مسمع لانهم
أكفاؤهم في الشرف فأما
الحبطات فلا وذكر المبرد أن
الرجل الخاطب أجاب
الفرزدق فقال
أما كان عتاب كفيثا لدارم
بلى ولابيات بها الحجرات
عتاب أحد آباء بني الحرث
وقوله أبيات بها الحجرات
يعني بني هاشم لقوله تعالى
ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات * والفرزدق هذا
هو همام بن غالب بن
صعصعة التميمي الدارمي
الشاعر المشهور صاحب جرير
ولقب الفرزدق لجهامة
وجهه لان الفرزدقة القطعة
الضخمة من العجين وكنيته
أبو فراس وذكره الشريف
المرتضى فقال كان الفرزدق مع
تقدمه في الشعر وبلوغه فيه
الى الذروة العليا شريف
الآباء كريم البيت وكان
شيعيا مائلا لبني هاشم ونزع
في آخر عمره عما كان عليه
من الفسق والقذف وراجع
طريقة الدين على أنه لم
يكن في خلال ذلك منسلخا

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

والاصل في هذا المعنى قول الوزير المهلبي

فسموه مع القرب غريبا * كنور العين سموه سوادا

ومن هذه المادة وان لم يكن في المعنى قول ابن التعاويذي في مليحة اسمها هاجر

فديت من ترحم عشاقها * وراحم العاشق مأجور
ليست على دين الغواني ترى * ان وصال الصب محظور
لا عجب ان سميت هاجرا * قد سمي الاسود كافور

وما أحسن قول ابن صريعة في سوداء

عقلتها حماء مصقولة * سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

قلت انما كان التاريخ بالليالي دون الايام لان الهلال انما يبدو ليلا وهو أصل التاريخ
وقال آخر

يارب سوداء تجلى * بنورها الظلمات
كليلة الهجر تنسى * بوصلها السيئات
ماذا يعيبون منها * وكلها حسنات

وقال ابن بليطة في أسود أحدب يسقي

وكاس انس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب * أطرب من لهو بها مجلسه
فخاتمه من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

وذكرت بالاسود الساقي ما جرى لبعض الافاضل وقد حضر مجلسا والمغني يقول بيت ابن النبيه

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

ولكن لا يغنيه الا ويقول فاسود خداه وابيضت غدائره والفاضل يقول فابيض خداه واسودت غدائره وجعل يرده عليه مرارا وهو لا يقوله الا معكوسا وكان لبعضهم غلام شيخ أسود واقف يخدمهم فقال يا مولانا اتعرف فيمن يغني من أمس الى الساعة قال لا قال في هذا العبد النحس أفي هذا تغزل ابن النبيه فرجع وغناه مستقيما ومن معاني ابن الرومي التي ابتدعها قوله

تودد حتى لم أدع متوددا * أفنيت أقلامي عتابا مردد
كاني أستدني بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكرره أيضا فقال

رأيتك بينا أنت جار وصاحب * اذا بك قد وليتنا ثانيا عطفا
وانك اذ تحنو حنوك معقبا * بعادا لمن بادلته الود والعطفا
لكالقوس أحنى ما تكون اذا حنت * على السهم أدنى ما تكون له قذفا

وولد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال

أصبحت في صولجانه كرة * يبعدها قربها من الضارب

وما أحسن قول ابن المفلس ملغزا فى الكرة

أرادوا نوها حتى اذا ما * دنت منه بكد أى كد
قلاها ثم أتبعها بضرب * وبدل قربها منه ببعد

وأخذ المعنى الاول من ابن الرومى ناصح الدين الارجانى فقال

فلا تنكروا حق المشوق فاننا * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أراناسها ما فى الهوى ونراكم * حنايا فما تدنون الا لتبعدوا

وكرره فقال

قد قوس القد تودیعا وقربنى * سهما فابعدنى من حيث أدنانى

وقال أيضا

والالف قد عانقنى للنوى * فالتف خداى وخداه
كأنه رام الى غاية * تناول السهم بيمناه
حتى اذا أدناه من صدره * أبعده من حيث أدناه

وأخذه كشاجم من قبله فقال

أرى وصالك لا يصغو لامله * والهجر تتبعه ركضا على الاثر
كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وأخذه أيضا ابن قيم الجوى بعد الارجانى فقال

فهو كالسهم كلما زادته منك دنوا بالنزع زادك بعدا

ومن معانى ابن الرومى الغريبة قوله فى خباز رقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وهذا من التشبيهات العقم وحكى ان الاديب أبا عمرو النميرى أنشدت هذه الابيات فى حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فجملوا محوه أو فالعقوه طرى

وحكى ان الملك المعظم عيسى حضر الشعراء عنده وفيهم شرف الدين بن عنين فقال لهم لابد أن تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامرئ قط * الا واشتهى أن لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال * شعرنا مثل الخرا فقال السلطان صدقت فقال ذقت الخرا * فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال صفع الله به أصل لحانا * ومن معانى ابن الرومى الغريبة قوله يهجو

لحا لد شاعرنا زوجة * لها جر يبلغ مثليها
قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أترونى لو أذنبت الى والدى أكانا يقذفانى فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كان يرحمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق منى برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بنى تميم وفى حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ايه فداكم أبى وأمى هكذا والله كان آباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج فى خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا لافغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكنى أنا أعرفه فقيل له من هو

فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفى ذلك يقول

أيحبسنى بين المدينة والتى
اليها رقاب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد
وعينا له حولاء بادعيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات المية لابى الطمحان القينى والذى يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستطرفة دخل يوما على بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لو لم يكن لليمن الا أبو موسى ومآثر ولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال حجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله وما بعده فقال الفرزدق

وقوله أيضا

مرفوعة تحت الدجى رجلاها * كأنما تستغران الله

وقال أبو محمد المصرى من شعراء الذخيرة من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فللسودان عندهم مراح
بارجلهن يستغفرن دأبا * فارجلهن فى الدعوات راح

وما أحسن ما استعمل الآخر الاستغفار حيث قال

صل الراح بالرحات واغنم مسرة * باقداحها واعكف على لذة الشرب
ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

وقلت أنا تضمينا فى ورق الكرم من قصيدة

وطل على ورد حكى خد غادة * به عرق من خجلة يتصبب
وأوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقد سبقت عليه بنت المهدى ابن الرومى الى هذا المعنى فقالت فى طغيان لما وشت بها الى رشا وكانت طغيان جارية أم جعفر زبيدة

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة * جديد فما يبلى ولا يتخرق
وكيف يبلى خفها والدهر كله * على قدميها فى الهواء يعلق
فما خرقت خفا ولم تبل جوربا * وأما سراويلاتها فتمزق

وأنشد بعض الشعراء زبيدة شعرا قال فيه

از بيدة ابنة جعفر * طولى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما * تعطى الاكف من الرقاب

فجعل عبيدها يقرعون رأسه فقالت دعوه انه أراد خيرا فاخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فاصاب سمع قولهم شمالك اندى من يمين فلان فظن انه من هذا الباب ويقال ان حجى دخل يوما الى دارهم فوجد أباه على أمه فرآته فلما خرج وعاد بعد فراغهما أرادت ان تذهب خجلتها فدفعت اليه درهمين وقالت اشترى لى بهما يا حجى سرموزة فمضى وعاد بسرموزة كاغد فقالت له كيف تحمل هذه الوطا فقال لها ان مشيت بها كما كنت تمشين تحت أبى تلك الساعة فانها لا تثقب وعلى الجملة فابن الرومى كان من غرائب الوجود فى تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعانى الغريبة وقال الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد وما رأينا أمرا أعجب من أمر ابن الرومى فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى أخذه منه قلت والعلة فى هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا أتى به فى غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة وأما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضلة والله أعلم وقد كان فى ابن الرومى عجائب منها انه كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقراء القرائن الحسنة والالفاظ الخيرة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فيقال ان بعض أصحابه أرادوا الخلوة به فى يوم أنس واختاروا له غلاما حسنا وقالوا له اذا طرقت الباب عليه وقال من فقل له أنا اقبال فلما فعل ذلك قال اقبال مقلوبه

لابقاء وهذا شئ أتطير منه فلا أخرج اليوم وجهزوا اليه فى بعض الايام غلاما وضيء الوجه حسن الاسم طيب الريح فلما طرق الباب عليه خرج اليه فشم طيبه وسمع اسمه ورأى وجهه المليح فقال حسن فى حسن فلما خرج رأى دكان خياط وقد صلب درابتى الباب وهو يأكل تمرا ويقال ان الدرابتين مثل لاوالتمر تمر فالفال قال لاتمر فدخل وأغلق الباب وقال والله لامرت معك وكان منهوما فى الاكل وكان به صلع لايكاد يرفع عمامته عن رأسه أبدا وشعره جيد ومعانيه غريبة وكتب القاضى الفاضل الى الرشيد ابى ابن سناء الملك رحمهما الله تعالى كان القاضى السعيد لما وصل الى دمشق عائدا جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره فاختار حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بانه يكمله فلم لانجز مراده ولم لاجعل مرادى مراده وكان يبرز من الشعر محاسنه المغموره ويلفظ ابياته الخراب ويبقى ابياته المعموره وكان ابن الرومى يشكره فى لحده ويستعير السنة الاحياء فى حمده فاجاب القاضى السعيد بن سناء الملك أما ما أمر المولى به فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره لان بحاره زخاره واسوده زأاره ومعدن تبره مردوم بالحجاره وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل الف ستاره يطمع ويؤيس وينفر ويؤنس وينير ويظلم ويصبح ويعتم شذرة وبعره ودرة وآجره وقبلة بجانبها السبه وحرة تجاورها قحبه وورده حف بها الشوك وبراعة غطى عليها النوك لايصل الاختيار الى الرطبة حتى يتجرج بالسلى ولايقول عاشقها هذا المليح قد أقبل حتى يقول قد ولى فما المملوك من جهابذته فكيف وقد تفلس فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو اختاره جرير لاعياه تمييز الوشى من الحشى والوبر من الحرير والمملوك يكمل بمشيئة الله تعالى بقية قراءة حروفه ولكن بين يدى من قرئ بين يديه حرف الالف ليشاهد من مولاه معجز اختياره الذى يجعل المختلف فيه من الشعر المؤتلف اه قلت وقد اختاره الخالديان واختاره المولى جمال الدين محمد بن نباتة (رجع القول الى ذكر الشمس وزحل) قد ذكرت مقدر الشمس وزحل وما فى الشمس من المحاسن والفوائد وبقى ذكر ما فى زحل والمنجمون يزعمون انه نحس أكبر وان له من المعادن الرصاص ومن الالوان الزرقة وهو فى الفلك بمنزلة الفلاح والاكار الذى يثير الارض بالمساحى ويسقى بالدلو ولهم فى ذلك كلام طويل من هذه الاشياء التى تناقض محاسن الشمس وبعد هذا كله فاضره من ذلك شئ وحل مع ذلك فى السابع والشمس لها تلك المحاسن وفيها تلك الفوائد وهى فى الرابع دونه بفلكين وذلك صنع فعال لما يريد قادر على ما يشاء ويختار لاتعلل أفعاله لااله غيره ولا فاعل فى الوجود سواه ولله در المتنبى حيث يقول

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وابن شرف القيروانى حيث يقول

بحيث يهون المرء يكرم ضده * وحيث هبوط الشمس يشرف كيوان

ولابن شرف القيروانى أيضا فى زحل وهو لغز

وشيخ له غرفة فخمة * علت وهو فيها جميع الغرف
يمر ويرجع طول الزمان * فكم مر من مرة وانصرف
ويفسد كل مكان حواه * على انه غاية فى الشرف

الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه فى هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة * تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد المهلب البصرة قال لابى الجعد وكان صديقا للفرزدق فقال له يوما ماذا يعد وقلك عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكنى أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذى هجانا فيضرب عنقى فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتى بديتى فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لاوالله لا أفعل فقال يزيد أما اذا فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لاينبغى أن يكون هكذا

قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغى أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت

وجلا السيول على الطلول كأنها

زبر يجد متونها أقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة فى الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته التائية فلما قال

بها ابرص بأسفل اسكتيها

وضع يده على عنفقته وأنشد

كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطانا فى الشعر واحد ومر يوما يقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا النبيذ وجدى حنيذ وغناء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعنى جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فأمر غلامه ان يجعل فى القعب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بابى أنت انك ممن تخفى الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال ما أفهمنى أحد الا نبطى من أهل تيرى قال لى أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم

وأما بيت الطغرائى فأقول انه يصدع الفؤاد ويرض الاكباد لان الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل وبؤس الكريم ونعيم اللئيم وعز الشرير وذل الخير الخبير وراحة المتهور وتعب المتحذر

شيم مرت الليالى عليها * والليالى قليلة الانصاف

ومن الكلام النوابغ لاغرو أن يرتفع الجاهل وينحط العالم فقد يتدلى سهيل وتستعلى النعائم والطغرائى اختلس معنى بيته من قول أبى الطيب

ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

لا بل أخذه صريحا من أبى الفتح البستى حيث قال

لا تعجبن لدهر ظل فى صبب * أشرافه وعلا فى أوجه السفل

وانقد لاحكامه أنى تقادبه * فالمشترى السعد يعلو فوقه زحل

وما أحسن قول ابن عمار الكوفى

لئن بسط الزمان يدى لئيم * فصبر اللذى فعل الزمان

فقد تعلو على الرأس الذنابى * كما يعلو على النار الدخان

وقال الارجانى

هذا الزمان على ما فيه من كدر * حكى انقلاب ليالية بأهليه

غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

والارجانى أخذ هذا المعنى من البحترى وحوله ثم تخوله لان البحترى قال

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء

من حول بركتك البهية سادة الـ * ـعلماء والفضلاء والامراء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

يعنى كانوا يقفون على رؤسهم وهو معنى حسن مسئلة ان قال قائل لم كانت الاشياء القائمة على الانهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع انها فوق فالجواب أن الشعاع الخارج من العين اذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غيره لم يثبت عليه لصقالته وزلق عنه الى الجهة المقابلة للرائى ان لم يكن الصقيل امامه بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس فى المساحة من غير زيادة ولا نقص مثاله هكذا

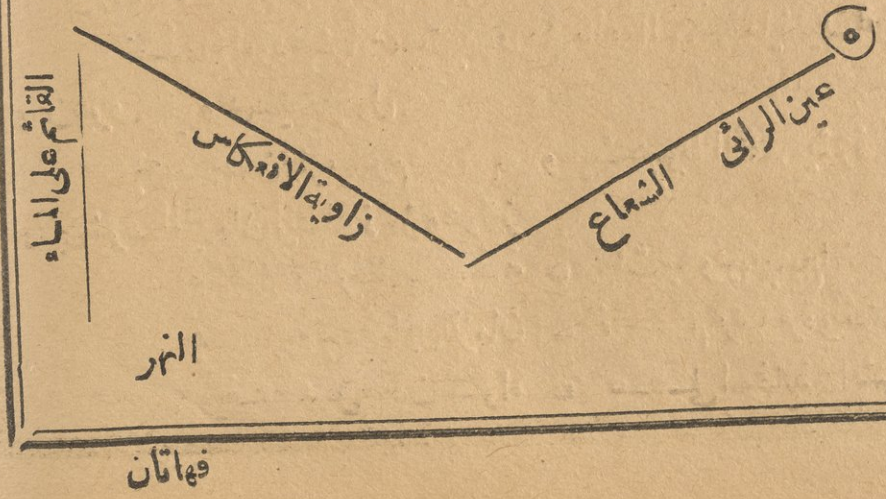

فهاتان

فهما تان الزاويتان فى السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله الى الماء فينطبع فيه فكان القائم وقع على سطح الماء والقائم اذا وقع يصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة رؤى على هيئته فالقائم فى القائم قائم والقائم فى المنبسط منعكس لان موضوع الانطباع أسفل والقائم أتى اليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فاخذه فى نفسه وانبطح والانطباع فى الحقيقة انما هو فى وجه الماء لا فى عمقه وانما الحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه فكأنه غرق فى الماء بعد الانبطاح على وجه الماء ولو غرقت الشجرة لكان رأسها أسفل ضرورة أن كل ما هو أعلى من السماء وغيرها يرى أسفل فاعرف ذلك (رجع) قال أبو تمام الطائى

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان مجد ولم يعبأن بالرتم

وأخذه البحترى فقال

ولست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخدات من الرند
ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وأخذه أبو الوليد بن زيدون أيضا فقال

لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

وقال شمس المعالى قابوس

أما ترى البحر تعلوفوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

والاول مأخوذ من قول ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه

وقال أيضا

طار قوم بخفة الوزن حتى * لحقوا رفعة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا * س رسو الجبال ذات الهضاب
لا وماذاك للئام بفخر * لا ولا ذاك للكرام بعاب
هكذا الدر راسخ الوزن رأس * وكذا الدر شائل الوزن هاب
جيف أنتنت فاضحت على اللجة والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من الما * ء وغاص المرجان تحت العباب

وأخذه ابن الساعاتى فقال

لا ترفعن علم العلوم بمجهل * فعلو حظك أن تخال جهولا
وتعد عن دنيا الدنى وان سما * نحو الشريف وان أصاب خمولا
فالسيف تكسبه الضرائب رفعة * اما ترى كنا بشفرتيه كلولا
والدر يرسب فى القرار وقد طفا * زبد البحار لا يعد جليلا

قال ان هجوتنى تموت زوجتى
عيشونة قلت لا قال فتموت
حمارتى قلت لا قال فن رجلى
الى عنقى فى رحم امك قلت
ويلك فلم تركت رأسك قال
حتى أنظر ما تصنع وكان
الفرزدق يقول لقد استراح
النبطى من حيث تعب
الكرام ومن محاسن شعره
قوله

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما خلت باقى ودها يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زوارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم
امن الى سلفى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا ان خشنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات لا يتخلخل
انى ارتفعت عليك كل ثنية
وسموت فوق بنى كليب من عل

(وقوله)

ومستنبح طاوى المصير كأنما
يساوره من شدة الجوع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها
ذرى راية فى جانب الجو تخفق

وأخذه الغزى أيضا فقال

وترفع الاوباش فوقى جائز * أوليس در البحر تحت حفائه
بوقاحة السرحان هان واغما * زاد الهزبر مهابة بحيائه

وما أحسن قول ابن منير يصف النواعير

لنواعيرها على الماء ألحا * ن تهيج الشجى لقلب المشوق
فهى مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال خال ينكسه الدهـ * ـر ويعلو بسافل مرزوق

وقال أبو القاسم الباسليسى

لقد كدت سوق الفضائل كلها * وللهزل أحظى فى الزمان من الجد
فلست أرى الاكريما يفرمن * لئيم وحرا يشتكى الضيم من عبد

وقال أبو العلاء بن أبى الندى

لاغروأن كان من دونى يفوزبكم * وأنثنى عنكم بالويل والحرب
يدنى الارالك فيضحى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

وقال أبو عبيد البكرى

ومازال هذا الدهر يلحن فى الورى * فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

وأنشدنى من لفظه لنفسه عكس هذا المعنى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

زد كل يوم رفعة فى العلى * وليصنع الحاسد ما يصنع
الدهر نحوى كما ينبغى * يدرى الذى يخفض أو يرفع

وقال ابن نقادة

الدهر يرفع مخفوضا ويخفض مر * فوعا من الناس عمدا فهو ملحان
فالفضل يلحظ والنقصان مرتفع * كأنما صرفه فى الحكم ميزان

وما أحسن قوله صرفه مع ذكر الميزان والاصل فى المعنى قول ابن الرومى

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل فى الميزان من رجحا

وقال الآخر زائدا عليه

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض راجح المقدار
واذا انتحى الانصاف ساوى كونه * فى الوزن بين حديدة ونصار

وقال التهامى

تأمل القدر المحتوم وارض به * فانما وزن الدنيا بميزان
فظل يزداد فيها كل منتقص * علا ويهبط فيها كل رجحان

وقال الخطيرى الوراق

لاغروأن أثرى الجهول على * نقص واعدم كل ذى فهم
ان اليد اليسرى وتفضلها الـ * ـيمنى تفوز بعلم الكم

ومن هذه المادة قول محمد بن شرف القيروانى فى خدمة الحر أصحابه

خادمنا خير ناوأفضلنا * نطرح أعباءنا ويحملها

وانى سفيه النار للمبتغى القرى
وانى حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكينى بما أنا أهله
فكل جميل قلت فى يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى
وقائلة مات الندى والفرزدق
كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله يرثى ابنيه
يذكرنى ابنى العما كان موهنا
اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلى بنيهم
واخوتهم فاقنى حياء الكرائم
ومات أبى والمنذران كلاهما
وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابنائك الا من بنى الناس
فاعلم
فلم يرجع الموتى حنين المآتم
وقوله فى الفائية التى أولها
عرفت باعشاش وما كدت تعرف
وأنكرت من حذواء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت
بيوتا وراء الحى نكباء جرنف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه
على سروات النيب قطن مندف
هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأفصح ذلك كله النيب

فنحن يسرى اليدين تخدمها * يمناهما الدهر وهى أفضلها

وقال النور الاسعردى فيمن ندم على مدحه

يمينا مامدحتك من ضلال * ولى فى ذاك عذر للعالى
ولكنى أكمل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

وقال الحريرى

ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر

وقال الآخر

وان لم أكن أهلا لما قد سألته * فقد عظموا اليمنى وقد حلوا اليسرى

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز

النذل مفروض له يسره * والحر بالاقتار مرفوض
كذلك المنقوص لم ينخفض * وأكمل الاسماء مخفوض

وقال الوراق الخطيرى

كن ناقصا تشرفان الغنى * يحرمه الكامل فى فهمه
فالبدر يحوى من نجوم الدجى * فى النقص مايعدم فى تمه

وقال قوام الدين أبو طالب

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا * لما مال الفؤاد الى الشمال

قلت ولهذا علموا الطواف بالكعبة لما كان الطائف يجعل الكعبة المعظمة على يساره قالوا ليجتمع البيتان على جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الايسر وسألت الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الانصارى ما الحكمة فى ميل القلب الى الجانب الايسر فقال مقاومة حرارة الكبد التى فى الجانب الايمن بحرارة القلب التى فى الجانب الايسر ولو اجتمعا فى جانب واحد لافرطت الحرارة هناك واستولى البرد على الجانب الذى يقابله فكان البدن مفلوجا بالطبع والحكمة تأبى ذلك قلت فهذا لو كان الامر بالعكس فيكون الكبد فى الجانب الايسر ويكون القلب فى الجانب الايمن فقال لو كان كذلك لاعتدل البدن فى حالة بالنسبة الى شقيه كما قلت ولكن الحركات تبتدى من جهة اليسار لان الكبد مبدأ توليد الدم الغادى والارواح الحاملة للقوى فكنا نسميه يمينا لان اليمين جهة مبدأ الحركة ولذلك سمت الحكماء جهة المشرق يمين الفلك لابتداء الحركة العظمى فيها قلت فلعل الاعسر انما كان كذلك لان كبده فى الجانب الايسر فقال لا يبعد ذلك فى القياس وقال أحمد بن الخازن

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس المعنى أبو طالب يحيى بن زيادة فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

ترى جارنا فينا بخير وان جنا
فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كليب عن القرى
الى الضيف نمشى بالغبيط ونلحق
ومنها أيضا وهو أحسن ماقيل فى الفخر ويقال انه غصبه من جميل
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا
لانت المعنى ياجرير المكلف
(وقوله)
لاخير فى الحب لا ترجى نوافله
فاستطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها
عن ماله وهو وافى العقل والورع
وقوله يرثى جارية له حاملا
وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة
لوان المنايا أنسأته لياليا
أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد ويقولون انها كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه قوله
وتقول كيف تميل ميلك فى الصبا
وعليك من سمة الحليم وقار

كما عكس المعنى على الشعراء ابن قزل المشد فقال

ان ترقى الى المعالى أولوا الفضـ ـل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكا * س محـ ـلا وترسب الاقذاء

وقال آخر فى المعانى المتقدمة

لقد قعد الزمان بكل حر * وخص أخا الحماقة باليسار
كذا حاد الحساب على يمين * وآلاف الحساب على اليسار

وأخذه الشيخ صدر الدين محمد بن عثمان الوكيل فقال

عقود الحساب كيوم الحساب * فمن قل وقر اسمه فى المعالى
كذاك اليمين لها ما يقل * وعقد الكثير نصيب الشمال

وقال ابن الخياط

فذا الدهر مطوى على البخل بذله * يعود عمر المذق حين يصرح
يساوى لديه الفضل بالنقص جهله * وسيان للكفوف مسى ومصبح

وقال مجير الدين محمد بن تميم

الدهر عندى لا محالة أحول * واسأل به من كان طباعا قلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وما أحلى قول ابن قلاقس

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العبد وهو فى شوّال

وقال ابن اللبانة

لما تناهيت علما ظل ينقضى * عند الكمال يصيب النير السرر
وفى الغراب اذا فكرت مغربة * من فرط ابصاره يعزى له العور

قلت هذا من عادة العرب فى التفاؤل يقولون الغراب أعور لانه الذى ينعق للفراق يريدون بذلك ضعف بصره لئلا يهتدى الى تفرق شملهم الملتئم كما عكسوا المعنى فى المهلكة فقالوا مفازة وفى الاديغ فقالوا اسلمى اطلبا للتفاؤل وفى لغتهم أشياء المراد منها باطنا خلاف الظاهر من ذلك قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللرجل الفارس المجرب لا أب له قال الحريرى فى درة الغواص وعلى هذا فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فى النكاح عليك بذات الدين تربت يداك والى هذا المعنى أشار الشاعر فى قوله

أسب اذا أجدت القول ظلما * كذاك يقال للرجل المجيد

قلت وفسر بعضهم قوله تربت يداك أى صار مالها مثل التراب وقال آخرون بل المراد لحقت يداك بالتراب من الفقر ومنه أمثال العوام ضرب الارض طلع لوجهه الغبار وقد ضمنت عجز بيت الطغرائى فقلت

أفدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وكلفت تضمينه أيضا فيمن يعلوه عبد فقلت مرتجلا

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعنى يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادى على نفسه بالظهور

(وهلا عشيت ولم تغتر
وما أشك انك تكون وافد البراجم)

فى النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول قاربت ان تغتر والكلام يقتضى انه قد اغتر وانما هى عشيت أى رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفى المثل عش ولا تغتر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك ان الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بنى تميم لثأر له عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبيناهو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم فالقى فى النار وقيل ان الشقى وافد البراجم ومن هنالك عبرت بنو تميم بحب الطعام

وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

(اللغة) محتال اسم فاعل من الحيلة اذا احتال وتعمد التحيل وضجر اسم فاعل من الضجر وهو القلق من الغم وقد ضجر فهو ضجر ورجل ضجور وأضجرنى فلان فهو مضجر وقوم مضاجر ومضاجير قال اوس

تناهقون اذا الخضرت نعالكم * وفى الحفيظة أيرام مضاجير

وضجر البعير كثر رغاؤه قال الشاعر

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف فخذ فى الاسماء والحادث والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كل ذلك بمعنى ما يحدثه الدهر من الامور ويختص ذلك بالشر وذكرت هنا بيتين لى وهما

صبرى الذى اقتسمته غربة ونوى * كأنما لهما فى ذاك ميراث

وكل يوم على ما فيه من هرم * يلقى صروف الليالى وهى أحداث

احداث جمع حدث وهو الشاب وورث بذلك عن الحوادث (رجع) الدهر تقدم الكلام عليه يغنى من الغنى والحيل جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك كأن الذى يفعل ذلك أفرغ حيلته وقوته فى اعتماده (الاعراب فاصبر) اصبر فعل أمر وقد تقدم الكلام على فعل الامر فى قوله فسر بنا فى ذمام الليل (لها) اللام هنا للتعدية وهى حرف جر والضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام أو الحوادث وثم أشياء تذكر مضمرة غير مظهرة كقوله تعالى كل من عليها فان يعنى الارض ولم يجر لها فى اللفظ ذكر وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى الروح وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى على ظهر الارض وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أى القرآن وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وقوله تعالى فانزل به نقعا فوسطن به جمعا أى الوادى أو الموضع أو المكان وكذا قولهم ما عليها أكرم منى أى ما على الارض وقول أبى الطيب

وانك رعت الدهر فيها وربيه * فان شئ فليحدث بساحتها خطبا

يعنى بالارض (غير محتال) غير منصوب على الحال أى مسلما أمورك الى الله ومحتال مجرور بالاضافة وهى لفظية ما أفادت تعريفا وتقدم الكلام على غير فى قوله غير هياب ولا وكل (ولا ضجر) الواو عاطفة عطفت المنفى على المنفى ولا حرف نفى وضجر اسم فاعل من ضجر يضجر ضجرا فهو ضجر مثل فرح فهو فرح وحزن فهو حزن (فى حادث الدهر) فى هنا ظرفية وحادث مجرور بها والدهر مجرور بالاضافة وهى معنوية بمعنى اللام والجار والمجرور فى موضع رفع لانه خبر تقدم على المبتدا الذى يأتى فيما بعد وجواب الامر محذوف وهو الفاء كأنه قال اصبر ففى حادث الدهر ما يغنى وقد يحذف قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

تقديره فالله يشكرها (ما يغنى) ما هذه نكرة موصوفة بما بعدها وقد تقدم الكلام على ما وتقسيمها كأنه قال شئ مغن ويغنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة

وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انما رآها فى الاناء فقال ألا بابى الظبى الذى تبرق شفاه ولولا الملك القاعد الثمنى فاه فسمعها عمرو فاضغنها عليه وامسكها فى نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فاعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك

ولا خير فيه غير ان له غنى
وان له كشحا اذا قام اهضما

فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تخور

فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وان يجتمع

عليه بكر بن وائل متى قتلهما ظاهرا فقال لهما يوما أظنكما قد اشتقتما الى الأهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال انى كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان فى أيديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا يقضى حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتغلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبى أخرج خبيثا وادخل طيبا واقتل عدوا وان أعجب منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فاوجس المتلمس فى نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم ففض كتابه فقرأه فاذا فيه أما بعد فان المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومى بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

رميت بها لما رأيت مدادها
يحول به التيار فى كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف بالياء وهو فى موضع رفع لانه صفة للمبتدا الذى هو نكرة كأنه قال شئ مغن فى حادث الدهر (عن الحيل) عن للتجاوز والحيل مجرور بعن والجار والمجرور متعلق بيغنى والتقدير فاصبر للحوادث مسلما أمورك ففى حادث الدهر شئ يغنيك عن الحيل (المغنى) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن الكريم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان فى ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شئ اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث ابن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر وكان بن المقفع يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تجزع وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وما أحسن قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك رقيب وقريب وقال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو وقال الطحاوى أخبرنا أحمد بن أبى عمران أخبرنا أبو نصر أحمد بن أبى حاتم حدثنا الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال استعمل الحجاج أبى على أعماله فنقم عليه فتوارى عنه فى بادية من قومه وأنا معه فبينا أنا معه فى سحر من الاسحار اذ مر راكب وهو يقول

صبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال
لا تضق فى الامور ذرعا فقد يك * شف عنها الردى بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

قال فقلت ماذا قال مات الحجاج قال فوالله ما أدرى بأيها كنت أشد فرحا بقوله مات الحجاج أم بقوله فرجة اه وقد حكاها بعضهم بزيادة وهو أن الحجاج أنكر على من قرأ الامن اغترف غرفة فقال ان لم تأتنى على ذلك بدليل والا ضربت عنقك وأجله على ذلك أجلا فجعل يطوف فى احياء العرب حتى وقع بمن أنشده الابيات (رجع) وفى كلام بعض الحكماء القواهر العلوية دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم وما أحسن قول بن حجاج

دعها سماوية تجرى على قدر * لا تفسدنها برأى منك أرضى

وقال احمد بن حديس الصقلى

ما أغفل الفيلسوف عن طرق * ليست لاهل العقول منسلكه
من سلم الامر للاله نجا * ومن عدا القصد واقع الهلكه

وقال آخر

اذا جاخطب وأيقنت من * ضعف بان الامر ياتى عسير
ينعكس الامر ويأتى كما * شئت فسبحان اللطيف الخبير

وقال

وقال آخر

الدهر لا ينفك عن حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فانه لم يعتمد * لجلاله أحدا ولا لهوانه
كالمزن لم يخصص بنافع صوبه * أفقا ولم يختر أذى طوفانه
لكن لباريه مواطن حكمة * في ظاهر الاضداد من أكوانه

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

دع المنى ربما نيلت بلا طلب * وربما وقع الحرمان في المهن

وقال التهامى

الدهر كالطيف بؤساه وأنعمه * من غير قصد فلا تمدح ولم تلم
لا تسأل الدهر في غماء يكشفها * فلو سألت دوام البؤس لم يدم

وذكرت هنا قول أبى بكر الخوارزمى فى الصاحب بن عباد

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكان الصاحب قد تلقاه بالرحب والسعة وأكرم نزله فصنع هذين البيتين وتركهما فى مكان يجلس فيه الصاحب وسافر من وقته فلما وقف الصاحب عليهما قال

أقول لركب من خراسان اقبلوا * أمات خوارزميكم قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان الخوارزمى مولعا بهذا المعنى يردده فى شعره فمن ذلك قوله

ما أثقل الدهر على من ركبه * حدثنى عنه لسان التجربه
لا تحمد الدهر لشئ سببه * فانه لم يتعمد بالهبه
وانما أخطأ فيك مذهبه * كالسيل اذ يسقى مكانا خربه
والسم يستشفى به من شربه

وهذا كله خلاف قول بن المعتز

الدهر فيه مساءة ومسرة * فجزاء دهرك أن يذم ويحمدا

وقال أبو الطيب فى المعنى الاول

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقال الغزى

لا تشكون من الخمول فربما * كان الخمول الى السلامة سلما
لولا كمون الدر فى أصدافه * ومشقة استخراجه ما فخما

وقال أيضا

لا تشك فالايام حبلى ربما * جاءتك من أعجوبة بجنين
فكذا تصاريف الزمان مشقة * فى راحة وخشونة فى لين
ما ضاع يونس بالعراء مجردا * فى ظل نابتة من اليقطين

أطريفة بن العبد انك حائن
أبساحة الملك الهمام تمرس
ألقى الصحيفة لا ابالك انه
يخشى عليك من الحياء النقرس

ثم مضى طرفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس ما جرى عليه قال

عصانى فما القى رشادا وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى
تمج نجيع الجوف منها ترائبه
فان لا تجللها يعالوك فوقها
وكيف التوقى ظهر ما أنت راقبه

ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولان وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله فى القرية السوس
أغنيت شاتى فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا

قال أبو حاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعى فصحفت على فقلت اغنيت شاتى فأغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعى قل فأغنوا اليوم تيسكم ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

والاول مأخوذ من قول الاول

— والليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب —

وقال بن نباتة السعدى

— تربص بيومك مافى غد * فان العواقب قد تعقب —
لعل غدا من أخيه حمى * يلم لك الصدع أو يرأب

وقال الطغرائى رحمه الله

رويدك فالهموم لها نتاج * وعن كتب يكون لها انفراج
ألم تر أن طول الليل لما * تناهى حان للصبح انبلاج

وقال أبو فراس بن حمدان

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال آخر

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى أن لا ضيق الا سيفرج
ألا رب ما ضاق الفضاء باهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج

والى هذا أشار بن سناء الملك فى قوله يمدح الملك العادل

يجر جيوشا يركد النقع بينها * فلم يلق من بين الاسنة مخرجا

وقال ابراهيم بن عباس الصولى

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال القاضى شمس الدين احمد بن خلكان فى وفيات الاعيان انه ما رددها من نزلت به نازلة الا فرج الله عنه

وقال آخر

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب امر مسخط * لك فى عواقبه الرضا

وقال المعتمد بن عباد

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه * والشوك ينبت فيه الورد والآس
تمر حينا وتحلولى حوادثه * فقلما جرحت الا انثنت تاسو

قلت قد جرحته الليالى ولم تاسه وفقد عند الشدة رهطه وناسه وواقعة المعتمد بن عباد صدعت الاكباد ودكت لها من القلوب اطواد فانه لم يجر على ملك ما جرى عليه ولا ذوى به ولا اصيب احد بمصيبته فى ملكه وماله ونفسه وبنيه ومارعت الايام له حقوقه ولا أرت المعالى بعد غروبه شروقه ولا عدت ان عدت بنوه الاملاك فى السوقه حتى قال أبو بكر بن اللبانة وقد رأى ولده فخر الدولة بن المعتمد وهو فى دكان صائغ يعمل صناعة الصياغة

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

ألم تر أن المرء رهن منية
صريع لعاف فى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتا بها جرا وجلدك املس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاة
وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقوله)

الى كل قوم سلم يرتقى به
وليس الينا فى السلاليم مطلع
ويهرب منا كل وحش وينتمى
الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو أحسن ما ورد فى المستنبحات

ومستنبح تستكشف الريح ثوبه
ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليوقظ نوم
فجاؤا به مستسمع الصوت للندى
له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم

(أوافعل بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهنى اذ جاءه) (خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل)

هو عقيل بن علفة بن الحرث اليربوعى يكنى أبا العملس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وأمها بنت بدر ابن حصن بن حذيفة شاعر من

وعاد كونك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصياغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
بدعهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون لها
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
لح فى العلى كوكبا ان لم تلح قمرا * أو قم بها ربوة ان لم تقم علما

وهذه جملة من القصيدة وقد تاخر منها بقية وعلى الجملة ما رأى الناس ولا سمعوا بمثلها رزية وقد ذكرت واقعته فى كتب الادب والتاريخ وذكرها ابن خلكان وغيره وعمل أبو بكر بن اللبانة جزأ سماه نظم السلوك فى وعظ الملوك قصره على واقعة المعتمد واشعاره فى السجن واشعار أولاده وقال فيه ومن الغريب انه أخرج من سجن أغمات ونودى عليه الصلاة على الغريب ومن نظمه فيه قوله

لم تمت انما المكارم ماتت * لاسقى الله بعدك الارض قطرا

وله فيه قصيدة أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللنى من منا ياهن غايات
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها العلو قد كتمت * سريرة العالم السفلى أغمات

وله فيه قصيدة أخرى اولها

تنشق رياحين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى فقد كنت منعما

ومنها قوله

ينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وله قصيدة أخرى دالية اولها

تبكى السماء بمزن رائح غادى * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع والوادى
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

يريد بحمص هنا حمص المغرب وهى اشبيلية وله فيه من جملة امداحه قصيدة بائية اولها

بكت عند توديعى فاعلم الركب * أذاك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب

شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والحرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف فى قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب فى مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبنى هجناءك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجنى بعض بناتك فقال أبكرة من ابلى تعنى فقال له عثمان أمجنون أنت قال أى شئ قلت لى قال قلت لك زوجنى ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلى فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهرا دعع المال كله

وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهنى فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهنى فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الى عبد الملك بن

ومنها سالت اخاه البحر عنه فقال لى * شقيتى الا انه البارد العذب
لنا د يمتاماء ومال فديمتى * تماسك احيانا وديمته سكب
اذا نشات بريه قبله الندى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وكتب اليه يودعه وهو فى سجن اغمات من ابيات

رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وقال المعتمد وهو فى سجن اغمات من ابيات

مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح عنه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور

فاجابه ابن حديس الصقلى بابيات منها

تجىء خلافا للأمور أمور * ويعدل دهر فى الورى ويجور
أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدرارى فى البروج تدور
وقد تنتحى الاملاك بعد نحولها * ويخرج من بعد الخسوف بدور

وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله فى أعطافها ألطاف

البيت الاول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الامام فخر الدين قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفى تقرير هذا المعنى وجهان قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هنا معهود سابق فيصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر فى اللفظتين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر وزيف الجرجانى هذا وقال اذا قال قائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثانى أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما قرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكون المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ما تيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله ان يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل اه وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والسنة ملائى من ذلك والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد قال الشاعر

مروان وارده وتجترئ أنت
على ان تخطب الى * ومما
حكى عنه انه خرج هو وابناه
جثامة وعملس وأختهما
المسماة بالحوراء حتى أتوا
ابنة له نا كحا فى بنى مروان
بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا
ببعض الطريق قال عقيل
قضت وطرا من دير سعد
وطالما
على عرض ناطحته بالجماجم
ثم قال أجز يا جثامة فقال
وأصبحن بالمومأة يحملن فتية
تشاوى من الادلاج ميل
العمائم
ثم قال أجز يا عملس فقال
اذا علم غادرنه بتنوفة
تدار عن بالايدى لآخر
طاسم
ثم قال يا حوراء أجيزى فقالت
كأن الكرى أسقاهم صرخدية
تدب دبيبا فى المطا والقوائم
فقال عقيل شربتها ورب
الكعبة ثم شد عليها بالسيف
ليقتلها فقال أخوها ماذنبها
انما أجازت شعرا فشد عليه
فخدشه أحدهم بسهم فوقع
يتعلك فى دمه ويقول
ان بنى ضرجونى بالدم
من يلق أبطال الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم
الشنشنة اليمنية وأخزم
فحل منجب لرجل من العرب
وقيل أخزم جد حاتم الطائى
ثم توجه ولده الى الطريق

ما أحسن الصبر ولكنه * فى ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضى الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفى الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة فى عمرى

ونقلت من خط السراج الوراق له

وقائل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وقال أبو الحسين الجزار

عدم الصبر فهو يظهر ما يلـ * ـقاه بعد الجحود والكتمان
وعناد الاقدار لا ينفع المر * ء ولكن ما الصبر فى الامكان

وما أحسن قول ابن شرف القيروانى

وحسن صبرى فلا يغرك عن ضرر * مثل الملاحة فى أجفان ذى السبل

وقال أبو الوليد بن زيدون

أمقتولة الاجفان مالك والها * ألم ترك الايام نجما هوى قلى
أقلى البكا اذ لست أول حرة * طوت بالاسى كشحا على مضض الثكل
وفى أم موسى عبرة اذ رمت به * الى اليم فى التابوت فاعتبرى واسلى
ولله فينا علم غيب وحسبنا * به عند جور الدهر من حكم عدل

وقال الحسين القاضى الاشرف أحمد بن القاضى الفاضل

تصبر للعواقب واحتسبها * فأنت من العواقب فى اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا * فان الموت احدى الراحتين

وقال ابن رشيق

ما أنت يا دهر بالاهوال تفجعنا * الا لكى يقرع الجلمود بالخزف
ان كنت أنت لسيف الغدر منتضيا * فاننى من جميل الصبر فى زعف

وقال أبو المظفر محمد بن اسمعيل الابيوردى

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى * أعز وان الحادثات تهون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقال أبو الفتح البستى

من جعل الصبر فى مقاصده * وفى مراقيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره * وقل من عنه ندّ ماندما
كم صدمة للزمان منكرة * لما رأى الصبر صدما صدما
فاصبر فان الزمان عن كثب * يأسو على الرغم كلما كلما

قلت وفى هذه الابيات الجناس الذى يسميه أرباب البديع جناس التحريف ونقلت من كتاب أجناس التجنيس تصنيف أبى الوفا صادق بن كامل وهو بخطه قصيدة له كانت غير منقوطة ولا مضبوطة وهى

فلما مروا بابنى القين قالوا لهم
هل لكم فى جزور أتكسر قالوا
نعم قالوا الزموا أثر هذه
الرواحل حتى تجدوا الجزور
فخرج القوم حتى انتهوا الى
عقيل فاحتملوه وعالجوه الى
أن برئ ولحق بهم وقد تروى
الحكاية على غير هذا الوجه
وان المخدوش بعض ولده
والذى عليه أكثر الرواة هذه
وروى أن عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه عاتب رجلا
من قريش أمه أخت عقيل
ابن علفة فقال له قبحك الله
لقد أشبهت خالك فى الجفاء
فبلغت عقيلا فرحل من
البادية حتى دخل على عمر
فقال له اما وجدت لابن عمك
شيأ تعيره به الا خؤلتى قبح
الله شركما خالا فقال عمر انك
لأعرابى جاف أما لو كنت
تقدمت الينا لأدبتك والله
ما أراك تقرأ من كتاب الله
شيأ قال بلى انى لاقرأ ثم قرأ
انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم
أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ
فقال ان الله تعالى قال انا
ارسلنا نوحا فقال عقيل
خذوا بطن هرشى أو قفاها
فانه
كلا جانبى هرشى لهن طريق
فجعل القوم يضحكون من
عجرفته ويعجبون منه وقدم
عقيل المدينة فدخل المسجد
وعليه خفان غليظان فجعل

أدر أدركاس السرور فني الربى * حدائق للاحداق من زهر زهر
وعد وعد أيام التصابى فانها * كاضغاث أحلام ومن سفر سفر
ودرودر كالحميا تديرها * ثغور بها يفترعن بدر بدر
الى م ألام اليوم فى جهم فقل * ودع أن ينال العقل من خمر خمر
أقل أقل ياقلب من لوعة الهوى * ففيه لقلب الصب من قر قر
وصل وصل واعتدوا عتد تسليا * فيغنيك فى السلوان عن خبر خبر
ملاذ ملاذ المرء فى الدهر أن يرى * له ثروة تغنى ومن قدر قدر
فوات فوات القصد فى العمر واقصد التقى وقد * وافاك من عمر عمر
يمين يمين الظن الا بوعدها * وخلق له ماخط من بشر بشر
وعرف وعرف فى سناء وفى سنا * توالى بها منه على صدر صدر
كأن كان للدنيا وللدين سيفه * يحط به عن كل ذى وزر وزر
وعيد وعيد منه فى السخط والرضى * ولا مانع منه لدى حذر حذر
أكف أكف الشر فى حومة الوغى * فليس لها فى الحرب فى ظفر ظفر
معين معين صارف متصرف * اليه بما فى الدهر من فقر فقر
وقد وقد أعيى الردى الناس سيره * وجرعه منه جنى صبر صبر
أبى أبى الا الصفاح تكرما * بعلم وألهته عن السمر السمر
وجود وجود للمنايا وللغنى * وجد ووجد فيه من ذكر ذكر

(رجع) قال الشاعر وهو أرق ما يكون

ومصبر للصب قلت له وهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقهم * ما الذى فالصبر كيف يطيب

وقال آخر

لاتخف للخطوب فى كل وقت * لاولا تخشها اذا هى جلت
فحقيق دوامها ليس يبقى * كثرت فى الزمان أو هى قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها * فرج بقربها الفرج المطلا
فكم خطب تولى اذا توالى * وكم كرب تجلى حين جلا

وقال آخر

اصبر اذا نائبة حلت * فهى سواء والتى ولت
واستنهض العزم فليس الظبا * تبرى وتفرى كالتى كلت

وقال القاضى الفاضل

لاتلن للخطوب واصلب فمن لا * ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا * حين أبدى لينا لحر اللهيب

وقال آخر

يضرب برجليه فضحكوا منه
فقال ما يضحككم فقال له
يحيى بن الحكم وكانت ابنة
عقيل عنده وكان أميرا على
المدينة انهم يضحكون من
خفيك وضربك برجليك
وجفائك فقال لا ولكنهم
يضحكون من امارتك فانها
أعجب من خفى وحكى أن يحيى
ابن الحكم حين خطب ابنة
عقيل بعث اليها جارية من
عنده لتنظر اليها فغمزت
الجارية عضدها فرفعت يدها
فدقت أنف الجارية فرجعت
الى يحيى وقالت بعثتنى الى
أعرابية مجنونة فصنعت بى
ماترى فلما اتصلت بيحيى
قال لها مالك مع الخادم
فقالت أردت أن يكون
نظرك الى قبل كل ناظر فان
كان حسنا كنت أول من
تراه وان كان قبيحا كنت
أولى من وراه وبهاتين
السجعتين يستشهد فى
التجنيس لقولها أول وأولى
ورآه ووراه ومن جيد شعر
عقيل يرثى ولده علقة يقول
لعمرى لقد جاءت قوافل
أخبرت
بامر من الدنيا على ثقيل
لتسع المنايا حيث شاءت فانها
محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة
فحل الموالى بعده بمسيل
كأن المنايا تنتقى من خيارنا
لها تارة أو تهتدى بدليل

اذا حل بك الامر * فكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

وما أحسن قول بعضهم

كل آت آت وشيكا وذو الجهل معنى والهم والحزن فضل

وقال مسلم بن الوليد

وقالت لتربيها سلاه أعاتب * فنعتبه أم صارم متجنب
وانى لها بالوصل لاهى أيم * ولا أنا عن قصد المحجة أنكب
لعلك أن تمنى بفرقة صاحب * وتستعتب الايام فيك فتعتب

وقال آخر فى هذه المادة

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال آخر أيضا

لى منية ياهند أرجو نيلها * فى بعلك الوغد الدنى الصاحب
اما طلاق بين اومية * تجتاحه فأكون أول خاطب

ويقال ان الرشيد أراد ان يبتاع عنانا جارية الناطفى من مولاها فى حياته فاشتط عليه فى الثمن وقال لا أبيعها الا بمائة ألف دينار فلما بيعت بعد موت الناطفى اشتراها الرشيد بخمسين ألف درهم فلما صارت اليه قال كيف رأيت ظفرنا بك وابتياعنا اياك ببعض ما قال مولاك فقالت يا أمير المؤمنين اذا كان الخليفة يتربص بشهواته المواريث بلغ ما يريد ببعض ما اشترانى فاخجلته وقال آخر

لا أقول الله يظلمنى * كيف أشكو غير متهم
قنعت روحى بما رزقت * وتمطت فى العلى همى
ولبست الصبر سابغة * فهى من فرقى الى قدمى

قلت ما أحسن استعارة التمطى للهموم هنا وكذلك قول الشاعر فى وصف مصلوب

كانه عاشق قد مد ساعده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وعلى ذكر المصلوبين فما أحسن قول ابن حمديس

ومرتفع فى الجذع ان حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن
كذى غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حور الاتراهن أعين

وقال عمر الخياط

انظر اليه كانه متظلم * فى جذعه لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كانه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وقال بعضهم مر عمارة اليمنى بمصلوب فقال يصفه

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جارلهم

أما هلكت فلم آتكم
فابلغ أمائل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات
وكلا أراه وخيما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما
فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة
كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز فى نسبه فامتنع

لعمرى لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد جبت الى الدراهم
أبى لى ان أرضى الدنية انتى
أمد عنانا لم تخنه الشكائم
(ومتى كثر تلاقينا واتصل
ترائينا
فيدعونى اليك مادعا ابنة الخمس)
الى عبدها من طول السواد
وقرب الوساد

(ابنة الخمس) هذه هى هند بنت الخمس والخمص والخمسف الايادى حكى ذلك الشريف الرضى قديمة فى الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذى يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هى وأختها اجعة اليه فى كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

قال فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع جماعة بين القصرين وقال بعضهم عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذى صلب فيه عمار فشاهدته مصلوبا فذكرت أبياتا عملها فى الصالح وهى

اذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعرج على سعى ولا طلب
ولا ترقن لى من كربة عظمت * فان قلبى مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم انست وحشته * وكم وهبت له روحى ولم أهب

قلت هذا نجم الدين عمارة اليمنى كان فقيها أديبا شاعرا شافعى المذهب من أهل السنة المتعصبين لها فى دولة الفاطميين الى مصر وصاحبها يومئذ الفائز بن الظاهر والوزير الصالح ابن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن ثم عاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله ورثى أهل القصرين بقصيدته اللامية التى أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * ورعته بعد حسن الحلى بالعطل
ومنهل قدمت مصرا فأولتنى خلائقها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * تمامها انها جاءت ولم أسل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة أن قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شى غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبى والنفل

وهى طويلة فى غاية الحسن مثبتة فى الجزء السابع من التذكرة فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه وقيل انه استفتى عليه فى قوله فى قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى العلماء بقتله قلت لان هذا الكلام هو رأى الفلاسفة فى النبوات وانها بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح ان الله يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء صلوات الله عليهم عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا ولو كان كذلك ما أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ورود الوحى عليه ولاحم وجاء الى أهله وقال زملونى زملونى وأرى أنا أن هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة وأغروا به السلطان وقالوا هذا متعصب للمصريين ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضى العويرس وأولئك السبعة الذين صلبوا وما يبعد أن القاضى الفاضل تمالأ عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الجماعة فلما أمسكوه قال مروا بى على باب القاضى الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل وأغلق الباب فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

وذكر القاضى جمال الدين بن واصل فى مفرج الكروب ان القاضى العويرس رأى فى منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء فقال له الصلب حق قال نعم فقصه على العابر

أذا الله جازى محسنا بوفائه
فجازاك عنى يا قلمس بالكرم
وبعض الرواة يزعم انها أقامت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق
وفيت بعهد كان منك تكرما
كما لابنة الخس الايادى وفت هند
وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق أن هندا هى التى وفت لاختها جعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فليمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول الوساد والسواد السرارى يقال ساودته اذا سارررته وفى الحديث السواد من السحر والحق بعض الرواة فى قولها وحب السواد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجى الرجال الى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المتعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولى فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها

فقال له أنت تصلب قال لاى معنى قال لان المسيح لم يصلب وقد قال وهو صادق انه حق فما بقى الصلب الا فى حقك فصلب بعد أيام أو كما قال وأما القصيدة التى رثى بها أبو الحسن محمد بن يعقوب الانبارى الوزير بن بقية فما احد مثلها ولو لم يكن الا أولها لكفى به حسنا وهو

علو فى الحياة وفى الممات * لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيها خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

وهى مشهورة فلا فائدة فى اثباتها ويقال ان الشاعر كتب بها نسخا وزماها فى شوارع بغداد الى أن تداولها الناس وبلغت عضد الدولة بن بويه فتمنى أنه المصلوب ولم يزل مصلوبا الى أن توفى عضد الدولة فانزل ودفن وقيل ان بعض المغفلين وقف على قاص وهو يذكر ضغطة القبر ويبالغ فى هولها فقال يا قوم كم لنا فى الصلب من الفرج العظيم ونحن لا ندرى فقال مغفل آخر الى جنبه فانا نطلب الصلب منه (ذكر جماعة من أعيان المصلوبين) أول مصلوب صلب فى الاسلام عقبة بن أبى معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق الظبية منصرفه من بدر وأمر بصلبه ومنهم خبيب بن عدى وابن الدثنة الانصاريان أسرتهما هذيل يوم الرجيع ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل وعقبة بن هيثم بن هلال النميرى صلبه خالد بن الوليد وهانئ بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل بن أبى طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا وقال لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلم تتكلم فيه فيقال انه بقى سنة حتى مرت به بعد ذلك فقالت أما آن لراكب هذه المطية أن ينزل فأنزل فيقال انه لما أتى اليها بأشلائه وضعتها فى حجرها فحاضت وجرى اللبن فى ثديها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه ومنهم يزيد بن المهلب بن أبى صفرة صلبه مسلمة ابن عبد الملك بحسر بابل وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم صلبه يوسف بن عمر فى خلافة هشام وبقى معلقا أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق ولا حول ولا قوة الا بالله ويحيى بن زيد بن على المذكور صلب فى أيام الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراسانى فأنزله ووارا ه وصلى عليه وأخذ كل من خرج الى قتاله بعدان تصفح الديوان فقتل كل من كان فى بعثه الا من أعجزه وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعارا لبنى العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة أيام وناح عليه النساء وكل من ولد فى تلك السنة من أولاد الاعيان سموه يحيى وخالد بن عبد الله القسرى صلبه مروان الحمار على باب القواديس بدمشق وجعفر بن يحيى البرمكى صلبه هرون الرشيد وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه (رجع) الى ذكر التمطى وما ألطف ما استعمل ابن سناء الملك التمطى فى قوله

يا هذه لا تستحى * منى فقد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تثا * ءب ان ايرى قد تمطى

ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أى الخيل أحب اليك قالت ذو المعية الصنيع السليط التليع الأيد الضليع الملهب السريع فقيل لها أى الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الأضخم المؤتلق الصخب المنبثق فقيل لها أى الابور أحب اليك فقالت الذى اذا حفر حفر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لاحمى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت له ولا يوجد قيل فما مائة من الحمر قالت عارية الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس فى عينك قالت من كانت لى اليه حاجة ومن شعرها

أنتم كنصل السيف جعد
مرجل
شغفت به لو كان شئ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه
وبين أبى لاخترت أن لا أباليا
(وهل فقدت الاراقم
فأنكح فى جنب)
(الاراقم) حى من تغلب
(وجنب) حى من اليمن وهذا
اللفظ من جملة شعر لمهلهل
التغلبى وقد تقدم ذكره كان
قد هرب حين طالت عليه
الحروب من أجل حرب
البسوس فنزل فى طريقه على
حى من اليمن فخطبوا اليه
ابنته فابى فساقوا المهر وهو
جلود من أدم وغصبوه على
الزواج فقال
أعزز على تغلب بما لقيت
أخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من
جنب وكان الحباء من أدم
لو بابانين جاء خاطبها
رمل ما أيف خاطب بدم
(أو عضلنى همام بن مرة
فاقول زوج من عود خير من
قعود)
(عضل) الولى المرأة اذا منعها
من النكاح والعضل المنع
الشديد مأخوذ من عضل
اللئيم (وزوج من عود خير
من قعود) قول احدى بنات
همام بن مرة ابن ثعلبة كان
له أربع بنات وكن يخطبن
اليه فيعرض ذلك عليهن

واستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشدنى ابن سناء الملك هذا وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزأ من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغداديه قالت لاخرى أخرجت يوم العيد قالت لها انى وحياتك قالت فما رأيت قالت أحراجا تتثاءب وابورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عثرت على الكنز الذى انتهبته وحكيت له الحكاية فقال سيدنا يفتش عن أمرى ومما اتفق لى نظمه فى الصبر أن قلت

اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحر منا ونابا
صبرنا ولم نشك احداثه * لانا نعاف التشكى ونابى

وقلت أيضا

لو يعلم الدهر منى ان مصطبرى * يغتال صرف الليالى ثم يفترس
كانت جياد الرزايا كلما اطردت * تحوم حول ربوعى ثم تنعكس

وقلت أيضا

بالله لا تأس على فائت * مضى ولا تيأس من اللطف
فقد يجئ الدهر مع قسوة * فيه بوقت لين العطف

وقلت أيضا

ما أبصر الناس صبرى * على عنائى وكربى
الصمت دأب لسانى * وقد تكلم قلبى

وقلت أيضا

لزمت بيتى مثل ما قيل لى * ولم أعاند حادث الدهر
وليس لى درع يرد الردى * استغفر الله سوى صبرى
علما بأن البؤس رهن الرخا * وغاية العسر الى اليسر
فقد يسل السيف من غمده * ويخرج الدر من البحر
وتبرز الصهباء من دنها * ويرجع النور الى البدر

وقلت أيضا

قد أنزل الدهر حظى بالحضيض الى * أن اغتديت بما ألقاه منه لقا
يضوع عرف اصطبارى اذ يضيعنى * والعود يزداد طيبا كلما احترقا
(اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل)
(اللغة) أعدى افعل تفضيل من العداوة العدو ضد الولى وجمعه أعداء وهو عدو بين العداوة والمعاداة والانثى عدوة وفعول اذا كان فى تأويل فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو رجل صبور وامرأة صبور الا حرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء انما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشئ قد يبنى على ضده أدنى هنا أقرب وثقت به بالكسر اذا ائتمنته والميثاق العهد صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والموثق والميثاق والوثيق الشئ المحكم حاذر أمر من المحاذرة وهى التحرز ويقال الحذر رجل حذر وحذرون وحذارى وأنشد سيبويه فى تعدية حذر

حذر أمورا لا تخاف وآمن * ما ليس منجيه من الاقدار

وهو نادر لان النعت اذا جاء على فعل لا يتعدى واصحبهم أمر من المصاحبة وهى المعانرة على دخل الدخل المكر والخديعة قال الله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم (الاعراب أعدى) أفعل تفضيل من العداوة وهذه الصيغة لا تبنى الا مما يجوز أن يبنى منه فعل التعجب وله شروط ذكرت هناك فى شرح قوله أعلل النفس بالآمال البيت فلا يبنى أفعل تفضيل الا من ثلاثى ليس بلون ولا عاهة فلا تقل هذا أحمر من ذا ولا هذا أعور من ذا بل هذا أشد عورا وأحسن حمرة فان قلت قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وقول أبى الطيب

أبعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

قلت أجابوا عن الآية بأنه مأخوذ من عمى البصيرة لا عمى البصر فليس بعاهة وعن البيت بأن أسود فاعل وليس بأفعل تفضيل فهو أسود الذى مؤنثه سوداء ومن الظلم صفة له غير متصل به اتصال من فى قولك زيد خير من عمرو وبقية الشروط المذكورة فى أفعل التفضيل مذكورة فى فعل التعجب فى ذلك البيت المذكور قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأفعل التفضيل يأتى فى الكلام على ثلاثة أضرب مضافا ومعرفا بالالف واللام ومجردا من الاضافة وأداة التعريف فان جرد منهما لزم اتصاله بمن جارة للمفضل عليه كقوله زيد أكرم من عمرو وقد يستغنى بتقدير من عن ذكرها ويكثر ذلك اذا كان أفعل التفضيل خبرا كقوله تعالى والآخرة خير وأبقى ويقل اذا كان صفة أو حالا كقول الراجز * تروحى أجدر ان تقيلى * أى تروحى وائتى مكانا أجدر أن تقيلى فيه من غيره وان كان أفعل مضافا نحو زيد أفضل القوم أو معرفا نحو زيد الافضل لم يجز اتصاله بمن فأما قوله

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العدة للكاثر

ففيه ثلاثة أوجه احدها ان من ليست لابتداء الغاية بل لبيان الجنس كما فى قولهم أنت منهم الفارس الشجاع أى من بينهم الثانى انها متعلقة بمحذوف دل عليه المذكور الثالث ان الالف واللام زائدتان فلم يمنعا من وجود من كما لم يمنعا من الاضافة فى قوله

تولى الضجيع اذا تنبه موهنا * كالاقحوان من الرشاش المستقى

قال أبو على أراد رشاش المستقى اه قلت اذا تقرر هذا فى أفعل التفضيل فقوله أعدى عدوك ليس مبنيا من ثلاثى اذ الفعل منه عاداه فهو رباعى لا يبنى منه أفعل التفضيل فلا يقال هو أعدى عدو ولا اصدق صديق من المصادقة أما من الصدق فنعم ولهذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وما بقى فيه الا أن يقال هو على لغة من قال هو أعطاهم للدرهم وأولاهم للمعروف (رجع) اعدى مرفوع بالابتداء ولم يظهر الرفع لانه مقصور (عدوك) مجرور بالاضافة الى ما قبله والكاف ضمير المخاطب فهى فى موضع جر بالاضافة أيضا الى عدو (أدنى) أفعل تفضيل آخر من الدنو وهو القرب من دنا يدنو فأصله ثلاثى بخلاف الاول وهو مرفوع لانه خبر المبتدا المتقدم ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور فالضمة مقدرة (من) هذه فى موضع جر لانها مضافة الى أدنى وهى نكرة موصوفة والتقدير أدنى رجل أو أدنى صاحب موثوق به (وثقت) فعل ماض والتاء ضمير المخاطب فهى فاعلة الفعل وموضعها الرفع (به) جار ومجرور والباء للتعدية وهذه الجملة فى موضع جر صفة لمن (فاذر)

فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى * حديث شباب طيب الريح والعطر

طبيب بادواء النساء كأنه * خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهى الوسطى * ألا هل أراها هامرة وضجيعها * أشم كنصل السيف غير مهند * لصوق بأكباد النساء ورهطه

اذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقالت الثالثة

ألا ليته يعلى الجفان بديهة * له جفنة يسقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة * تشين فلا الفانى ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا قال وقلن للرابعة وهى الصغرى تمنى فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل

عنا قال يا بنية ما مالكم قالت
الابل قال كيف تجدونها
قالت خير مال نأكل لحمانها
مرغا ونشرب البانها جرعا
وتحملنا وضيفنا معا قال
فكيف تجدين زوجك قالت
خير زوج يكرم خليله ويعطى
الوسيله قال مال عميم وزوج
كريم ثم قال للثانية ما مالكم
قالت البقر قال كيف تجدونها
قالت خير مال تألف الفناء
وتملأ الاناء وتولد السقاء
ونساء مع نساء قال فكيف
تجدين زوجك قالت خير
زوج يلزم أهله وينسى
فضله قال حظيت ورضيت
ثم قال للثالثة ما مالكم قالت
المعز قال فكيف تجدونها
قالت لا بأس بها نولدها
فطما وتسلخها أدما لم نبغ بها
نعما فقال جدوى مغنية قال
فكيف تجدين زوجك قالت
لا سمح بذر ولا بخيل حكر ثم
قال للرابعة يا بنية ما مالكم
قالت الضأن قال فكيف
تجدونها قالت شر مال جوف
لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم
لا يسمعن وأمر معويتهن يتبعن
قال فكيف تجدين زوجك
قالت شر زوج يكرم نفسه
ويهين عرسه قال أشبه امرؤ
بعض بزه وبعض الرواة
يعزى هذه الحكاية الى ذى
الاصبع العدوانى وبناته
(ولعمرى لو بلغت هذا المبلغ

الفاء للتعقيب وحاذر فعل أمر وهو للمفاعلة من الحذر والامر مبنى على السكون وانما تحركت هنا لالتقاء الساكنين وهما الراء واللام و(الناس) مفعول به والفاعل ضمير استتر فى فعل الامر والتقدير فحاذر أنت الناس (واصحبهم) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر والهاء والميم ضمير يرجع الى الناس وهو فى موضع نصب لانه مفعول به لاصحب (على دخل) جار ومجرور على للاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال أى واصحبهم مخادعا (المعنى) اشد الناس عداوة لك أقرب رجل وثقت به فحذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه أشد لك عداوة من كل عدو وقرأت على الشيخ الامام العلامة النجمة الحافظ القدوة جمال الدين ابى الحجاج يوسف المزنى بدمشق اخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين ابو الحسن على بن النجارى وكمال الدين ابو محمد عبد الرحيم ابن عبد الملك المقدسيان بدمشق وكمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبى بحلب قال المقدسيان اخبرنا ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندى وقال ابن النصيبى اخبرنا افتخار الدين الهاشمى بحلب سنة اثنتى عشرة وستمائة اخبرنا ابو شجاع عمر ابن محمد البسطامى وابو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجى وابو حفص عمر بن على الكرابيسى وابو على الحسين بن بشير النقاش قالوا اخبرنا ابو القاسم احمد بن ابى منصور محمد ابن عبد الله الزياد الخليلى قال حدثنا أبو القاسم على بن احمد بن محمد بن عبد الله الخزاعى البخارى المعروف بابن المراغى سنة ثمان واربعمائة قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الاديب ببخارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الحافظ الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمرو بن عبد الرحمن العجلى قال اخبرنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى اباعبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن ابى هالة وكان وصافا عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وانا اشتهى ان يصف لى شيأ منها فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله قال الحسن فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه وفى الحديث طول اه وعن ربيعة بن ماجد قيل لمعاوية بن ابى سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط قلت نعم الحزم سوء الظن بالناس وقيل

من احسن الظن باعدائه * تجرع الهم بلا كاس

ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت من احسن الظن باحبابه ولا اقول باعدائه ولله در القائل

جزى الله خيرا كل من ليس بيننا * ولا بينه ودولا متعرف
فما انانى ضيم ولا مسنى اذى * من الناس الا من فتى كنت اعرف

ويقال ان رجلا كان على عهد كسرى يقول من يشترى ثلاث كلمات بالف دينار فيطن منه الى أن اتصل بكسرى فاحضره وساله عنها فقال ليس فى الناس كلهم خير فقال صدقت ثم ماذا قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت

المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت ان أرى من يشترى الحكمة بالمال وقال أبو الطيب

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلمى انه بعض الانام
وآنف من أخى لأبى وامى * اذا مالم أجده فى الكرام
أرى الاجداد يغلبها كثيرا * على الاخلاق أولاد اللئام

وقال ابن سناء الملك

أبى الدهر الا ضدما انا طالب * فياليت منى مكن الله ضده
يعد الفتى اخوانه لزمانه * واعدى له من صرفه من أعده

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ودامرئ غرضا

وقال أيضا

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى * لما طلعت مخافة ان تكادا
فأى الناس أجعله صديقا * وأى الارض أسلكه ارتيادا

وقال ابن نباتة السعدى

وخلنى وبنى الدنيا فان لهم * يوما أصوغ له ليلا من المدر
لم يبق فيهم خفى لست أعرفه * وكيف لا أعرف الصافى من الكدر

وقال بن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال الغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم * بعدى عن الناس فى هذا الزمان نجا
لولا التباعد بين الحاجبين به * بان افتراقهما لم نعرف البلجا

وقال الارجانى

جربت دهرى وأهليه بادرتى * من قبل أن نجربتنى فيهم الحنك
فلا حسائك فى صدرى على أحد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * وربما غر بحر تحته شبك

وقال بن قلاقس

اعلق باطراف الوداد فانه * من دافع الامواج مات غريقا
واذا انتهى الاخلاص أوجب ضده * ان التجمع يورث التفريقا

وقال الارجانى

أسفت على عمر تصرم ضائعا * وجدت بدمع يستهل هتون
وآنسنى بعدى عن الناس جانبا * وان هم على أحداقهم جلونى
ولما غدا عبأ على جفن ناظرى * لقاء الورى من صاحب وخدين
ألفت القلى مستوطنا ظهر ناقتى * تلف سهولا دائما بحزون

لارتفعت عن هذه الحطة)
ولا رضيت بهذه الخطة
الحط انزال الشئ من العلو
(والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض
(والخطة) الامر والمقصد قال تأبط شرا

هما خطتا اما أسار ومنة
واما دم والقتل بالحر أجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى أنه لو عضانى هما م وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسى بك ولرفعت قدرى عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك
(فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثديها)
هذه أمثال تضرب لمن يختار التالف على قبيح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أى أختار النار والمنية و بالرفع أى النار والمنية أحب الى وقال العسكرى فى قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثديها يعنون لا تكون الحرة ظئر القوم على جعل تأخذه منهم فيلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفى ذلك يقول حاجب

حضنا ابن ماء المزن وابنى محرق * فعابه الناس بذلك

وقالوا مارأينا من يفتخر بالمعاب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدى أتى علقمة الطائى يخطب ابنته ريا فقال لامها أبيني عمن فى نفسها فقالت لها يا بنية أى الرجال احب اليك الكهل المباح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يميرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ ان يبلى شبابى ويشمت اترابى فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينما هو جالس بفنائه وهى الى جانبه اذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها مالك فقالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها أما وابيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها ألحقى باهلك فلا حاجة لى فيك قال العسكرى وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيد أصله ولا تأكل ثديها أى من الحسرة وليس هذا بموافق ايضا ولكنه حكى على ماقيل والله تعالى اعلم

(فكيف وفى أبناء قومى منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقة)

يعنى كيف أرضى بهذا وفى

وما سرت الا فى الهواجر وحدها * كراهة ظلى ان يكون قرينى

وقال عبيد بن أيوب العنبرى أحد اللصوص

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر
وخفت خليلى ذا الصفاء ورابنى * وقيل فلان أو فلانة فاحذر
اذا قيل خير قلت هذى خديعة * وان قيل شر قلت حق فشمر

وقد بالغ بشار فى الحذر حيث قال

يروعه السرار بكل شئ * مخافة ان يكون به الشرار

وقيل له من أين أخذت هذا قال من أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما كنت فى جنازة فرأيت اثنين يتسارران الا قلت هما يتحدثان فى شئ أوصى لى به الميت وأخذه أبو نواس أيضا فقال

تركتنى الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان
ما أرى خاليين فى الناس الا * قلت ما يخلوان الا لشانى

وأخذه بعده أبو الطيب فقال

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأخذه منه ابن الخياط الدمشقى فقال

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقد تقدما وأما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة ومن أحسنها أنه قيل له ما بلغ من طمعك قال لان قال له ذلك ماقلت لى هذا الكلام الا وقد أخبأت لى شيأ تعطينى اياه وقيل له أيضا ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا بالمدينة تزف قط الا كنست بيتى ورششته طمعا فى ان تزف الى ووقف على رجل خيزرانى وهو يعمل طبقا فقال لو وسعه قليلا قال الخيزرانى وما تريد بذلك كأنك تريد أن تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدى لى شيأ فيه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لى فنزلنا بعض الاديار فقلا حينا فقلت ايرهذا الراهب فى حرأم الكاذب فلم نشعر بالراهب الا وقد طلع وهو منعظ ويقول أيكم الكاذب وقيل له أيضا هل رأيت أحدا أطمع منك قال نعم كلب أم حومل يتبعنى فرسخين وأنا أمضغ كندرا ويقال انه مر يوما بجعل الصبيان يعبثون به فقال لهم ويلكم سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر فر الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا أشعب معهم وقال ما يدريني لعله يكون حقا ويقال ان بعضهم اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم أحمل عليك ألف رجل فما أنا برجل فجاس على الباب الى أن أعياه ثم قام وضرب الباب وقال تحمل على هذه القحبة أحدا والاغض ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة البهائم قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفينى على حمارك فأردفتها فقالت لها ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا فقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلى قبل أن تقولى ما أفره حمارى فما رأيت أطمع منك وأتى بعض الفقراء الى خياط فى يوم برد ولم يكن عليه غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف المسكين مقرقفا من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ منه طواه وجعله تحته وأطال فى ذلك فقال أجير عنده أما تدفعه اليه فقال اسكت عساه ينساه ويروح وقيل ان بعضهم تمنى فى

منزله فقال ليت لنا لحافا فنطبخ سكباجا فقال البث أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا فيها قليلا من المرق فقال الرجل جيرانا يشمون رائحة الامانى (رجع الى الحذر واليقظة) قال مسلم ابن الوليد من قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وهذه القصيدة من القصائد المشهورة وفيها الابيات النادرة ويقال ان هرون الرشيد لما سمع البيت الاول فى ليلة من مغنية فى دار وسأل عنه وعمن قيل فيه فقيل له لمسلم بن الوليد فى يزيد ابن مزيد الشيبانى وكان يزيد يقول والله يا أمير المؤمنين لأحرصن على أن لا أكذب شعراءى فيما يمدحونى به فامر الرشيد باحضار يزيد على الحالة التى يصادف عليها فاحضروه وعليه ثياب خلوته ملونة ممصرة فلما نظر اليه الرشيد فى تلك الحالة قال أكذبت شاعرك يا يزيد قال فيم يا أمير المؤمنين قال فى قوله تراه فى الامن البيت فقال يزيد لا والله يا أمير المؤمنين ما أكذبته وان الدرع على ما فارقتنى وكشف ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فامر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار ليزيد وخمسة آلاف دينار لمسلم وحكى الخالديان فى اختيار شعر مسلم عن مسلم من جملة خبره فى وصوله الى يزيد قال فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهى تريه وجهه وبيديه مشط يسرح به لحيته فقال ما الذى أبطأ بك عنى قلت أيها الامير ضيق اليد وقصور الحال قال انشدنى فانشدته أجرت حبل خليع فى الصبا غزل القصيدة فلما بلغت قولى لا يعبق الطيب خديه ومفرقه البيت وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفى فقد حرم مسلم علينا الطيب ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتنى الطيب وأمرهتنى باقى عمرى فما رؤى بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا ويقال انه كان أعطر أهل زمانه وكان يقول الله بينى وبين مسلم حرم على أحب الاشياء الى قلت

يا ليت شعرى أين كنت من الدنا * والناس ناس والزمان زمان

ففى مثل هذا الزمان كان الادب فى عنفوانه والشعر فى ابانه والمدح اذا أتى تلقاه الممدوح باحسانه لا كالزمان الذى قال فيه لآخر

وقالوا فى الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا فى المديح
لانى ان مدحت مدحت كذبا * وأهجوحين أهجو بالصحيح

(رجع) وقال مجير الدين محمد بن تميم

من كان يرغب فى حياة فؤاده * وصفائه فلينأ عن هذا الورى
فالماء يصفو ان نأى واذا دنا * منهم تغير لونه وتكدرى

وقالوا أبو العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد أخذه من عمارة بن عقيل حيث قال

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وقال أبو الطيب

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

قومى كثير من أكفائى

(وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بنى قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعى يقول ما مدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر بالسمامة على المحلق بن جشم الكلبى وكان حامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكرى فلعلى أشهر فتخطب بناتى فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التى يمدح بها المحلق ويقول فيها

وقال أيضا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقيل ان أبا الطيب لما ادعى النبوة قيل له ما معجزتك قال قولى ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى البيت وأما أبو العلاء المعرى فقد سلى نفسه عن عماه بقوله

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدانكم يهون
والله ما فى الوجود شئ * تأسى على فقده العيون

وما هذه النفس قويه وهمة عن أدناس الوجود عليه على ان عدم رؤية الناس مما يخفف بعض البأس لان وقوع الناظر على ما يكره مما يجعل الجفن أمره

واحتمال الاذى ورؤية جانيه * غذاء تضوى به الاجسام

وعلى ذكر العمى فقد حضرنى لابن قزل أبيات عملها فى عمياء أشهى من الشفة اللمياء وهى

علقتها عميا مثل المها * قد خان فيها الزمن الغادر
أذهب عينيها فانسانها * فى ظلمة لا يهتدى حائر
تجرح قلبى وهى مكفوفة * وهكذا قد يفعل الباتر
ونرجس اللحظ غدا ذابلا * واحسرتا لو أنه ناضر

يكاد هذا الرابع يختم لنفسه على الحسن بطابع وما أرشق نظمه وأنفذ فى القلوب سهمه ولقد أحسن من قال وان لم يكن من زنة ذلك المثقال

قالوا تعشقتها عمياء قلت لهم * ما شأنها ذاك فى عينى ولا قدحا
بل زاد وجدى فيها انها أبدا * لا تعرف الشيب فى فودى اذا وضحا
ان يجرح السيف مسلولا فلا عجب * وانما أعجب لسيف مغمد اجرحا
كأنما هى بستان خلوت به * ونام ناطوره سكران قد طفحا
تفتح الورد فيه من كمائمه * والنرجس الغض فيه بعدما انفتحا

ولابن سناء الملك مقاطيع فى عمياء تروى غلة الكبد الظمياء منها

شمس بغير الليل لم تحتجب * وفى سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها * تقتل فى الغمد بلا مرهف
رأيت منها الخلد فى جؤذر * وناظرى يعقوب فى يوسف

وهذا البيت الثالث ماله فى الحسن وارث وقد تلطف فيما تخيل واختلس رقة المعنى وتحيل وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ولكنه استعمل الخلد مورى ودخل الدار من دربه وغيره برا وان كان قد سرقه من ابن سناء الملك فقد استرقه وجعله بالزيادة حرا وهو

فديت اعمى مغمد الحظه * انزهتى فى خده الوردى
تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

وقلت أنا فى ذلك

أيا حسن أعمى لم يجد حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا
اذا طار قلب بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
فما أتت على المحلق سنة حتى
زوج البنات على مئين ألوف
ومن ذلك أنه امتدح الاسود العنسى فأعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على ما معه فاتى علقمة بن علاثة فقال أجرنى فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فاتى عامر بن الطفيل فقال أجرنى فقال اجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرنى من الموت قال ان مت فى جوارى بعثت الى اهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتنى ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة يبكى اذا ذكر قوله تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ويدعو عليه ان كان كاذبا ويقول أنجن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فاصبح ليلة بابيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال ياسوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين

وقلت فيه أيضا

ورب أعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير الديون
فى خده ورد غنى بنابه * عن نرجس مافتحته العيون

ولابن سناء الملك أيضا

فتنتنى مكفوفة ناظراها * كتبا لى من الجراح أمانا
فهى لم تسلل الجفون حساما * لاولم تحمل الفتور سنانا
وهى بكر العينين محصنة الاجـ * ـفان ما افتض ميلها الاجفانا
قصرت عشقها على فلم تعـ * ـشق فلانا اذ لم تعاين فلانا
عممت من هواى وارتحل الانـ * ـسان من عينها وأخلى المكانا
علمت غيرتى عليها فخافت * ان يسمى غيرى لها انسانا

وله أيضا فيها

ان الكمال أصاب فى محبوبتى * لما أصاب بعينه عينيها
زادت حلاوتها فصرت تخالها * وسنى وقد أسرا الكرى جفنيها
وكما علمت وللدبيب حلاوة * فكأننى أبدا أدب عليها

وقد اختلس النور الاسعردى هذا المعنى ونقله الى غير هذا المبنى وأنزله فى غير هذا المغنى فقال

ألذ نيلك الملاح سرا * لاجل ذا أستعذب الدبيب
عجبت من نايك الانثى * عليها من وجهها رقيب

وعلى ذكر حلاوة الدبيب فلا بأس بايراد بعض رسالة كتبها الشريف أبو يعلى بن الهبارية الى الاستاذ الخطيرى أبى منصور وهى أسعد الله سيدنا الاستاذ الخطيرى الرئيس الاثير النفيس بهذا اليوم السعيد وعرفه بركات هذا الشهر الجديد نعم أسعده الله بهذا اليوم وعرفه بركات هذا الصوم وحشره فى زمرة القوم وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم فان من أصعب الامور نوم الابور لاسيما عند مغالطة الرقيب ومخالسته ومسامحة الحبيب ومساعدته فى دهليز مظلم أو حمام معتم أو طريق لهو قل سائره أو مجلس أنس نام سامره أو ضرورة داعية الى الدبيب أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب يقضى بها الوطر من غير علمه ويبلغ بها القصد منه على رغمه وقد اختلف فى ذلك أئمة الظرف وحكماء اللطف فمنهم من أباحه تجوزا ومنهم من حظره تحرزا ومنهم من عده جناية وخساره ومنهم من رآه عيارة وحساره قال بعضهم

خرق سراويلاتهم * لاتنتظر حل التكك
وافتك بهم انى ظفر * ت من الشوارع والسكك

وقال الآخر

لا أبيح الدبيب الا اذا كا * ن حبيبى بما أروم بخيلا
فأحث الكؤس حرصا عليه * جاعلا سكره اليه سبيلا
فاذا نام قمت بالرفق واللطـ * ـف وأدخلته قليلا قليلا

ومنهم من وصفه بالخلو عن اللذة المطلوبه والتجرد عن الشهوة المحبوبه فقال حد النيك ان يديه قال له أتدرى لم أظفرنى الله بك بغير دية ولا عقل قال لا قال لتقوّلك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك فى فواطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

أعلقم قد صيرتنى الامور
اليك وما كان لى منكص
فهب لى نفسى فدتك النفوس
ولازلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت فى ما قلت فى ابن عمى عامر لأغنيتك ولو قلت فى عامر ما قلت فى ما أذاقك برد الحياة

(وحكى الاصمعى) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
ومالى من سقم ومالى تعشق

فقيل انه سهر ومابه عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فأخرجوه

(ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبى صلى الله عليه وسلم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من رجى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبى يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا

صناجة العرب مامدح أحدا
الا ارتفع فرصدوه على
طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين
أردت قال صاحبكم لأسلم
قالوا انه ينهى على خلال كلها
لك موافق قال وماهى قالوا
الزنا قال لقد تركنى الزنا وما
تركته قالوا والقمار قال لعلى
أصيب منه عوضا قالوا والخمر
قال أوه أرجع الى صبابة لى
فى المهراس فأشربها ثم أرجع
فعاد الى رحله فلبث أياما ثم
رمى به بعيره فقتله وزعم
بعض الرواة أن الذى أمره
بالرجوع أبو جهل وهو غلط
فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة
بعد ان مضت بدر والصحيح
أن القائل عامر بن الطفيل
وأما قوله

أغار لعمرى فى البلاد وأنجد

فقال المعرى حكى الفراء
وحده أغار فى معنى غار اذا أتى
الغور واذا صح هذا البيت
عن الاعشى فلم يرد بالاغارة
الاضداد الانجاد وروى
الاصمعى روايتين احداهما
أن أغار فى معنى عدا عدوا
شديدا والاخرى انه كان يقدم
ويؤخر فيقول لعمرى أغار
فى البلاد وأنجدا فيأتى به
على زحاف القبض وكان ابن
مسعدة يقول غار لعمرى
فيأتى به على استعمال الخرم
فى النصف الثانى ويروى
أن الاعشى كان يؤمن

يكون مفاعله أعنى لا مناغصة ولا مبادله فان ذلك من شيم الوزراء وخلائق الكبراء فاما
نحن معاشر الشحاذين وجيل عباس أجمعين فاننا أدنى محلا من ان ندعى فيه فيه حظا أو عد
له لحظا أو نختلط بأهله أو ننسب الى حزبه وما كل من تعاطاه كان له أهلا ولا كل من داناه سومح
بكونه له محلا وقال ابن البياضى فى القاضى أبى محمد بن السمالك

وقال قوم به ابنـــــــة * ومازلت أنقض ماشيدوا
ومن ذلك الكلب حتى يكو * ن له فى البغاة قدم أويد

والمصريون يتنافسون فيه ويتفاخرون به ويعدونه منقبة سامية ومرتبة عالية واذا ادعاه مدع
وممن لا يعتزى الى مجد شريف ولا ينتمى الى منصب منيف دفعوه عنه وأنفوا له منه وقالوا اى
أبوة استحق هذه المنزله أم اى رياسة وصل الى هذه المرتبه واذا وصفوا انسانا برقة
النحافر قالوا فلان يبوس ملتقتا فاخذه المتنبى وقال

ويغيرنى جذب الزمام لقلبها * فهما اليك كطالب تقبيلا

وانما قصدت بالمفاعلة ان تكون بين اثنين متفقى الشهوة متقاربى الرغبة متالفى الحاله اذا
رهز هذا جزذاك واذا خضع هذا رحم راكبه وناك واختال اختيال الطرف راكبه وهملج
هملجة الرهوان بجاذبه وكثير من اللاطة يعتذرون عن ميلهم الى الغلمان الصغار
ورغبتهم فى العلوج الكبار بانهم يعلمون ما يراد منهم وفى علمهم لذة عارضة وشهوة داخلة
غير الطبيعية والشهوات تتغير بتغير الاسباب حتى ان منهم من يتمنى نيك الوزير وان كان شيخا
ويعشق الامير وان كان كهلا ويتمنى امرأة الرئيس وان كانت عجوزا هرمة ويقال فلان يعشق
لحشمته وفلان يناك لنعمته وفلان يستجاد لرياسته وشرف بيته ولقد سمعت ان رجلا
دب على أبى عمرو بن العلاء فلما شعر به قال ويلك ما حملك على هذا وأنا شيخ قال ولم لا أنيكك
وأنا أوجر منك فى شحم ولحم وعلم ضخم وأنت رجل ذى فهم ولقد كنا ليلة باصبهان فى دار
الوزارة فى جماعة من الرؤساء وعصبة من الفضلاء وعدة جماعة باسمائهم فلما هدأت
العيون واستولى على الحركات السكون سمعنا صراخا عاليا وصوتا مرتفعا وولولة
واستغاثة فقمنا واذا الشيخ الاديب أبو جعفر القصاص ينيك أبا على الحسن بن جعفر
البندنيجى الشاعر الضرير وذلك يستغيث ويقول انى شيخ أعمى فما يحملك على نيكى وذلك
لا يلتفت اليه الى ان أفرغ فيه وسل منه كذراع البكر وقام قائلا انى كنت أتمنى ان أنيك أبا
العلاء المعرى لكفره والحاده ففاتنى ذلك فلما رأيتك شيخا أعمى فاضلا نكتك لاجله وقال

أنيك الشيوخ نيكة عاهر * مغيظ على أعمى المعرة أحدا

فقال البندنيجى قصيدة يشكو ما جرى عليه فيها

وقد كنت دبابا على كل نائم * فها أنا مدبوب على أناك
وقد مات شيطانى وابرى مقلص * ضعيف القوى لم يبق فيه حراك

وحدثنى القاضى أبو الحسين الاسعاندانى المحلمى قال حدثنى أبو القاسم المغربى الوزير ببغداد
أن غلامه نسيما استشعر به انه دب عليه فى سكره فانتبه مغضبا وصدمعاتبا فقال الوزير فى ذلك
أبياتا يعتذر اليه فيها من جملتها

سيان عندى ميت فى قبره * يجنى عليه ونائم فى سكره

رزق الله وليه عقلا يعقله من هذه الحماقات وروعا يحجزه وهيهات فانه أراد ان يعرق فأشأم وعزم أن ينجد فاتهم فافتتح كلامه بالدعاء الصالح ثم عقبه بكلام الماجن المازح لكنه رأى نوم الايور يورث فتره ويعقب حسره ويبقى خجله ويعيروجله وحكى عن المبرد انه قال عشقت جارية من قصر المعتز بالله فلحقني بها ما خفت عاقبته على نفسي وطال شوط مطالها وانا أقوت نفسي بترجي وصالها فلما رحمت عبدها وأنجزت وعدها وحضرتني زائرة نام ايري لشؤم طيري فاجتهدت ان يقوم فابى فتحيرت خجلا وتلذذت وجلا خوفا ان تظن تلك السيره ولا تعرف السريره فاخذت سكين الدواة فقالت ما تصنع فقلت أقطعه فقالت دعه تبول منه فكان ذلك أشد على من صفع اخدعي فانصرفت وأنا أقول

الشان في ايري قوم * فالتفتت الي وقالت مجيزة * وهوى بلا نيك يدوم

فقلت ايري على مع الزما * ن فن أذم ومن ألوم

وأنشدني الرئيس أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسون المنجم الموصلي لبعضهم في مثل هذا الحال

لو نصر الله على ايري * شددته المجنون في الدير

ان قلت نم قام وان قلت قم * نام على فخذي كالسير

يبغي خلافي أبدا جاهدا * كأنما صاحبه غيري

اه ما اخترته من كلام بن الهبارية وأما أبيات أبي العز الضرير فان للفرزدق يعدو في اثرها وهو جرير لانه اعتذر لعشقه وهو أعمى وأوضح دليله الذي صدق حسا ووهما وهي

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف المى

وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغلتك وهما

وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما

فاجبت اني موسوى * العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

والذي سبق الى هذا سبق المطهمة الجرداء هو بشار بن برد حيث يقول

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وحيث يقول أيضا

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبي فاضحى به من حبها اثر

انى ولم ترها تهوى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وحيث يقول أيضا

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * بر الك قلبي وان غيبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فاما معتل بني على هيكل
بناه وصلب فيه وخارا
بأعظم منك يبقى في الحساب
اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ
ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
فترصد للامر الذي كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة
ململمة تعيي الاريح المخدما
لاعطاه رب الناس مفتاح بابها
ولو لم يكن باب لأعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ
ـر وميل يفضي الى أميال

وقال فى هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى

ان تغيبوا عن العيان فانتم * فى قلوب حضوركم مستمر
مثلما تثبت الحقائق فى الذهـ * ـن وفى خارج لها مستقر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وذكرت بالعمى هنا قول شهاب الدين أحمد بن جلنك

معكوس نصف مفرج * تصحيفه ضد المسمى
جارت على عشاقه * عيناه طول الدهر ظلما
فغدا يعاقبه الزما * ن بأعور فى وسط أعمى

ويقال ان أبا العيناء التقى جده الاكبر على بن أبى طالب رضى الله عنه فاساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وزعم المنجمون ان المولود اذا ولد وأحد النيرين فى الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم وأشراف العميان شعيب النبى عليه السلام ويعقوب صلوات الله عليه قبل ان يجىء اليه قميص يوسف عليه السلام وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب والحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب والحرث بن عباس بن عبد المطلب ومطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وعتبة بن مسعود الهذلى وعبد الله بن عبيد الله ابن عتبة وابو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وحسان بن ثابت الانصارى وابو أسيد الساعدى وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة الجشمى ومخرمة بن نوفل الزهرى والفاكه بن المغيرة المخزومى وخزيمة بن حازم النهشلى وأبو العباس الشاعر وعلى ابن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبى والترمذى الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصرى وابن سيده اللغوى وأبو العلاء المعرى وبشار بن برد وأبو البقاء العكبرى وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى صاحب الكسائى له عدة تصانيف والسهيلى صاحب الروض الانف والشاطبى والصرصرى وأبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى وأبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى وأبو عبد الله بن الخياط وقال بعضهم لبشار بن برد ما أذهب الله كريمتى مؤمن الا عوضه خيرا منهما فيم عوضك قال بعدم رؤية الثقلاء مثلك وسمع بن مكرم رجلا يقول من كف بصره قلت حيلته فقال ما أغفلك عن أبى العيناء وخاصم أبو العيناء أو أحد العميان رجلا وفجر عليه فقال ذلك الرجل ماذا أقول فيك وموضع الحياء منك خراب ونظمه ابن البناء فى أبى العباس الاندلسى فقال

كيف يرجو الحياء منك صديق * ومكان الحياء منك خراب

وما أحسن ما أنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى ظهير الدين ابراهيم البارزى الحموى لنفسه

تعجبت والدنيا كثير عجيبها * لشخص تلاقى عنده الخبث والريا

وقليب أجن كأن من الريـ
ـش بارجائه سقوط نصال
لا تشكى الى وانتجعى الاسـ
ـود أهل الندى وأهل
الفعال

أريحى صلت يظل له القو
م ركودا قيامهم للهلال
فرع تبع يهتز فى غصن المجـ
ـد غزير اللها عظيم الجمال
عندك الحزم والتقى وأسا
الصد

ع وحمل المغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة
للذكـ
ـراذا ما التقت صدورا العوالى
فاذا من عداك أصبح محرو
ما وكعب الذى يطيعك عال

وقوله يمدح المحلق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها
فحذ طرفا من غير ها حين
تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها
وللقصد أبقى فى الامور
وأرفق

أيا مالك سار الذى قد صنعتم
وأنجد أقوام لذلك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف
تزوركم * ثناء على اعجازهن
معلق * يعنى ان لحداة تحدوا
الابل بثناء الممدوحين فكأنه
معلق على اعجازها ومنها
أيضا

بداسبل فى عينه وهو مخصب * ولم أرها يوما ألم بها حيا

ويقال ان جائزة الرشيد كانت تأخرت عن أبى نواس فقال

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

فاتصل ذلك بخالصة وكانت أحظى جواريه عنده وأعزهن فاحضره وقال ما حملك يا فاسق على هذا فقال الغلط من الراوى ظن ان الهمزة عينا فاظهر الرضا منخدعا له طلبا للتكرم ويقال ان بعض الادباء ذكر البيت والواقعة بحضرة القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فقال للفور هذا بيت قلعت عيناه فابصر وهذا من محاسن ما اتفق له وقد عكس هذا الذى قال

كان بلا ناظر بصيرا * فصار بالناظرين أعمى

ويقال انه كان بحرم الخليل عليه السلام شخصان أعميان أحدهما ناظر الحرم والآخر شيخه فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه فقال له الناظر كأنك قد شاركتنى فى النظر فقال لا بل فى العمى فاستحى واستمر الخطيب وقال بعضهم أكثر أهل هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت ان هذا الغريب فقال لى ياسيدى ان لى أخا أعمى قد أخذ نصيبى ونصيبه فضحكت منه ويقال ان رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة فقالت له رزقت أحسن الناس وأنت لا تدرى فقال يا بظراء أين كان البصر اء عنك قبلى وقال بعضهم نزلت بعض القرى وخرجت فى الليل لحاجة فاذا أنا باعمى على عاتقه جرة ومعه سراج فقلت له ياهذا أنت أعمى والليل والنهار عندك واحد فما معنى السراج فقال يا فضولى حملته معى لاعمى البصيرة مثلك يستضىء به فلا يعثر بى فى الظلمة فأقع أنا وتنكسر الجرة ويقال ان المؤمل بن أميل لما قال

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

رأى فى منامه كأن رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح أعمى وقال الخزيمى

فان تك عينى خبا نورها * فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعم قلبى ولكنما * أرى نور عينى لقلبى سعى

ومثله قول بن العلاء المعرى

سواد العين زار سواد قلبى * ليتفقا على فهم الامور

وقال بعض القدماء لون العين كلها تكون نظر النقص ابصارها وانما أبصرت باجتماعها سوادا فى انسان الانسان

✕ *(فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل)* ✕

(اللغة) الرجل خلاف المرأة والجمع رجال ورجالات مثل جمل وجمال وجمالات وأراجل أيضا ويقال للمرأة رجلة قال الشاعر

مرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا حرمة الرجله

الدنيا هى هذه الدار التى نحن فيها وسميت الدنيا لدنوها والجمع دنا مثل كبرى وكبر والنسبة اليها دنياوى ودنيوى ودنيى وواحدها الواحد أول العدد والمراد به هنا الفرد الذى لا ثانى له فى الرجال والوحدة الانفراد يقال فلان واحد دهره أى لا نظير له ولا يقال للانثى وحدى وزعم بعضهم ان أحدا لا يكون الا لمن يعقل يعول عوّلت عليه أدللت عليه دالة وحملت عليه ويقال

وكم دون ليلى من عدوّ وبلدة
وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه
سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته
وان تعلمى ان المعان موفق

يعنى ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل فى كلام العرب مثل قول الآخر

أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أى خلق العجل من الانسان ومنها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
باسحم داج عوض لا يتفرق

يعنى ان المحلق والندى حليفان لا يتفرقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفى قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدى وقيل دماء الذبائح

للاصنام وقيل الرحم وقوله
رضيعي لبان ثدى أم واحدة
مبالغة فى الوصف بالكرم
وعوض اسم صنم لبكر بن
وائل وقيل من أسماء الدهر
وأصله أن يكون ظرفا تقول
لا أفعله عوض العائضين
ودهر الداهرين ثم كبروه
حتى أحلوه محل ما يقسم به
ومن جعل عوض اسم صنم
كانه قال عوض قسمنا الذى
نقسم به ومنها
ترى الجود يجرى ظاهرا فوق
وجهه
كما زان ضوء الهندوانى رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى تدهق
يروى جابية الشيخ العراقى
يعنى ان العراقى الذى يتعود
الحضر ويسلك البادية
يكون حريصا على مائه لانه
لا يعرف مواقع المياه فتكون
جابيته التى هى من أوانى
الماء ملآنة أبدا ويروى
السيح بالسين والحاء
المهملتين تعنى الماء السائح
من العراق ومنها
كذلك فافعل ما حييت اذا شتوا
وأقدم اذا ما أبين الناس تفرق
واما الشعر الذى ذكر بسببه
فيحكى انه تزوج امرأة من
عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

عول على بما شئت أى استعن بى كأنه يقول احمل على ما شئت (الاعراب فانما) الفاء للاتباع
وانما كلمة تقتضى الحصر وقال قوم انها وضعت كذا وقال قوم هى مركبة من ان وما فاذا قلت
انما قام زيد كأنك قلت ما قام الا زيد ففى الكلام نفى واثبات والصحيح أنها للحصر وقال بعضهم
ليست له واحتج بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالاجماع أنه من
لم يكن كذلك فانه مؤمن والجواب أن هذا محمول على المبالغة وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق
العيد رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اذا ثبت انها للحصر فتارة
تقتضى الحصر المطلق وتارة تقتضى حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله
تعالى انما أنت منذر وذلك ظاهر الحصر للرسول فى النذارة والرسول لا ينحصر فى ذلك بل له
أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها لكن مفهوم الكلام يقتضى حصره فى النذارة لمن لا يؤمن
ونفى كونه قادرا على انزال ما يشاء على الكافر من الآيات وكذلك حديث انما أنا بشر وانكم
تختصمون الى معنى حصره فى البشرية بالنسبة الى الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى
كل شئ فان للرسول أوصافا أخر كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو يقتضى
والله أعلم الحصر باعتبار من آثرها وأما بالنسبة الى ما فى نفس الامر فقد تكون سببا للخيرات
ويكون ذلك من باب تغليب الأكثر فى الحكم على الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان ذلك
السياق والمقصود من الكلام على الحصر فى شئ مخصوص فقل به وان لم يدل على الحصر فى شئ
مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق اه قلت ومن الدليل على انها للحصر أن ان تقتضى
الاثبات وما تقتضى النفى فعند تركبهما وجب أن يبقى كل واحد على الاصل لان الاصل عدم
التغير فاما ان تقول كلمة ان تقتضى ثبوت غير المذكور وكلمة ما تقتضى نفى المذكور وهو باطل أو
تقول كلمة ان تقتضى ثبوت المذكور وما تقتضى نفى غير المذكور وهذا هو الحصر وهى ههنا
للحصر كأنه قال ما رجل الدنيا وواحدها الا الذى لا يعول على أحد وفى انما مباحث أخر أضربت
عنها خوف الاطالة وحاصل الامر أنك اذا أردت قصر الموصوف على الصفة قلت انما زيد كاتب
لمن يعتقده كاتبا وشاعرا واذا أردت قصر الصفة على الموصوف قلت انما الكاتب زيد لمن
يعتقد الكاتب زيدا وعمرا وغيرهما (رجع رجل الدنيا) مرفوع على انه مبتدا والدنيا مجرور على
الاضافة ولم يظهر الجر لانه مقصور فهو بكسرة مقدرة على الالف (وواحدها) الواو عاطفة
وواحد مرفوع لانه معطوف على المبتدا والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو يرجع الى الدنيا
(من) اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وموضعه الرفع لانه خبر للمبتدا الذى تقدم
وان أردت فاجعله نكرة موصوفة بما بعدها تقديره رجل غير معول على أحد والمحصور هنا من
(لا يعول) لا حرف نفى يعول فعل مضارع من عول يعول وهو مرفوع لتجرده عن الناصب
والجازم والفاعل ضمير يرجع الى من والجملة فى موضع رفع صفة لمن (فى الدنيا) فى هنا للظرف
والدنيا مجرور بفى ولم يظهر الجر لانه مقصور وهو موضع الجار والمجرور النصب لانه مفعول فيه
(على رجل) على للاستعلاء ورجل مجرور به وموضعهما النصب على المفعولية به ليعول
(المعنى) ما أرى رجل الدنيا وواحدها الذى تفرد فيها بالحزم ولم يكن له فيها ثان الا رجلا ساء
ظنه بالناس وتجنبهم فلم يعول فى دنياه على رجل يريد أن الرجولية لا تحصر الا فيمن اتصف
بهذه الصفة واضاف الرجل الى الدنيا يعنى انه اذا كان كذلك لم يكن للدنيا رجل غيره فهو

أحق بالاضافة اليها من كل من عداه ومن كلام ابن سناء الملك اياك أن تغتر بخلب لسان أو تثق بقلب انسان أو تركن الى صداقة صديق أو تأمن من شقاق شقيق أو يروقك ملق ملق أو بشر بشر أو تشيم صفو سحائب الاخلاء فانها تهمى بكدر أو تنخدع بنسيم انفاس الأعداء فانها ترمى بشرر وعليك بالاحتراز من أبناء جنسك والاحتراس حتى من نفسك

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذى كنت تعرف

اه وقيل ان انسانا صدم ابا العيناء فقال ماهذا فقال ابن آدم فضحه أبو العيناء اليه وقال تعال تعال لا اله الا الله ماظننت أنه بقى أحد من هذا النوع وقال أبو الطيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم الا خداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا

فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله فانى قد أكلتهم والمعنى مليح لانه يقول اذا ما جرب الناس لبيب وذاقهم فانى قد أكلتهم ومن أتى على الشئ أكلا عرفه أكثر ممن جربه ذواقا وقال أيضا

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وقال السميسر الالبيرى

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز عن زمانك كل حين * ونافر اهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال أبو فراس بن حمدان

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال ابن حديس الصقلى

من سالم الضعفاء راموا حربه * فالبس لكل الناس شوك مجرب
كل لأشراك التحيل ناصب * فاخلب بنى دنياك ان لم تغلب
لا يكذب الانسان رائد عقله * فامر رتيما وكن عذوبا تشرب

*(وحسن ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل)*

(اللغة) الظن عدم الجزم بالامر هل هو كذا أو كذا وقد يأتى بمعنى العلم قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

أى استيقنوا وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك وما أحسن قول أبى البركات بن بنت العصار يرثى المعظم عيسى

أظن قدمات الندى بعده * والظن قد يأتى بمعنى اليقين

معجزة مثل مبخلة ومجبنة ومجمدة مصدر من البخر والجبن والجمد ضد القدرة الوجل الخوف تقول

بديهة * ايا جارتى بينى فانك
طالقه
كذلك أمور الناس غاد وطارقه
وبينى حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذلك ووامقه
وبينى فان البين خير من العصى
والا ترينى فوق رأسك بارقه
وذوقى فتى قوم فانى ذائق
فتاة أناس مثل ما انت ذائقه
وكيف وفى ابناء قومك منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقه
وبهذه الابيات استدل قوم على أن الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بينى فى ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك فجعلها قومى

(ما كنت لأخطى المسك الى الرماد
ولا امتطى الثور بعد الجواد)

يعنى ما كنت لأدع الفتيان من قومى لارغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابى عثمان الجاحظ فى ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطى الثور بعد الجواد فهو قول المتنبى فى قصيدة من قصائده يقول فيها

وما لاقنى بلد بعدكم
وما اعتضت من رب نعماى
رب

وجـل يوجل ويأجل ويَجِل بكسر الياء فمن قال ياجل جعل الواو ألفا لفتحة ماقبلها ومن قال يَجِل بكسر الياء فعلى لغة بنى أسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نجل وانت تجل ومن قال يجل بناه على هـذه اللغة ولكنه فتح الياء مثـل قولهم يعلم والامر منه ايجل صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها وتقول انى لا أوجل ولا يقال للمؤنث وجلاء (الاعراب وحسـن) مرفوع على الابتداء وهو مصـدر وسيأتى الكلام على اعراب ذلك بعد الفراغ من مفردات الكلام (ظنكَ) مجرور بالاضافة الى حسن وظن مصدر ظن يظن ظنا وظن واخواتها من نواسخ الابتـداء تدخل على المبتـدا والخبر فتنصبهما مفعولين والكاف فى موضع جر بالاضـافة (بالايام) جار ومجرور متعلق بظنكَ والباء للتعدية أو للالصاق ٣ والايام مفعول أول لظن والمفعول الثانى محذوف دل عليـه حسن كانه قال ظنكَ بالايام خيرا معجزة وسـيأتى الكلام عـلى حذف أحد مفعولى ظننت فى قوله فظن شرا (معجزة) مرفوع على انه خبر المبتدا وهذه الصيغة صيغة اسم المصـدر قال الشيخ بدر الدين بن مالك اعلم ان اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب او القائم بذاته كالعـلم ينقسم الى مصـدر والى اسم مصدر فان كان أوله ميم مزيدة لغير مفـاعلة كالمضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر والا فهو المصدر اهـ قلت فمعجزة اوله ميم مزيدة لغير المفاعلة لأن أصله العجز وليس فيه ميم وهى لغير المفـاعلة فتعين ان يكون اسما للمصدر الذى هو العجز (فظن) الفاء للتعقيب وظن فعل أمر من الظن ولك فى مثـل هذا ضم آخره وفتحه وجره فان ضممت كنت قـد تبعتـه حركة ماقبـله لان أوله مضموم وان فتحت كنت قد طلبت الاخف وان جررت كنت على قاعدة الساكن اذا حركَ (شرا) هـذا منصوب على انه مفعول ثان لظن والاول محذوف تقديره ظن بالايام شرا وقد منع النحاة من مثـل هذا وقالوا اما أن يحذف مفعولا ظن واما أن يثبتا قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله الاصل أن لا يقتصر على أحد المفعولين فى هـذا البـاب لانهما مخبر عنه ومخبر به فلو حذف الاول بقى الخبر دون مخبر عنه ولو حذف الثانى بقى المخبر عنه دون خبر فان دل دليل على المحذوف منهما جاز الحذف كقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم أى لا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون هو خيرا لهم وحذف المفعولين أسهل من حذف أحدهما لكن بشرط الفائدة فلو قال القائل دون تقدم كلام ولا ما يقوم مقامه ظننت مقتصرا لم يجز لعـدم الفـائدة نص عـلى ذلك سيبويه اذ لا يخلو أحد من ظن فلو قارنه سبب يقتضى تجـرده ظنون جاز ذلك لحصول الفائدة كقوله تعالى انهم لا يظنون وكقول بعض العرب من يسمع يخل اهـ قلت وهنا دل على المفعول الاول دليل فجاز حذفه لانه مفهوم من سياق الكلام اذ هو قـد قال أولا وحسن ظنكَ بالايام معجزة فاذا قال فيما بعد فظن شرا علم انه أراد فظن بها شرا أى بالايام وكذا فى قوله وحسن ظنكَ بالايام حذف المفعول الثانى كانه قال ظنكَ بالايام خيرا معجزة وقد تقـدم (وكن) الواو عاطفة عطفت الامر على الأمر وكن فعـل أمر من كان فهى ترفع الاسم وتنصب الخبر واسمها مستتر فيها تقديره أنت (منها) من هنا لبيان الجنس والضمير يرجع الى الايام وهو فى موضع جر ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والجار متعلق بوجل (عـلى وجل) على للاستعلاء معنى ووجل مجرور به والجار والمجرور متعلق بخبر كان المقدر تقـديره وكن أنت مستقرا على وجـل منها واما قوله فى أول البيت وحسـن ظنكَ بالايام معجزة فحسن مصـدر

ومن ركب الثور بعد الجوا
دأنكر أظلافه والعبب
(فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعى
الهشيم من عدم الجميم ويركب
الصعب من لا ذلول له)
الهشيم من النبات اليابس
المتكسر والجميم النبت المقتبل
الذى طال ولم يبلغ النهاية
والصعب ما لا يطيع والذلول
ضـده ومثلت بهذا القول
عدم حاجتها اليه واستغنائها
عنه بمن هو خير منه
(ولعلك انما غرك من علمت
صبوتى اليـه وشهدت
مساعفتى له من أقطار العصر)
وريحان المصر الذين هـم
الكواكب علوّ هـمـم
والرياض طيب شيم العصر
الدهر والمصر وكل بلد معمور
أى محدود والمراد بالاقطار
هنا والريحان وصف قـوم
بحسن الوجوه والاخـلاق
ومرادها بهـذه الصـفات

٣ قوله والايام مفعول أول
الخ الظاهـر ان مفـعولى
المصدر هنا وهو قوله ظنكَ
محذوفان وتقديرهما وفاءها
حاصـلا مثـلا وكذلك
مفعولا فعـل الامر الآتى
وهو ظن أيضا وتقـديرهما
غدرها حاصل مثلا وأما قوله
بالايام فتعلق بظنكَ المذكور
وقوله شرا ففـعول مطلق
لفعل الامر المذكور أيضا اهـ

أضيف الى فاعله وهو ظنك والمفعول الاول للمصدر وهو ظن انما هو الايام والثانى ما قدرته من خبر المفهوم من سياق الكلام فهنا مصدر أول يحتاج الى فاعل وهو حسن وفاعله ظنك المضاف اليه ومصدر ثان يحتاج الى فاعل ومفعولين وهو ظن فالكاف التى أضيف اليها فاعل أضيف الى مصدره والمفعولان هما الايام وخيرا المفهوم من سياق الكلام فتدبره (المعنى) حسن ظنك أن فى الايام خيرا عجز منك لانك لم تخبر الايام ولا أهلها ولا جربتهما التعلم ماهما عليه وهذا عجز ظاهر وهو أن يصحف الانسان غيره مدة العمر وهو به جاهل والحزم انك تظن الشر بالايام وتكون منها على وجل فلا تأمن اليها وكن منها خائفا ولا تركن الى مسالمتها وسكونها فى وقت ما وما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة وهى التى رثى بها بنى المظفر

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور
أنهالك أنها لك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما الليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كى تغر به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر

قيل ان الرشيد كان اذا ذكر قول جعفر بن يحيى البرمكى

فاغتبق واصطبح فقد صافتنى الـ * ـه اذا صافتنى من الحدثان

قال ما صانه الله بى من الحدثان ولقد كمنت له كمون الافعى فى أصول الريحان حتى اذا جاءه بالشم تلقاه بالسم وحديث قيصر بن الطرطبس لما خطب قيلا قطرة اليونانية ودخل اليها ووضعت الحية التى تقتل بالنظر بين الرياحين له ودخوله هو عليها وعبثه بالريحان مشهور فلا فائدة فى ذكره وقصيدة ابن عبدون هذه من أحسن القصائد لانها اشتملت على تواريخ جماعة من اعيان الاسلام وغيرهم من الطوائف ومن أحسن ما فيها قوله

وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجه * فدت عليا بما شاءت من البشر

وقد شرح هذه القصيدة ابن بدرون وغيره من الفضلاء وقصيدة عدى بن زيد الرائية مشهورة وقد عدد فيها جماعة من الملوك الاول وندب فيها من درج من الامم وهى مليحة وعظ فيها الزهاد والملوك واستعمل الكتاب ابياتها فى رسائلهم تضمينا وتداولها الناس واستشهدوا بابياتها كثيرا ومنها

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان ام اين قبله سابور
ومنها وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
ثم اضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

ويحكى ان المامون أو الرشيد قال لو وصفت الدنيا نفسها ما زادت على ما قال أبو نواس شيأ وهو قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال أبو الطيب

فذى الدار أخدع من مومس * وأمكر من كفة الحابل

التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تعجبهم ونكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

*(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *مثل النجوم التى يسرى بها السارى)*

يعنى هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابى يمدح غنويا يعنى عداوة الحيين وهى هذه

هيفون لينون أيسارا
ذوو كرم سوّاس مكرمة أبناء
ايسار
ان يسألوا الخير أعطوه وان
صبروا
فى الجهد أدرك منهم طيب
أخبار
وان تودتهم لاذوا ان شهموا
كشفت أذمار شر أى أذمار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا
ولا يعد ثناخزى ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان
نطقوا
ولا يمارون ان مارو ابا كبار
من تلق منهم تقل لاقيت
سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها
السارى

تقانى الرجال عـلى حبها * ومايحصلون على طائل

وقال أيضا

وما يسع الازمان علمى بامرها * وما تحسن الايام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النـزل

وقد لمح هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال

بنت مـن الدنيا ولا بنت لى * فيهـا ولا عرس ولا أخت

ويقال انه كتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبى على * وما جنيت على احد

قال علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أر عليه شيئا من ذلك وقد ثر وا لصق بالارض وعملت هذين البيتين

قد زرت قبر أبى العلاء المرتضى * لما أتيت معـرة النعمان
وسألت مـن غفـر الخطايا انه * يهدى اليه رسالة الغفران

وبالغ أبو العلاء المعرى فى ذم الاولاد فمن ذلك قوله

أرى ولد الفتى عبأ عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما
فاما ان يربيه عـدوا * واما أن يخلفـه يتيما
واما أن يصادفه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

وقال الامير أبو الفتح بن أبى حصينة

وفى الدار خلـفى صبية قد تركتهم * يطـلون أطـلال الفـراخ مـن الوكر
جنيت عـلى روحى بروحى جنـاية * فاثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

وقال الباخرزى

القـبر أخفى سـترة للبنات * ودفنها يروى مـن المكرمات
أما رأيت الله عـز اسمـه * قـد وضع النعش بجنب البنات

وقال صالح بن صالح التشبتريني

تحـاذر احـداث الليـالى وقلما * خلا من توقيهن قلب لبيب
وترتاب بالايام عنـد سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب
وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنـه مستجمع لوثوب

وعلى ذكر فساد الزمان فلله در البديع الهمدانى حيث يقول فى رسالة أجاب بها استاذه أبا الحسين بن فارس صاحب المجمل فى اللغة عن رسالة كتبها اليه فى ذم الزمان نعم أطال الله بقاء الشيخ أنه الحما المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم فالاستاذ يقول فسد الزمان ولا يقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لا تكسع السيول باغيارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلام والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد الطلوع الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو

يقول

(نحن قدح ليس منها ما أنت وهم وانى تقع منهم)

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهى السهام التى توضع فى خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضى الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبى عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضى الله عنه حن قدح ليس منها يعنى انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمى وكان يقوده فتبناه قلت كذا روى (وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة فى العظم بينهم) يعنى انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس فى أشجع السلمى

أيها المدعى سليمى سفاها
لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو
ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

يقول طوبى لمن مات فى نأنأت الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلادبها كنا ونحن من أهلها * اذالناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فما فسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويعمى المرء الا عن صباح انتهى قلت استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل خلق آدم خلق آخر فى الارض وانهم أفسدوا فيها وأهلكهم الله تعالى لان الملائكة قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون فى الارض من قوله تعالى خليفة قالوا الخليفة الذى يحكم بين الخصوم والخصم اما ان يكون ظالما أو مظلوما ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد فى الارض فلهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (رجع) قال أبو اسحق الغزى فى حسن الظن

دع ما تناسب فى الابصار ظاهره * ولا تقل بقياس غير مطرد
فهيئة المتنافى لا اعتداد بها * شتان ما بين مهتز ومرتعد

وقال أبو العلاء المعرى

قد يعدد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

وقال أبو الطيب وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول المعرى فيما أظن

الناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
والا ليك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

فاقت بسيوفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك فى نشر لها أرج
فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومن الكلام النوابغ الناس أجناس وأكثرهم أنجاس وقال ابن اللبانة

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

ونقلت من خط السراج الوراق له

قد تشبه الحالة الاخرى وبينهما * اذا تأملت فرق عن سواك خفى
فربما صفق المسرور من طرب * وربما صفق المحزون من أسف

وقال ابن سراج انما تكون أصوات الحمام على قضية ما فى نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماه غناء واذا سمعها من يحزن سماه بكاء وقال ابن قاضى ميلة

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا

وزأى انسان فى النوم كأنه يكتب على ظفره ووقص رؤياه على معبر فقال رأى هذا المنام دعى فى نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبى فراس وكالوشيظة وهى قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة فى قومه أى هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن على صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين وامانة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق ابن الطليق ويكون مثلك لى خصما وأنت شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت فى قريش وانما أنت منها كالوشيظة فى العظم (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجررت همبانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعنى لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت همبانك وأسرواللك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد همبانه على عدم
وذاك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربى واختلت

أى أظهرت الخيلاء والكبر
وقصصت ما استطال من
لحيتك معتمدا على الوضاءة
والنظافة
وأصلحت شاربك ومططت
حاجبك ورققت خط
عذارك واستأنفت عقد
ازارك رجاء الاكتنان فيهم
وطمعا فى الاعتداد منهم
فظننت عجزا)
الط المذكانه اذا تخايل
مدهما والازار الطيلسان
وما أشبهه والمعنى انك ان
كنت تصنع هذه الاشياء
لتعد من هؤلاء القوم وتكن
بهم والاكتنان ستر الشئ
بثوب أو غيره فقد خبت
وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ
منظوم من قول الخنساء
حيث تقول
ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بان لا يصاب فقد ظن عجزا
واسم الخنساء تماضر بنت
عمرو بن الشريد السلمى
كانت من شواعر العرب
المعترف لهن بالتقدم حكى
الاصمعى قال كان النابغة
الجعدى و يجلس فى الموسم
بعكاظ و تتحاكم اليه الشعراء
فدخلت اليه الخنساء
فأنشدته من قولها فى أخيها
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
فقال أنت أشعر من كل ذات
ثدين فقالت ومن كل ذى

زها قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

وقال ابن المعتز

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعد ما انتصفا
مذكرا بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبح واما على الدجى أسفا

وقال العماد الكاتب

وأترجة صفراء لم أدر لونها * أمن فرق السكين أم فرقة السكن
بحق عرتها صفرة بعد خضرة * فمن شجر بانت وصارت الى شجن

وقال غيره أمسيت أرحم أترجا وأحسبه * فى صفرة اللون من بعض المساكين
عجبت منه فما أدرى أصفرته * من فرقة الغصن أم خوف السكاكين

وقال الغزى كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

(غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل)

(اللغة) غاض الماء يغيض غيضا أى قل ونضب وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وأغاضه الله وغاض ثمن السلعة أى نقص الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده وأوفى بمعنى ووفى الشئ وفيا على فعول اى تم وفاض الخبر والحديث واستفاض أى شاع وهو مستفيض ولا يقال مستفاض وفاض الماء أى كثر حتى سال على جانب الوادى الغدر ضد الوفاء انفرجت الفرجة فى الحائط طاقة تفتح ويقال رجل أفرج للذى لا تلتقى اليتاه والمراد بالانفراج ههنا التباعد فيما بين الطرفين مسافة البعد وأصلها من الشم لان الدليل اذا كان فى فلاة أخذ التراب فاستافه اى شمه ليعلم أين هو من بقاع الارض الخلف بالضم الاسم من الاخلاف وهو فى المستقبل كالكذب فى الماضى (الاعراب غاض) فعل ماض و(الوفاء) فاعله (وفاض) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وفاض فعل ماض أيضا (الغدر) فاعله (وانفرجت) الواو عاطفة انفرجت فعل ماض فهو انفعل من الفرجة وهو من افعال المطاوعة كما تقول كسرته فانكسر وفرجته فانفرج والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى (مسافة) فاعل انفرجت (الخلف) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام (بين) منصوب على انه ظرف مكان فهو مفعول فيه فعل فيه الانفراج ولفظة بين تقتضى الاشتراك فلا تدخل الا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة قال الحريرى فى درة الغواص فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدى عن شيئين ألا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم ذلك مقام مفعولى ظننت وكان تقدير الكلام فى الآية مذبذبين بين الفريقين وكشف هذا بقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ونظيره لا نفرق بين أحد من رسله وذلك ان لفظة أحد فى قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع بعض ذلك قوله تعالى يا نساء النبى لستن كأحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءنى من أحد فقد شمل هذا النفى استغراق الجنس فان اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب ان الدخول اسم واقع على عدة أمكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما تقول المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه اه ما اخترته من كلامه فى هذا

الفصل

الفصل (القول) مخفوض بالاضافة الى الظرف المكانى (العمل) معطوف عليه (المعنى) ان الوفاء نقص أوغاب أوذهب من بين الناس والغدر اشتهر وزاد وشاع واتسعت مسافة ما بين القول والعمل فى الوعود أخذ يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالايام وتحقيق ما ادعاه من الحزم فى ذلك وان الانسان لا يعول على أحد لان الوفاء ذهب والغدر ظهر والخلف فى الوعد زاد وهذه موجبات تقتضى التأدب بما وعظوا والاخذ بما أمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وفى رواية يعرف به وفى رويه لكل غادر لواء عند رأسه يوم القيامة وفى رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير وهذه عادة العرب كانت تنصب الألوية فى الاسواق الحفلة بغدرة الغادر لتشهره بذلك قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى هذه الاحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الألوية العامة لان غدره يتعدى ضرره الى خلق كثير اه ويقال ان أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة غدر عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف وغدر محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان زياد بن أبيه ولاه اياها فصالحهم وعقد لهم ثم غدر بهم وغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكرة وفضحوه وغدر الاشعث ببنى الحرث بن كعب وغزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى قلوص أعطاهم مائة وبقى مائة فلم يؤدها حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية وغدر معدى كرب بهرة وكان بينهم عقد فغزاهم غادرا فقتلوه وشقوا بطنه وملئوه حصى وكان بين قيس بن معدى كرب وبين مراد واث عهد الى أجل معلوم فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان ذلك يوم الجمعة فقالوا له انه بقى من الاجل يوم وكان يهوديا فقال انه لا يحل لى القتال غدا فقاتلهم وقاتلوه وهزموا جيشه وأما الوافون فكثير منهم أوفى بن مطر المازنى كان جاوره رجل ومعه امرأة له فأعجبت أخا أوفى وكان لا يصل اليها مع زوجها فوثب عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخاه وقال

سعيت على قيس بذمة جاره * لأمنع عرضى ان عرضى ممنع

والحرث ابن عباد أسر عدى بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبته وهو لا يعرفه فقال له ان دللتنى عليه فأنا آمن فأعطاه ذلك فقال أنا هو عدى ابن ربيعة فخلى سبيله والسموءل بن عادياء اليهودى ذبح ابنه وهو ينظر اليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع امرئ القيس التى عنده وقصته مشهورة وعوف ابن محلم الشيبانى كان من وفائه ان مروان بن زنباع العبسى قد وتر عمرو بن هند اللخمى فجعل على نفسه ان لا يؤمنه حتى يضع يده فى يده ثم ان مروان غرا بكر بن وائل فاسره رجل من بنى تيم الله ولم يكن منيعا فخاف مروان ان يبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث اليه من يأخذه فسمع أم آسره وهى تقول لابنها كأنك أسرت مروان فقال مروان وما تأملين فى مروان فقالت مائة بعير قال فأنا مروان وهى لك ان أديتونى الى عوف بن محلم قالت ومن لى بالوفاء فأخذ مروان عودا من الارض وقال هذا لك بالوفاء فحمله ابنها الى قبة عوف فلم يجده فاجارته ابنته جماعة وبلغ عمرو بن هند ومكانه فبعث يطلبه فأبى ان يسلمه الا أن يؤمنه فقال قد آليت ان لا أومنه حتى يضع يده فى يدى فقال عوف انى أبر قسمك على ان أجعل يدى بين يدك ويده ففعل وأمن مروان ثم ان مروان وفى بوعده للعجوز مائة ناقة وتشبه هذه القصة

خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نظر اليها وفى وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوى قال لها أخواك فى النار قالت ذاك أطول لحزنى انى كنت أبكى لهما من النار وانا اليوم أبكى لهما من النار ورأت عائشة رضى الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجنى أبى رجلا متلافا لماله فاسرع فيه حتى نفد فقال لى الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخى صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها
وهى حصان قد كفتنى عارها

ولو أموت مزقت خمارها
وجعلت من شعر صدارها
فجعلت هذا الصدار تصديقا
لظنه فلا انزعه حتى اموت
وحدث علقمة بن جرير قال
استأذن الجماعة على معاوية
وكنت فيهم فلما دخلنا عليه
اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة
هل عندك ظريفة تحدثنا بها
قلت نعم اقبلت قبل مخرجي
اليك أسوق شارفا لي اريد
نحرها عند الحي فادركني
الليل بين ابيات بني الشريد
فاذا عمرة ابنة مرداس عروسا
وامها الخنساء بنت عمرو فقلت
لهم انحروا هذه الجزور
واستعينوا بها وجلست معهم
فلما هيئت اذن لنا فدخلنا
فاذا هي جارية وضيئة يعني
عمرة واذا امها الخنساء
جالسة ملتفة بكساء احمر
وقد هرمت واذا هي تلحظ
الجارية لحظا شديدا فقال
القوم بالله يا عمرة ألا تحرشت
بها فانها الآن تعرف بعض
ما أنت فيه فقامت الجارية
تريد شيأ فوطئت على قدمها
وطأة أوجعتها فقالت وهي
مغيظة حسن اليك يا حمقاء
والله لكأنما تطئين أمة
ورهاء انا والله كنت اكرم
منك عرسا واطيب ورسا
وذلك زمان اذ كنت فتاة
أعجب الفتيان لا أذيب
الشحم ولا ارعى البهم كالمهرة

قصة حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم كان قد تدبر هو وأهله أرض العراق فانكر ذلك والى الحيرة وكتب الى كسرى بذلك فكتب اليه كسرى ان أرادوا ان يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم فقدم عليه حاجب بن زرارة فلما وافقه على ما يريده طلب منه الرهائن فقال حاجب ليس معي سوى قوسي هذه فخذها فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك خذوها منه فانه ان يسلمها وذهب فوفى بما وعد فصار ذلك معدودا في ما[٢] ثر بني تميم ولذلك قال أبو تمام الطائي يمدح ابا دلف من قصيدة

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معناه ان بني عجل كانوا في ذي قار مع بني شيبان ويرون ان العرب كانت تزعم ان الفرس لا يموتون وان حنظلة العجلي حمل على رجل منهم فطعنه فقتله فقال لاصحابه ويلكم انهم يموتون فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم وما أحسن ما نقلت من خط بعض الفضلاء في مليح قرندلي

بدا لي في حلق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصلي العاشقين تعطفا * فلم يشقوا واسترهنوا قوس حاجبي

وامرأة هدبة بن خشرم العذري فانه لما قدم ليقاد رفع رأسه اليها وقال

لا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا
ضروب بالحبيه على زور صدره * اذا القوم هشوا للنعال تقنعا

فسألت المرأة ان يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فاخذت مدية وجدعت أنفها ثم أتته قبل ان يقتل مجدوعة ليعلم انها لا تتزوج بعده وهذه بخلاف ما يحكى عن بعض الزوجات ان زوجها وقع في السياق وكان يحبها وأهله حوله وهو في كرب الموت فاشار اليها ان تدنو منه فلما فعلت قال لها سرا أسألتك بالله لا تتزوجي بعدي أحدا فقال لها أهله ما الذي قال لك قالت انه من حلاوة الروح يخلط وحكى ان عبد الحميد الكاتب قال له مروان حين أيقن بزوال ملكهم قد احتجت ان تكون مع عدوي وتظهر الغدر بي فان أعجابهم بآدابك وحاجتهم الى كتابتك يحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت اليه أنفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله وأقتل معك وأنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرا

ويقال انه كان هو وابن المقنع في بيت لما هجم عليهم العباسيون وهموا بقتل عبد الحميد قال لهم ابن المقنع أنا عبد الحميد فقالوا له أكذلك فقال اتقوا الله في دمه فليس هو بعبد الحميد وأمهلوا حتى تجدوا من يعرفنا فان كنت أنا عبد الحميد قلتموني عن يقين ولا تقتلوه ظنا اه وما أحر ما وبخ به العتابي للمأمون في قوله

ما على ذا كنا افترقنا ببغداد * ولا هكذا عهدنا الاخاء
تطعن الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

رجع الى عدم الوفاء والغدر قال أبو الطيب

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد * واعوز الصدق فى الاخبار والقسم

وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائى فقال

غاض الوفاء وفاض ما * ء الغدر أنهارا وغدرا
وتطابق الاقوام فى * أقوالهم سرا وجهرا
فانظر بعينك هل ترى * عرفا وليس تراه نكرا

ومن كلام الحكماء اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقال محمد بن شرف القيروانى

ولقد يهون ان يخونك ذو هوى * كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الاذى * وهما جميعا فى ثياب جنين
ومضى على عن عقيل خاذلا * ورأى الامين جناية المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين * شخصاله الاعيان ظنون

وقال ابن قلاقس

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما طووا لك باطنا ممذوقا
دوح تمرّلك الجنى أثماره * ولقد تمرّبه الرياح وريقا

وقال ابو فراس بن حمدان

مالى أعاتب دهرى أين يذهب بى * قد صرح الدهر لى بالمنع والياس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به * كأننى جاهل بالدهر والناس

قال أيضا

أين الخليل الذى يرضيك باطنه * مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

وقال ابن الساعاتى

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال القاسم بن عمر بن منصور الواسطى

لا ترد من خيار دهرك خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب خباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

وقال آخر

لا تثق من آدمى * فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول القائل

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء فى زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها فى رثاء اخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
دراك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب
مركبا فى نصاب غير خوار
فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسارى
شدوا المآزر حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشمار
وابكوا فتى الحى لا قته صيته
وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فاقسمت آسى على هالك
واسال نائحة مالها

ابعد ابن عمر بن آل الشريد
حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع ثقيل على الارض لسوددة وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثانى ان الارض حلت باموا تهامن الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للحمل والحمل يسمى ثقلا وفى قوله تعالى وأخرجت

الارض أثقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها

لعمر أبيك لنعم الفتى
تحك به الجرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو
ل نازلت بالسيف ابطالها
لدى مارق بينها ضيق
تجر المنية أذيالها
نهين النفوس وهون النفو
س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو
ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السا
ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها
ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به
فقد كان يكثر تقيالها

وقولها أيضا

وان صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
مثل الرديني لم تدنس شبيبته
كأنه تحت طى البرد أسوار

وقولها ايضا

فما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

وقلت أنا

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من طين وماء * وأى صفا لها تيك الجبله

وقال العباس بن الاحنف

ما أرانى الاساء هجر من ليـ * ـس يرانى أقوى على الهجران
ملنى واثقا بحسـ * ـن وفائى * ما أضر الوفاء بالانسان

وقال الارجانى

ما يلتقى اثنان منصفان معا * اذا اختبرت الانام كلهم
تنصف مادام يظلمونك أو تنـ * ـصف مادام يظلمون هم

وأخذه مجير الدين محمد بن تميم فقال

لك الخير كم صاحبت فى الناس صاحبا * فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجـ * ـد * فتى منهم عند المضيق ولا أنا

حكى عن بعض العارفين انه قال طفت زمانا على من ينصفنى فلما أنصفت خنت أنا وقال التهامى

ذهب التكرم والوفاء من الورى * وتصرما الا من الاشعار
وفشت خيانات الثقاة وغيرهم * حتى أتهمنا رؤية الابصار

ونقلت من خط السراج الوراق له

وكان الناس ان مدحوا أثابوا * وللكرماء بالمدح افتخار
وكان العذر فى وقت ووقت * فصرنا لا عطاء ولا اعتذار

ونقلت منه له

رجعت عن التقاضى للتقاضى * ورب رضى بدا من غير راض
وقد غاضت بحار الجود عنا * وألجأنا الزمان الى الحماض
وخربة مادر فى كل حوض * مفت ظمأ كفى بالموت قاض

قلت فى المثل الاتم من مادر وكان مادر هذا اذا أورد أبله وصدرت عن الحوض الذى شربت منه خرى فى الحوض وقد بقى ماء قليل ومدره به بخلا ان يشرب من فضله قال الشاعر

قد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقال آخر

كان ميثاقهم ميثاق غانيه * يعطيك منها الرضى ما يسلب الضجر
فلا يغرنك من قول طلاوته * فانما هو نور ولا ثمـ * ـر
لو ينفق الناس مما فى قلوبهم * فى سوق دعواهم للصدق ما اتجروا

وبالغ عبد المنعم بن عبد المحسن الصورى حيث قال

كيف ترجو الوفاء من نسل من لم * يقف لله فى الجنان بحبه
وعزيز فى العالمين أمين * خان عهدا أبوه فى الخلد ربه

نسال الله المغفرة لناظمه ولابى العلاء المعرى فى هذه المادة كثيرا ضربت عن اثبات شئ منه

ونقلت من خط السراج الوراق له

أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فسل عنه ولا تسل عن خيره
واسكت اذا خاض الورق فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وما أحسن قوله ومن خطه نقلت

تنسيك عرقوبا ومواعيده له * عن منهج القول الصحيح نكبت
لا تبن آمالا عليها انها * واهية الاس وقد تعرقبت

وقلت أنا في مليح ساقي

كاف في ساق كل وعد منه لي * ما زال يخلفه على الاطلاق
حتى قطعت مطامعي من وعده * ونسيت عرقوبا بهذا الساق (ى)

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أنت حر ما لم يكن منك وعد * فاذا ما وعدت صرت رقيقا
واذا شئت ان تكون عتيق الـ * ـحر ق من موعد فكن صديقا

وقد اشتهر قول القائل

وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وأنشدت للشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله وان صح ذلك أنه له فهو روايتي عنه بالاجازة

حلفت بان لا تعلو الراح راحتي * لأعلم رشد المرء كيف يكون
وقد أيقظ الزهر الغمام وحليت * رياض باكناف الحمى وغصون
فقلت لساقيها أدرها فقال لي * أمثلك من بعد اليمين يمين
فقلت له في فتية من شعاعها * على ان تركي لو عقلت جنون
ألست ترى منها البنان خضيبة * وليس لمخضوب البنان يمين

وكتبت أنا الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لو ان قربك بالنفوس يكون * كان العزيز لمثل ذاك يهون
لكن دهري أنت تعلم انه * بنوى الحبيب موكل مقرون
هذا اذا عاهدته أن تلتقي * ينسى ولو أنصفت قلت يخون
دهره في كل يوم خضبة * بأهيله ما عند ذاك يمين

وقيل ان بعضهم قال لآخر أتشاركني على شرط أن لا تحلف قال اي والله قال قد حلفت قال لا والله قال له حلفت وحلفت انك لم تحلف وما اشتركنا الى الآن وما أحلى قول ابن سناء الملك

ماذا لقيت من الصدود لانني * ألقى خشونته بقلب مترف
والقلب يحلف ان سيسلو ثم لا * لا يسلو ويحلف انه لم يحلف

وقال جمال الدين ابراهيم بن النجار

ما لهذي العيون قاتلها الله تسمى لواحظا وهي نبل
ولهذا الذي يسمونه العشـ * ـق مجازا وفي الحقيقة قتل
ولقلبي يقول أسلو فان قلـ * ـت نعم قال لست والله أسلو

وأخبرني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعا من كتابه المسمى مجاني العصر في ترجمة جمال الدين ابراهيم الوراق الكتبي عرف بالوطواط انه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضي قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين انه يحسن اليه ويبره فسأله فلم يجبه الى شئ من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا على فتياه

أخو الجود معروف له الفضل والندا
حليف ان ما دامت تعاويذ بل
وقولها تمدح آخاها وأباها
جارى أباه فاقبلا وهما
يتعاورا رن ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد
لزت هناك القدر بالقدر
برقت صحيفة وجهه والده
ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا الى وكر
يعني انه انما أفرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابي عبيد ان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الابيات

تعرفني الدهر نهسا وخزا
وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا
فأصبح قلبي بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى
اذ الناس في ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالدارعين
وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جزرنا نواصي فرسانها
وكانوا يظنون أن لا تجزا

ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأت استك الحفرة)
هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن المختار بن أبى عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلن البصرة ولا أرمى دونها بكتاب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد بالبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذى ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال أخطأت استك ابن أبى عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج تمثل بذلك

(والله لوكساك محرق البردين)
(محرق) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف بامه هند بنت الحرث بن جبر آكل المرار الكندى وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة بأسه وسمى محرقا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها فى كتاب الاغانى فقال كان قد عاقد حيا طيء على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مغتبطا ومر بطى فقال له زرارة بن عدس التميمى وكان من خواصه أبيت اللعن اصب من هذا الحى شيأ فقال ويلك

باجوبة مختلفة وصير ذلك كتابا وسماه فتوى الفتوة ومرآة المروة وقد راحت به نسخة الى المغرب قلت سألت أنا الشيخ أثير الدين أبا حيان عن ذلك القاضى فيما بينى وبينه فاخبرنى أنه شهاب الدين محمد الخولى وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب ونقلته بخطى وهو فى الجزء الثانى عشر من التذكرة والفتيا نثر حسن وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم ومعنى الفتيا أيجوز لمن حسنت حاله وارتفعت منزلته أن لا يحسن الى صاحبه ولا يبقى له بشئ من دنياه

*(وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل يطابق معوج بمعتدل)*
(اللغة) شان الشين ضد الزين تقول شانه يشينه والمشاين المعايب الصدق خلاف الكذب وهو الاخبار بما يطابق الواقع فى نفس الامر وقد تقدم الكلام عليه كذبهم الكذب خلاف الصدق وهو الاخبار بما يخالف الواقع فى نفس الامر واستشكل بعضهم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال كيف يكونون كاذبين وقد شهدوا بالرسالة وصدقهم الله بقوله والله يعلم انك لرسوله والجواب انه انما كذبهم فى خبرهم لمخالفته اعتقادهم ولتوجيه الكذب الى ما تضمنته جملة خبرهم من التوكيد بادخال ان على أحد جزئيها وبادخال اللام على الجزء الآخر وهما لثبوت التوكيد وزيادته فحمل ذلك على انه ادعاء عن صميم القلب لكنه غير مطابق للواقع عندهم فى نفس الامر لان الواقع عندهم خلافه فتوجه التكذيب الى ما تضمنه نفس الادعاء لا الى معنى الامر من حيث هو وله ذا وسط والله يعلم انك لرسوله بين جملة الادعاء وجملة التكذيب دفعا لرجوع الذهن اذا توهم ان التكذيب عائد الى معنى الخبر فكان المعنى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ادعوه من مواطأة قلوبهم لألسنتهم أو ان التكذيب يرجع الى الشهادة لانه اذا لم تواطئ القلوب فيه الألسنة لم تكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسمية ذلك شهادة والمراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر والمنافقون هم الجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذى تخلف عن تبوك وأخوه الحرث بن سويد ونجاد بن عمرو بن عامر وعبد الله بن نفيل وهو الذى كان ينقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وقيس بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر وهو من بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله الآية ومعتب القائل يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وهو القائل يوم الاحزاب يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته الى الغائط ما يعدنا الله ورسوله الا غرورا ورافع بن زيد وفيه وفى معتب بن قشير ونفر نزلت ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية وعباد ابن حنيف بن راهب ممن بنى مسجد الضرار وقيس بن رفاعة الشاعر وقرمان حليف لبنى ظفر ومن الخزرج سعد بن زرارة وكان يدخن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر وعقبة بن كريم وزيد بن عمرو وقيس بن عمرو بن سهل جد يحيى بن سعيد الانصارى والحر ابن قيس وعدى بن ربيعة وهو الذى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذرة وابنه سويد بن عدى وعبد الله بن أبى بن سلول وهو رأس المنافقين ومالك بن أبى نوفل وسويد وداعس من يهود بنى قينقاع (رجع) بطابق المطابقة الموافقة طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو

واحد وألصقتهما ومطابقة الفرس فى جريه وضع رجليه مكان يديه معوج أعوج الشئ اعوجاجا وعصا معوّجة ولا يقال معوّجة فالشدة على الجيم لا على الواو بمعتدل اعتدل الشئ اذا استقام فالمعتدل المستقيم (الاعراب وشان) الواو عاطفة عطفت شان على قوله وانفرجت فى البيت الذى تقدم شان فعل ماض (صدقك) منصوب على انه مفعول والكاف فى موضع جر بالاضافة (عند) منصوب بالظرفية والعامل فيه شان (الناس) مخفوض باضافته الى الظرف (كذبهم) مرفوع على انه فاعل شان (١) وانما تأخر عن المفعول به للضرورة فى الوزن والهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع الى الناس وهو فى موضع جر بالاضافة (وهل) الواو للابتداء وهل تقدم الكلام عليها فى قوله فهل تعين على غى البيت وهى هنا للاستفهام (يطابق) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة فى قوله ناء عن الاهل البيت وهو مرفوع لخلوّه عن الناصب والجازم (معوج) مرفوع على انه مفعول مالم يسم فاعله (بمعتدل) الباء حرف جر وهى للاستعانة ومعتدل مجرور بها (المعنى) وشان كذب الناس صدقك عندهم لانك تلبست بما لم يتلبسوا به وخالفتهم فى حالهم لانك واياهم فى طرفى نقيض كما ان المعوج والمعتدل طرفا نقيض فلا تلمهم اذا عدوك وهجروك ونفروا منك لانك لست منهم فى شئ ثم أخذ يستفهمه فقال وهل يطابق المعوج بالمعتدل والمعوج الناس والمعتدل أنت ضرب له بذلك مثالا ليعترف له ويقول لا ما يحصل بينهما تطابق وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل لانه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ومن حسن التعليل قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

وقول أبى هفان

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدوى علة للتيمم

أخذه الآخر فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لناطهرا وطيبا
فقالت غيرنا طقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقال أبو تمام الطائى

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيب تحتها * حبيا فما ترقى لهن مدامع

وقال آخر

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وقال مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

وقال الآخر

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعز مكان
فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وقال ابن الساعاتى

أن لهم عقدا قال وان كان لهم
فلم يزل به حتى أصاب نسوة
واذوادا فقال فى ذلك قيس
ابن وجرة الطائى
أراك ابن هند لم تعقك أمانة
وما المرء الا عهده وموانقه
فاقسمت جهدى بالاباطح من منى
وماخب فى بطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته
لانتحين للعظم ذو انت عارقه
سمى عارقا بهذا البيت وبلغ
الشعر عمرو بن هند فقال له
زرارة بن عدس أبيت اللعن
أيتوعدك فقال عمرو لميلة
ابن شعار الطائى أيهجونى
ابن عمك ويتوعدنى قال لا
والله ما هجاك ولكنه قال
والله لو كان ابن جفنة جاركم
ما ان كساكم ضيعة وهوانا
وأراد ميلة أن يسل سخيمته
فقال والله لأقتلنه فبلغ ذلك
عارقا فقال منشدا
أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويدا امامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

(١) قوله وانما تاخر الخ الصواب ان تاخير الفاعل هنا لكونه متصلا بضمير يعود على ما يتعلق بالمفعول فلو قدمه لادى الى اعادة الضمير على متاخر لفظا ورتبة وذلك لا يجوز فى فصيح الكلام اه

لا تعجبن لطالب بلغ المنى * كلا واخفق فى الشباب المقبل
فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أوّل عصرها بالارجل

وما أحسن عصرها فى هذا الموضع وقال التهامى

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقال محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال آخر

قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها * لاحترقت من نار خلخالها

وقال ابن قاضى ميلة

وكيف لا تدركه نشوة * واللحظ راح وجنى الريق راح
لو لم تكن ريقته خمرة * لما ثنى عطفه وهو صاح

وقال ابن سناء الملك

علمتنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وقال آخر

اعتقنى سوء ما صنعت من الر ق فيا بردها على كبدى
فصرت عبد اللسوء منك وما * أحسن سوء قبلى الى أحد

(رجع) الى قول الطغرائى أقول سبحان الله العظيم ولا أنت يا مؤيد الدين ما طابقت بين المعوج والمعتدل لان المعوج انما يطابقه المستقيم والمعتدل يطابقه المائل وقد اتفق له ما اتفق لابى الطيب فى قوله

نظرت الى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وحكى ان أبا الطيب قيل له هذا الايراد فى مجلس سيف الدولة وان المحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية أجأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى البيت الثانى فقال ولم يتوقف * فان البياض بعض دم الدجاج * فاستحسن هذا من بديهته قلت انما يستحسن هذا فى سرعة البديهة والا أين قوله فان المسك بعض دم الغزال من قوله فان البياض بعض دم الدجاج وكذا حكاية خلف الاحمر مع أصحابه فى قول النمر بن تولب العكلى وتقدما فى مقدمة هذا الكتاب

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم لو قال أم حفص فى البيت الاوّل ما كنتم تقولون فى الثانى فسكتوا فقال وحوارى بلمص واللمص الفالوذج قلت ولكن أين لفظ السمن وعذوبته من اللمص وقول أبى الطيب هذا فى سيف الدولة يشبه قوله فى عضد الدولة أيضا

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هراء كالكلام بلا معانى

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه
اذا هو أمسى جله من دم الفصد
فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيأ فاسر أسرى من بنى عدى ابن أخزم رهط حاتم فوفد حاتم عليه وساله فى الاسرى فاطلقهم له وكان المنذر بن ماء السماء ابو عمرو قد وضع ابنا له صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد شيأ فرجع فر بابل لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فامر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد عليه مالك بعصى فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت طى تطلب عنزة ابن زرارة وبنى أبيه حتى بلغهم ما صنعوا باخى الملك فقال ثعلبة ابن عمرو الطائى

من مبلغ عمرو وأبان
المرء لم يخلق صباره
وهو ادن الايام لا
تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته
بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحـ
ـيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى
فى القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن

وتحول

وقول يحيى بن بقى مما تصطفيه وتنتقى وهو

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

وبيت الحصرى أحق بالتقدم وأولى بالترنم وهو

أبا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

وصاحب الذوق لايمترى فى أن هذا من قول البحترى

فان قصرت أكفاؤه عن محله * فان يمين المرء فوق شماله

ما أثقل قول الغزى فى هذا المعنى وأوهى وأوهن ماشاد فى هذا المبنى وهو

ولاغر وأن كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله وأسره بتقصيرى عن مداه فما كان هذا عهدى بوده فقال أرسل نفسك على سجيتها وأسر فى ليلتك على دجوجيتها وتعرض لنفحات صديقك فما يخل عليك باليلنجوجيتها فقلت نعم على تفيهقكما فى النسبة الى اليلنجوج وعلى كون حروفها أطول فى هجائها من عوج وقال فى المعنى الاوّل عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فاحجموا * وخيل المعالى غير خيل المراكب

فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

وقال خلف بن عبد العزيز الجزورى النحوى

ما أنت بعض الناس الا مثلما * بعض الحصى الياقوتة الحمراء

وقلت أنا فى هذه المادة

مولى تفرع من كرام وجوههم * وبنانهم للمجتلى والمجتنى

فاقوا الانام علاوهم من جنسهم * ومن الحجارة اثمد فى الاعين

وأما عدم المطابقة فى شعر أبى الطيب فكثير جدا من ذلك قوله

ولكل عين قرة فى قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء

القرة ضدها السخنة والقذاء ضد الجلاء وقوله أيضا

ولم يعظم لنقص كان فيه * ولم يزل الامير ولن يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قال ولم يكمل لنقص كان فيه لكان أصنع وكذا قوله وان لم يكن من هذا الباب

لم نفتقدك من مزن سوى لثق * ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره * ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

كان الذى ينبغى له أن يقول ولا من البحر غير الجزر والغرق لانهما من معايب البحر والريح والسفن من محاسنه وكذا قوله

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرورا محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الاساءة وانما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والسرور ضد الحزن والاساءة ضد الاحسان وكذا قوله

وانه المشير عليك فى بضده * فالحر ممتحن بأولاد الزنا

والحر ضد اللئيم وقوله

هند بكى وفاضت عيناه وباغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو فى طلبه فلم يقدر عليه فاخذ امرأته وهى حبلى فقال أذكر فى بطنك أم أنثى قالت لاعلم لى بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ماقتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فاتاه فتنصل اليه فقال على بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلى بنيه فاتاه بنيه السبعة وأمهم بنت زرارة علمه بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يابعضى أرسل بعضى فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند اليه ليحرقن من بنى حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائى فوجد القوم قد أنذروا فاخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت رقبته وأمرهم بأخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بنى حنظلة لايدرى بشئ مما كان يصنع بغيره فأخذوا ألقى فى النار وأقام عمرو بن هند لايرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة

وتسعين رجلا فدعا بامرأة من
بنى حنظلة فقال لها من أنت
قالت الحمراء بنت ضمرة فقال
انى لأظنك أعجمية فقالت
ما أنا بأعجمية ولا ولدتنى العجم
انى لبنت ضمرة بن جابر
سادا معدا كابرا عن كابر
فقال عمرو أما والله لولا مخافتى
أن تلدى مثلك لصرفتك عن
النار فقالت أما والذى أساله
أن يضع وسادك ويخفض
عمادك ما تقتل الانساء
أعاليها ندى وأسفلها علا قال
اقذفوها فى النار فالتفتت
وقالت ألا فتى يكون مكان
عجوز فلما انطوى عليها قالت
هيهات صار الفتيان حمما
وسمى من ذلك اليوم محرقا
ومن ملوك جفنة ايضا المحرق
لكنه غير صاحب البردين
فأما امر البردين فحكى ان الوفود
اجتمعت عند محرق فاخرج
بردين من لباسه يبلو الوفود
وقال ليقم اعز العرب قبيلة
فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر
فأخذهما فاتزر بالواحد
وارتدى بالاخرى فقاله له
انت اعز العرب قبيلة قال
العز كله فى معد والعدد فى
معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى
خندف ثم فى تميم ثم فى سعد ثم
فى كعب ثم فى بهدلة فمن
انكر هذا فلينافرنى فسكت
الناس فقال هذه عشيرتك
كما تزعم فكيف انت فى نفسك

كم قتيل كما قتلت شهيد * بياض الطلى وورد الخدود

وكان ينبغى أن يقول ببياض الطلى وحمرة الخدود (رجع) حكى المفضل ان رجلا من العرب كان له عبد لم يكذب قط فبايعه رجل ليكذبه وجعل الخطر بينهما أهلهما وماليهما فقال الرجل لسيد العبد دعه يبيت الليلة عندى ففعل فأطعمه الرجل لحم حوار وسقاه لبنا حليبا كان فى فى اناخاذر فلما أصبحوا تحملوا وقالوا للعبد الحق بأهلك فلما توارى عنهم نزلوا فأتى العبد سيده فقال أطعمونى لحما لاغثاء ولا سمينا وسقونى لبنا لا مخيضا ولا حقينا وتركتهم وقد ظعنوا واستقلوا فلا أدرى أساروا بعدى أو حلوا وفى النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا وحاز مولاه مال الذى بايعه وأهله وقال بعضهم أنا لا أكذب ولو أعطيت ألف درهم فقال صاحبه هذه واحدة بلا درهم وقال آخر ما كذبت عمرى فقال صاحبه هذه واحدة وما أحسن قول أبى الحسين الجزار

أمستوفى قلوب * الى كم هكذا تكذب
من الصبح الى الظهر * الى العصر الى المغرب

(ان كان ينجع شئ فى ثباتهم * على العهود فسبق السيف للعذل)

(اللغة) ينجع نجع فى فلان الوعظ أى دخل وأثر ونجع الدواء اذا أفاد ثباتهم الثبات ضد الزوال العهود جمع عهد وهو اليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية السبق المبادرة والوصول الى الغاية قبل شئ آخر العذل بالسكون الملام وبالتحريك الاسم وهذا أصله مثل من أمثال العرب وصيغته سبق السيف العذل يضرب فى الامر الذى لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابنى ضبة بن أدخرجا فى طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه فى بعض مسايره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب فى الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل فقال سبق السيف العذل وقال جرير

يكلفنى رد الغرائب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال رؤبة بن العجاج

والصادق السابق يوم العذل * كسبق صمصامة زجر المهل

(الاعراب ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها فى قوله فان جنحت اليه البيت (كان) تقدم الكلام على كان وعملها وهى فعل الشرط هنا (ينجع) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن ناصب وجازم وهو فى موضع نصب لانه خبر كان ولكنه تقدم على الاسم تقديره ان كان شئ ناجعا والاصل تاخير الخبر ولكنه يجوز تقدمه فى باب كان وأخواتها وتوسط الخبر جائز فى جميع الباب كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقول الشاعر

سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر

لا طيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته باذكار الموت والهرم

وأما تقديم الخبر على كان وبابها فجائز أيضا الا مع دام وزال وبرح وفتئ وانفك فان الخبر

لا يتقدم عليهن لان كلا منها لا يستعمل الا بحرف النفي والنفي له صدر الكلام وكذا اذا اقترنت كان وأخواتها بحرف مصدري لا يجوزان يتقدم الخبر كقولك أريد ان تكون فاضلا وأما ليس فقد تقدم الكلام عليها (شئ) مرفوع على أنه اسم كان (في ثباتهم) في حرف جر معناه الظرفية هنا وهو متعلق بقوله ينجع ثباتهم مجرور بفي والضمير يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (على العهود) على للاستعلاء معنى والعهود مجرور به والالف واللام للجنس والجار والمجرور متعلق بثبات لانه مصدر وهو يعمل عمل الفعل وقد أضيف الى فاعله وهو الهاء والميم وعلى العهود مفعوله فهو في موضع نصب (فسبق) ١ الفاء جواب الشرط وسبق مرفوع على انه مبتدأ (السيف) مجرور بالاضافة (للعذل) اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف تقديره فسبق السيف مستقر للعذل (المعنى) ان كان شئ من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشئ مثل اللوم والعذل أو التعنيف على ما ارتكبوه من نقض الوفاء واظهار الغدر فان السيف سبق العذل في ذلك يعني ان هذه الامرات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا كما أن السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعد ما يمضي ومن وضع المثل في الاصل يظهر هذا وخلاصة الحال أن رعيهم للعهود وثباتهم عليها أمر فرغ الله منه فلا تطمع في عوده كما ان المقتول لا يطمع في حياته وهيهات ما الجرح بميت ايلام لقد أسمعت لو ناديت حيا وأقول ان العذل مما يغري واللوم مما يحرض والعتاب مما يزيد في الاغراض والتعنيف مما يحسن المنهي عنه وأمار عى العهود فأمر حض الله عليه ومدح من تلبس به فقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد روى مسلم في صحيحه بسنده والى حذيفة بن اليمان قال خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه الخبر فقال انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم فامرهما صلى الله عليه وسلم بوفاء عهدهم الكفار حضا منه صلى الله عليه وسلم على الاتصاف بالاخلاق الحميدة لانه كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال مالك رحمه الله يلزم الاسير الوفاء بالعهد وقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون رحمهم الله تعالى في الاسير يعاهد الكفار لا يهرب منهم لا يلزمه الوفاء بذلك ومتى أمكنه الهرب هرب منهم واتفقوا على انهم لو أكرهوه فحلف لا يهرب فله ان يهرب ولا يمين عليه وأما العذل فما يفيد الا الاغراء قال ابن سناء الملك رحمه الله تعالى من رسالة وما أتعب معاتب الايام فانه يضرب في حديد بارد وما ألأم ظفر الهموم فانها كثيرة تتساعد على قلب واحد وما الطف قول القائل

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وانشدني جمال الدين محمود بن طي المعروف بالحافي قال انشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه من أبيات

ولي على عاذلي حقوق هوى * عليه شكري ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

١ قوله الفاء جواب الشرط تقدم له رحمه الله تعالى نظيره وسبق بالهامش أن الصواب جعل الفاء رابطة للجواب وأن الجملة بعدها هي الجواب اه وقوله فيما بعد اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف الظاهر جعل اللام للتقوية وهي متعلقة بسبق وسبق اما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدا محذوف والدال عليه في الصورتين الكلام السابق والتقدير ان كان شئ نافعا في ثباتهم على العهود فسبق السيف لعذلهم نافع أو فالنافع سبق السيف لعذلهم اه

واصل بيتك قال انا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

(وحلتك مارية بالقرطين)

القرط نوع مما تحلى به المرأة اذنها ومارية هي ابنة ظالم ابن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني احد ملوك العرب بالشام وهي ام الحرث الاصغر وامها هند

وما أرق قول قرهب بن جابر الخزاعى

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا منى الذى يلحانى

وقال ابن وكيع أبصره عاذلى عليه * ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى لو هويت هذا * ما لام الناس فى هواه
قل لى الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى * يأمر بالحب من نهاه

وقال شمس الدين محمد بن التلمسانى

أسرفت فى اللوم ولم تقتصر * وزدت فى لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

ومنه قول آخر

قد قسر اللاحى وجاء يلومنى * وزخرف لى زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وما أحسن قول القائل

وما عذولى ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمار
قال أسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

أعاذلى ليس مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلى
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولى

وقال شيخ الشيوخ أيضا

من منصفى من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الا ذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال أيضا ان قوما يلحون فى حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أننى هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى * فسلوه ان كان قلبى سلاكم
قال لى عذلى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال شهاب الدين بن الخيمى

وعذول رابنى فى نصحه * كلما زادت ابا زاد لجاجا
ما عذولى قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجا

وأخذت أنا هذا المعنى فقلت

تداهى عذولى فى الغرام ولم تكن * مقاصده تخفى على عاشق مثلى
أحب فلما غار منى وخاف أن * أفاتحه فى ذاك سابق بالعذل

الهنود امرأة أكل المرار وكان فى قرطيها اللؤلؤتان العجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتها الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولى يزيد ابن عبد الملك ارسل اليها يقول خذى القرطين والحلى من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما اوافقه فى حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميدانى ان مارية اهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتى الحمام لم ير فى عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميدانى والله اعلم بحقيقتهما

(وقلدك عمرو الصمصامة)

هو عمرو بن معدى كرب بن عبد الله الزبيدى وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة فى الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة قال عمر وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فمنعنى من حوله

وقلت .

وقلت
يا قومي سالتكم خبروني * هكذا كل من أحب حبيبه
سقم زائد ودمع وسهد * ويحي عاذلي تمام المصيبه

وقلت
ياحسرة فيه على سلوة * ليستريح القلب من عاذلي
فان عمري بين ذل الهوى * وعذله قد ضاع في الباطل

وقلت
تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
فان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما

وقلت
ألح عذولي في هواه وزادني * ملامي فقلت احتل على غير مسمعي
فلم يدر من فرط الولوع بذكره * مصيبته حتى تعشقه معي

وقلت
بي غزال لما أطعت هواه * أخذ القلب والتصبر غصبا
ما أفاق العذول من سكرة العذ * ل عليه حتى غدا فيه صبا

والعلم المشهور في هذا كله قول أبي نواس

× دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء ×

وقال محمد بن شرف القيرواني

قل للعذول لو أطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وحكي ان المفضل الضبي قال له الرشيد دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في اصالة الرأي وجودة الموعظة وآخره بقراط في معرفة الدواء فقال يا أمير المؤمنين لقد هولت علي فقال هذا قول أبي نواس دع عنك لومي البيت وذكرت ههنا ما ذكره صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح ابن حسان يوما نصف بيت كأنه اعرابي في شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدري قال أجلتك حولا قلت لو أجلتني عشرا ما عرفته قال أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا قلت فما هو قال قول جميل

ألا أيها النوام ويحكموهبوا * هذا الكلام اعرابي

ثم قال نسائلكم هل يقتل الرجل الحب * كأنه والله من مخنثي العقيق

قلت علم الله لولا ايراد النادرة لاستحييت ان أكتب النصف الثاني لانه محمول الى الغاية والناس ينظرون به قول الآخر

مات الخليفة أيها الثقلان * فكأنما افطرت في رمضان

ويقولون في الاول عزى الثقلين ثم انه حل في الثاني وأقول انه ليس بينهما نسبة في الانحلال وقول جميل انما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق فانها صنعت فيه لحنا وغنت به وكانت بارعة الجمال فاذا سمع منها كان مناسبا والى بيت جميل أشار ابن نقادة في قوله

أهجر وصدوا غتراب وفرقة * وبين فبالله كم يحمل الصب
فقل لمحب نبه الركب سائلا * ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

ويقال اغنج بيت قالته العرب قول الاعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يا رجل

فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو ابن معدي كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشد منا شا ان هذا الرجل من الاعاجم اذا التقى مزراقا فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سية قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر

وقيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه تعلمون ان النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أما سمعتم قوله

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

والله لا يعرف هذه الاشارة الا مخنث قلت لو كان أحد من الجلساء انتصر للنابغة لقال فمن أين ظهر لمولانا أمير المؤمنين هذا ومعرفته بذلك مما يريب ولكن حرمة الخلافة ومهابتها يمنعان المعارضة وذكر صاحب الاغانى أن المأمون قال لمن حضر من جلسائه أنشدونى بيتا للملك بدل البيت وان لم يعرف قائله انه للملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل اعرابية حل أهلها * جنوب الملا عينالك تنتدران

قال وما فى هذا ما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد

اسقنى من سلاف ريق سليمى * واسق هذا النديم كاسا عقارا

أما ترى الى اشارته وقوله هذا النديم فانها اشارة ملك ومثل هذا قوله

لى المحض من ودهم * ويغمرهم نائلى

وهذا قول من يقدر بالمال على طويات الرجال يبذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان الاندلسى للسلطان أبى عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس قال رأيته مرابغرناطة وأنشدته شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر وكان رجلا جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى * على أى حال كان لابد لى منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعزو هو أليق بالملك

انتهى وقلت أنا رادا عليه

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنظم مع أهل المحبة فى سلك

متى لاق بالعشاق عزو سطوة * كأنك من ذل المحبة فى شك

وممن قال الشعر فى محبوبه من الخلفاء والملوك هرون الرشيد فانه قال فى هذه المادة

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطانى

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان

وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان

حاكمت فيهن الصدود الى الصبى * فقضى بسلطان على سلطانى

فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثان

منقه ثم أمر الصمصامة على حلقة فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبى وقاص الخمس ثم قسم البقية فاصاب الفارس ستة آلاف وبقى مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن أعط ما بقى حملة القرآن فاتاه عمرو بن معدى كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال انى أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معى بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد مالك فى هذا المال من شئ ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير

تعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبيا فا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فاعطاهما

ماضر أنى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

وقال الملك تميم بن المعز بن باديس

بالله جد لى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى أطل أشكو * مثل محياك ليس يشكى

وقال القائم بأمر الله العباسى

جمعت على من الغرام عجائب * خلفن قلبى فى أسار موحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذى ونمام يشى

وقال ابن منقذ

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من * كفى غلهما غيظا الى عنقى
واستعير اذا عاتبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحمق

وقال الظاهر غازى فى مملوكه أيبك الجمدار

أنا مالك مملوك ظبى أغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الغنى وانى من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(رجع الى العذل) أخذ ابن قلاقس قول أبى نواس فقال

فدعى الملامة فى التصابى واعلمى * أن الملامة ربما تغرينى

وما أحسن قول ابن سناء الملك

وصفتك واللاحى يعاند بالعذل * فكنت أباذر وكان أبا جهل
له شاهد زور من النهى والنهى * عليك ومن عينيك لى شاهد عدل

وقال شرف الدين على بن جبارة هذا البيت نادرة قصيدته وعين خريدته وقد أخذه أخذا وفلذه فلذا من قول شاعر متقدم

ولى عاذل يعزى الى الجهل لم يخل * بأنى فى دعوى الغرام أبوذر

قلت لكنه أخذه وقف عاج وأعاده درة تاج ألا ترى الى أنه قابل فيه بين أبى ذر وبين أبى جهل فزاده حسنا وكان فيه ليلى فضم اليها لبنى وكرر ابن سناء الملك هذا فى شعره فقال

أيا عاذلى فيه لما رآه * لئن كنت أعمى فانى أصم
وهبك أباذر هذا الملام * فانى أبو جهل هذا الصنم

ومن أبيات المعانى

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومنى العاذل فى حبه * وما درى شعبان أنى رجب

قلت العرب كانت تسمى المحرم المؤتمر وصفر ناجرا وربيعا الاول خواناً وربيعا الآخر بصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة الرنى ورجب الاصم وشعبان العاذل ورمضان الناتق وشوّالا اللوعل وذا القعدة برنة وذا الحجة برکا وأبو العلاء المعرى ممن أكثر من هذا النوع فقال

هزت اليك من القدا ابن ذى يزن * ولاحظتك بها روت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقبا * أبا حذيفة يحكى أو أبا جهل

أربعة آلاف درهم وحكى المدائنى قال كان عمرو بن معدى كرب فى سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فرعمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو وعتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له ألا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغنى ما قلت لأميرك وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف مصمصم بالله لئن وضعته على هامتك لأقلعن حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوما فقال ما تقول فى الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول فى الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتنى فاغلظ له عمر فى الكلام فقال

أتوعدنى كأنك ذو رعين
بأنقم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك
يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص منى قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هى قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت انى اذا دخلتها مت لفعلت وحكى أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله مالى بابى ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محله بنى فريد فأرشد اليها وسال عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال او ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندى كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه فى قدر وطبخه وجلس يتحدث الى ان أدرك فثرد فى جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فاكلا منها ثم قال أى الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية فقال أوليس حرمها الله تعالى فى الاسلام

ابن ذى يزن هو سيف ملك مشهور وهاروت ملك ساحر والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة وحملهما ابنا بدر وقال أيضا

نهارهم ابن يعفر فى ضحاه * وليلة جارهم بنت المحلق

ابن يعفر هو الاسود وبنت المحلق هى ليلى أى ليلة مظلمة وقال آخر

على أبوابه فى كل وقت * لسائله أخو عمرو بن أد
أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد
وقد ألقى كساء أبى عبيد * عليك فصرت أكسى أهل نجد
أراد أبوك أمك حين زفت * فلم يوجد لامك بنت سعد
أرانى الله عينك فى الجعبا * وعينك مثل بشار بن برد

أخو عمرو ضبة وأخو لخم جذام وأبو عبيد الابرص وبنت سعد عذرة وبشار بن برد أعمى وقال محمد بن عبدون يصف خمرا عادت خلا

ألا فى سبيل الله هوكأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت
أتت بنت بسطام بن قيس عشية * وراحة كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام هى صهباء وجسم الشنفرى عنى به قوله

فاسقنيها أباسواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

وذكرت هنا ما اتفق للشريف أبى الحسن على بن اسمعيل الزيدى لانه عمد الى شراب اعتصره فى جرتين فوجد احداهما خلا فقال

رب اختين أمستا طوع ملكى * نجل أم تصبوا اليها الرجال
هذه حسنها مقيم وهذى * غيرت حسن حالها الاحوال
فاقتضاض الحسنا سهل حرام * واقتضاض السوآ صعب حلال

قال ابن رشيق أخذ البيت الاخير من قول ابن هرمة وقد توعده الحسن بن زيد فى شرب الخمر

أرى طيب الحلال على خبثا * وطيب النفس فى خبث الحرام

قلت ومن هنا ولد ابن حجاج فيما أظن قوله

كيف لا أشرب من صالحها * وعلى فاسدها فطر الصيام

واما ابن هرمة فكان منهوما فى الشراب لا يصبر عنه قال مرة للمنصور فيما أظن يا أمير المؤمنين أكتب الى عامل المدينة ان لا يحدنى فى الخمر اذا أتى بى اليه فقال ويحك هذا حد كيف أكتب باسقاطه عنك قال يا أمير المؤمنين تحيل لى فى ذلك قال فكتب الى عامل المدينة اذا أتى اليك بابن هرمة وهو سكران فحده ثمانين واجلد من حمله مائة فكان العسس يمرون به وهو ملقى على الطريق فلا يتعرضون له ويقول أحدهم من يشترى ثمانين بمائة وسئل بعضهم عن معشوق له فقال هو أبو سفيان فقيل له استعن عليه ببنت بسطام أراد انه صخر والآخر أراد ان يسقيه صهباء فنظم ذلك بعض الشعراء فقال

ولم أنسه اذ زار بعد ازوراره * فبت نديم البدر فى ليلة البدر
وكان أبو سفيان حتى تولعت * به بنت بسطام فبتنا الى الفجر
خليفة بغداد الموفى ثلاثة * وعشرين والموفى الثلاثة فى مصر

أراد

أراد المطيع والحاكم وقال أبو الحسين الجزار

يا أخا مالك ويا من له الخنساء أخت ويا أبا المعاذ

أراد متمما وصخرا وجبلا (رجع) وأما هذا المثل أعني سبق السيف العذل فقد استعمله الشعراء كثيرا وأحسن ما فيه ما نقلته من خط السراج الوراق له

قلت اذ جرد لحظا * حده يدنى الاجل
ياعذولى كف عنى * سبق السيف العذل

وقول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى

ياغصنا قد طاب لى منه الجنى * ويا غزالا لذلى فيه الغزل
طرفك قبل العذل قد أبادنى * فما احتيالى سبق السيف العذل

وقال أبو الطيب

ترابه فى كلاب كحل أعينها * وسيفه فى جناب يسبق العذلا

قال بن وكيع لو قال

احسانه فى كلاب غيث مجدبها * وسيفه فى جناب يسبق العذلا

لصح التقسيم اذ ليس التراب ضد السيف وقال بن الحاجب القديم

وحاولت بالعذل ان ترشدنى * فقلت مهلا سبق السيف العذل

وقال بن نباتة السعدى

يا أهل بابل عزمى قبله فكرى * فى النائبات وسيفى يسبق العذلا

(ياوارد اسؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك فى أيام الاول)

(اللغة) الوارد الذى يرد الماء ليشربه سؤر السؤر البقية يقال اذا شربت فاسئر أى أبق شيئا من الشراب فى قعر الاناء والنعت سائر على غير قياس لان قياسه مسئر ونظيره أجبر فهو جبار وبهذا استدل على ان سائرا بمعنى الباقى وليس هو بمعنى الجميع وقد تقدم الكلام فى هذا عيش العيش تقدم الكلام عليه كله بمعنى جميعه وكل لا يدخله الالف واللام فى كلام العرب لانه وضع فى الاصل للشيوع ولكن أرباب المعقول غيروا هذا الاصل فقالوا الكل والجزء وكل لا يؤكد به الا ما يبعض فتقول ذهب المال كله ولا تقول جاء زيد كله وتقول اشتريت العبد كله ويؤتى باجمع بعد كل فى التأكيد قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الشيخ الامام جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى وأغفل أكثر النحويين جميعا ونبه سيبويه على انها بمنزلة كل معنى واستعمالا ولم يذكر شاهدا من كلام العرب وقد ظفرت له بشاهد وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها

فداك حى خولان * جميعهم وهمدان
وكل آل قحطان * والاكرمون عدنان

والكليات الخمس عند أرباب المنطق هى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس كالحيوانية والنوع كالانسانية والفصل كالناطقية ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لانه ينتقض بالدرة وهى الببغاء اذا حاكت شيأ من ألفاظ الناس يلزم ان تكون انسانا لانها بهذا الاعتبار حيوان ناطق وينتقض بالاخرس والطفل الذى

فقال انت أقدم اسلاما أم أنا قال انت قال فانى قد سمعت ما بين دفتى المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا انه قال فهل أنتم منتهون فقلت الا ثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران ايام الجاهلية حتى أمسيا فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف ابو مالك بغير حبانها لوصمة فأمر له بناقة ارحبية وحمله عليها ثم اتى بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال اما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن فى عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى أبو عمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت فى الجاهلية على بنى مالك فخرجوا مستفعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فاخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض الجماعة مهلا اباثور قتلك يسمع كلامك وأشار اليه فقال اسكت انما أنت محدث فاسمع أو قم ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هذه

المعدية بهذه الأخبار ومضى
فى حديثه فلم يقطعه فقال
له رجل انك لشجاع فى
الحرب والكذب فقال انى
كذلك وحكى أبو عمرو بن
العلاء قال جاء رجل الى عمرو
وهو واقف بالمربد على
فرس له وقد أسن فقال
لا نظرن ما بقى من قوة أبى
ثور فادخل يده بين ساقه
وجنب الفرس ففطن عمرو
لذلك فضم رجله وحرك
الفرس فجعل الرجل يعدو مع
الفرس لا يقدر أن ينزع يده
حتى اذا بلغ منه صاح به
فقال يا ابن أخى مالك قال
يدى تحت ساقك فخلى عنه
وقال ان فى عملك بقية بعد
ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع
ابن مسعود فقال أسألك جملان
مثلى وسلاح مثلى فأمر له
بفرس جواد وسيف صارم
وعشرين ألف درهم فمر
ببنى حنظلة فقالوا يا أبا ثور
كيف رأيت صاحبك فقال
لله بنو مجاشع ما أشد فى
الحروب لقاءها وأجزل فى
اللزبات عطاءها وأحسن
فى المكرمات بناءها والله لقد
قاتلتها فما أجبنتها وسألتها
فما أبخلتها وهاجيتها فما
أفحمتها ومن جيد شعره
ولما رأيت الخيل زورا كأنها
جداول ماء أرسلت فاسبطرت

لا يتكلم انهما ليسا من الاناسى لانهما غير ناطقين وانما يريدون بالناطقية القوة المفكرة
فعلى هذا دخل الأخرس والطفل فى حد الانسان وخرج عنه البيغاء والناطق هو فصل
الانسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لانها تختص ببعض النوع ولم تعمه والعرض
العام كالضاحكية لانها عامة لجميع النوع ولهذا كان التعريف فى الحدود بالجنس القريب
والفصل مطردا منعكسا والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس ولقد قلت
هذا الجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثلة كثيرة منها قول النحاة فى الاسم انه كلمة تدل على معنى
غير مقترنة بأحد الازمنة الثلاثة وقولهم فى الاسم أيضا انه كلمة تدخلها حروف الجر أو الالف
واللام أو التنوين فالتعريف الاول بالجنس القريب والفصل لاجرم أنه مطرد منعكس حيث
وجد الحد وجد المحدود وحيث وجد المحدود صدق الحد لان كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير
مقترنة بزمان وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهى اسم والتعريف الثانى بالجنس
والخاصة لاجرم أنه مطرد غير منعكس لان كل كلمة دخلها الجر أو الالف واللام أو التنوين فهى
اسم وليس كل اسم يدخلها الجر كباب مالا ينصرف والمبنيات ومالا يدخله الالف واللام
مثل كل وغيروذ كاء ودجلة وغير ذلك ولا التنوين مثل الاسماء المؤنثة المقصورة كحبلى ودنيا
وبابهما فأنت ترى كيف اطرد وما انعكس بخلاف الاول فتنبه لهذه القاعدة فانها فائدة
جليلة (رجع) كدر الكدر ضد الصفاء قال أصحاب التجارب ان الخيل لا تشرب الماء اذا كان
صافيا ولهذا تضربه بأيديها حتى يتكدر وعلل بعضهم هذا بأن الخيل ترى خيالها فى الماء الصافى
فلهذا تكدره وهذا تعليل عليل لا يشفى به غليل وذكرت بالعكر هنا قول القاضى محيى
الدين بن عبد الظاهر لما كانوا فى حصن عكار وهو

حصن عكار ماصفا * قط يوما من الكدر
كيف يصفو الذى ثلا * ثة أرباعه عكر

وقال لما فتح ومن خطه نقلت

يا مليك الارض بشرا * ك فقد نلت الاراده
ان عكار يقينا * هى عكار زياده

ومن هذه المادة قوله ومن خطه نقلت

قولهم عنى صبيغ * لى فى ذاك اراده
ليس الا ليقولوا * ذا صبى وزياده

وذكرت بالاول ما حكى عن القاضى الفاضل رحمه الله وقد ركب القاضى المكين بن حيوس
ولم يكن معه مقرعة فأعطاه القاضى الفاضل مقرعة فرماها ثم ردف طلبها عجلا فاوجدها
فعاد بسكينة لخيبته فأنشدها الفاضل رحمه الله تعالى

يا غاديا شبه السفيه وعائدا مثل الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت تشبيها من غير ميم

وما أحسن قوله وقد ورد نعى الملك الناصر من الشرق ولم يصح ذلك

نعى زاد فيه الدهر ميما * فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما صدق النذير به لانى * رأيت الشمس والنجوما

ويقال ان ابن عمار دخل يوما الى مجلس فيه ابن اللبانة الدانى ولم يكن ابن عمار يومئذ قد رأس فقال له اجلس يا ابن عمار بغير ميم فقال له نعم يا دانى بغير ألف وقال أبو تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أخذه ابن الرقاق فنقله الى وصف قوس فقال

أفديك من بعيمة زوراء * مشغوفة بمقاتل الاعداء

ألفت حمام الأيك وهى نضيرة * والآن يألفها بكسر الحاء

ولكنه نقص المعنى الذى حاوله بزيادة الأيك لان الحمام بكسر الحاء لا يضاف الى الأيك ولو قال ألفت الحمام وسكت لكان أحسن وأتم وقال ابن وضاح المرسى فى ذلك

عجبى من القوس الكريمة انها * لم ترع حق حمائم الاغصان

أضحت لها حتفا وكاتب مألفا * وكذاك حكم تصرف الازمان

وقال الحصرى المكفوف فى موت المعتضد ولاية ابنه المعتمد

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم

فكأن الميت حى * غير أن الضد ميم

وقال ابن سناء الملك

لم أنس اذ زرانى كالبدر مكتملا * بالحسن مشتملا بالسحر مكتحلا

رنا الى بعينيه فقلت طلا * حتى اذا كسر الاجفان قلت طلا

وحكى لى ان أبا الحسين الجزار أو السراج الوراق شكا فى طريق الحجاز اسهالا فوصف له بعض الاطباء سفوفا فلما تناوله أفرط به الاسهال فقال

فتحت على بابا بابا السفوف * وصلت به الى الامر المخوف

ولكن الحكيم أراد خيرا * فجاء بغير ياء فى الحروف

ونقلت من خط السراج الوراق له

قلت له مسليا * عن حالة ماشاءها

لعل فيها خيرة * فقال أخرياءها

ونقلت منه أيضا له

قالوا وقد سمعوا مدحى له ورأوا * حالا باعقاب ذاك المدح مجهوده

ما كان رأيك محمودا بمدحته * فقلت كلا ولكن كان محموده

ووجهه شاهد ينبيك عن خبرى * والباء فى خبرى ليست بموجوده

وقال بعضهم من طين طوبى خلقت قدا * فأنت فى ذا الورى غريب

بدلت النون فيك باء * فالناس طين وأنت طيب

وقال أبو الحسين الجزار

ولحية خالفت النفس من * عنفها فيها ومن لامها

قد صح عندى انها حلية * وانما هم قدموا لامها

وقال ابن دانيال فى الفخر الصائغ

قد كنت بالفخر ذا ضلال * اذ جئته مخلص الوفاء

وجاشت الى النفس أول فكرة

فزدت على مكروهها فاستقرت

ظللت كأنى للرماح دريئة

أقاتل عن احساب جرم وفرت

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم

نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء الممض وذلك أنه ذكر أن قوما فروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو أن قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجرار أن الفصيل اذا أراد وافطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع

وقد عجبت امامة ان رأتنى

تفرع لمتى شيب فظيع

أشاب الرأس أيام طوال

وهم ما تبلغه الضلوع

وزحف كتيبة للقاء أخرى

كان زهاءها رأس صليع

واسناد الاسنة نحو نحرى

وهذا المشرفية والوقوع

فان تنب النوائب آل عصم

تجد حكماءهم فيها رفوع

اذا لم تستطع شيأ فدعه

وجاوزه الى ما تستطيع

وصله بالتروع فكل شئ

سمالك أو سموت له نزوع

وقوله أيضا

يا أيها المغتابنا
جهلا بنا وولدت عبدا
ليس الجمال بمئزر
فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن
ومناقب أورثن مجدا
أعددت للعدثان سا
بغة وعداء علندى
وحسام ذا شطب يقد
البيض والابدان قدا
كل امرئ يجرى الى
يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا
يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التى
تخفى وعاد الامر جدا
نازلت كبشهم ولم
أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمى وانذر
ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح
بوأته بيدى لحدا
ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا
قلت لو لم يكن له الا هذه
القصيدة لاستحق بها
التقدم على بشر كثير وأما
الصمصامة فهى سيفه المشهور
قال عبد الملك بن عمير أهدت
بلقيس الى سليمان عليه
السلام خمسة أسياف وهى
ذو الفقار وذو النون
ومجذوب ورسوب والصمامة
فأما ذو الفقار فكان لرسول

حققته اذ دعواه فخرا * فكان فخرا بغير فاء

وقال أيضا

عوادنا علق الفصيح امرؤ * يابج أى قد صار هجاء
كأنه اذ سقطت داله * فأصبح العواد عواء

(رجع) أنفقت أذهبت صفوك الصفو ضد الكدر الاول جمع أولى مثل كبرى وكبر
(الاعراب يا) حرف نداء وحروف النداء خمسة وهى الهمزة وأى ويا وأيا وهيا اما الهمزة فانها
للقريب مثل الذى يليك وأى لا بعد منه كالذى تراه قريبا ويا للبعيد قليلا وأيا لا بعد منه
وهيا للبعيد الذى يحتاج الى مد الصوت ويا تستعمل للجميع وقد ينزل البعيد قريبا والقريب
بعيدا لفوائد يعرفها أرباب المعانى وقد اعترض على النحاة أجمع فى قولهم الكلام لا يتركب
من اسم وحرف بمثل يا زيد فانه بالاجماع منهم كلام وقد تركب من اسم وحرف والجواب ان هذه
أسماء أفعال لان يا بمعنى أقبل كما ان صه بمعنى اسكت ومن قال انها أسماء أفعال خلص من
هذا الايراد ولكن تعكر عليه الهمزة فانه ما لهم اسم فعل من حرف واحد ومن قال انها حروف
أجاب عن هذا الايراد بأن التقدير فى يا فلان أدعو فلانا وأورد عليه ان يا زيد صيغة انشاء
ومتى قدر أدعو زيدا انقلب من الانشاء الى الاخبار واحتمل الصدق والكذب وهذا
باطل فان من قال يا زيد لا يقال له صدقت ولا كذبت والجواب ان الصيغة مشتركة بين
الانشاء والاخبار لان المتكلم اذا قال بعت فهذا مشترك بين الانشاء والاخبار اذ يحتمل ان
يكون قد أخبر بأنه وقع منه بيع فى زمن ماض فيقال له كذبت ما وقع منك بيع أو صدقت
وقع منك ذلك وما يصرف هذه الصيغة الى الانشاء أو الى الاخبار الا القرينة مثل ما اذا
كان انسان قد ساومه آخر وطلب منه البيع فيقول بعت فهنا تعينت الصيغة بالقرينة الى
الانشاء قالوا سلمنا ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار ولكن قولنا يا زيد خطاب مع
زيد ومتى قدر أدعو زيدا انقلب الخطاب لغيره وهذا مشكل وقد استوفيت البحث فيه فى
أول التعليقة على الحاجبية (رجع) المنادى منصوب الموضع واللفظ اما اذا كان علما مفردا
مثل يا آدم بنى على الضم أو مفردا ويراد بالافراد ههنا أن لا يكون مضافا فان المنادى المضاف
منصوب مثل يا عبد الله والافالمجموع والتثنية غير مفرد وهو مرفوع تقول يا زيدون ويا زيدان
فهذا منصوب الموضع وأما اذا كان غير مفرد أو علم فانه منصوب اللفظ وانما بنى المفرد على الضم
لانه أشبه المضمر والمضمر مبنى ووجه الشبه انه مفرد كما انه مفرد وانه مخاطب كالكاف فى أدعوك
وأناديك وانه معرفة كما انه معرفة ولانه صار مع حرف النداء كالاصوات نحو حوب وهيد
وهلا وعدس وانما بنى على حركة اشعارا بطرو الحركة وتمييزا له على ما لم يدخله الاعراب نحو
ومن وكم واعلاما بعدم الثبوت فى بنائه وانما كانت رفعا لانه لو كسر أشبه المضاف الى ياء
المتكلم ولو فتح لأشبه المضاف اذا نودى فى يا غلام زيد ولانه أعطى أقوى الحركات جبرا له
لما أخذ منه الاعراب فالمنادى ان كان معرفة بنى على الضم نحو يا الله يا محمد يا آدم وما أحلى
قول ابن عنين

مال ابن مادة دونه لعفاته * خرط القتادة أو منال الفرقد
مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

وان كان مضافا نصبت فقلت يا عبد الله يا غلام زيد فأما اذا لم يكن معرفة ولا مفردا وهو نكرة

لم يقصد لها معين كقول الاعمى يا رجلا خذ بيدى فانه ينصب وينون فتقول يا راكبا ياساهيا يا نائما (رجع الى اعراب البيت واردا) نكرة غير مقصودة فلهذا نصب وهو اسم فاعل من ورد فهو وارد (سؤر) منصوب على انه مفعول به لاسم الفاعل (عيش) مجرور بالاضافة بمعنى اللام (كله) مرفوع على انه مبتدا والهاء فى موضع جر بالاضافة (كدر) مرفوع على انه خبر والجملة فى موضع نصب لانه صفة لسؤر وان شئت فى موضع جر لانه صفة لعيش وهو أحسن (أنفقت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (صفوك) منصوب على انه مفعول به لأنفقت والكاف فى موضع جر بالاضافة (فى أيامك) فى هنا ظرفية متعلقة بأنفق أيامك مجرور بفى والكاف فى موضع جر بالاضافة (الاول) مجرور لانه صفة لايام وقد تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) يا من ورد بقية عيش كله كدر لاى شئ ترد هذا الكدر والصفو قد أنفقته وأفنيته فى ايامك السالفة وهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه وهذه عادة جارية لكل من آخذ نفسه فاخذ يوبخها ويعاتبها فيقول من قال لك تفعلين هذا ولم كنت اعتمدت هذا الامر الفاسد وأمثال ذلك (وقد) استعمل الشعراء ذلك كثيرا كقول الحيص بيص

الا مير اك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر

حكمت تصيب الشعر علما وحكمة * ببعضها ينقاد صعب المفاخر

أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمعالى ومحيى الدارسات الغوابر

فانك أعميت المسامع والنهى * بقولك عنا فى بطون الدفاتر

ومنهم من لا يقصر اسم التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدا نفسه ولكن يجريه فى كل ما يصح ان يشتق له بان يكون قد جرد فيه شئ من آخر كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أى الجنة والجنة هى دار الخلد ولكنه جرد من الدار دارا وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه يرثنى وارث وهو الوارث نفسه ولكنه جرد من الوارث وارث وقول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى خارج الوغى * بمستلئم مثل البعير المرحل

يريد ويعنى من نفسى بمستلئم فجرد من نفسه مستلئما جعله مصاحبا له (رجع الكلام الى الصفو فى أيام الشباب) نعم ان الصفاء والعذوبة والهناء انما هى معصوبة بالشباب ومنهل الصبى رائق العيش هنى المورد عذب المذاق لذيذ المطعم فاذا أتى زمن المشيب كدر منهل العيش وغصص وارده بكره مذاقه وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقال تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقرئ ننكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف قال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

أخذه ابن شرف القيروانى فقال

ومن يطل عمره يفقد أحبته * حتى الجوارح والصبر الذى عيلا

وقال الآخر

ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لأعدائه

وقال الآخر

طول حياة ما بها طائل * تغص عندى كل ما يشتهى

أصبحت مثل الطفل فى مهده * تشابه المبدأ والمنتهى

الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى ان عمر ابن الخطاب قال لعمرو ابعث لى الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بنى زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه اوقع بهم واسر ريحانة اخت عمرو ابن معدى كرب فقداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه فى السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادى احضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

جاز صمصامة الزبيدى عمرو * من جميع الانام موسى الامين

فلا تلم سمعى اذا خاننى * ان الثمانين وبلغتها

وقال ابن واصلة
من شاب قدمات وهو حى * يمشى على الارض وهو هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذالك

وقال أبو العلاء المعرى

وأطربنى الشباب غداة ولى * فليت سنيه صوت يستعاد

وقال التهامى وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى

وقال الارجانى

ارى بين أيامى وشعرى قد بدا * لتجميل اتلافى خلافا يجدد
فقد أصبحت سودا وشعرى أبيضا * وعهدى بها بيضا وشعرى أسود

وقال ابن افلح يعتذر عن الانحناء

قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم ينشد فى قيله
سكن الحبيب شغاف قلبى ثاويا * فحنوت منعطفا على تقبيله

وقال الآخر يعتذر عن اللهو فى المشيب

وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبى * فقد لاح صبح فى دجاك عجيب
فقلت اخلائى دعونى ولذتى * فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال ابن المعتز يعتذر عن المشيب

صدت سريرة ازمعت هجرى * ووصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وقال أبو تمام الطائى

رأت تبسمه فاهتاج هائجها * وقال لاعجها للعبرة انسكبى
فلا يروقك ايماض الفتير به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

وما أحسن قول ابى تمام الملقب بالحجام

ليالى كان العيس غضا يظلنى * نضيرا وماء الوعد غير مشوب
وعينى قد نامت بليل شبيبتى * ولم تتنبه الا بصبح مشيبى

وقال ابن سناء الملك يعتذر عن شيب الحبيب

ما شاب من كبر ولكن شيبه * من ماء ورد الريق او مسك الما
لا يستوى شيبى وشيب معذبى * هذا عن رى وهذا عن ظما

وقال أيضا فى شيب الحبيب

جاء فى غير وقته ذلك الشيـ * ـب فعفاه ثوب لثمى بذيلى
ولقد زاده جمالا وحسنا * زاد وحى من الغرام وويلى
ولقد طفل المشيب وقلنا * حسن الطفل ذا المشيب الطفيلى

وقال ايضا
لقد شيبتنى فى الزمان خطوبة * ولا عجب ان شاب من شابه الخطب
ونور شيب فى عذار معذبى * ولا عجب ان نور الغصن الرطب

وقال ايضا
قالوا لقد شاب الحبيـ * ـب وشاب منه كل عزم

ما يبالى من انتضاء لضرب
اشمال سطت به ام يمين
ثم وصل الى المتوكل فدفعه
الى غلامه باغزا التركى فقتله
به ومن عند باغزا انقطع خبره
(وحمل ذلك الحرث على
النعامة فرس الحرث بن
عباد التغلبى أكبر سادات
بنى وائل وهو الذى اعتزل
حرب البسوس وقال لا ناقة
لى فيها ولا جمل فلما قتل
ولده نهض حينئذ وقال
قربا مربط النعامة منى
لقحت حرب وائل عن حيال
يعنى هذا الفرس ويكرر
قوله قربا مربط النعامة
منى فى أبيات كثيرة فى هذه
القصيدة وقد تقدم شئ من
ذكره ويقال ان هذه الفرس
كانت لخرز بن لوذان وهى
التى يقول فيها يخاطب زوجته
ان الرجال لهم اليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلى وتخضبى
وأنا امرؤ ان يأخذونى عنوة
أقرن الى سنن الركاب وأجنب
ويكون مركبك القعود
وحدجه
واين النعامة يوم ذلك مركبى
يعنى انك ان أسرت كانت
لك وسيلة عند الرجال من
كحلك وخضابك وأنا ان
أسرت جنبت الى جانب
فرسى فاكون راكب ظلها
قال أبو عبادة النعامة عرق
فى باطن القدم ولذلك يقال

فاجبت من شر هى عليه أذوقه فى كل طعم

وقال ايضا
يا عجبا منى ومن صبوتى * فى أول العمر بشيخ هرم
وحبه والله فى مهجتى * كالشيب فى لحيته مضطرم

وقال آخر
هذا الذى أعشقه شائبا * يتمنى من قبل ما عذرا
هويته مذ لاح لى ورده * حتى غدا ريحانه مزهرا

وقال النور الاسعردى
لام العواذل اذ عشقت فتى له * سبعون عاما غير عام واحد
لا تعذلونى فى هواه فاننى * عاينت فيه لمحة من والدى

وقيل لبعض أهل المجون علام لا تميل الى النسوان قال أذكر بيزها أمى فاستحى فقيل له هلا تذكر بذكره أباك وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى فعكسه وانشدنى بعض اشياخى لنفسه وقال لى لا تروها عنى

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدرى ما يراد من الذى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
ألا اننى لو كنت أصبو لأمرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فرحت اناصبا بابيضها وحدى

وانشدنى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين محمد بن سيد الناس اجازة قال انشدنى الامام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه * فالام قلبك فى هواه يهيم
قلت أقصروا فالآن تم جماله * وبدا شقاء فتى عليه يلوم
الصبح غرته وشعر عذاره * ليل ونبت الشيب فيه نجوم

وما سمعت فى هذه المادة احسن من قول الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل رحمه الله تعالى

شب وجدى بشائب * من سنا البدر أوجه
كلما شاب يحنى * بيض الله وجهه

وقلت أنا
عشقت شيخا بديع حسن * لام على حبه العذول
كأن ياقوت وجنتيه * للشيب فيها حبال لولو

وقال ابن حريق البلنسى فى محبوبته
ان ماء كان فى وجنتها * شربته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وقلت أنا فى مليحة أسنت
قالوا اسلها قد ذوى عناب راحتها * وأنت رهن صبابات وتضليل
فقلت لست بسال حبها أبدا * وكلما كرنش العناب يحلولى

وقال أبو نواس فى معاجلة الشيب
واذا عددت سنى كم هى لم أجد * للشيب عذرا فى النزول براسى

وقال أبو فراس الحمدانى
عذيرى من طوالع فى عذارى * ومن رد المشيب المستعار

ليت شالت نعامته أى ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هى فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان

*(ما شكت فيك ولا سترت اياك ولا كنت الا اياك

يعنى لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفى عنى نسبك الذى أعرفه قبل الآن

(وهبك سامتهم فى ذروة المجد والحسب)
(وجاريتهم فى غاية الظرف والادب)

المساماة المماثلة فى السمو والذروة أعلى الشئ ومنه ذروة السنام والمجد التوسع فى الكرم والجلالة وأصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت فى مرعى كبير واسع وأمجدها الراعى والحسب ما يعده الانسان من مفاخره ويحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابى الحسب والكرم يكونان فى المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهى الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمى الادب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب

وما زادت على العشرين سنى * فاعذر المشيب الى عذارى

وما أحسن قول مهيار الديلمى

واذا عددت سنى لم أك صاعدا * عدد الاناييب التى فى صعدتى

وألام فيك مع المشيب على الصبى * ياجور لائمتى عليك ولمتى

وما أحسن قول القائل

ألا ياساريا فى بطن قفر * ليقطع فى الفلا وعراوسهلا

قطعت نقا المشيب و بنت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال ابن نقادة

ان كان قد أضحى المشيب ظالمى لاعجبا
أترب رأسى فعلمت أن طيى اقتربا
كذا الكتاب عاجلا * يطوى اذا ما أتربا

(رجع) الى ما يناسب قول الطغرائى قال ابن النبيه

فالعمر كالكاس تستحل أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت فاه لهذا الدهر آخره

وهو مأخوذ من قول الصابى

والعمر مثل الكاس يرـ * سب فى أواخرها القذى

ولما سمع ابن التعاويذى هذا قال

فمن شبه العمر كاسا يقـ * ـرقذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

وقال القاضى الفاضل

اليك بعد انقضاء اللهو واللعب * عنى فلم أربى ما يقتضى أربى
والعمر كالكاس والايام تمزجه * والشيب فيه قذى فى موضع الحبب
أقول اذ غاض منى فيض فضلته * ياوحشتا لشباب ذاهب الذهب

وقال أبو عثمان الخالدى

لقد فرحت بما عاينت من عدم * خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الاعمى بحالته * لانه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكى على شئ منيت به * يبكى على الشيب من يأسى على العمر
وما شكرت زمانى وهو يصعدنى * فكيف أشكره فى حال منحدر

قلت قوله لانه قد نجا من طيرة العور يشبه قول القائل

لم يكفنى فى الرز خيبة مطلبى * حتى حرمت لذاذة الانعاس
كالاعور المسكين أعدم عينه * واعتاض منها بغضه فى الناس

وما أحسن قول الآخر

والاعور المقوت مع قبحه * خير من الاعمى على كل حال

ويشبه هذا قول أبى الطيب

والتفنن فى كل مقولة
(ألست تاوى الى بيت
قعيدته لكاع اذ كلهم
عزب خالى الذراع)
القعيدة امرأة الرجل كأنها
مقاعدته ولكاع اللئيمة
النفس مبنى على الكسر
والعزب البعيد عن الزوجة
مأخوذ من العازب فى طلب
الكلا وهو المتباعد وخالى
الذراع مثل خالى اليد
كناية عن الفراغ والمعنى
انك جامع للمحاسن لست
متزوّجا وكل من شئت من
هؤلاء القوم الذين يختارون
صحبتى عزب فكيف أفضلك
عليهم وقوله الى بيت قعيدته
لكاع هو نصف بيت من
شعر الحطيئة وهو قوله
أطوّف ما أطوّف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع
واسم الحطيئة جرول بن
أويس بن مالك العبسى
والحطيئة لقب وقع عليه
قيل لقصره من الارض
وقيل لانه ضرط يوما فقيل
له ما هذا فقال انما حطأت
حطيئة وكان من اكبر شعراء
المخضرمين أدرك الجاهلية
والاسلام والغالب على
شعره الهجاء وكان دنى
النفس والهمة قدم المدينة
فشى اشرافها بعضهم الى
بعض وقالوا قدم علينا هذا
الرجل وهو شاعر

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول

ونقلت من خط محيي الدين بن عبد الظاهر له

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحياء منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عندفتى * عورته لاتزال مكشوفه

وقال أبو على بن رشيق وكان أحول فى نفسه وفى الطوسى الاعمى الشاعر وفى محمد بن شرف الاعور لابد فى العور من تيه ومن صلف * لانهم يبصرون الناس أنصافا
وكل أحول يلقى ذا مكارمة * لانهم ينظرون الناس أضعافا
والعمى أولى بحال العور لو عرفوا * على القياس ولكن خاف من خافا

وما أحسن قول القائل

شمس الضحى يعشى العيون ضياؤها * الااذا رمقت بعين واحدة
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى * فاعرف فضيلتهم وخذها فائده
نقصان جارحة أعانت أختها * فكأنما قويت بعين زائده

وقال محمد بن شرف يهجو حماما

كأنما حمامنا فقعة * النتن والظلمة والضيق
كأننا فى وسطها فيشة * ألوطها والعرق الريق

فقال ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

وقد ظرف القاضى الفاضل فى قوله

ما كان يكمل حزا الحمام حتى ازداد قبه
فكأننى فيه خرو * ف شواو من فوقى مكبه

وما أظن القاضى الفاضل الاقصد هذا التشبيه والسبق اليه دون غيره لئلا يتخيله غيره وينظمه لانه كان أحدب قصيرا أوقص كما كان البهاء زهير يقصد مثل هذه الاشياء لما كان أسود قصيرا شنجا فيندب على نفسه ولايدع أحدا يسبقه الى مثل ذلك وحكاياته فى ذلك مشهورة وحكى القاضى السعيد أبو المكارم أسعد بن خطير بن عماتى قال دخلت يوما على القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فوجدت بين يديه أترجة كبيرة مفرطة فى الضخامة وهى من الاترج الشمى فلما جلست حدقت اليها واتفق فكر وذهول فأخذ رحمه الله يتبادر على نفسه وقال يامولاى الاسعد ماهذه الفكرة الطويلة ما أنت مفكر الا فى خلق هذه الاترجة وما فيها من التكتيل والتعوج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بيننا وبينها فدهشت وانخلع قلبى منى خوفا ثم رجع الى خاطرى فقلت لا والله بل أفكر فى معنى وقع لى فيها ويسر الله أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

قال فأعجباه واستحسناها وانقطع الحديث قلت ولو صحف الفاضل رحمه الله تعالى قوله هيبة بهيئة بالياء آخر الحروف لتم له الذى أراده من ابن عماتى وتمت له الحجة التى قصد تركيبها

والشاعر يظن فيحقق فيأتى الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فاخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملنى على نعلين كفاه الله كبة جهنم وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عبيد بن النهاس فسأله فقال ما أنا على عمل فأعطيك ولا فى مالى فضلة عن قومى فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا اخبث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذى يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيلك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها

وهذا من غريب الاتفاق وقال جبلة بن الايهم فى واقعته المشهورة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها الحجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

قال أبو الحسن بن سيده فى المحكم أراد العوراء فوضع المصدر موضع الصفة ولو أراد العور الذى هو العرض لقابل الصحيحة وهو جوهر بالعور وهو عرض وهذا قبيح فى الصنعة وقد يريد العين الصحيحة بذات العور فحذف وكل هذا يقابل الجوهر بالجوهر لان مقابلة الشئ بنظيره أذهب فى الصنعة وأشرف فى الوضع وما أحسن قول بعض المغاربة فى مليح أعور

بركات يحكى البدر عند تمامه * حاشاه بل بدر السما يحكيه
لم تذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك بدائع التشبيه
فكأنه رام يغمض طرفه * ليصيب بالسهم الذى يرميه

ومن نظم أبى الفتح بن جنى وكان أعور رحمه الله تعالى

صدودك عنى ولا ذنب لى * دليل على نية فاسده
فقدوحياتك مما بكيـ * ـت خشيت على عينى الواحده
ولولا مخافة ان لا أرا * ك لما كان فى تركها فائده

وقال بعضهم وكان أعور من اليمنى فمشى الى جانبه أعور من اليسرى

ألم ترنا اذ سرنا جميعا * الى الحاجات ليس لنا نظير
أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

وقال الباخرزى

ولا تحسبوا ابليس علمنى الخنا * فانى منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناى لى وهو أعور

(فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل)

(اللغة) فيم تقدم الكلام عليها فى قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت اقتحامك قحم الامر فحوما رمى بنفسه من غير رؤية والمقحمة بالضم المهلكة فاقتحم افتعل منه اقتحاما اللج معظم الماء وكذلك اللجة تركبه أى تعلوه يكفيك كفاه يكفيه كفاية أغناه واكتفيت به واستكفيته الشئ فكفانيه مصة مصصت الشئ أمصه مصا وكذلك امتصصته وهو فعل بالشفتين على مهل وفى الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا الوشل بالتحريك الماء القليل وفى المثل وهل فى الرمل أوشال (الاعراب فيم) أصله فيما وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فيم الاقامة البيت (اقتحامك) مصدر اقتحم وهو مرفوع على أنه مبتدأ والخبر تقدم فى الجار والمجرور لانه تضمن الاستفهام وله صدر الكلام والكاف فى موضع جر بالاضافة فى اللفظ وهى فى موضع الرفع بالمعنى لانه فاعل المصدر الذى أضيف اليه (لج) منصوب على انه مفعول به للمصدر (البحر) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (تركبه) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والهاء ضمير يعود الى البحر أو الى اللج وهو فى موضع نصب لتركبه والفاعل ضمير يرجع الى المخاطب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع نصب على الحال تقديره فيم

فيعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتري بها ثم مضى فلما جلس عبيد فى نادى قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا
فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكى ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد فى سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليؤدى ما اجتمع من الصدقة فلقى الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفينى مؤنة عيالى واصفيه مدحى ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك فى من يوسعك لبنا وسمنا ويجاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندى قال من أنت قال الزبرقان ابن بدر قال فاين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمى به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعنى زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن

اقتحامك لج البحر راكبا له (وأنت) الواو للابتداء وأنت ضمير مرفوع بالابتداء (يكفيك) فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف لا يظهر فيه غير النصب والكاف في موضع نصب على المفعولية ليكفي وهو ضمير المخاطب والجملة في موضع رفع على انها خبر لأنت تقديره وأنت كافيك (منه) من هنا للتبعيض وهي متعلقة بيكفي والهاء مجرورة بها وهذا الضمير يرجع الى البحر فان قلت هل يجوز أن يعود الضمير الى اللج كما قلته في تركيبه قلت لا يجوز ذلك لان اللج داخل البحر فلا بد من اقتحام اللج وركوب البحر حتى يصل الى اللج فيناقض هذا الاعراب المراد من البيت وهو يريد الانكار عليه في اقتحامه اللج لان القليل من البحر يكفيه منه المصة وهذا موجود في أقل جزء منه في الساحل (مصة) مرفوع على انه فاعل يكفي (الوشل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام وقوله وأنت يكفيك منه مصة الى آخره جملة حالية (المعنى) لاى شئ تقتحم البحر وتركب لجته وتصبر على أهواله والغرض في الشاطئ لان المقصود شربة تمصها من الماء القليل لتسد عطشك وتروى ظمأك وهذا موجود في أي نغبة تمصها من أي نهر كان يعني فما المراد من الدنيا الا اقيام الصورة لا غير وهو ما يقوم بهذا الجد من المأكل والمشرب والملبس وهذا سهل يحصل بادنى تحيل وأخف تكسب ولا يضطر مع هذا الى ركوب الأخطار ومكابدة الاهوال ومقاساة المشاق ومعاناة المتاعب

ومراد النفوس أحقر من ان * يتعادى له وان يتعاني

قيل ان الخليل بن أحمد رحمه الله أتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فاذا انتقع أكله فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له مادمت أجد هذين فاني لا احتاج اليه وقد أخذ الطغرائي يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم وهذا هو الصحيح لان الامر أقل من هذا العناء كله وما أحق هذا المقام أن ينشد فيه قول القائل

ما الجزع أهل ان تردد نظرة * فيه وتعطف نحوه الاعناق

ومن كلام ابن سناء الملك رحمه الله تعالى سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الامانى وبرمت بمعاناة من عنانى وأعيانى ومللت صحبة الانتظار الذى أظمانى وأضنانى ورثيت لعينى من رؤية من يرانى وكأنه ما يرانى وعزمت على ان أتخلى واستريح وأسير وأسيح وأسكن الى كل راحة وأقلع بكل ريح وأضع يدى في يد الزمان وأطلب منه الامان وأتوب اليه من التحذلق عليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدره والدنيا مكدره والاشياء لها غايات وللحاجات أوقات ويعجبنى قوله نظما

تدعى العقل وهو أشرف ما فيك ولم صار داخلا تحت حسك
وكذا حبك الحياة وقد أصبحت لا تشتهى سوى طول حبسك
طلق النفس فهى أخون عرسيك ألست هى المشير بعرسك
واذا اختال فوق أرضك منك العطف فاذكر هوانه تحت رمسك
لا تغالط فما تنال رضى الله تعالى الا باغضاب نفسك
ما أهان الورى ولا ملك الدنيا ولا حازها سوى المتنسك

عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان أنه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بني شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثاثا وربطوا له بكل طنب حلة واراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جاري فابوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الراى منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان

وينا ضل عن بغيض
والله ما معشر لاموا امرأ جنبا
في آل لاى بن شماس باكياس
لما بدا لى منكم غش أنفسكم
ولم يكن بجراحى منكم آسى
ازمعت يا سام بينا من نوالكم
ولن ترى طارد اللحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوائزه
لن يذهب العرف عند الله والناس

فاستعدى عليه الزبرقان
عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقال عمر للزبرقان ما أرى
هجواً ولكن معاتبة فقال
الزبرقان أما تبلغ مروءتى الا
أن آكل وألبس فقال عمر
رضى الله عنه على بحسان
فجيء به فسأله أهجاه قال لا بل
سلح عليه بعد ان أكل الشبرم
فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة
ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين
والله لقد هجوت أبى وأمى
وزوجتى ونفسى فضحك
عمر وقال ما قلت قال قلت فى
أبى وأمى
ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى
وأبا بنيك فساءنى فى المجلس
وقلت فى زوجتى
أطوف ما أطوف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع
وقلت فى نفسى
أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله
فأمر به عمر فحبس فى بئر
وغطاه فقال
ماذا تقول لافراخ ندى مرح
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
فأخرجه ثم قال اياك وهجاء
الناس قال اذا تموت عيالى
جوعا فقال اياك والمقذع
قال وما هو قال ان تخاير
بين الناس قال أنت والله
أهجى منى فسلمه الى

قلت ما أحلى ما أتى بالمتنسك هنا قافية فسقى الله ضريحه وروّح روحه وما كان ألطف ذوقه وأشب عمره الذى جعل الهلال طوقه وهذه القافية لا يجيزها العروضيون ويحتجون بان الكاف أصلية وليست ضميرا كاخواتها وأنا وغيرى من أئمة الادب الذين لطف ذوقهم يرون ان هذه القافية بين نجوم القوافى كالشمس وهى التى فيها خفة الروح وما عداها فيه ثقل الرمس لانها قليلة الوقوع فى الكلام بخيلة بالزيارة ورد السلام قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية ويجد لها ثانية والاستقراء أمامك فاطلب لها أختا واسلك من أرض اللغة عوجا وأمتا فان وجدت فبعد جهد وتعب فى النظم والنثر يؤديانك الى الزهد بخلاف أخواتها البواقى لانك تجد أمثالهن فى مطالع اللغة رواقى يعرف هذا القول أربابه ومن بينى وبينه نسبة أو تشابه وقال أبو العز مظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى أجز هذا النصف قد بلغ الشوق منتهاه

فقلت *ومادرى العاشقون ماهو*
فقال *وانما غرّهم دخولى*
فقلت *فيه فهاموا به وتاهوا*
فقال *ولى حبيب يرى هوانى*
فقلت *وما تغيرت عن هواه*
فقال *ياضة النفس فى احتمالى*
فقلت *وروضة الحسن فى حلاه*
فقال *أسمر لدن القوام *ألمى*
فقلت *يعشقه كل من يراه*
فقال *ريقته كلها مدام*
فقلت *ختامها المسك من لماه*
فقال *ليلته كلها رقاد*
فقلت *وليلتى كلها انتباه*

ثم ان مظفرا أكملها مديحا فيه وقد أوردت هذا الشعر لان فيه قافيتين لا يجوزان على رأى أرباب العروض وهما أحسن ما فى هذه القوافى الاولى ماهو والثانية انتباه انظرهما تجدهما أحسن القوافى ولو تركنا والعقل لكان ينبغى ان لا تعد القوافى الا اذا كانت غير متصلات بضمير مخاطب أو غائب أو متكلم لان فى ذلك شيأ من الايطاء وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

فخذ الحديث عن المدا * مع فهى تروى عن قتاده
انى بديهى الدمو * ع وان دمعى لا يباده

وقول ابن بابك من أبيات

هو الربع يخرس ان شمته * وان سمته خبرا خبرك
فلا ترعدنك دواعى الهوى * فطود المهابة قد وقرك
كأن لسانى قد ساقه * الى الحمد أخذك ما قد ترك

غبار تصدع عن فارس * يقطر من قسطل المعترك

نقلت هذه الابيات من ديوان بخط ابن خروف النحوى والقصيدة مثبتة فى حرف الراء وجدت ابن خروف قد كتب على الهامش هذا البيت فى قافية الكاف والذى بعده وترك والمعترك فى قافية الراء وهو غير جائز ويجوز الكل فى قافية الكاف وما أحسن قول محاسن الشواء

فضلت الورى فى الحلم والعلم يافعا * ويظهر حسن الشئ مع قبح ضده

فكم من معان مشكلات شرحتها * بلجلج نطق المصقع المتبده

وقال ابن نباتة السعدى

لأسكنن الثرى للحد معتنقا * وما وجهى به أصفى من المقل

بذلته لنيوت الاسد تأكله * كيما أعيش بعرض غير مبتذل

وقال أبو فراس بن حمدان

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو أنه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى

وقال ناصر الدين بن النقيب

ليس من بات معتقا لامانيه * كمن بات للامانى رقا

ان للمرء فى الحياة على اللـ * ـه أن يموت قوتا ورزقا

خلنى من حديث كدوسعى * واضطراب فى الارض غربا وشرقا

ما الذى أقتنيه من عرض يفنى اذا كان جوهرى ليس يبقى

وقال الشريف أبو الحسن العقيلى

وقائل ما الملك قلت الغنى * فقال لابل راحة القلب

وصون ماء الوجه عن بذله * فى نيل ما ينفد عن قرب

(ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول)

(اللغة) القناعة الرضى بالقسم وقد تقدم الكلام عليه فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت يخشى يخاف عليه يحتاج يضطر ويفتقر الانصار الذين ينصرون ويساعدون على الاهوال والانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة شرفهما الله تعالى وآووه وحاربوا معه أعداءه وآووه الذين هاجروا معه اليهم وآخوهم والمهاجرون الذين هاجروا معه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم واهلهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلاشك أفضل والانصار يلونهم فى الفضيلة لانهم تلقوه بالرحب والسعة والبشر والقبول ونصروه وأعانوه على بلوغ ما رامه من ابلاغ الرسالة واظهار الدين القيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فالانصار لقب يقع على قبيلة الاوس والخزرج ابنى حرثة بن ثعلبة العنقاء لقب بذلك لطول عنقه ابن عمرو مزيقيا لقب بذلك لانه كان يمزق عنه كل حلة لئلا يلبسها أحد بعده ابن عامر بن ماء السماء لقب بذلك لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر ابن حرثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق لقب بذلك لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجعيم بن سليمان بن داود بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ

الزبرقان فشد فى عنقه حبلا فعارضته غطفان وسالته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا ملكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فيالك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا رقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصى للفقراء بشئ فقال بالاكحاح فى المسئلة فانها تجارة لن تبور واستحت المسؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء يكفه
على خير ما يجزى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم
وصادف منا فى البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لو منع أو أساء اساءة واحدة لكانت له فى البلاد حسنات كثيرة

ابن يشحب بن يعرب بن قحطان وأنشدني بعض الافاضل لقاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبي أبياتا منها

ومالي أنصار سوى فيض أدمعي * اذا بانت من أهواه وهو مهاجر

ويعجبني قول ابن سناء الملك رحمه الله تعالى

أنا جدانصار النبي لانني * يا أشهل العينين عبد الاشهلي

(رجع) الخول خول الرجل حشمه الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والامة قال الفراء جمع خائل وهو الراعي وقال غيره مأخوذ من التخويل وهو التمليك (الاعراب ملك) مرفوع على انه مبتدأ (القناعة) مجرور بالاضافة (لا) حرف نفي وهو وما دخل عليه في موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره ملك القناعة غير مخشى عليه (يخشى) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورفعه ضمة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من خشيت وهو مغير لما لم يسم فاعله (عليه) على للاستعلاء معنى والهاء مجرور به وهو في موضع رفع لانه سد مسد مفعول ما لم يسم فاعله (ولا) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها الا حرف نفي (يحتاج) فعل مغير لما لم يسم فاعله والكلام فيه كالكلام في يخشى (فيه) في للظرف والضمير مجرور به وهو راجع الى الملك والجار والمجرور متعلق بالى والكلام في قوله فيه كالكلام في عليه (الى) حرف جر وهو لانتهاء الغاية (الانصار) مجرور بالى (والخول) معطوف على الانصار (المعنى) ان القناعة صاحبها ملك لانه في غنى عن الناس وفي ملكها مزية على ملك ما سواها من أمور الدنيا وهي انها غير محتاجه الى خدم ولا انصار ولا عساكر يحفظونها ولا يخشى عليها من زوال ولا اغتصاب لان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة والحفظ والاحتراز على نفوسهم من الاعداء والى العساكر ليحفظوا ثغور البلاد وحدود الممالك من العدو الذين يتغلبون عليها ويضطرون الى أموال ينفقونها في العساكر ليمونوهم بذلك ثم هم مع ذلك الهم والفكرة في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وخشية من زوال الملك اما بغلبة العدو واما بخروج أحد من الرعايا عن الطاعة واما بوثوب أحد من حشمهم وخدمهم وأقاربهم عليهم أو اطعامهم السم الى غير ذلك من الآفات والمخافات وحكى ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلبه السفاح أو المنصور ليقلده الوزارة دخل عليه فلما وقع نظره عليه قال أخرجوه وغضب عليه وكان كثير التطلع الى رؤيته فعجب الحاضرون من ذلك وربما انه أمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين علام تقتلني قال لانك دخلت علي ومعك السم فقال يا أمير المؤمنين حاش لله وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك أحدنا ويعذب ونخاف طول العذاب فنضع لاجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا ذلك امتص أحدنا ذلك ليموت خوفا من تطويل العذاب فعفا عنه وقلده الوزارة ثم قال له يا أمير المؤمنين من أين علمت ان السم معي قال انه في ساعدي دملجان اذا حصل في المكان الذي أنا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك قلت كذلك وحدثها مسطورة بهذا المعنى وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ولكن قال أصحاب الخواص ان قرن الحية اذا قارب الطعام المسموم عرق والله أعلم (رجع) وملك القناعة منزه عن هذه المشاق المتعددة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

تكفيه ولا يصدق هاجيه

ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه
ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة
الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع
أرضى العدو ويؤس بعد انعام
من كل أجرد كالسرحان أبرزه
مسح الاكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات روايا ها جحافلها
يسمو بها أشعري طرفه سامي
الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم
صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيري أمام فان المال يجمعه
سيب الاله واقبالي وادباري

معافى بدنه معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس ومن كلام ابن المعتز الزهد فى الدنيا الراحة العظمى ومنه طلاق الدنيا مهر الجنة وكان أبو حاتم يقول انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فاعسى ان يكون هذا اليوم وأخذ هذا الكلام أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

وقال أبو الفتح البستى وفيه جناس

قد مر أمس ولم يعبأ به أحد * من التواء وبوس مر أم رغد
وعندى اليوم قوت استعف به * وان بقيت غدا أصلحت أمر غد

وقال ابن عنين

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وذكرت هنا ما ذكره ابن مسدى فى معجمه فى ترجمة أبى طالب محمد بن على بن على بن الخيمى الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران فى قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بنى أيوب فأصابنى ضيق فرأيت فى النوم كأن فى قبورهم قبر شمس الدولة فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى يكفنه ومعى قصيدة امتدحه بها فأنشدته اياها فلما فرغت من انشادى استترعنى فى زاوية القبر وأخذ كفنه فرمى به الى فرأى فى وجهى أثر الندم والانكسار فعرف ذلك منى فأنشدنى

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودى شابه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى كفنى

(رجع) قال ابن الساعاتى

كفى بملوك الارض جهلا حذارهم * وان ملكوا أن يسلب الملك عنهم
وهب جعلوا ما فى المعادن جملة * رهائن أكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم ينل * ولم يبق غير البدر فى الناس درهم
أليس أخو الطمرين فى العيش فوقهم * اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

وهو مأخوذ من قول محمد بن غالب من رصافة بلنسية

صون الفتى وجهه أبقى لهمته * فما ازالته فى الموقف الزارى
قنعت فامتد مالى فالسماء يدى * وبدرها درهمى والشمس دينارى

وأخذه شمس الدين بن الآمدى فعكس أصل المعنى وقال

وما يستوى من راح فى الناس ساريا * وآخر فى قطع من الليل مظلم
ولم يستقم للمرء يوما وليلة * بلا شمس دينار ولا بدر درهم

نمرى الى ضوء أحساب أضاءت لها
كما أضاءت نجوم الليل للسارى

(وقوله)

أنت آل شماس بن لاى وانما
أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين فى الهيجاء مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أبناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذى علمت سعد
(وأين من انفرد به عن لاغلب الاعلى الاقل الاخس منه)

هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذى تنفرد به العرب والذى يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشئ كانها لا تستولى الا على فضل

وقال أبو اسحق الغزى

لاتعجبن لمن يهوى و يصعد فى * دنياه فالناس فى أرجوحة القدر
واقنع بعاقل فالاوشال صافية * ولجة البحر لاتخلو من الكدر

وقال أيضا

ياطالب الرزق فى الدنيا بحيلته * ان القناعة أضحت حلية الحيل
لاتحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل

وقال الحريرى

اذا أعطشتك الكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وقال بعض الشعراء

اقنع بأيسر شئ أنت نائله * واصبر ولا تتعرض للولايات
فاصفا النيل الا وهو منتقص * ولا تكدر الا فى الزيادات

وقال بن طباطبا العلوى

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عمر القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند الشرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا أغرقته فيه طفى

وقال آخر وهو أحسن لاختصاره وجناسه

خذ من العيش ما كفى * فهو ان زاد أتلفا
كسراج منور * ان طفا دهنه انطفا

وقال أمين الملك بن أبى حفص المنشى

لعمرك ان فضول المعاش * بمذموم اعقابها لا يفى
فان تك قد نلت قدر الكفاف * وصرت بعيسوره تكتفى
فلا يحسدنك الا المملوك * لان القناعة ملك خفى

وقال عبد المجيد بن عبدون

يادهر أن توسع الاحرار مظلمة * فاستثنى ان غيلى غير مغروب
ولا تخل اننى القاك منفردا * ان القناعة جيش غير مغلوب

وقال مؤيد الدين الطغرائى

لا تلتمس فضل الغنى انه * متلفة يشقى بها الحر
أما ترى المرء له عبرة * فى صدف أهلكه الدر

قال ابن النحوى لما قدم أبو تمام قال له أبى ما أفدت فى سفرتك هذه قال أربعمائة ألف درهم وأربعة أبيات أحب الى من المال قال أنشدنى اياها قال أنشدنى أبو نواس الحسن بن هانئ لنفسه

انى وما جمعت من صفد * وحويت من سبد ومن لبد
هم تصرفت الخطوب بها * فنزعن من بلد الى بلد
يا ويح من حسمت قناعته * سبب المطامع عن غد فغد

(وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على)

كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المعجب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها فى ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا

(وبين آخر قد نضب عديره ونزحت بيره
وذهب نشاطه ولم يبق الا اضراطه)

الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب منى الاطيبان وهما الجماع والنوم و بقى فى الارطبان وهما السعال والضراط

(وهل يجتمع لى فيك الا الحشف وسوء الكيلة)

يعنى لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب فى الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن

لولم يكن لله منهما * لم يمس محتاجا الى أحد

ويروى عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما

أغن عن المخلوق بالخالق * تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الناس يغنونه * فليس من مولاه بالواثق
أوظن ان المال من كسبه * زلت به النعلان من حالق

وقال ابن أبى الصقر الواسطى

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وحكى ان أبا تمام لما دخل الى الحضرة وأقام بها مدة عزم على الانحدار الى البصرة وقيل الى واسط فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعدل وفيه

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تفتك راغبا فى وصال * من حبيب أوطالب النوال
أى ماء يحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا أدخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر على أن هذه الابيات اختلف الرواة فى قائلها وفى أسبابها وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى وان لم يكن من هذا الباب ومن خطه نقلت

أنت بين اثنتين يانجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده
لست تنفك راكبا عود عبد * مسبطرا أوحاملا خف غاده
أى ماء يحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

وقال قاضى القضاة نجم الدين بن العديم رحمه الله تعالى رأيت فى نومى كأنى داخل الى بلدة صغيرة فقيل لى ان نجم الدين محمد بن اسرائيل كاتب عندوا ليها فعملت فى النوم ارتجالا

الى كم ذا تغربك الليالى * وتبدى منك حالا بعد حال
فطورا شيخ زاوية وفقر * وطورا كاتبا فى باب وال

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

مالى اذل وللقناعة عزة * أنجو بها من ذلة وهوان
وأصون وجهى أن يذل لاوجه * منحوتة من عالم الصوان

والقوم كالاصنام والاسلام * نزهتى عن الاصنام والاوثان

وقال أبو عبد الله الحسين المنعوت بالبارع وقد تقدم

قد تعففت واقتنعت بتدفيع زمانى وقلت انى وحدى
لالانى أنفت مع ذا من الكد * يه أين الكرام حتى أكدى

ومن هذه المادة قول عمارة اليمنى

وأحق الانام بالذم جيل * بين أبنائه كريم يهان

معدى كرب والحشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهى تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك

(ويقترن على بك الا الغدة والموت فى بيت سلولية)

هذا مثل آخر فى معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ماتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفنى عامرا بما شئت فظهر فى رقبته غدة مات منها فى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وقد تقدم خبره

(تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص أعناق الرجال)

هذا البيت لابى العتاهية واسمه اسمعيل بن القاسم ابن سويد مولى عنزة ومنشأه

أصبح الجود قصة عند قوم * مستحيل فى حقها الامكان
كذبونى بواحد يهب الالـ * ـف وانى من السماع العيان

قلت هذا على أنه القائل فى رثاء أهل القصر فى قصيدته اللامية أتيت مصر فأولتنى خلائفها البيتين وقد تقدم وقال أبو الرضى الفضل بن منصور الظريف

ياقالة الشعر قد نصحتكم * ولست أدهى الامن النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى * ذاك أمور طويلة الشرح
صونوا القوافى فما أرى أحدا * يعرف فيه الرجاء بالنجح
وان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

وحكى صاحب الاغانى عن مخارق قال لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا اسحق أنشدنى قولك فى تبخيل الناس كلهم فضحك وقال هنا قلت نعم فأنشدنى

ان كنت متخذا خليلا * فاستنق واتخذ الخليلا

وساق الابيات صاحب الاغانى ومنها

فاضرب بطرفك حيث شئـ * ـت فهل ترى الا بخيلا

فقلت له افرطت يا أبا اسحق فقال فديتك فأكذبنى بجواد واحد فأحببت موافقته والتفت يمينا وشمالا فقلت ما أجد أحدا أقبل بين عينى وقال فديتك يا بنى لقد رققت حتى كدت تشرب انتهى ويقال ان بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون فقال السلام عليكم يا بخلاء فقالوا له أتقول انا بخلاء فقال كذبونى بكسرة (رجع) ومما قلت أنا فى القناعة

يقول الزمان ولم يستمع * لمن طلب الرزق أو أمله
أنا حر من جد فى كسبه * ومن يقتنع تعصبت له

وقلت أيضا

اذا ملك الانسان ثوب قناعة * ترشف كاس العز فى الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه * لان عليه نعمة الصبر سابغه

وقلت أيضا

لا تسأل الناس فانى امرؤ * ما طاب لى عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم * فى الدهر للدينار من صرف

وقلت أيضا

هو الرزق ان وافاك سعيا فهين * وان تأته فى غيضه فعويص
على ان من الغاه نال منال من * يغور على تحصيله ويغوص

وقلت أيضا

تطلبت رزقى بالقناعة فى الورى * ولم ابتذل من أجل قوتى قوتى
ومذ خفت ضيق السبل فى طلب الغنى * رتعت بأمن فى مروط مروءتى

وقلت أيضا

لا يعرف الدهر احياء وأمواتا * أخا نهم أمل فى النفس أم واتى
فنزه النفس عن مال وعن أمل * قد أتعباها ولا تجزع لما فاتا

الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ما أردته قط الا تمثل لى فآخذ منه ما أريد وأترك ما لا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثل لى انه ساوى وانى أرضى وأكثر شعر أبى العتاهية فى الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبى العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شئ ثم ان الله تعالى بنى

فالمـــن تتقاضاه منيته * الا الى ذلك الميقات ميقاتا

وقلت فى القناعة غزلا

ان غاب من أحببتـه عن مجلسى * ليذوب قلب الصب من حسراته
احضرت لى وردا وكأس مدامة * وشربت ريقتهـ عـــلى وجناته

وأبلغ من هذا قول أبى نواس

ألم تر أننى أفنيت عمـــرى * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجـــــد شيئا اليها * يقـــربنى وأعيتنى الامور
حجبت وقلت قد حجبت عنان * فيجمعنى واياها المسير

وهو مأخوذ من قول بعضهم

اليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذاك بنا تدان
وتنظر للهلال كما أراه * ويعلوها النهار كما علانى

وقال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذى هـو طالع * عليـك فهـذا للمحبين نافـع
عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

وقال آخر

يقابل نجم الافق طرفى لعله * يرى طرف محبوبى فيلتقيان
وأطمع قلبى أن يفوز بقربه * ألست تراه دائم الخفقان

وحكى أن بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيى وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبل فى هـذه الصحفة فبالت له فيها وقالت للجارية اتبعيه وانظرى مايصنع بذلك فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يامشئوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة فصار ذلك مثلا وقال ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء روينا ان هدهدا قال لسليمان أريد أن تكون فى ضيافتى فقال له سليمان أنا وحدى فقال لا بل مع العسكر كله فى جزيرة كذا فى يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنفساء ورمى بهما فى البحر وقال يانبى الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا انتهى قلت وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثـلا * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال بعض أرباب الجون السحق والبدال والجلد من القناعة وقال الشاعر

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفا * فعزاء يامعشر الفساق

فأجاب الآخر

اذا اجتزا المرد بالبدال * وساحقت ربة الجمال
وضعت كفى على قدى * أصلحـه ثم لا أبالى

العالم هذه البنية منهـا وان
العالم حديث العين والصفة
لامحدث له الا الله وكان يزعم
ان الله سـيعيد كل شئ الى
الجوهر بن المتصلين قبـل
ان تفنى الاعيان جميعا وكان
يقول بالوعيـد وتحـريم
المكاسب وكان يتشيع على
مذهب الزيدية ولا ينتقص
أحدا ولا يرى الخروج على
السلطان وكان مجبرا احدث
الجاحظ قال قال أبو العتاهية
لثمامة بن أشرس بين يدى
المأمون وكان كثيرا
ما يعارضه بقوله فى الأخبار
أسالك عن مسئلة فقال له
المأمون عليك بشعرك فقال
ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن
لى فى مسئلتى ويأمره باجابتى
فقال أجبه اذا سأل قال أنا

وقال محاسن الشواء

يارب لاتخرس حماة فاهلها * دون البلاد أرامل عزبان
أخذ البغاء رجالها فتساحقت * نسوانها وتبادل المردان

وقال الآخر

لاعدمنا عميرة ابنة كف * انها تسعف المحب الشجيا
نقدها الريق ثم لامهر الا * دلوماء ان لم تكن دهريا

وقال الآخر

جلدت يوما عميرة عبثا * وكان فى ذاك منية النفس
فصنت مالى وماشممت خراجحر ولاخضت فى دم الكبس

وقال النور الاسعردى

أرى النحوى زيدا ذا اجتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره
تراه ضاربا عمرا نهارا * ويجلدان خلاليلا عميره

وقال آخر مضمنا

عاقبت ابرى الذى أشوقه * بكل خير غداير تجيه
فكلما قام قمت أجلده * وذاك ذنب عقابه فيه

وقال الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال

لى عدو يقوم منى بلارجل مقام المحير المرتاب
باكيا كالمصاب أبكى عليه * وعناء صلاح عقل المصاب
كل يوم أنكيه جلدا الى أن * قد غدا قائما بغير اهاب
جلده هين ولا أجلد الحد على تلكم الامور الصعاب

وكانت بعض الجوارى قد اكتفت بالنساء بدلا من الرجال فراودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما أختار الصحابى على النبى تريد بذلك قول الشاعر

وليس على فى هذا ملام * اذا اخترت النبى على الصحابى

فالنبى اسحق والصحابى الزبير وقيل لاخرى ارجعى الى الحق فقالت ان الحق بعض مرادى تعنى ان اسحق بعضه الحق وقال بعض الشعراء

مغرمة بالنساء مبهلا * تحنو عليهن كل حين
ما أتقنت فى الهنوك الا * تضيف اسحق فى حسين

(ى)

وقال آخر

أما والله لو يلقاك ايرى * قبيل الصبح فى ظلماء بيت
لما فارقته حتى كأنى * أرى شفريك فى معصار زيت
وكنت ترين ان السحق شؤم * وان الشأن فى هذا الكميت

ويقال ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحق وقد أجهدتا أنفسهما فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال بأبى وأمى أنتما هذا عمل يريد الرجال والجبال وما أحلى قول القائل

أقول ما يفعله العباد من خير وشره فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدى هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له ثمامة حركها من أمه زانية فقال شتمنى والله يا أمير المؤمنين فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقينى فقال لى يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجاهل وحدث أبو شعيب صاحب ابن أبى دواد قال قلت لابى العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال

جرح يريد الفقيله * ايش تنفع اللزقات

وقال بعضهم

رجلى وكفى لاعدمت كليهما * بهما أصول على الزمان وأعتدى
أمشى على هذى وأنكح هذه * فطيتى رجلى وجاريتى يدى

وكتب الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنا برحبة مالك بن طوق كتابا ومنه وما حال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين وما هذه المداجة لاخباره التى لايزال فعل وعدها يستصحب السنين فكتبت اليه فى الجواب وأما سؤال مولانا عما استجده المملوك من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين فوالله ما رأيت فى الرحبة الى الآن قرينة الا من السجع ولا جارية الا من الدمع والفراش عاطل والامكان مما طل ومطيتى رجلى وجاريتى يدى كما قيل

مقل من الاهلين يسر واسرة * كفى حزنا ما بين شت واقلال
(ترجوا البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل)

(اللغة) الرجاء ممدود الامل رجوت رجوا ورجاء ورجاوة وترجية وارتجيته وترجيته كله بمعنى رجوته وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون عظمة الله تعالى البقاء بقى الشئ يبقى بقاء وكذلك بقى الرجل زمانا طويلا وبقى من الشرب بقية والباقية توضع موضع المصدر قال الله تعالى فهل ترى لهم من باقية بدار الدار مؤنثة وقوله تعالى ولنعم دار المتقين ذكر على معنى المثوى والموضع كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على المعنى أى وحسنت الجنة مرتفقا كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا أى ساءت النار مرتفقا وأدنى العدد أدؤر فالهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لاتهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضا مثل أسد وأسد والدارة أخص من الدار قال امية بن الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

ويقال ما بها دورى وما بها ديار أى واحد وهو فيعال من درت وأصله ديوار والواو اذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء مثل أيام وقيام ودار الشئ يدور دورا ودورانا لاثبات لها أى لابقاء لها الظل لغة النى ء وهو ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا فى ظل الليل قال ذو الرمة

قد أسعف النازح المجهول مسعفه * فى ظل أخضر يدعو هامة النوم

وهو استعارة لان الظل فى الحقيقة انما هو ضوء شاع الشمس دون الشعاع فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل وقال اصحاب العلم الطبيعى الظل مطلقا هو الضوء الثانى ومعنى ذلك ان النير اذا ارتفع عن الافق استضاء الهواء باثبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الاول فاذا حجب هذا الضوء حاجب كان ما وراء ذلك الحاجب ضوأ ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لانه مستفاد منه وهذا الضوء الثانى هو الظل ومنه مبسوط ويقال مستو أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة القائمة على سطح الارض كظل الشخص الماشى من اشخاص البشر وغيرهم أو الشخص الواقف كالنخل وغيرها من الاشجار ومنه منكوس ويقال معكوس أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة

سألتنى عن الله أو عن غير الله
قلت عن غير الله فامسك
فاعدت عليه فاجابنى هذا
الجواب حتى فعل ذلك مرارا
فقلت مالك لاتجيبنى قال قد
أجبت ولكنك جار وحدث
ثمامة بن أشرس قال كان أبو
العتاهية شديد البخل
فأنشدنى ذات يوم أبياتا له
فى ذم البخل يقول فيها
ألا انما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
فقلت له من أين أخذت هذا
القول قال من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس لك
من مالك الا ما أكلت فافنيت
أو لبست فابليت أو أعطيت
فامضيت فقلت له أتؤمن بهذا
القول انه لحق قال نعم قلت
فلم تحبس عندك أكثر من

الواقعة فى سطح الافق كظل الشخص القائم على السطح القائم على بسيط الافق كوتد خارج من حائط منه مايعبر عنه بالمستعمل وهو ماعدا هذين كوتد قائم على سطح مائل عن الافق أوعلى سطح كرة اواسطوانة أومخروط أوما أشبه ذلك وذكرت هنا ما نظمته فى مليح يشتغل بعلم الوقت وهو هذان البيتان

أهواه مشتغلا بعلم الوقت ذا * حسن بديع فى الانام نفيس
وكأن شمس جبينه لما استوت * جاء العذار بظلها المنكوس

والعرب تزعم ان ظل القناة أطول الظلال تقول يوم أطول من ظل القناة ويزعمون ان ظل الوتد أقصر الظلال فيقولون أقصر من ظل الوتد ولهذا قال الشاعر

فهذا طويل كظل القناة * وهذا قصير كظل الوتد

ويرون ان ابهام القطاة أقصر الاشياء كما قال ويوم كابهام القطاة وقال الآخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقال عبد المحسن الصورى ملغزا فى النظل

لى صاحب لا أستطيع فراقه * ما ان يسىء وماله احسان
بيناتراه وقد تقاصر طوله * حتى يطول كأنه شيطان

(رجح) غير تقدم الكلام عليه منتقل متحول (الاعراب) ترجو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره لكونه معتل الطرف بالواو وأصله أترجو حذفت همزة الاستفهام وهو جائز كقول عمر وابن أبى ربيعة المخزومى

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رميين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع وهو كثير فى الشعر ومن الذهول فى المحبة وشغل القلب قول المجنون

فوالله ما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وكثير من الناس يمر على سمعه هذا البيت ويظنه من باب المغالاة فى شغل القلب بالحب والذهول عن شأن المحب وعدم الالتفات الى ماسوى الفكرة فى المحبوب وليس كذلك بل الشك الذى تردد بين الثنتين والثمانية له سبب يختص بهما دون ماعداهما من الاعداد الممكنة وذلك انه كان يعلم من نفسه كثرة السهو بسبب اشتغال فكرته لغيبة لبه فكان يثنى أصابعه لعدد الركعات ثم انه مع ذلك يذهل فلا يدرى هل الاصابع التى ثناها هى التى صلاها أو الاصابع المفتوحة فاذا وجد أصبعين قد ثنيتا كان ذلك محتملا لان يكون قد صلى ركعتين بعددهما أو بعدد الاصابع المفتوحة وهى ثمانية وما أحسن قول القائل

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى أننى أنسى

وذكر اصحاب الخواص والتجارب أشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى رحمه الله تعالى فقال

توق خصال الخوف نسيان ماضى * قراءة ألواح القبور قديمها
وأكلك للتفاح ان كان حامضا * وكسفرة خضراء فيها سمومها

عشرين بدرة لانا كل منها ولا تنفقها ولا تقدمها اذخر اليوم فاقتلك فقال يا أبا معن والله ان ما تقول هو الحق ولكنى أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت ويم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الاعيد فتبرك جواب كلامى كله ثم قال والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه باربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكنى وأذهلنى وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد وهو وابراهيم الموصلى وأبو عمرو الشيبانى فى يوم واحد وقيل

كذا

كذا المشى ما بين القطار وجمك الـ * ـقفاء ومنها الهـ ـم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا * كذلك نبذ القمل حين تميطها
ولا تنظر المصلوب والماء راكد * وأكلك سؤر الفأر وهو تميمها

قال حماد بن الزبرقان حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كنت لا أحفظ القرآن فاتفق أن أجى ء لمن يعلمنى فحفظته من المصحف فى شهر واحد ثم قبضت يوما على لحيتى لأقص ما فضل عن قبضتى فنسيت وقصصت من أعلاها ما فوق قبضتى فاحتجت ان أجلس فى البيت سنة الى أن استوت وقد روى هذه الواقعة الخطيب فى تاريخه أنها وقعت لأبى المنذر هشام بن الكلبى النسابة فقال قال كان لى عم يعاتبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام ونظرت يوما فى المرآة الحكاية ذكر ذلك ابن خلكان فى وفيات الاعيان ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم فى مليح ينسى كثيرا

بروحى الذى نسيانه صار عادة * وأفرط حتى كاد يعدمه الحسا
فلو أنه بالهجر أضحى مهددى * لما ساءنى علمانه أنه ينسى

وعلى ذكر قص اللحية فقد ذكرت الحكاية المشهورة عن بعض المغفلين قال نظر بعضهم فى كتاب الفراسة فوجد أن من كان طويلا صغير الرأس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال أما رأسى فصغير ولا حيلة لى فى كبره وأما قدى فطويل ولا حيلة لى فى قصره وأما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فضل ما زاد عن قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هربا من النار فأتت النار على لحيته جميعها وعاد فكالا فكتب على ذلك الكلام باب صحيح مجرب وقال المأمون ما طالت لحية رجل الا وقد تكوسج عقله (رجع) والفاعل لترجو ضمير مستتر فيه تقديره أنت و(البقاء) منصوب على انه مفعول به لترجو (بدار) جار ومجرور والباء هنا ظرفية معناه البقاء فى دار (لا) هذه هى لا التى لنفى الجنس وقد تقدم الكلام عليها فى قوله فلا صديق البيت (ثبات) مبنى على الفتح لانه اسم لا (لها) جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف وتقديره لا ثبات موجود لها والضمير يعود الى الدار (فهل) الفاء للتعقيب وهل حرف استفهام (سمعت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (بظل) الباء للتعدية وهى متعلقة بسمعت (١ غير) صفة لظل فهو مجرور لذلك فان قلت غير مضاف والمضاف معرفة وظل نكرة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة لانها وضعت مبهمة وقد تقدم الكلام على مثل هذا (منتقل) مجرور بالاضافة الى غير (المعنى) أترجو الخلود والبقاء بدار هى فى نفسها لا بقاء لها وهى أشبه شئ بالظل فى كونها وفسادها بيناها هى كائنة اذا هى فاسدة تفصيلا فى الحوادث الكائنة وجملة بخراب هذه الدار وحصول القيامة وأخذ يضرب له مثلا فى الخارج فقال له مستفهما هل سمعت بظل غير منتقل وهذا الزام له لانه يضطره الى ان يقول لا ما رأيت لان الظل مستفاد من حركة الشمس وهذه الحركة لا وقفة لها فالظل فى انتقال أبدا منتسخ لا يستقر على حالة بين طول وقصر واخذ فى التنقل قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فهو اما ان يريد بالدار كناية عن حياة كل فرد من أفراد هذا النوع واما أن يريد به فناء هذا العالم وايا ما كان فلا ثبات له ولا بقاء فالخلود متعذر

له عند موته أى شئ تشتهى
قال ان يأتى مخارق ويضع فه
على أذنى ويغنينى قولى
ستعرض عن ذكرى وتنسى
مودتى
ويحدث بعدى للخليل خليل
اذا ما انقضت عنى من الدهر
مدتى
فان غناء الباكيات قليل
ومن محاسن شعره قوله
جزى البخيل على صالحة
عنى لخفته على فكرى
ما فاتنى خير امرئ جلت
منى يداه مؤونة الشكر
(وقوله)
عذيرى من الانسان لان
جفوته
صفا لى ولان كنت طوع يديه
وانى لمحتاج الى ظل صاحب
يروق ويصفو ان كدرت عليه

(١) قوله فان قلت الخ غير هنا مضافة الى نكرة فلا يرد هذا السؤال

واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

وأما خراب هذه الدار فقد نطق القرآن الكريم به فى عدة مواضع من ذلك قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الآية وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض الا أنها تغيرت فى صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر أنهارها وتستوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة قال الامام فخر الدين رحمه الله اعلم ان التبديل يحتمل وجهين أحدهما ان تكون الارض باقية وتبدل صفتها بصفة أخرى والثانى أن تفنى الذات وتحدث ذات ثانية والدليل على أن اطلاق لفظ التبديل لارادة التغيير فى الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا أنت سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال بدلت قميصى جبة أى نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ويقال تبدل زيد اذا تغيرت أحواله أما ذكر التبديل عند وقوع المبدل فى الذات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فاذا عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين ففى الآية قولان الاول المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات وذكر قول ابن عباس ورواية ابى هريرة رضى الله عنهم وقوله والسموات اى وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكورها فتارة تكون كالمهل وتارة كالدهان القول الثانى ان المراد تبديل الذات وذكر قول ابن مسعود رضى الله عنه فهذا شرح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض غير الارض المراد هذه الارض فالتبديل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة يكون الموصوف موجودا فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض وجب كون الارض باقية عند حصول ذلك التبديل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية وذلك لأن التبدل مع صفاتها فوجب ان يكون الباقى هو الذات لان هذه الآية تقتضى كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذات والاجسام وانما يعدل الصفات وأحوالها والله اعلم بمراده واعلم انه لا يبعد أن يقال ان المراد من تبديل الارض والسموات هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين والله أعلم اه كلام الامام رحمه الله تعالى قلت اذا تركنا وظاهر الآية دلنا على ان الارض تبدل باخرى غيرها فى ذاتها لانه قال غير الارض كما قال تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومن المعلوم أن الجلود تبلى وتفنى بالاحراق والعذاب فلو قال تعالى تبدل الارض وسكت لجاز أن يكون المراد ان صفتها تبدل وقد علل الشيخ علاء الدين بن النفيس رحمه الله تعالى فى رسالته التى سماها برسالة ماذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل عارض بها رسالة حى بن يقظان التى للرئيس ابن سينا فذكر سبب خراب هذه الدار وفساد هذا العالم وظهور الآيات التى جاءت فى السنة فى آخر الرسالة فقال ما معناه ملخصا واذا قد ثبت ان ميل الشمس الى الشمال والجنوب يتناقص دائما فاذا بطل هذا الميل او قرب منه صارت

الشمس

كأن المأمون رحمه الله تعالى
يقول خذوا منى الخلافة
وأعطونى هذا الصاحب وقوله
ان المطايا تشتكيك لانها
قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة
واذا صدرن بنا صدرن ثقالا
(وقوله)
كأنك عند الكر فى الحرب انما
تفر من الصف الذى من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك فى الوغى
وما آفة الاموال غير حياتكا
(وقوله)
بكيتك يا على بدمع عينى
فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت فى حياتك لى عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا
(وقوله)
لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس
وان تسترت بالاقفال والحرس

الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء أو ما يقرب منه فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا ويحدث
في البقاع التي لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الامزجة وتضعف القلوب ويكثر موت
الفجأة وتسوء الاخلاق فتفسد المعاملات وتكثر الشرور والخاصمات وتكثر الحروب والفتن
ويتقدم الاشرار وتفسد الاذهان وبفسادها تبعد الناس عن قبول العلوم والحكمة فلذلك
يقبض العلم ثم اذا بطل ميل الشمس جدا اشتد الحر في البقاع القريبة من خط الاستواء وكثرة
النيران واللهيب خاصة في البلاد الغورية والكبريتية فلذلك تحدث نار بارض اليمن وتمتد
حتى تعم الارض التي عند خط الاستواء فحينئذ تكثر الادخنة وتتولد الصواعق والبروق
الهائلة والرياح الرديئة ويظلم الجو ويكدر ويلزم من ارتفاع ذلك عن ارض خط الاستواء وما
يقرب منه ان يقل جرم الارض هناك ويثقل ما يقابل القطبين من الارض فلا جرم يلزم
من ذلك سقوط الجبال ويقل الماء جدا لاجل سيلانه الى قرب خط الاستواء بسبب الخسف
ثم يبخره بقوة الحرارة التي هناك فيجف كثير من البحار ولذلك تقل مياه الارض جدا لكثرة
ما يتصاعد منها متدخنا فلذلك تظهر الكنوز وما يكون في باطن الارض واذا دام فقدان ميل
الشمس مدة افرط الخروج عن الاعتدال حتى افسد الامزجة الحيوانية والنباتية وكان من
ذلك القيامة انتهى والايات في خراب هذا العالم كثيرة منها قوله تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتب الآية وقوله تعالى يوم تمور السماء موراو تسير الجبال سيرا وقوله تعالى
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل الآية
وقوله تعالى اذا الشمس كورت الآيات وقوله تعالى اذا السماء انشقت الآيات وقوله
تعالى اذا السماء انفطرت الآيات وأما ذم هذا الدار الفانية فقال رضي الله عنه الدنيا دار ممر
والآخرة دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها
وقال الشعبي سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله تعالى
كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما
كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الامل بقصر الاجل
وقال الحسن البصري رضي الله عنه ان أمر ليس بيني وبين آدم أب حي لاعرق في الموت
ومن الكلم النوابغ كل حي يحتضر فطوبى لمن يحتضر قلت الثانية بالخاء المعجمة أي يموت
شابا على خضرة ورقة ومنها الليالي ما خلدن لذاتك أفتخالهن مخلداتك وأخبرني سماعا من
لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرني الاندلسي بالقاهرة سنة
ثمان وعشرين وسبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرئ النحوي أبو الحجاج يوسف
ابن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ريحانة الاندلسي الانصاري في كتابه الى من مالقة
سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها توفي رحمه الله عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم أخبرنا
أبو الفضل معن بن عبد الرزاق السجزي السائح بمقبرة سرمن رأى قراءة عليه أخبرنا عن أبي
الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الفتح هلال بن محمد البغدادي عن محمد بن أبي القاسم
عن اسمعيل بن اسحق عن نضر بن علي عن الاصمعي عن أبي عمرو عن عيسى بن عمر عن معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء قد نزعت
عنها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الاشقياء وأسعد الناس أرغبهم عنها

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجري على اليبس

(وقوله)

الا انما كلنا بائد
وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على انه واحد

(وقوله)

ما أن يطيب لذي الرعاية
للايام لا لعب ولا له و
أن كان يطرق في مسرته
فيموت من أجزائه جزو

كان ابن مخلد يقول ان هذين
البيتين لروحانيان يطيران
بين السماء والارض وقوله
أيضا
الناس في غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

وأشقاهم بها أرغبهم فيها فهى الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها والخاترة لمن انقادلها والفائز من أعرض عنها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح فى بطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد فى حسنه ولا ينقص من سيئه ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها انتهى قلت فاذا كانت هذه الدار بهذه الصفات التى أخبر بها الصادق الامين ورأينا ذلك أكثره مشاهدا فأى رجاء يؤمله الانسان فيها وأى أمنية ينال منها وهذا ما آلها وهذه غايتها وأما أيام مدتها فكما قال أبو العتاهية

تأتى المكاره حين تأتى جملة * وترى السرور يجىء فى الفلتات

ويعجبنى قول أبى الطيب المتنبى ونقله المعنى من عتاب محبوبه الى عتاب الدهر وهو

أى يوم سررتنى بوصال * لم ترعنى ثلاثة بصدود

وهذا البيت ظاهره بين الانسجام لفظه وانصبابه فى السمع وتعلقه بالقلب وباطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالاولى وقد تكلم عليه الشريف بن الشجرى فى أماليه فى أول المجلس الثانى عشر وأجاد الكلام فيه فليؤخذ من هنالك (رجع) ولله در التهامى حيث يقول

حكم المنية فى البرية جارى * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وذكرت بقوله بينا يرى الانسان فيها مخبرا البيت مارثى به عبد الرحمن بن اسمعيل العروضى ابن يونس صاحب تاريخ مصر وهو

أبا سعيد وما يألوك ان نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا
أرخت موتك فى ذكرى وفى صحفى * لمن يؤرخنى ان كنت محسوبا

ومما نقلته من خط الوراق فى رثاء الجزار

بلغت أبا الحسين مدى اليه * لمسبوق ومستبق رهان
وكنت وطالما قد كنت أيضا * تقول على الاولى سبقوك كانوا

وأخذ بعض المغاربة فقال

يا ويح اجسام الأنا * م لما تطيق من الاذى
خلقت لتبقى للقذى * وقفا وها ذاك القذى

وقال آخر

كأن بنى الايام وفدان كلما * ترحل وفد جاءنا بعده وفد
فكل يحث السير عنها ونحوها * يسير بذا نعش ويأتى بذا مهد

وقال محمد بن كناسة الاسدى

(وقوله)
اذا المرء لم يعتق من المال رقه
تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به
الذى
يحق ولا استهلكته هو هالكه

(وقوله)
أكل يوم طول الزمان الزمان اذا
جئتك فى حاجة تقول غدا
لاجعل الله لى اليك ولا
عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله فى الشعر الذى ذكر بسببه يخاطب سلم الخاسر حيث يقول فيه

تعالى الله يا سلم بن عمرو
أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا
أليس مصير ذاك الى الزوال

ومن عجب الدنيا تيقنك البلى * وانك فيها للبقاء مريد
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى * فان فطام النفس عنه شديد

وقال أبو العرب الصقلى

أرى الدنيا الدنية لاتواتى * فعالج فى التصرف والطلاب
ولا يغرك منها حسن برد * لدعلمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب * وآخرها رداء من تراب

وقال أبو العلاء المعرى

وحب الفتى طول الحياة يذله * وان كان فيه نخوة وغرام
وكل يريد العيش والعيش حتفه * ويستعذب اللذات وهى سهام

وقال آخر

حتام اصرف نفسى عن مراشدها * واتعب القلب بين اليأس والامل
ما مدة العمر الامنتهى نفس * ياقرب ما بين عيش المرء والاجل

وقال ابن خفاجة

وهل مهجة الانسان الاطريدة * يحوم عليها للعمام عقاب
تحث بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
الاان جسما يستحيل لتربة * وان حياة تنتهى لخراب

وقال ابن نباتة السعدى

وغاية هذه الدنيا فساد * فكيف تكون منها فى صلاح
هى الخرقاء تنقض بعد نسج * فما فيها لحى من فلاح
يؤول به الشباب الى مشيب * ويسلمه العدو الى الرواح
اما فى أهلها رجل لبيب * يحس فيشتكى الم الجراح
ومن لبس التراب كمن علاه * فلا تغررك انفاس الرياح

وقال ابن نباتة

أيسكن الناس وقد حاطهم * سبعة افلاك عليهم تدور
والدار فى الاخرى دها اليزها * فى هذه الدنيا لحود القبور

وقال أبو الطيب

نعد المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالى
يدفن بعضنا بعضا ويمشى * أواخرنا على هام الاوالى
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لاسبيل الى الوصال
نصيبك فى حياتك من حبيب * نصيبك فى منامك من خيال

قلت يريد بالاوالى الاوائل وهو كثير فى كلامهم قال امرؤ القيس

وامنع عرسى ان يزن بها الخالى * أى الخائل

وقوله ولكن لاسبيل الى الوصال فيه محذوف فانه حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

(ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك)

ما أخلقك أى ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أى كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أى تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومن ضاق فلان ذرعا وأصل الزرع بسط اليد كأنه جهد فى بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه والظلع فى البعير العمز فى مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعنى أقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قوطهم أربع الى ظلعك أى على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارق على

تقديره ولكن لاسبيل الى دوام الوصال والمعنى عليه لان الوصال حصل ولكن دوام الوصال لاسبيل اليه قوله ويمشى أواخرنا البيت أخذه مهيار الديلمى فقال

رويدا باخفاف المطى فانما * تداس جباه فى الثرى وخدود

وأخذه أبو العلاء المعرى قبله فقال

خفف الوطء ما أظن اديم الا * رض الا من هذه الاجساد

وما أكثر حكمة قول المعرى من هذه القصيدة

تعب كله الحياة فما أعـ * ـجب الا من راغب فى ازدياد
واللبيب الاريب من ليس يغـ * ـتر بكون مصيره للفساد

وقال فى خراب هذا العالم

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد
والثريا رهينة بافتراق الـ * ـشمل حتى تعد بالافراد

وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ثم انه خالف هذا الرأى فقال

راح من راح والثريا الثريا * والسماك السماك والغفر غفر
ونجوم السماء تحجب منا * كيف تبقى من بعدنا وتمر

وأخبرنى الشيخ الامام الحافظ فخر الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال سمعت الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول فى أبى العلاء المعرى انه كان فى حيرة انتهى قلت يعنى من العقيدة ولعمرى هذا الذى يظهر لذوى الالباب من كلامه بينا هو يرى رأى النيوات اذا هو يرى رأى الحكماء ومن تتبع كلامه وجد هذا التناقض فيه وأما هذان البيتان فيمكن أن يفهم منهما عدم المغايرة للاولين لان قوله راح من راح لا يدل على أن هذه الكواكب باقية لا تفنى وانما يفهم منه انها أطول اعمارا منا فلها أمد أطول وغاية هى ابعد من غاية الانسان وقال بعض الاعراب

وكل مفارقه اخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وهذا أيضا يمكن له التأويل ويرد الى القول بخراب هذا العالم وقال بعض الناس الاهنا بمعنى حتى وليس بشئ وسألت الشيخ الامام العلامة اثير الدين أبا حيان عن ذلك فقال هذا شئ لم أقف عليه فى كلام العرب وقال ابن سناء الملك

بقيت ويبلى الزمان الجديد * وتبلى المذهب أهل القدم
فلابد من أن تمور السماء * ويزوى بها كل نجم نجم
فليس السماء كما قد رأيـ * ـت بالشهب الا ديماحلم

قلت ذهب الحكماء الى القول بقدم أربعة أشياء وهى الزمان والمكان والهيولى والصورة وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء ارسطاطاليس فبرهن على حدوثها وخالف أفلاطون وقال هو صديقى والحق أصدق لى منه وتبعوا على هذه المقالة أن العالم باق ببقاء واجب الوجود لا يتغير نظامه ولا يبلى ولا يحول ولا يزول وهى من المسائل التى كفروا بها والصحيح ما ذهب اليه المتكلمون فانهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه وبرهنوا دعواهم وقرروا الابحاث فى ذلك مع خصومهم وليس هذا مكان شئ من تلك البراهين لما فيها من تقدير

ظلعك لان الراقى فى جبل أوسلم اذا كان ظالعا يرفق بنفسه وقال آخر قولهم أدبج على ظلعك أى اجعل الحجر على قدر جدلك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول متعمق

(ولا تكن براقش الدالة على أهلها)

هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم فخفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش وعلى أهلها تجنى براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك

المقدمات التى تنتج لنا المطلوب على ذلك فليؤخذ ذلك من كتب الكلام وقال الخباز البلدى أوغيره

قلت للفرقدين والليل ملق * فضل أذياله على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بهم الفراق

وقال ابن سناء الملك

آثرت دهرى ان تبقى به أبدا * فكان ايثار دهرى غير ايثارى
والمرء بالدهر لا ينفك منكسرا * قهرا وغير عجيب كسر فخار

وقال من أبيات

ترخرف منها وجهها وهى جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس
صليتى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

ولما وقف القاضى الفاضل رحمه الله تعالى على هذه القصيدة التى منها هذه الابيات كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الا وتعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت انه القصيدة الا تلا ما بعده وما نريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونوا ما دونها وشغلوا التصانيف والخواطر والأقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لا يبلغ مدها ولا نصيفه والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها وفد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما زادت وبيت يعزل ويكنس أردت ان أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها فأجاب ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا انه قد ملح فيه وأن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز فى قوله

وقوامى مثل القناة من الخط * وجدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس ناره الا لما وجد عليها هدى ولا مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

ومازارنى الا ولهت صبابة * اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد أبا تمام قد قال

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم

وقد قال

خشنت عليه أخت بنى خشين

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه يتبرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت فى الروض أبكى فقد مشبهه * حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لولم أعرها دموع العين تسفحها * لرحمتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لاشك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخنوا فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لهم ناصحها ان ردتيهم ولم تستعملهم فى شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرت بهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجنى براقش وحكى الشرفى عن لقمان حكاية أخرى فى هذا المعنى وهى تقارب هذه والاول أقرب الى المعنى

(وعنز السوء المستثيرة تحتفها)

هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها

فوجد المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد أعماه حبه له وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة فى تلك الابيات تقليدا لابن المعتز فانه قالها وحمل اثقالها وهى تغفر لذلك فى جنب احسانه فاما المملوك فهى عورة ظهرت من لسانه فأجاب القاضى الفاضل رحمه الله ولاحجة فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم ماذكره بن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا يلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه من حظه وللبحترى فأعطاه أكثر من حقه وما أنصفهما ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع انتهى قلت قد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا أزدجر عما قبحه لانه غلب عليه الهوى فقال

توسوس شعرى به مدة * ومابرح الحلى والوسوسه
وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من عشقه * ولحيته كانت المكنسه

وأما القاضى الفاضل فما أظنه خلا هذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشى ذلك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال فى ورطة هذا الاعتقاد وما أراه الا أنه تعمد أن يعكس مراده ويوهى ماشاده ويوهن ماشيده ويرميه ببلاء البلاده اما على سبيل النكال أو النكاده لان الفاضل رحمه الله تعالى ممن يتوخى هذه الالفاظ ويقصدها وينشيها وينشدها ويورى زنادها ويوردها فمن كلام القاضى الفاضل فى بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم ان تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تنكس قيمه ولا أعراضهم ان تأخذ لطيمه انتهى (رجع) وأما قول الطغرائى فهل سمعت بظل غير منتقل فقد ذكرت به قول القائل

الكون عندى كالخيال حقيقة * فى شكله وعمومه وخصوصه
يبدى خيالا للشخوص نواطقا * والناطق الفعال غير شخوصه

وأحسن منه

رأيت خيال الظل أعجب منظرا * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال يزهره بعضا * لبعض بأصوات هناك دقاق
تمر وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وظرف القائل فى قوله

ماترى فى الوجود غير شخيص * بذقين يهدى الى أن يموتا

وعلى ذكر الخيال فما أحسن قول الوجيه المناوى

اذا ماتغنت قلت سكرى صبابة * وان رقصت قلنا احتكام مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام

وقلت أنا فى مليح مخايل

مخايل قد بدت عليه * مخايل البدر فى الكمال

فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها (فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان

مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله ان دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الروايذ يكون العشاء مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعى كان فاتكا رحى واديا فورد عوف الاسدى فقال أشهد لا يمنعنى سرحان رعى ابلى الليلة فرعى فربه سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدى أبلغ صبيحة أن راعى أهلها

تريك بأبانه فنونا * تروق فى الحسن والجمال
فقد غدا وصله يقينا * أحسن ما كان فى الخيال

وقلت فيه أيضا

هويت خيالا يحكى الغصن قده * اذا ما انثنى هاجت عليه البلابل
أراق دم العشاق سيف جفونه * ومن بعد ذا أضحى عليهم يخايل

*(ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * أصمت ففى الصمت منجاة من الزلل)*

(اللغة) السر الذى يكتم والجمع أسرار والسريرة مثل ذلك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه يوم تختبر سرائر القلب وهو ما أسره من العقيدة والنية وفى المثل مايوم حليمة بسر لان حليمة بنت الحرث بن أبى شمر الغسانى لما وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السما أخرجت لهم طيبا فطيبتهم فنسبوا اليها مطلعا فاعل من الاطلاع اصمت صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا وأصمت مثله والتصميت التسكيت والتصميت أيضا السكوت ورجل صميت أى ساكت والصمتة مثل السكتة منجاة نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور والصدق منجاة وأنجيت غيرى ونجيته وقرئ بهما الزلل تقول زللت زلا وزليلا اذا زلت فى طين أو منطق قال الفراء زللت بالكسر تزل زللا والاسم الزلة والزليلى واستزله غيره وزلل النية والتصفيق يعنى انه نزل من موضع الى موضع لطلب الكلأ والنية الموضع الذى ينوون المسير اليه وزحلوقة زل قال الراجز

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

وكذلك زحلوقة زال (الاعراب و ياخبيرا) الواو عاطفة على المنادى فى قوله ياوارد اسؤر عيش البيت وياحرف نداء وقد تقدم الكلام عليه هنا خبيرا اسم فاعل من خبرت الامر ونصب لانه نكرة غير مقصودة وتقدم الكلام على المنادى (على الاسرار) على حرف جر ومعناه هنا الاستعلاء معنى وهو متعلق بمطلع لان خبيرا لا يعدى بحرف جر بل يقال اطلعت على كذا والاسرار مجرور بعلى (مطلعا) صفة لخبيرا وقدم وأخر تقديره وياخبيرا مطلعا على الاسرار (أصمت) فعل أمر من صمت وقد تقدمت القاعدة فى الهمزة المختلبة فى أول فعل الامر وعلة بنائه على السكون (ففى) الفاء هنا واقعة فى جواب الامر وفى حرف جر (الصمت) مجرور بفى والجار والمجرور فى محل الرفع لانه خبر مقدم (منجاة) اسم مصدر مثل مرضاة وهو مرفوع على انه مبتدا والخبر تقدم فى الجار والمجرور (من الزلل) من لبيان الجنس وهو متعلق بمنجاة والزلل مجرور بمن (المعنى) ويا من خبر الامور واطلع على الاسرار اصمت ولا تبد شيأ مما خبرته واطلعت عليه فان صمتك منجاة لك من الزلل وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على افشاء السر مفاسد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى أخيه سرا فحل له ان يفشيه عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال أكثم بن صيفى ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه وأخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على مستقمر
لم يثنه خوف من الحدثان
(وبك لا بظبى أعفر)
هو مثل يضرب للشمانة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبى تريد أن عنايتى بالظبى أشد من عنايتى به والأعفر الذى لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبى بالداء لان العشار والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بنى نهشل بأبيات منها

لعمرى لقد قل النهى فى عديدكم
بنى نهشل مالؤمكم بقليل

وقال آخر اذا ماضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فـن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الظلوم

وقال بعضهم السر ما كتمته فى نفسك فاذا أسررته الى غيرك فليس بسر وما أحسن ما أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان لابى حفص عمر بن محمد النجاتى البجلى اللغوى قوله

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بان قد آن أن تفشيه
لان ما أضمر فى حالة الا فراد تستخرجه التثنيه

معناه اذا قلت قام الزيدان فان الفعل هنا لم يتحمل ضمير تثنية لما كان فى حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى أن تظهر ضميرا يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين ففى حالة الافراد لم يظهر وفى حالة التثنية ظهر وجاء رجل الى القاضى شريح فكلمه بشئ وأخفاه فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخى أو ما رأيته ستره عنك وقال عبد الله ابن أبى زكريا الخزاعى فقيه دمشق وأحد الاعلام وكان يعدل بعمر بن عبد العزيز ما عالجت شيأ من العبادة أشد من السكوت قيل انه كان لا يتكلم الا اذا سئل وكان من أكثر الناس تبسما وكان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير وأسر رجل الى آخر حديثا فلما فرغ قال له أحفظت قال بل نسيت ومن كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى افرح بما لم تنطق به من الخطا فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب ومنه أيضا كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكمة اكتم مذهبك كما تكتم ذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه وقال ابن المحلى العنبرى الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة * يخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه

ومن الكلام النوابغ رب كلام أوردك مورد القتال أوردك عن مورد القذال ومنها يا بنى ق فاك ما يقرع قفاك ق فعل أمر من الوقاية ماضيه وقى ومضارعه يقى ومنها ان لم تملك فضل لسانك ملكت الشيطان فضل عنانك ومنها ملاك حسن السمت ايثار الصمت وقال بعض النساك أسكتتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه وسمع بقراط رجلا يكثر كلامه فقال له يا هذا ان البارى عز وجل جعل للانسان لسانا واحدا وأذنين ليكون ما يسمع أكثر مما يقول ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وأمت الاسرار فى قلبك وألحد موتاها فى جنبك فقبيح بك ان لا يرى لك سر الا عند ربك وقال أبو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال آخر ابخل بسرك لا تبح يوما به * فصغيره يأتى بكل عظيم
أو ما ترى سر الزنا اذا فشا * يأتى وشيكا ساقطه بجحيم

وقال مؤيد الدين الطغرائى

ولا تستودعن السر الا * فؤادك فهو موضعه الامين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاكا السر أضيع ما يكون

وما أحسن قول ابن عماتى من قصيدة

وضاق .

ثم خرج سادات بنى عميم وفيهم الحتات بن مجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتا فاعاتبه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشترى منى دينى أيضا فالحقه بهم فى الصلة فاقام ينتجزها فطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمى يا معاوى أورثا
ترائا فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته
وميراث حرب حامد لك دائبه
وكم من أب لى يا معاوى لم يكن
أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
فوجد الخذليون سبيلا

وضاق على السجن حتى كأننى * حللت به للضيق فى صدر محنق
فيالينتى كالدمع فى جفن عاشق * فاخرج أو كالسر فى صدر أحمق

وما أحسن ما اعتذر به التهامى عن اظهار سره بقوله

قد بحت وجدا فلامتنى فقلت لها * لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سريرته * والشئ فى كل صاف غيره كتم

وسمعت امرأة عاشقها وهو ينشد

سرى وسرك لم يشعر به أحد * الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لا تنس القوادة فانه لابد أن تدرى بسرنا وحكى الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى

وما السر فى قلبى كتاب بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأننى * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وقال أبو الحسين جعفر بن عثمان المصحفى الاندلسى صاحب الحكم

ياذا الذى أودعنى سره * لا ترج أن تسمعه منى
لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه ما مر فى اذنى

وكنت قد أهديت الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة من رحبة مالك بن طوق حمل سمك فراقنى وسالته كتمان ذلك لمصلحة أثرتها وكتبت مع ذلك

أهديته سمكا يصطاد ودك لى * فليس ذا سمكا الا كنه شبك
لا تنكر التمر اذ يهدى الى هجر * فأنت بحر وقد أهدى لك السمك

فكتب الجواب عن ذلك ومنه فاها له رفد لم يكن فيه عيب غير السرف وجود لو تمكن المملوك منه لوصل فيه القول ووصف ولكن أشار مولانا الى مصلحة كتمه وجرى فى امتثال الاشارة على رسمه وخشى أن يجرى له فى هذه المطالعة ذكر يحكمه ويأخذ من أقصته اللؤلؤية معنى ينثره أو ينظمه فيتوهم مولانا ان المملوك يشيع أمره طلبا لاشاعة كلامه واذاعة نثاره ونظامه فسكت والاقوال تعتلج وصمت والفاظ الآثار تكاد فى مسامع الاعين تلج ومنه على ان المملوك ان سكت مقاله فقد تكلمت مقلاته وجاش غليانها بشكر ما هبت به منن مولانا وهباته وليست والله كما قال بعض العرب مقلاة نزور ولكن ذات نتاج نعاود منها القرى ونزور

هبات عن البحر الفرات تحدثت * فقد عظمت عن قولى المتغالى
وقد أفصحت عندى المقالى بشكرها * فلم تخل عندى من ثناء مقالى

انتهى وأما الجاحظ فلم ير الصمت مذهبا لانه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يخص ويعم والرواة لم تر وسكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان وقال أبو تمام الطائى تذاكرنا فى مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله

فسعوا به الى زياد وقالوا هجا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بنى تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذوا عطاءهم فأحسن الفرزدق بالشر فهرب ومازال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش
اذا ما الامر فى الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد
كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب فى بنى فقيم ثم قال مروان لم ترض أن تكون قعودا تنظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك لصافن فحقدها

والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه قلت ليس هذا بانصاف لان الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا نقل عنه آلت عقباه الى مضرته أو مضرة غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وأفتى الفقهاء أنه ان علم أن قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى ورب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودعت الى مأدبة شرها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم ألزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله فى زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فوعاها فادها كما سمعها فالكلام فى العلم ونشره هداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقد قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم وروى الشعبى عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفى بعض الروايات اوليسكت وقال الحسن بن عمرو الشعبى سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم فى موضعه ويسكت فى موضعه انتهى والكلام مذموم اذا تكلم به فى غيبة بل هو محرم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأت به احن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وفاء وصفاء ومروءات وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدى

فى انقباض وحشمة فاذا * جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

الصمت أسلم لكن ان اردت دمى * ان لا يفيض فسامحنى افض كلمى
بينى وبين وجودى الله يحكم لى * عليه يا ليتنى لا شئ فى العدم
ولا حديثى ولا دهرى وحادثه * ولا همومى ولا وهمى ولا همم
ولا حسامى الذى للعز أغمده * ولا اجرد فى الشكوى سوى قلمى
ولا الليالى التى نيرانها اتقدت * بالفكر لم تعل فى الدنيا سوى علمى

وقال سيف الدين الآمدى رحمه الله اجتمعت بالشيخ شهاب الدين ابى الفتوح يحيى السهروردى فى حلب فقال لى لابد لى ان املك الارض فقلت من اين لك هذا قال رايت فى المنام كأنى شربت البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب ذلك فرأيته لا يرجع عما وقع فى نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل انتهى ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمى اراق دمى * وهان دمى فهاندمى

ونقلت من خط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى ما صورته حكى لى

عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل هما دلتانى من ثمانين قامة كما أنقض باز أقتم الريش كاسره فقلت أرفعوا الاستار لا يشعروا بنا وأقبلت فى أعجاز ليل أباده فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله ابن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمى رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه أمسكين أبكى الله عينك انما جرى دمعها فى باطل فتحدرا بكتب أمرأ من أهل ميسان كافرا

الضياء محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربى قال لما اعتقل الشهاب السهروردى بالمقام بقلعة حلب دخلت عليه المقام قاصد الأراه وجلست أتوضأ للصلاة فرأيته يمشى ويقول اللهم اقبض روحى على خط مستقيم ولما رجع من تمشيه قال اللهم خلص لطيفتى من هذا العالم ثم عاد وقال

لو علمنا اننا لا نلتقى * لقضينا من سليمى وطرا

قال فتركته وخرجت ولم أسمع منه شيأ غير هذا انتهى ما نقلته ووجدت شمس الدين محمد بن التلمسانى قد خرج على الحاشية بخطه قوله اللهم اقبض روحى على خط مستقيم تبع فيه اقليدس حيث قال اللهم أمتنا على زاوية قائمة وابعثنا على خط مستقيم انتهى قلت قدم الكلام على هذا فى قوله وضجيج من لغب نضوى البيت وقوله اللهم خلص لطيفتى تبع فيه قول ارسطو فيما أظن اللهم خلص لطيفتى من ظلمات الهيولى وذكرت هنا ما حكاه ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبى نواس السينية التى أولها ودار ندامى عطلوها وأدجلوا الابيات لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا لهو الشعر ولونقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف انتهى قلت وكتاب الصنائع لابن مولاهم ولابن يعمر فى هذا الباب غايه وفى العجب العجيب آيه وما أحسن قول أبى الحسين الجزار

فان يكن أحمد الكندى متهما * بالفخر يوما فانى لست أتهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفنى * والخلع والقطع والساطور والوضم

يشير الى قول أبى الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقال

ان شئت تعرف فى الآداب منزلتى * وانى قد عدانى العز والنعم
فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لى * والعود والنرد والشطرنج والقلم

وقلت أنا فى هذه المادة

ان كنت تنكر حالى فى الغرام وما * ألقى وانى فى دعواى متهم
فالليل والويل والتسهيد تشهد لى * والحزن والدمع والاشواق والسقم

وقال أبو الحسين الجزار متهكما يفخر على أبى الطيب

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الحروف أبو الطيب

وقال أبو الحسين أيضا

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان فى جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

قلت قد رأيت بعضهم قد قال ان الكتف تؤكل من أسفلها الان لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقلع بكليته ولان المرقة تجرى بين اللحم والعظم فاذا أخذت من أعلاها ربما انصبت المرقة على الآكل وقال النصير الحمامى أنشدنيه القاضى جمال الدين ابراهيم بن

ككسرى على علاته أو كقيصرا
أقول له لما أتانى نعيه
به لا بظبى بالصريمة أعفرا
(أعذرت ان أغنيت شيأ
وأسمعت لو ناديت حيا)
يعنى بلغت العذر فى
نصيحتك ان قبلت منى
وتركت التعرض الى
وأسمعتك ان كنت حيا تسمع
وهذا نصف بيت من بيتين
لعمرو بن معدى كرب ويروى
لدريد ابن الصمة وقد
تقدم ذكرهما وهما
لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نار افخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ فى رماد
وبعض المتعصبين على أبى
العلاء المعرى يزعم أنه خرج
ليلة الى بعض مراقب موسى

شيخنا الامام شهاب الدين محمود قال أنشدنى النصير لنفسه من لفظه

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * بها يدارى من لا يداريه
أعرف حر الاشياء وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

وقد أتى بمثلين معروفين وقال تاج الدين مظفر الذهبي

كلفت بتصوير الدمى فى شبيبتى * واتقنتها اتقان حرمه ـــذب
وحاولت عنها ارجعة ومدحتكم * فلم أخل من تزويق زور مكذب

وقال نجم الدين بن صابر المنجنيقى

تعلمت علم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصى وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم المديح لشقوتى * فلم اخل فى الحالين من قصد حائط

وقال سيف الدين المشد

الحمـــد لله فى حلى ومرتحـــلى * على الذى نلت من علمى ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لى

وقال السراج الوراق

رب سامح أبا الحسين وسامحـــنى فحسبى وحسبه الاثام
فذنوب الوراق كل جريح * وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضا

نصب الحشا غرضا وقرطس اذ رمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يحجنى * ياليت شعرى أينا الوراق

وقال أيضا

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * وراح لبرى سعيا ولاجا
فما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا ولكونى سراجا

وقال أيضا

قالوا وقد ملنى فلان * ومالود المـــلول رجعـــه
قطك عنه فقلت دعه * كنت سراجا فصرت شمعه

وقال أيضا

انى على الانام انى * لم أهج خلقا ولا هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

وقال أيضا

قلبى لديك وطرفى طال بعدهما * عنى فلى أبدا سهد وتذكار
ولست منهـــما قول السراج اذا * ما قال من قلق فى قلبى النار

وقال أيضا

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى فسرنى * وماساءنى أن السراج منور

وقال

عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلمنى فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة فى حقه من وجوه متعددة

(ان العصا قرعت لدى الحلم
والشئ تحقره وقد ينمى)
قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان فى التحذير منظومان فى قول الحرث بن وعلة الشكرى وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة فى معناها

أقتلت سداتنا بلا ترة
الا لتوهن قوة العظم

وقال أيضا

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

وقال وقد وقع المطر

جاء لسان السراج مبلولا * لكم بشكر كالروض مطلولا
فقال قوم والقطر يأخذه * قد عاد هذا السراج قنديلا

وقال أيضا

شعريتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
الحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيرا الى الغاية وأخبرنى المولى القاضى عماد الدين اسمعيل بن القيسرانى قال قال والدى للسراج الوراق لولا لقبك راح نصف شعرك وحكى أنه جهز يوما غلامه ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به الخمص فأحضره وقلبه وأخذ فى الاكل فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال أتفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال أعطنى زيتا للسراج وحضر هو وأبو الحسين الجزار ليلة من الليالى عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة فقام أبو الحسين الى بيت الخلاء فقال الصاحب ياطواشى قم قدام جمال الدين بالشمعة فقال أبو الحسين يامولانا الصاحب المملوك تعودان يخرا على السراج فقال السراج لاجرم أننى ما بقيت أنيك علقاوما أحسن قول شرف الدين أبى الطيب أحمد بن الحلاوى

جاء غلامى فشكا * أمر كيسى وبكى
وقال لى لاشك بر * دونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فا * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى
تريد أن تخدعنى * وأنت أصل المشتكى
ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا
ولا تخادعنى ودع * حديثك المعلكا
لو أنه مسير * لما غدا مشبكا
فذر أى حلاوة الالفاظ منى ضحكا

(رجع) وهذا شهاب الدين السهروردى وهو المقتول حبسه الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين باشارة والده وكان شابا فاضلا أوحد أهل زمانه فى العلوم الحكمية بارعا فى اصول الفقه مفرط الذكاء فصيح العبارة له كتاب التنقيحات وكتاب التلويحات وهو أكثر مسائل من اشارات ابن سينا وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق والرسالة المعروفة بالغربة الغربية على مثال رسالة حى بن يقظان ويقال انه كان يعرف على السيمياء وانه اجتمع بالظاهر غازى وأراه منها عجائب فقيل لوالده السلطان صلاح الدين انه يفسد عقيدة ولدك فكتب اليه أن اقتله بلا معاودة فقتله وهو ابن ست وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين والناس فى

ووطئتنا وطأ على حنف
وطء المقيد نابت الهرم
وزعمت أنا لا حلوم لنا
ان العصا قرعت لذى الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم
وبدأتهم بالشر والغشم
أن يأبروا نخلا لغيرهم
والشئ تحقره وقد ينمى
الآن لما أبيض مسربتى
وعضضت من نابى على جذم
ترجو الاعادى أن أصالحها
جهلا توهم صاحب الكلم
قومى هم قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا
ولئن اصبت لاوهنن عظمى
واختلف فيمن قرعت له
العصا وضرب به المثل فقيل
هو عامر بن الظرب بن عباد
اليشكرى أحد حكام العرب

أمره مختلفون فقائل انه من أهل الصلاح والكرامات ظهرت بعد موته وقال القاضي بهاء الدين ابن شداد رحمه الله تعالى في أول سيرة صلاح الدين انه كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذكره وأكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا وأنه انما قتله قلة عقله وكثرة كلامه ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله اجتمع هو وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكذا كان ابن المقفع فانه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة قلت وكذا أيضا كان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله علمه متسع جدا الى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق وما أحسن قول القائل

الصعو يرتع في الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

وكم قد رأيت من ذي منظر ورواء حسن وسمت وبهاء كان له في النفوس أبهة وعظمة حتى اذا تكلم انسلخ مما كان فيه ورمي بالهوان وحكي ان بعضهم كان يجالس الى القاضي أبي يوسف فيطيل الصمت فقال له يوما القاضي أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال أبو يوسف اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت أنت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل بقول القائل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وبعض الناس يروى أن هذه الواقعة اتفقت للشافعي رضي الله عنه وان هذا السائل كان يحضر مجلس الشافعي وهو ذو أبهة وزي حسن وبخور يعبق فيحترمه الشافعي ويتجمع منه ويضم رجليه ويجد لذلك ألما فلما كان في بعض الايام أطال الجلوس والشافعي ضام رجله الى أن خدرت فلما سأل هذا السؤال وقال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل قال الشافعي يمد الشافعي رجله ومدها وبعضهم يرويها انها وقعت لابي حنيفة رضي الله عنه والظاهر انها وقعت لابي يوسف رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن صالح لابنه اذا قللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام قللت من الصواب فقال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني من الكلام والصواب فقال أبوه ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

* (قدر شحوك لا ران فطنت له * فار بأنفسك أن ترعى مع الهمل) *

(اللغة) رشحوك فلان يرشح للوزارة أي يربى لها ويؤهل فان الترشيح هو أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله في فيه قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وترشح الفصيل اذا قوى على المشي قال الاصمعي اذا قوى ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح فطنت الفطنة الفهم تقول فطنت بالفتح ورجل فطن وقد فطن فطنة وفطانة وفطانية أربأ قال أبو زيد ربأت الشئ اذا حذرته واتقيته والمرباة المرقبة ومنه قيل لمكان البازي الذي يقف عليه مربأ الهمل بالتحريك الابل بلا راع مثل النفش الا ان النفش لا يكون الا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا يقال ابل همل وهاملة وهمال وهو امل وتركتها هملا أي سدى وفي المثل اختلط المرعى بالهمل قال الزمخشري في المستقصى أي تساوى النعم التي لا راعي لها وما لها راع لسوء الرعية يضرب

المثل هو رين وفيه يقول ذو الاصبع

ومناحاكم يقضى
فلا يدفع ما يقضى

وهو أول من قضى في الخنثى وذلك أنه اختصم اليه في رجل له ما للمرأة وما للرجل أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عني حتى أنظر في أمري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت عنه بكرة ضحيت يا سخيل واذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت تأخر حتى تسبق فلم يقل لها شيئا ورأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعيني من شأنك فأعادت

مثلا القوم يشكل عليهم أمرهم فلا يعزمون فيه على رأى (الاعراب قد) حرف يصحب الافعال ويقرب الماضى من الحال وهى هنا للتحقيق وقد تقدم الكلام عليه (رشحوك) رشح فعل ماض والواو ضمير الفاعلين والكاف للمخاطب وهى ضمير المفعول وأضمر الفاعلين هنا لانه آثر طى ذكرهم اما للخوف منهم اذا ذكروا واما للجهل واما لعلم المخاطب بهم وهم معهودون فى ذهنه (لامر) اللام لام التعدية وأمر مجرور بها وهو فى موضع نصب (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها (فطنت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب انما ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطب لان الرفع هو العمدة فى الكلام وهو أول الحركات فاعطوا الاول للاولى لان المتكلم أولى من المخاطب كما ان المخاطب أولى من الغائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس وفتحوا تاء الخطاب لانها استحقت ثانى الحركات وهى الفتحة لما أخذ الاولى الاول (له) جار ومجرور وهو متعلق بفطنت (فاربا) الفاء جواب الشرط اربا فعل أمر مبنى على السكون وهو سكون الهمزة (بنفسك) الباء للتعدية وعلى ما حكاه أبو زيد أن اربا يتعدى بنفسه فالباء هنا للمصاحبة ونفس مجرور بالباء والكاف فى موضع جر بالاضافة (أن) حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على أن فى قوله وعادة النصل أن يزهى بجوهره وهى هنا مصدرية لانها وما دخلت عليه فى تاويل المصدر (ترعى) فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من رعيت (مع الهمل) مع قال الجوهرى فى صحاحه هى كلمة تدل على المصاحبة وقال محمد ابن السرى الذى يدل على ان مع اسم حركة آخره مع حركة أوله وقد يسكن وينوّن تقول جاآ معا انتهى (الهمل) مجرور باضافته الى مع كأنه قال اربا بنفسك أن ترعى مصاحب الهمل قلت اللغة الفصحى أن تكون العين من مع متحركة قال بعضهم ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع اخلافها ومعا اذا جاءت فى الكلام فانها تنصب على الحال اذا قلت جاآ معا كأنك قلت جاآ متصاحبين وذكرت هنا قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للحاظتين أشتكى أبدا * عين رقيبى فليته هجعا
حاذرها من احبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

قلت فى هذا نظر لان التعجب لم يصادف موقعا لانك اذا قلت العدد اما زوج واما فرد كانت هذه القضية مانعة الجمع والخلو معا لان العدد لا يجتمع فيه الزوجية والفردية ولا يخلو من واحد منهما واذا كان كذلك فما بقى للتعجب ولا للانكار محل ولا مساغ وانما عادة الشعراء وغيرهم التعجب مما يخرج عن العوائد المألوفه والقواعد المعروفه كقول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولاذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وما أحسن ما استعمل أبو الطيب معا فى القافية حيث قال

عليه فقال ويلك أنه اختصم الى فى خنثى له ماللذكر وما للانثى فى ميراثه أجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها * مسى سخيل بعدها أو ضحى * فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذى أشارت قال السهيلى وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل فى الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا اثر ثم أن عامرا كبر وضعف حتى قال فى شعره

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فارت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ويعجبنى قول أبى نصر أحمد بن على بن أبى بكر الزوزنى

الاحسل بى عجب عاجب * تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

قلت وهذا فى غاية الحسن يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يشحذ ذهنه ويتأمل غرض الشاعر فى ذلك فيرقص له طربا ومن هذه المادة قول القائل

قالت لتبرب معها منكرة * لوقفتى هذا الذى تراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

معناه قالت بمن هو متيم تستفهم من تربها قالت لها بالتى قالت بمن وقالوا هو مأخوذ من قول أبى الطيب

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

وفى البيتين عيب ولم أر أحدا تنبه له وهو الايطاء فى القافية لان من فى القافيتين للاستفهام ولو كانت احداهما للاستفهام والاخرى موصولة كالوسطى فى قوله قالت بمن لكان أكمل وأخلص من الايطاء فى بيتين ومنها قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحموى

مابان لى فيك حين * لولم يبن لك حين
ياجنتى كل هون * لولا تجنيك هين
قد نبتنا بوعيد * وتنكر الوعددين
ان كان جفنيك جفن * فان عينى عين

قلت يليق بهذا النوع ماسماه به الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردى وهو ايهام التوكيد وأنشدنى فيه لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

تعشقت أحوى لى اليه وسائل * واصلاح أحوالى لديه لديه
أمر به مستعطفا متلطفا * فيثقل تسليمى عليه عليه
فلا كان واش كدر الصفو بيننا * وبغض تحبيبى اليه اليه

ومثله قول ابن نقادة

يثبت تأليف الهوى حسنها * وقدها للصبر ان ماح ماح
وطرفها مسكرة خمره * اذا ادبرت وهو ياصاح صاح
أمد قلبى نحو كاساتها * رشفا اذا أمدت الى الراح راح
واضحها موضح عذرى فما * يلومنى فيها اذا لاح لاح

وأما تحصيل الحاصل وتكرار اللفظ والمعنى بعينهما فهو كما قال الارجانى فيما أظن ولكنه قصد ذلك

سال الصدى عنه وأصغى للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله

ارى شعرات على حاجبى
بيضا نبتن جميعا تواما
أظل أهاهى بهن الكلا
ب أحسبهن صوارا قياما
فقال له الثانى من ولده وقيل ابنه انك ربما أخطأت فى حكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لى امارة أتنبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه فى البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص فى زمن النعمان بن المنذر حذر أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا ينادى الكلأ فأبطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد

ناداه اين ترى محـط رحاله * فاجاب اين ترى محـط رحاله

وكان بهاء الدين أسعد السنجارى فى بعض أسفاره فنزل فى بعض الطريق وكان له غلام يدعى ابراهيم وكان يأنس به فابعد الغلام فقام يناديه يا ابراهيم يا ابراهيم مرارا ولم يجبه غير الصدى فقال

بنفسى حبيب جاروهو مجاور * بعيد عن الابصار وهو قريب
يجيب صدى الوادى اذا ماد عوته * على انه صخر وليس يجيب

وما أحسن قول محاسن الشواء

لى صديق غداوان كان لا ينطق الا بغيبة أو محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثه حديثا اعاده فى الحال

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

لما رفعت لضيف الطيف حين سرى * نارا شتياقى هدته فى دجا الظلم
وسار نحوى ليلقانى فلم يرنى * ولا استبنت له من شدة الالم
فكنت مثل الصدى فيما أجبت به * فما ارى ويحس الصوت من كلمى

وقول السراج الوراق

وقفت باطلال المحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسلاها الصدى

وقال السراج الوارق ملغزا فى ماء

ما اسم شئ اذا سألتك ماهو * قلت لى كالصدى مجيبا ماهو
ولعمرى لقد أجبت وأثلجت فؤادى به فزال صداه

وقال ابن سناء الملك

يحكينى الربع اوأحكيه بعدكم * سقما فيا ليت شعرى اينا الحاكى
فما مررت بربع كان ربعكم * الا ظننت صداه انه الشاكى

وانشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

امعهد سعدى بالعذيب سقاكا * ملث الحيا حتى يبل صداكا
صدى كلما أشكو أجاب كأنما * خلقنا على اطلالها نتشاكى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

خيال الفتى فى كل صاف لعينه * كصوت الصدى فى سمعه اذ يجاوب
فيسمع من ذا ناطق وهو صامت * ويبصر من ذا حاضر وهو غائب

وأما قول أبى الطيب والذى بعده فانهما فى غاية ما يكون من مبالغة وصف البشرة بالرقة والصفاء وما أحسن قول بعضهم

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى

وقال الآخر

ولما التقى الواشون والركب ظاعن * وقد رام للتوديع منى تدانيا

فان قال خصبا قتله وان قال جدبا قتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتأذن اليه لى ان انذره قال لا قال فاشير قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التى كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم أجد خصبا ولم أذم جدبا الارض مشكلة لا يقلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه قرعت العصا حتى تبين صاحبى ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

بدت فى محياه خيالات أدمعى * صفاء فظنوه بكا البكائيا

ومثله قول الارجانى

قابلنى حتى بدت أدمعى * فى خده المصقول مثل المراه
يوهم صحبى انه مسعدى * بادمع لم تذرها مقلتاه
وانما قلدنى منه بدمع عين من جفون مراه
ولم تقع فى خده قطرة * الا خيالات دموع البكاه

وقال الارجانى

وأغيد راق ماء الوجه منه * فلو أرخى لثاما عنه سالا
تبين سواده الابصار فيه * فحيث لحظت فيه حسبت خالا

وأخذه الآخر فقال

ولما استقلت أعين الناس حوله * تراقبه حيث استقل وسارا
تمثلت الاهداب فى صفو خده * خيالا فقالوا الشعر فيه عذارا

وقال أبو الحسن على بن أحمد الديباجى المصرى

ياحبذا قرتزر فن صدغه * واخضر شاربه فزاد جمالا
وكأن اسودناظرى فى خده * لما نظرت له تمثل خالا

وقال بن رشيق فيما أظن

أخاف تحنيه فاصفران بدا * ويصفر خوفا ان أنم عليه
وأكثر ظنى أن مرآة خده * توصل الوان الوجوه اليه

وقال أحمد بن صالح بن شردار الوزير

ظبى ترى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال بن قاضى ميلة

محيا ترى الاتراب اشخاصها به * جرى فيه را قراق النضارة مذهبا
اذا زاره ذو لوعة لاح شخصه * الى الحول فى افرنده متنصبا
فاعجب بوجه حسنه من وشاته * ينم على من زاره متنقبا
بدت صور العشاق فى ماء خده * فاثنت رقيب الحى أن يترقبا

وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ولا ينالك الا بايرمن وهم وقال آخر

ومهفهف قسم الاله مثاله * نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل فى الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال آخر

اضمر ان اضمر هجرى له * فيشتكى اضمار اضمارى
رق فلو مرت به ذرة * لخضبته بدم جارى

وقال بن سناء الملك

نظرا تى لوجهه * بدموع معثره
رق حتى كأنما * لثمه سوء مقدره

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصيرة لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء قال له انى متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهى فرس جذيمة التى لا تلحق فاركبها وانج فلما راى الشر قرعها بالسوط فأنف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامة
ورجعت على نفسك بالملامة
كنت قد اشتريت العافية لك
بالعافية منك)

يعنى ان ندمت على ما أقدمت

وأنشد فى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز الحلى

وظبية من ظباء الترك كالشمة * لكنها فى رياض الحسن قد سرحت
ان جال ماء الحيا فى خدها خجلت * وان تردد فى أجفانها انفتحت
قمت على صبها قلبا ووجنتها * لو مر تقبيلها بالوهم لانجرحت

وقال بن القابلة

ووجه مليح رق حسنا اديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لى عند اللقاء به رشا * تكاد الحميا من محياه تعصر
ولم يتعرض كى أراه وانما * ارادير يني أن وجهى اصفر

وعلى ذكر رؤية الهلال فما أحسن قول ابن الرقاق

لله شهر ما انتظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لى أغن مهفهف * لضيائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف فى الانام ضللتم * وغلطتم فى عدة الايام
ماجاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

وقوله أيضا

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * عيونا الى جو السماء جوائلا
الى ان بدا أحوى المراشف أحور * يجر لأبراد الشباب دلادلا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بمدرحوى طيب الشمول شمائلا
اتطلبك الابصار فى الجو ناقصا * وأنت كذا تمشى على الارض كاملا

قلت ومع حسن هذين المعنيين فقد طول فى المقطوع بين وزاد فى التوطئة لما اراد وكان يكفيه فى كل مقطوع بيتان وقد خطر لى نظم هذا المعنى فى بيتين لا غير فقلت

ولما ترا أينا الهلال بدا لنا * محيا حبيب لم يغب قط عن فكرى
فقلت عجيب أن يرى البدر هكذا * تماما ونحن الآن فى أول الشهر

وقلت فى ذلك أيضا

رأيت الهلال وحبى معا * وفى وجهه شغل عينى وفكرى
فبشرت بالسعد عينى التى * أرتنى الهلال على وجه بدرى

وقال آخر فى مليح لم ينظر الهلال

ترا أت البدر عيون ولم * ينظر اليه مع نظاره
وما الذى يصنع بالبدر من * أطلعه الله بازراره

قيل ان فى أيام اياس بن معاوية القاضى تعذر على الناس رؤية الهلال فلم يره أحد فحضر اليه أنس بن مالك رضى الله عنه فيما أظن وقال رأيته فقال أرنى مكان رأيته فأراه فلم ير اياس شيئا ونظر شعرة بيضاء خارجة عن حاجبه فنحاها وقال له انظر الى الهلال وحققه فنظر فلم يجد شيئا وهذا من تفرس اياس رحمه الله تعالى (فائدة) ذكرتها هنا وهى انه وجد بخط الشيخ تقى الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلى قال أجمع المسلمون على ان حجة الوداع كان يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذى الحجة فى تلك السنة يوم

عليه وتركته ولمت نفسك
أوحت نفسك بانقطاعك
عنا وأرحتنا منك
(وان قلت جحجحة ولاطحن
ورب صلف تحت الراعدة)
مثلان يضربان لمن يتوعد
ولا يفعل والجحجحة صوت
الرحى والطحن الدقيق فعل
بمعنى مفعول كذبح وفرق
والصلف قلة البركة والخير
ولذلك يقال اصلف من ملح
فى ماء أى لا يبقى وسحاب
صلف اذا كان قليل الماء
كثير الرعد والمعنى انك متى
قلت انى أتوعد ولا تفعل
فستبرى ما يكون
(وانشدت لابى يسنك من
مخدرة
قول تغلطه وان جرحا)

الخميس وهـذا الاشكل فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاوّل بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الانسان الشهور وهن ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الاوّل وجعل أوّل ذى الحجة الخميس مايتصوّر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاوّل سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضهن نواقص وبعضهن كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضى القضاة شرف الدين البارزى الحموى بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذى الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروا هلال ذى الحجة الا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم مارأوا وأرخوا فى أوّل ذى الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أوّل ربيع الاوّل الخميس وكان ثانى عشر ربيع الاوّل يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعى اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب وقد أجاب القاضى عز الدين بن جماعة عن هذا الاشكال ايضا بان تفرض الشهور الثلاثة كوامل ويكون قولهم لاثنتى عشرة ليلة خلت منه اى بايامها كاملة فتكون وفاته بعد استكمال ذلك والدخول فى الثالث عشر والاشكال قوى وكلا الجوابين فيه نظر لما فى كلام السير مما يدل على نقصان الثلاثة او اثنين منها والراجح من حيث الاتباع انه لليلتين خلتا من ربيع الاوّل والجمهور على انه لاثنتى عشرة ليلة خلت وصرح به جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين (المعنى) قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه فى مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على مايرمونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملا فتعود سدى يحذر نفسه من أعاديه الذين يسعون فى قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به ويتربصون به الدوائر قال الارجانى

عرفت دهرى واهليه بيادرتى * من قبل ان نجدتنى فيهم الحنك
فلا حسائك فى صدرى على احد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * وربما غر حب تحته شبك

وقال ابن الساعاتى

لا يغررنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال مهيار الديلمى

خلعت موفقا نظرى وقلبى * هواه فمن يعادى او يوالى
اطالع صاحبا فارى بظنى * خلال تجاربى فيه انخلالا
وأخبره فلا ارضاه قولا * لاخبره فارضاه فعالا

وأبو الطيب أوجز قولا من هذا لانه قال

اخالط نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها من فعله والتكلم

والسابق الى هذا المعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ينسب اليه من الشعر حيث قال

هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر أبو الشمقمق قال دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدرى ماقصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوى النعمة دخل على فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت أن أدفعها اليك فتسلمها فقلت ماسببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فتصعبت على فأردت السلو فذكرت قولك

لا يؤيسنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى ميسرة * والصعب يركب بعد ما جمحا

فصبرت فادركت مقصودى منها وآليت على نفسى أن

عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء قد كنت طول الدهر تخفيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها اومن اعاديها

وقال أبو الطيب

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وهو مأخوذ من قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال أبو الطيب

ويعرف الامر قبل موقعه * فعاله بعد فكره ندم

ومن حكم أبي الطيب قوله

لو فكر العاشق في منتهى * صورة من يسبيه لم يسبه

ومثله قول القائل

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا
يرى الامر يقضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وما أحسن قول أبي نواس

أسأل القادمين من حكمان * كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا ميسة المهذب والما * جد والمرتجى لصرف الزمان
فيقولون لي جنان كما سر * ك في حالها قسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم * كيف لم يغن عنهم كتماني

قلت أبو عثمان هو أخو مولى جنان وأبو ميسة هو مولاها وهذه جنان كان أبو نواس يهواها ولم يصدق في هوى امرأة غيرها وله فيها ملح ظريفة قال شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي رحمه الله تعالى أنشدت والدي أبيات أبي نواس هذه فقال هذا شبيه بقصد ظريفة وهي ان بعض عوام بغداد مرض له نسيب فوصف له بطيخ رقي وكان عزيزا في ذلك الفصل فلم يجده فذكر له ان بطيخة منه عند بعض الفكاهيين بالكرخ فلما جاءه لم يرد البداءة بسوم البطيخة ائلا يفطن لقصده فقال كيف تبيع هذا الرمان فقال البطيخة بنصف دينار فقال بعها لمن يطلبها بما شئت فأنا أريد مشتري طبق فاكهة كيف تبيع التفاح قال البطيخة بدينار فلم يزل يساومه على نوع نوع وهو يزيد في البطيخة حتى ألجأته الضرورة الى ان صدقه واشتراها منه بما تراضيا عليه انتهى قلت ومن هذا الباب ما حكي ان انسانا مر بمكتب فيه صغير مليح الوجه فوقف وسأل الفقيه وقال يا مولانا هذا ابن من وأشار الى صغير غير ذلك فقال الفقيه يا مولانا لا تتعبني وتضيع الزمان في السؤال هذا المليح ابن فلان وما أحلى قول شرف الدين شيخ الشيوخ

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حرة
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجرة

وأنشدني جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال أنشدني الاديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه

اجل اليك هذه المائة دينار
(فعدت لما نهيت عنه)
وراجعت ما استعفيت منه)
بعثت من يزعجك الى
الخضراء دفعا
ويستحثك نحوها وكزا
وصفعا)
يعني انك ان لم تبال بتوعدي
ولم تصدقه وعاودت المراسلة
بعثت من يزعجك من مكانك
والأزعاج عدم الاستقرار
ومنه المرأة المزعاج التي
لا تستقر في مكان والخضراء
ناحية المزدرع من البلد أو
اسم ضيعة والوكز مثل
الدفع وهو ضرب الظهر مع
الدفع وقيل الضرب بمجتمع
اليد على الذقن

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوس جالبش وأخشى بأن * تستتبع الجالبش بالقلب

وقال أبو حاتم الحجارى بالراء

وزائر زارنى وقد هجعت * عيناى لما تبلج الفجر
بكيت للقرب ثم قلت له * من ثمر الوصل يجتنى الهجر

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضية * عنى بذاك الرضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيعقبه * منك التجنى وكثرة السخط

وقال العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

وقال آخر

بكيت فقالت أراك بكيت * فقلت الوصال اخاف انتقاضه
فقالت فديتك من عاشق * يشمر للذيل قبل المخاضه

وقال ابن خفاجة

ما للعذار وكان وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرجى للعذار سحابا

وأنشدنى لنفسه اجازة القاضى شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى

أحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد الغروب طلوع
وهل لى ولا والله ما ذاك ممكن * فؤادا ذا حان الفراق مطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * برؤيتكم أن النوى سيروع

ومن تلميح قول القائل

عاقنى عن حلاوة التشييع * ما أرى من مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وما أحسن اعتذار القائل عن ترك الوداع

ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله من ملل ولا تجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * ويقال انت قتلته فتفاديت

وقال عبد الصمد بن بابك

ان لم أودعك فعن عذرة * فانظر اليها اذ ناواعيه
قرت بك العين فنزهتها * عن نظرة ليست لها ثانيه

ويعجبنى قول القائل

انى لأكره ان انام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

وذكرت هنا قول ابن رشيق يرثى

المنايا حتم فطوبى لنفس * سلمت بالرضا لحتم القضاء

(فاذا صرت اليها عبث أكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك

الاكارون الزراعون جمع أكار ويجمع على أكرة كانه جمع آكر فى التقدير مأخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث ان يخلط بعمله لعبا ماخوذ من العبيثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان

(فمن قرعة معوجة تقوم فى قفاك ومن خلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)

أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو

لو بودى قتلت نفسى لالقا * ه ولكن خشيت فوق اللقاء

هو مأخوذ من قول القائل

ولقد هممت بقتل نفسى بعده * أسفا عليه فخفت ان لا ألقى

ومعناه انى اذا قتلت نفسى كنت فى النار وهو من أهل الجنة وهذا من ألطف معنى يكون وقال آخر يتمنى الوداع وهو مشهور

أرأيت من يرضى بفرقة ألفه * أنا قد رضيت لنا بان نتفرقا

حتى أفوز بقبلة فى خده * عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر يهون أمر الوداع

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادو

وما أحسن قول الارجانى

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع متلصقه

واليوم جاء الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وعلى ذكر القلب فما أحسن قول القائل

جاذبتها والريح تضرب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب

فتمايلت عجبا وصدت وانثنت * وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على محسن خدندى

تسالم من وطئت خده * وتكبر قلب الشجى المكمد

وقال الآخر

فقالت ترى ماذا الذى أنت قانع * به من هوانا قلت معكوس قانع

وقال آخر فى ذم الدنيا

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأمله مقلوب اقبال

وقال أبو الفضل الميكالى فى ذم الاقحوان

للاقحوان على ملاحته * وخز بقلب يشتكى العشقا

مقلوبه فى اللفظ يخبرنى * ان الاحبة قد نأوا حقا

وقال آخر فى ذم أترجة

اترجة قد أنتك برا * لا تقبلنها اذا برتا

ولا تراها فدتك نفسى * لان مقلوبها هجرتا

وقال آخر فى البهار

حكانى بهار الروض حتى ألفته * وكل بهار للمحب مصاحب

فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

ياحسن ماسمى البهار به * لو تركته عيافة العائف

عما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمى بالفعل تحت الخصى كناية عن استدخاله فى استه وفى قتله مناسبة واستقذار للمفعول به *(ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)* يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدى على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل فى القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى فى

قلبته راهبا فاشعرنى * خوفا ويا ويل راهب خائف

وقال أيضا

لم كره النمام اهل الهوى * اساء اخوانى وما احسنوا
ان كان غاما فعكوسه * من غير تكذيب لهم مامن

وكتب بعض الافاضل مع كرسى أهداه

اهديت شيئا يقل لولا * احدوثة الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

وقال ابن قزل ملغزا فى رمح

أى شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
اسمر القد أزرق السن وصفا * انما قلبه بلا شك أحمر

وقال آخر ملغزا فى دملج

الى النساء يا تجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

وقال آخر فى كحل

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما يرى بالقلب فى نومك

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل

راح بها الاعمى يرى مع العمى * وهاك برهانا على هذى المدح
الخمر للاقداح قلب دائما * والحدق انظرها تجد قلب القدح

وكتب النصير الحمامى الى السراج الوراق لغزا فى سيل

لترشدنى شيئا به يدرك المنى * له قلب صب كم فؤاد به صب
اذا ركب البيداء يخشى ويتقى * فلم يثنه طعن ولم يثنه ضرب
بقلب يهد الصخر يوم لقائه * وعن أعجب الاشياء ليس له قلب

فأجابه السراج الوراق

أراك نصير الدين عذبت خاطرى * وقد راق لى من لغزك المتهل العذب
وأثبت قلبا منه ثم نفيته * واعرفه صبا وهام له قلب
واعرف منه أعينا لا تحفها * جفون كعادات الجفون ولا هدب
ومن وصفه صب كما أنت واصف * صدقت ولولا ما عرف الحب

وكتب النصير اليه أيضا ملغزا فى ثور

تعرف اسما قلبه فى دبره * ما حواه صدره فى عمره
ملك ذى القرنين يغدو عنده * ان خلا فى مربع مع خضره
يشكر الكافر يوما سعيه * حين ترنو عينه فى اثره

فأجاب السراج الوراق عنه ولكن ليس فى الجواب ما يدخل فى هذا الباب فلهذا لم أثبته

وكتب اليه النصير أيضا ملغزا فى آل

العذاب والوبال الامر الثقيل الذى يخاف ضرره ومنه طعام ويل وكلأ ويبل والويل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها

(فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره عنه ما لا يرى)

هذا بيت من شعر المتنبى ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء فى مقاطيع رسائلهم اما بآية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به فى معنى ما هم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ما سمع وفى القصيدة

تعرف اسما ظاهرا * طورا وطورا يحجب
مثل السحاب انما * بارق هـذا خلب
وهو اذا قلبتـه * فانه لا يقـلب

فاجابه السراج بقوله أرحتنى منك بلغز ليس فيه تعب
قلبتـه لا كالذى * قلت وقلبى قلب
وان يكن ذا كذب * فانت منه أكذب

وانشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة لغز افيه

ما سانح منفـرد * عن الورى مغترب
لا مأكل يصحبـه * ولا لعمرى مشرب
وهو على ما قد ترى * يعزى اليه الكذب
وان أردت قلبـه * فانه لا يقـلب

ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله قوله ملغزا فى باب أى شئ تراه فى الدور والكتـب مجازا هـذا وهذا محقق

يحفظ المال والحـريم ولولا * محفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هـو فـرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيـه ولكن * بحديد من بعـد ذلك يوثق
وثـلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كلـه ان تفـرق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمـن يترمـق
وتراه للعشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يترندق
فأجبنى عنـه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

قلت فى هـذا اللغز ألفاظ لا يخفى على الفاضل ما فيها من الوهـم والغلط فـرأيت ان أطيـل الكلام فيهـا وعـلى ذكر الباب فـأحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه الى والده ملغزا فى ذلك وهو

ماواقف فى المخـرج * يذهب طـورا ويجى
لست تخـاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجىء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وذكرت هنا أيضا ما نقلته من خط الفاضل علاء الدين الوداعى وصورته حدثنى شيخنا الامام تاج عبد الرحمن الفزارى رحمه الله تعالى قال كان شيخنا شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رضى الله عنه اذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى الى آخر أى باب كان من أبوابه لا يقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطرا واحدا ويقول ما نشتهى ان نكون ممن يقف على الابواب انتهى (رجع) الى ذكر القلب وقد أتيت من هذا النوع بما يكفى ولا بد من ايراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الاول وهو أن الكلمة وما فوقها لا يتغير معناها بالقلب وقد عبر عنه الحريرى فى مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله ساكب كاس ومثله قوله تعالى كل فى فلك وقوله تعالى ربك فكبر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن

التى منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة فى الاستطراد بما ينطوى على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدى من مصر الى العراق يصف طريقه فيالك ليلا على أعكش أحم البلاد خفى الصوى وردنا الرهيمة فى جوزه وباقيه أكثر مما مضى أعكش موضع والاحم الاسود

يوم القيامة اقرأ وارقا ومنه قول الحريرى كبر رجاء أجر ربك وقول القاضى الفاضل رحمه الله تعالى ابد الا تدوم الامودة الادباء وقال العماد الكاتب للقاضى الفاضل رحمه الله تعالى سر فلا كبابك الفرس فقال له دام علاء العماد وهذا مطلع قصيدة للارجانى ومنه مودتى لخلى تدوم ومنه أرض خضر أفيها أهيف ساكب كاس ومنه وهو موزون أرانا الاله هلالا أنارا ومنه مراكب كارم ومنه مطرق قرطم ومنه سرفسار برأس فرس ومنه حوت فه مفتوح ومنه آدم جد محمدا ومنه رمح أحمر ومنه هريره وكذلك هره ومنه كبرت آيات ربك ومنه عقرب تحت برقع وقول الأرجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال كمال الدين على بن النبيه

ليت أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

وقال سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أنى يضىء بكوكب

ومن كلام المولى صفى الدين الحلى كد ضدك كن كما أمكنك كرم علمك يكمل عمرك ومن هذا ان يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافية كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلى * فلذاك روحى لا تقر
رد الحبيب جوابه * فكأنه فى اللفظ در

وقد سميت أنا هذا النوع مجنح القلب وفى هذه التسمية توريه مطبوعة وقد فكرت فى هذين البيتين فوجدت الكلمة الاولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت لو اتفق الكلمتان فى العدد لكان أكمل فى الصناعة فامتحنت الخاطر بنظم شىء فى هذا النوع كاملا ففتح الله على بالمطلوب عاجلا فقلت فى الوزن والروى

رضت فؤادى غادة * ما كنت أحسبها تضر
ردت رسولى خائبا * فدامعى أبدا تدر

وكذا فكرت يوما فى قول شمس الدين محمد بن التلمسانى

أسكرنى باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

فكدت أرقص لا بل أطير عجبا وأميل لا بل أذوب طربا وقلت هل أستطيع له طلبا أو أحكى لثغره شنبا فلم أر بينى وبين هذا الانسجام نسبا ولم أجد لى الى غير القالب الذى أبرز فيه معناه منقلبا ورضت جواد فكرى فى هذا الميدان فكبا وجردت حسام اقدامى على المعارضة فنبا وعلمت أنه غاية فات لحاقها ولم أر بى ما يقتضى أربا ولكن

قد يدرك المجد الفتى ولباسه * خلق وجيب قميصه مرقوع

فقلت ليست المعارضة مطلوبة فى انسجام لفظه وعذوبة تركيبه ولكن فى الصناعة فقط والاتيان بمثل هذه المادة لا غير تجربة للخاطر المستكن فحركت لها جوارحا تحن ففتح على فى ذلك الوقت بما أرجو أن يوجب المقة لا المقت فقلت

قلب الدن من أحب فأضحت * نفحة الندمن حياه تهدى

والصوى العلامات فى الطرق وهى أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفى الحديث ان للاسلام صوى ومنارا والرهمة موضع والضمير فى جوزه عائد على الليل يعنى اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقى الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل فى الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة

قال لى اعجب فقلت غير عجيب * كل دن قلبته كان ندا

فقلت لو اتفق لى شئ فى رويه لكان أقرب وأغرب فى البديع وأعرب فرجعت رجوع المفلس الى بقايا الدفاتر الموروثه وبقيت أخبط فى الظلام على خرط القتاد بعد الجلوس فى النهار على الزرابى المبثوثه وقلت ألق دلوك فى الدلاء ولا تجزع ان جاءت بقليل حمأة أو كثير ماء فما كل قريحة تكدى ولا كل خطر يردى

وما عقمت أم الندى بعد حاتم * لها كل يوم فى البرية مولود

فقلت

قلت وقد سرت فى الظلام وقد * أهمنى منه فقد اينامى
كيف يطير الفؤاد من جزع * وكل سار فقلبه راس

ولما قرأت المقامات الحريرية على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله أنشدنى من لفظه عند وصولى فى القراءة الى بيتى ابن سكرة موالبا لبعضهم

لقيتها قلت وقيتى من الافات * بالله ارحمى صبك المضنى والامات
قالت تريد بحدوثة وخرافات * تنصب علينا وتأخذ سادس الكافات

ثم التفت الى الحاضرين وقال هل فيكم من يحفظ من نوع قول ابن سكرة شيئا فبعض القوم أنشد قول ابن التعاويذى

اذا اجتمعت فى مجلس الشرب سبعة * فبادر فما التأخير عنه صواب
شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب

وسكت الباقون فأنشدته لابن قزل

عجل الى فعندى سبعة كملت * وليس فيها من اللذات اعواز
طار وطبل وطنبور وطاس طلا * وطفلة وطباهيج وطناز

وأنشدته له أيضا

جاء الخريف وعندى من حوائجه * سبع بهن قوام السمع والبصر
موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومرى

وأنشدته لغيره أيضا

رمتنا يد الايام عن قوس خطبها * بسبع وهل ناج من السبع سالم
غلاء وغارات وغز ووغربة * وغم وغدر ثم غبن ملازم

فاعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم انه قال الا ان من خاصية هذا النوع انه لابد وأن يكون بعض هذه السبعة موصوفا ليقوم الوزن بذلك فاستقريت ما احفظه فكان كذلك قلت والعلة فى ذلك انها سبعة ألفاظ ويريد الناظم يأتى بها فى بيت واحد فيضطره الوزن الى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة وبقى هذا الكلام فى ذهنى ولم أكن اذ ذاك مشتغلا بغير التحصيل والقراءة والمطالعة الى أن اشتغلت ببعض العمل فاردت امتحان الخاطر الخاطر بنظم شئ من هذه المادة بحيث أن يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة ونصف فاتفق ذلك فقلت

اذا تيسر لى فى مصر واجتمعت * سبع فانى فى اللذات سلطان
خود وخمر وخاتون وخادمها * وخاسة وخلاعات وخلان

وقلت أيضا ان قدر الله لى فى العمر واجتمعت * سبع فانا فى اللذات مغبون

الثالث الاوسط والثانى أن الضمير فى جوزه عائد على أعكش والرهمة ماء فى وسطه وردوه وباقى البيت أكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أنى الفتى
يعنى بمن فى مصر من فاتهم
ومن بالعراق من هو قادم
عليهم ومن بالعواصم سيف
الدولة

قصرو قدر وقوادوقحبته * وقهوةوقناديل وقانون

وقلت فى الجميع بين ثمانية

ثمانية أن يسمح الدهر لى بها * فمالى عليها بعد ذلك مطلوب
مقام ومشروب ومزح ومأكل * ومله ومشموم ومال ومحبوب

وقلت ايضا

الى متى أنا لا انفك فى بلد * رهين جمات جور كلها عطب
الجوع والجرى والجيران والجدرى * والجهل والجبن والجرذان والجرب

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس لغيره

اذا كان فى اسم المرء شين هوت به * الى الشر فليحذر أذاه المحاذر
شريف وشيمى وشيخ وشاهد * وشمر وشريب وشرخ شاعر
سوى الشافعى أوشادن راق حسنه * كذا الشهداء المتقون وشاكر

وأنشدنى أيضا لابى الحسين الجزار

وكانت الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفى * ظفرت بمفرد يأتى بجمع

ووقفت أيضا على بيتين لابى الحسين الجزار وهما

يارب ان أعدمتنى راحة الدنيا * فهب لى راحة الآخره
فى بلدتى لم أخل من هاجر * ورحلتى لم أخل من هاجره

فاعجبانى وأنشدتهما لبعض أدباء العصر فى زمنه وكررت العجب منهما فقال لقد نفخت فى غير ضرم أى شئ قال انما ذكر ان له فى بلده هاجرا وفى غربته هاجرة فذكر وأنث فعلمت انه ذاهل عن نكتة البديع فيهما وأنشدتهما للمولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة فقال قد نظمت أنا أيضا فى مثل هذا وأنشدنى قوله

يارب ان ابنى وشعرى معا * قد أصبحا فى حالة حائله
الشعر محتاج الى قابل * والابن محتاج الى قابله

وكنت أجتمع أنا وهو بالحائط الشمالى من الجامع الاموى بدمشق بكرة النهار وبعد العصر نتذاكر فاتفق ان غبت ليلة عن ميعادنا فكتب الى

امولاى غبت وخلفتنى * من الهم ذا فكرة خاضعه
فها أنا بعدك فى جامع * ولكن قلبى فى جامعه

فكتبت الجواب اليه

وقفت على نظمك المشتهى * وشاهدت روضته اليانعه
فكم ألف مثل غصن النقا * وهمزته فوقه ساجعه
أقام على الود لى حجة * ولكن عن الناس لى قاطعه
وقد سمع العبد ألفاظها * فيا حسنها فى الحشا واقعه
واصبح شكرى لها تاليا * وجملته للثنا جامعه
ورحت لباب الدعا قارعا * الى ان تصيب العدا قارعه

ومن يك قلب كقلبى له
يشق الى العز قلب النوى
ونام الخودیم عن ليلنا
وقد نام قبل عمى لاكرى
وقد كنت أحسب قبل الخصـ
ـى أن الرؤس محل النهى
فلما نظرت الى عقله
وجدت النهى كلها فى الخصى
وقد ضل قوم باصنامهم
فأما نرق رياح فلا
يعنى ان من أطاع كافورا
فقد ضل بطاعة شئ اسود مملوء

فلما

فلما وقف عليها قال والله هذا التالى والجامعة ما كانا لى فى حساب وقلت فى هذه المادة

يازمنا اوقعنى شؤمه * فى محنة ليس لها كاشفه
الفضل يحتاج الى عارف * والحال تضطر الى عارفه

وقلت ايضا

مذغاب محبوبى عن ناظرى * بطلعة كالروضة الناضره
ابكى بطرف فى الدجى ساهر * حتى يرى شخصى فى الساهره

وكنت كثيرا ما اقول للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى يعجبنى قول القاضى الفاضل وعجبت لاطراد تلك القوافى ورأيت الشعراء أتت بما الفت فى ضيق الاودية وخاطره وقلمه أتيا بما الفيافى الفيافى فلما كنت بصفد كتب الى كتابا جوابا عن كتاب صدر منى اليه يقول فيه فلله ذلك السحر الحلال الشافى بل تلك القوى فى القوافى يشعل تلك المقاصد التى أقصدت المنى فى المنافى فكتبت الجواب اليه ومنه وعكف منه على كعبة الفضل فلله ما نشر فى استلامى وطوى فى طوافى واراد طائر القلب ان ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم وظهر الخوى فى الخوافى وحكى لى الشيخ فتح الدين قال كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول قولهم النبيذ بغير الدسم سم وبغير النغم غم لم يقع لهما تين السجعتين ثالثة وقد عملت أنا لهما ثالثة وهى وبغير الملح قبح قلت ما كان ابن الوحيد لمح ما فيهما من الجناس المرقص ولوان الامر يرجع الى السجع أو الوزن أو التضاد عمل الناس مجلدات كثيرة من هذا النوع وقد تكلفت أنا لهما سجعة ثالثة وهى وبغير النهم هم أعنى أن الاكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا فى الاكثار منه وحضوا عليه كقول الشاعر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى * فسيان ماء فى الزجاجة أو خمر

ولما قرأت كتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل على مصنفه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله تعالى وكان مما أورده فى أنواع الجناس قول المطوعى وهو

أخو كم كرم يفضى الورى من بساطه * الى روض جود بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

قال لى عند ما مررت بهما ما جاء لاحد مثل هذا الجناس فبقى هذا الكلام فى ذهنى فلما كان بعد مدة اتفق لى نظم سبعة وعشرين مقطوعا فى هذا النوع وقد أودعت ذلك فى كتاب لى سميته جنان الجناس فمن ذلك قولى

وساق عدا يسعى بكاس وطرفه * يجر دا سيا فالغدير كفاح
اذا جرح العشاق قالوا أقمت فى * مدراج راح أم مدار جراح

وقولى أيضا

بكيت على نفسى لنوح حمائم * وجدت لها عندى هدية هاد
تنوب اذا ناحت على الأيك فى الدجى * مناب رشاد فى منابر شاد

وأنشدت يوما بعض فضلاء العصر ما أنشدنيه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قراءة منى عليه وهو

تثنى وأغصان الاراك نواضر * فتحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تثنى * وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

هواه ولم يضل أحد بمثل ذلك ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

يعنى من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التى لا ينتبه لها ومن نوادر المتنبين على سرقات المتنبى قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجىء فيلتقط من الحمأة دودا

وقلت هذا هو الديباج الخسروانى والسحر الحلال لاهل المعانى لا ما يعلل به شعراء العصر نفوسهم ويظنون انهم جلوا فى مجالس الطرب كؤسهم هيهات هيهات أى هذا النوع عن غاياتهم وفات فقال لى هل لك فى أن تأتى له بمشابه أو تجد طاقة على الدخول فى بابه قلت ليس لى بهذا يدان ولا أنا من فرسان هذا الميدان أما المعنى فيمكن الاتيان به فى وزن أقصر وأما العذوبة والانسجام فالاعتراف بالعجز عنهما أعضد وانصر فنظمت فى أصل المعنى لا فى لطف المبنى بيتين وهما

لم أنسه فى روضة * والطير تصدح فوق غصن
فأعلم الورق البكا * ء ويعلم البان التثنى

واجريت يوما ذكر قصيدة له مدح بها الملك المؤيد صاحب حماة رحمهما الله تعالى اظهر غزلها فى مظهر البديع كما يظهر أبو الطيب الحماسة فى صورة الغزل وقد تقدم منه قطعة فى اثناء هذا الكتاب وأنشدنى لنفسه رحمه الله اجازة من قصيدة

وان تردعلم بديع الهوى * فات الى عندى فعندى المراد
جانس طرفى النجم مستيقظا * لى فى الدجى بين السها والسهاد
وطابق الشوق لهيبى بما * دمعى فضلا بين خاف وباد
وقسم الوجد غرامى كما * شاء واعضاءى على ما أراد
فقلبى للدمع والجسم لل * أسقام والقلب لحفظ الوداد
وفرع الحب الصنى فى الحشا * عن مقل فيها منايا العباد
فما ظبا ارهفها قينها * ليوم حرب من سيوف حداد
يوما بأمضى من جفون بدت * من كحل خالطها فى السواد
وقلت بالموجب فى قولهم * بعد النوى يعرف صدق الوداد
فهو كما قالوا ولكنه * يعرف ممن وده فى ازدياد

فطرب الحاضرون لذلك طرب المشوق الى وجه الحبيب والعانى لغيبة الرقيب وقالوا هل يمكنك أن تنخرط فى سلكها أو تحتوى قريحتك على مثل ملكها فقلت ما كل غصن تناله يد الهصر ولا كل بديع فى الوجود يدخل تحت الحصر ولا كل بطل يثق فى المبارزة بالنصر ولكن لا يترك فرض الظهر لدخول وقت العصر ولا يهدم الحصن لاجل القصر فنظمت ولو وفقت هدمت وهو

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة * لهم بديع الحب أصبح ينتمى
فلى الجناس لان دمى عن دمى * يجرى ألست تراه مثل العندم
وله مطابقة التواصل بالقلى * ولعاذليه لزوم مالم يلزم

وقلت أيضا

لا تعجبوا منه فما حسنه * الا بليغ حرت فى وصفه
ان كان قد أوجز فى خصره * فانه أطنب فى ردفه
وما اتى بالواو فى صدغه * الا وقد رتب فى عطفه
ولف فى البردة اعطافه * حتى يطيب النشر من لفه

وهذا آخر كتاب غيث الادب المسجم فى شرح لامية العجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

هذا

ويقتصر فى القوت عليه فرأى الكركى صقرا قد ارتفع فى الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركى مالى لا أصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما فارتفع فى الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط فى الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فاخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال

هذا وقد تفضل بعض أهل المعارف والعلوم الحائزين قصب السبق فى المنظوم والمفهوم بارسال تقريظين مشتملين على تاريخين فذكرناهما على حسب الورود وهاك عذب زلالهما المورود قال الهمام الاكمل والعلامة الافضل حضرة الشيخ ابراهيم أفندى الاحدب الطرابلسى

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم * أبان نظم اللآلى فى دجى الظلم
أم وجنة وردها غض تفتح من * مر النسيم جلاها بارئ النسم
أم عارض قلم البارى حكاه لنا * فى صفحة عوذت بالنون والقلم
وهى عقود زهت فى جيد غانية * روت معاطفها عن بانة العلم
أم هذه الشهب فى الظلماء مشرقة * تهدى الى منهج الآداب كل عمى
وهل زلال معين قد تسلسل فى * ورد الثنايا جلا عن مورد شبم
أم ذى مناهل غيث قد أضيف بما * حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية العجم استعلت به وزهت * بمعرب للمعانى غير منعجم
شرح بديع به شرحى يطول اذا * أحكمت فيه بيان النعت بالحكم
أبان للقوم أفنان الفنون فما * روض جلا نور منثور ومنتظم
وكم به من عيون راق موردها * رويها بالقوافى رى كل ظمى
اخلاف غيث سماها در صيبها * كم شب منها رضيع غير منفطم
لله در صلاح الدين منشئها * أبكار حسن فاسلمى بذى سلم
لم ينصف ابن الدمامينى حيث أتى * منقصا لعلاه غير محتشم
أحرى به انه يثنى عليه ولم * ينسب فسادا الى من للصلاح نمى
ولم يعب فيه احماضا يطيب به * ذوق حلا بعد مر الجد للفهم
سفر يروق لذى الأسفار منهله * وفيه يغنى فقير السمع للنغم
جلت لنا طبعه الاسكندرية فى * أيام غيث البرايا منهل الكرم
وثغرها افتر مسرورا بطلعة من * علا على النجم كعبا ثابت القدم
سامى المآثر اسمعيل من طلعت * أقماره فى سماء الفضل والنعم
عزيز مصر الذى عزت معالمها * به فأم حماها سادة الأمم
وقد غدت كعبة المعروف كل فتى * يسعى لأبوابها مسعاه للحرم
بيمنه بيسار المرتجى ضمنت * كما بعلياه برت أحرف القسم
به العلوم ازدهت بالطبع وابتسمت * تهدى الثنا بما يحلو بكل فم
من ذاك شرح جلت أحكامه حكما * فرق حاشية للمنصف الحكم
فلو رآه صلاح الدين قال وقد * أبان وهو أشم القدر عن شمم
قد رق طبع كتاب ما يؤرخه * بدا لشرحى على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ٨ ٥٤٨ ١١٠ ٤٨١ ١٤٤

وقال حضرة الاديب الكامل والاريب الفاضل الشيخ رمضان حلاوه

روّ الفؤاد بمنهل ومنسجم * وداو كلم الحشا من هذه الكلم

ما هذا فقال كركى يتصفر فسمع المتنبى حكاية فاخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود

تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولحها * ولا أدعى فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النظام والنثار * فانى أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفقر من أترابها *

واشرح حديث الصبا ياصاحبي فبها * شرح الصدور لصب فيه منهجم
واستطرد القول فى شأن الحبيب فقد * بان الحبيب ضحى عن بانة العلم
وأجل المعانى معانى الحسن تعرب عن * حال المعانى بنصب الشوق والسقم
واذكر لدنيا لغات فى الهوى حسنت * مبلغات لحى الالمعى الفهم
خليل أيبك من راقت مشاربه * وبحر آدابه قد فاض كالديم
لله شرح له سامى العلوم على * لامية العجم المرفوعة العلم
مطول أدبا فى ضمنه حكم * لاخير فى قصر الآداب والحكم
من كل معنى يكاد السحر يعبده * وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد ابحاثا ويعقبها * ورد الحديث فيروى منه كل ظمى
له رجوع الى انحاف شاردة * على اصالة رأى فيه ملتئم
وقد بدا طبعه زاكى الطباع على * نسيم صفو بطيب الروض مختتم
لما انتهى قلت فى التاريخ فاق علا * شرح الصلاح على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ١٠١١٨١ ٥٠٨ ١٦٠ ٨٦١١٠ ١٤٤

وعلى الجملة ففى عواطف من
عرضت عليه هذه النبذة
مايسد خللى * ويشد أملى
* ويكثر قليلى * ويرعى كل
وقت رحلتى الشمالية
بقبولى عطر الله بذكره
المشارق والمغارب * وزين
سماء المدح فى مناقبه بزينة
الكواكب ولاخلت أبواب
نعمه وعلمه على كلا الحالين
من طالب * آمين * والحمد
لله رب العالمين

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله هداة الانام وأصحابه الائمة الاعلام فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل الراقى من درجات البلاغه أسنى رتبة يشهد سموها كل لوذعى نبيل المشتمل على بديع الرقائق ومحاسن الآداب المسفر عن وجوه مخدرات القصيدة الموسومة بلامية العجم كل حجاب ونقاب المظهر من خفى دقائقها مالا يصل الى الوقوف عليه الا ثواقب الاذهان ولا يهتدى الى ابرازه على هذا الوجه البديع الامن لا يدرك شأوه فى مضمار البيان الموسوم طبقا لمعناه بالغيث المسجم فى شرح لامية العجم للعلامة الفاضل والهمام الكامل الاستاذ صلاح الدين بن أيبك الصفدى الاريب الشاعر المفلق الاديب رحمه الله وأكرم مثواه مطرزا بطراز الكتاب النفيس المغنى الواقف عليه عن المسامر والانيس المسمى شرح العيون لرسالة ابن زيدون للعالم النحرير وعلم الفضل الشهير جمال الدين الاستاذ محمد ابن نباته المصرى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكان طبعهما البهى الفائق وتمثيل شكلهما الشهى الرائق بالمطبعة البهية الازهريه احدى جليل المطابع المصريه السنيه المنسوبة للشهم الهمام الاوحد المقدام السيد محمد رمضان عاملنى الله واياه بالاحسان احد ذوى ادارتها الامراء الاماثل اخدان الفضائل والفواضل ووافقت نهاية الطبع منتصف رمضان المعظم من عام ألف وثلاثمائة وخمسة من هجرة النبى الاعظم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه

وجميع حزبه
آمين

م

DATE DUE

HASSAN Abdel
Hadi ISSA
A's Gr.

2 MAY 1972

A-Suleiman (Faculty)

JUN 1 1975

PJ
7755
T8
L337
1887
v.2

الصفدى، خليل بن ايبك.
هذا كتاب الغيث المسجم فى
شرح لامية العجم.

NAME	STATUS

PJ
7755
T8
L337
1887
v.2

-- MAR 1972